ثلاثة عوالم

مذكرات يهودي عربي

أفي شلايم



ثلاثة عوالم

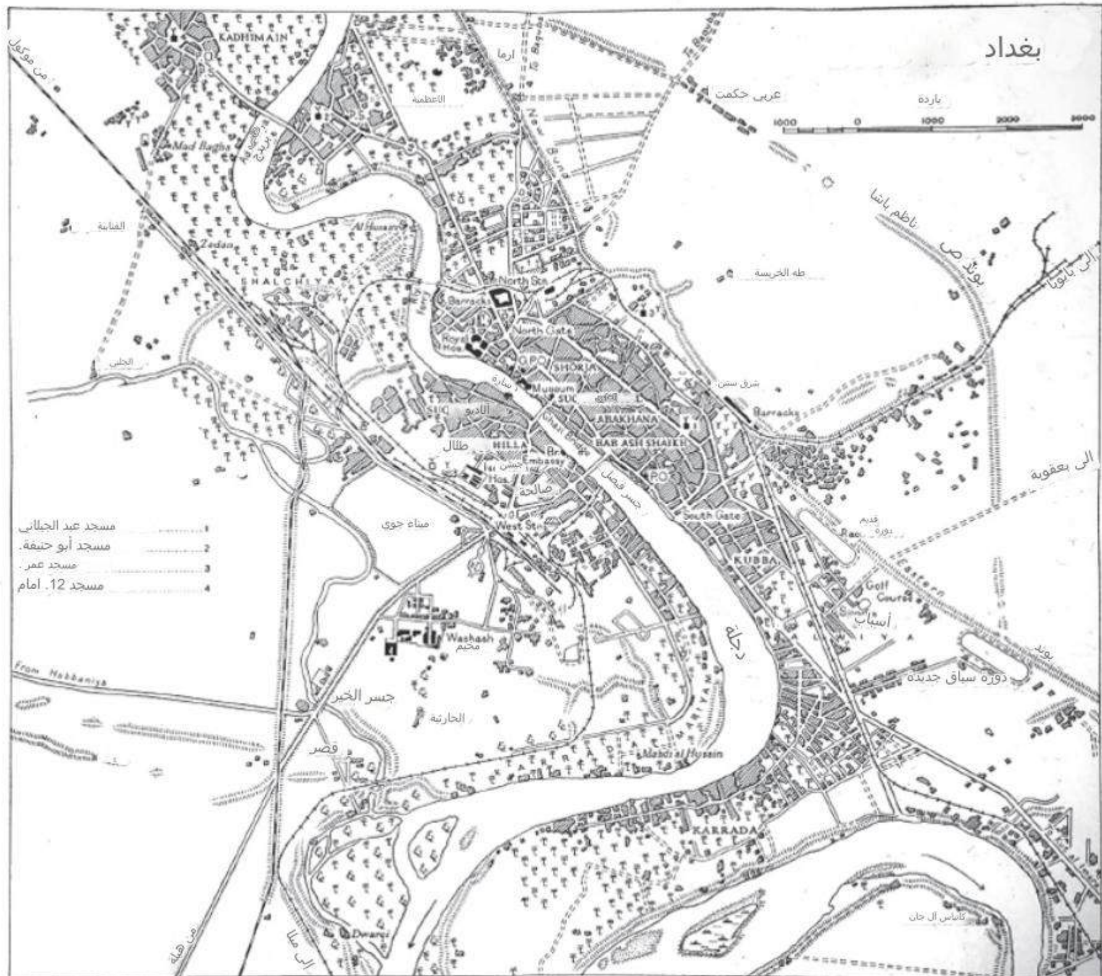
إلى النساء اللاتي رافقنني في الرحلة: موزلي وعايدة وداليا وفيلما.

محتويات

خرائط
مقدمة

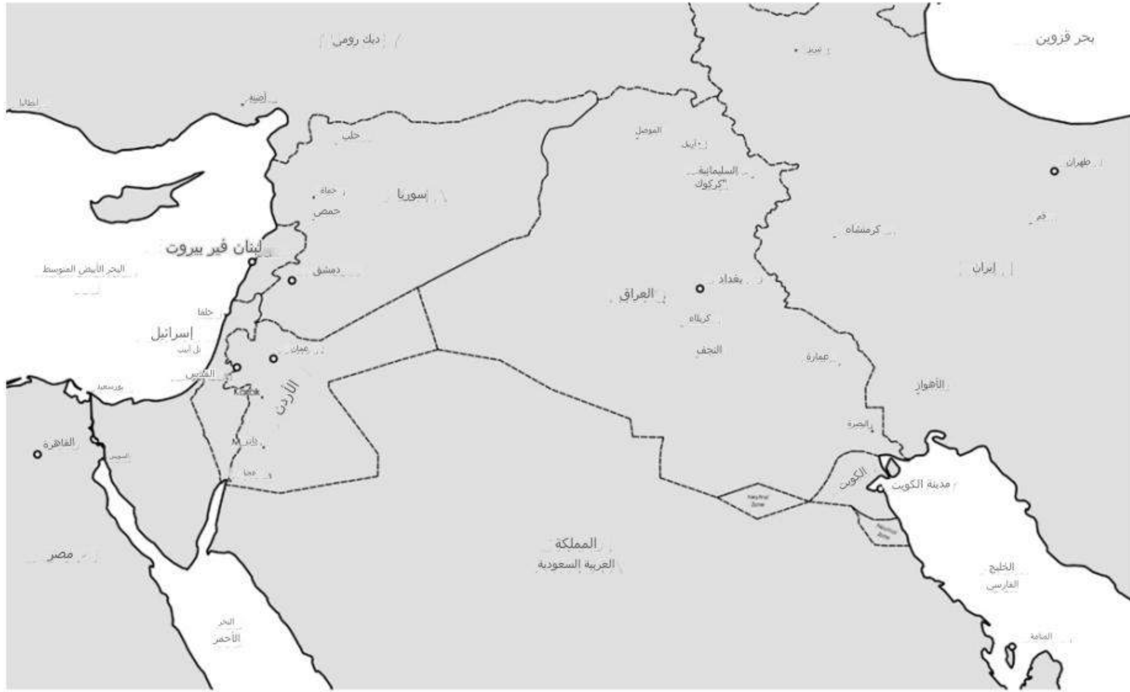
1. اليهود العرب
2. اختراع العراق
3. الجذور العراقية
4. قصة صيدا
5. الاتصال البريطاني
6. بغدادي
7. قنبلة بغداد
8. وداعاً بغداد
9. الأرض الموعودة
10. على غير هدى
11. لندن
12. الصحوة
13. الخاتمة

قسم الصور
ملحوظات
فهرس
شكر وتقدير



تين. 79. مخطط بغداد

خريطة بغداد عام 1944



خريطة الشرق الأوسط قبل عام 1967

مقدمة

في أحد أيام الصيف الحارة، اقترب والدي بينما كنت أتسكع مع الأصدقاء خارج المبنى السكني الذي نسكنه في بلدة رمات غان الإسرائيلية، شرق تل أبيب. على خلافي أنا ورفاقي، كان والدي يرتدي السراويل القصيرة والصنادل، بدلة من ثلاث قطع وقميصاً أبيض وربطة عنق. خاطبني بالعربية لغة أجنبية. وكان ردي يجب أن يكون باللغة العربية أيضاً. غمرني الخجل وتحولت وجنتي إلى اللون الأحمر. كانت الإجابات على أسئلة والدي مشوشة، أحادية المقطع، بالكاد مسموعة. ما أردت قوله له هو أنه في حين أنه من الجيد بالنسبة لنا أن نتحدث العربية في المنزل، عندما كنت بصحبة كان عليه أن يتحدث معي باللغة العبرية. ومع ذلك، وفي حضور زملائي، لم أتمكن من إجبار نفسي على قول أي شيء. وحتى لاحقاً في المنزل، لم أتمكن من التعبير عن هذه الموانع. أردت فقط أن تنفتح الأرض لتبتلعني. كانت صعوبات التواصل هي السمة المميزة لعلاقتي مع والدي لبقية حياته. عندما كنت طفلاً، لم أفكر أبداً في مدى إذلال هذا الحادث بالنسبة له.

كان ذلك في منتصف الخمسينيات عندما كان عمري حوالي عشر سنوات. لقد ولدت في بغداد عام 1945 لعائلة يهودية، قبل ثلاث سنوات من ولادة دولة إسرائيل. انتقلت عائلتي من بغداد إلى إسرائيل عام 1950 عندما كنت في الخامسة من عمري. في المنزل كنا نتحدث العربية. كانت لغة الدولة اليهودية الناشئة هي اللغة العبرية، وهي مقتبسة من العبرية التوراتية لتناسب العصر الحديث. لقد التقطناها أنا وأخواتي بسرعة كبيرة في المدرسة وتحدثنا بها مع أصدقائنا ومع كل واحد منا

آخر. كان والدي، وهو في منتصف الخمسينيات من عمره، لا يزال يكافح من أجل تعلم لغة صعبة للغاية.

لذلك كان من المتوقع فقط أن يتحدث معي باللغة العربية - لكن بالنسبة لي كان ذلك محرجًا للغاية، ومؤلمًا تقريبًا. لقد أنشأ إسرائيل يهود من أوروبا وتفاخرت بكونها جزءًا من الغرب، مما كان يُسمى في ذلك الوقت بالعالم الحر. فقد رأت نفسها، وقدمت نفسها لبقية العالم، باعتبارها جزيرة للديمقراطية في بحر من الاستبداد. كنا يهودًا من دولة عربية كانت لا تزال رسميًا في حالة حرب مع إسرائيل. كان اليهود الأوروبيون يميلون إلى النظر إلينا بازدراء باعتبارنا أقل شأنا اجتماعيا وثقافيا. كما كانوا يحتقرون اللغة العربية وما يعتبرونه أصواتها الحلقية الغريبة. ولم تكن اللغة العربية لغة "العدو" فحسب، بل تم تصويرها على أنها قبيحة وبدائية.

كصبي صغير سريع التأثر، التقطت واستوعبت المعتقدات والتحيزات في بيئتي الجديدة. أردت أن أدير ظهري لتراثي العربي، ولثقافة الشتات وعاداته، وأن أتحول إلى "إسرائيلي جديد" ناطق بالعبرية. إن التحدث باللغة العربية لم يكن متوافقًا مع الهوية الجديدة التي كنت أتبناها. هذه الحادثة التي تبدو بسيطة تلخص الاضطراب العاطفي الذي ابتليت به طوال طفولتي في إسرائيل. ولم تكن المسألة مجرد مسألة لغة. كان التحول من العربية إلى العبرية مجرد بُعد واحد من التغيير الأساسي الذي خضعت له أنا ووالداي وشقيقتي بعد وصولنا إلى إسرائيل.



كنيس مئير تويج في بغداد

يهودي عربي واحد

إذا كان علي أن أحدد عاملاً رئيسياً واحداً ساهم في تشكيل علاقتي المبكرة بالمجتمع الإسرائيلي، فسيكون ذلك هو عقدة النقص. كنت فتىً عراقياً في أرض الأوروبيين. وربما من المدهش أنه في سنواتي الأولى لم يولد هذا نزعة تمرد. على العكس من ذلك، بدا الوضع الراهن هو النظام الطبيعي للأشياء: لقد قبلت دون أدنى شك التسلسل الهرمي الاجتماعي الذي يضع اليهود الأوروبيين في أعلى الكومة ويهود الأراضي العربية والإفريقية في القاع. كما أنني لم أصدق أن لدي أي قدرات أو مواهب خاصة فشل المجتمع الإسرائيلي في الاعتراف بها. لقد افتقرت تماماً إلى الإحساس الشديد بالظلم الذي قد يدفع بعض الأطفال المهمشين إلى إثبات أنفسهم. رأيت نفسي كصبي عادي يعاني من بعض الإعاقات والقيود وليس لديه أي أمل في مستقبل مشرق. كنت كسولا، لا مباليا، منعزلا عن بيئتي ولكن في نفس الوقت استسلمت لمصيري. كانت فكرة الارتقاء بنفسي غريبة تماماً عن طريقة تفكيري بأكملها.

في ذلك الوقت، لم يكن لدي أي فكرة أن كونك عراقيًا في إسرائيل قد يكون له مزايا وعيوب. وكانت الميزة الرئيسية بالنسبة لي، في وقت لاحق من حياتي، هي القدرة على تجاوز الصور النمطية الوطنية واتخاذ نظرة أكثر توازنا، إن لم تكن منفصلة، للصراع العربي الإسرائيلي. وهذا ليس صراعا عاديا. إنها واحدة من أكثر الصراعات مرارة وأطول أمدا واستعصاء على الحل في العصر الحديث وتولد كثافة

العواطف والحزبية على جانبي الانقسام. تعمل المدارس ووسائل الإعلام الإسرائيلية حتى يومنا هذا على الترويج لنسخة مشوهة من الصراع حيث لا تستطيع إسرائيل أن ترتكب أي خطأ ولا يستطيع العرب أن يفعلوا فيه الصواب. وبالمثل، تقدم المدارس العربية ووسائل الإعلام العربية صورة بالأبيض والأسود تصور الفلسطينيين على أنهم الضحايا الأبرياء واليهود، وهو مصطلح يستخدم غالبًا للتبادل مع الإسرائيليين والأشرار عديمي الضمير، باعتبارهم أشرارًا فريدين. كأنانية وقاسية –

ويؤمن الجانبان بشدة بعدالة قضيتهما. وكلاهما يلتزمان بسرد ضيق للتاريخ، والذي غالبًا ما يكون، مثل معظم الروايات القومية، تبسيطيًا وانتقائيًا ويخدم مصالحه الذاتية. وبما أنني عشت عندما كنت طفلاً صغيراً في بلد عربي، فقد كنت على دراية بإمكانية التعايش السلمي بين العرب واليهود. كنت أستطيع أن أرى العرب ليس فقط كعدو، بل كشعب يستحق التقدير والكرامة. وهكذا ساعدتني خلفيتي العراقية، عندما كبرت، في تكوين وجهة نظر أكثر دقة، تقوم على التعاطف مع كافة الأطراف المنخرطة في هذا الصراع المأساوي.

في هذا الصدد لم أكن نموذجيا. أصبح عدد كبير من اليهود العراقيين الذين انتقلوا إلى إسرائيل قوميين يمينيين يرفضون العرب. في شبابي كنت أتعامل مع الأفكار اليمينية، كما سأصفها لاحقًا. لا توجد طريقة لمعرفة كيف كان من الممكن أن أتطور سياسيًا وأيديولوجيًا لو بقيت في إسرائيل. على أية حال، كانت المرحلة اليمينية في حياتي قصيرة الأمد. البعد عن إسرائيل ولّد في داخلي موقفًا أكثر استقلالية وانعكاسًا تجاه المجتمع الإسرائيلي. السنوات التي قضيتها كطالب جامعي في إنجلترا، في أعقاب حرب يونيو/حزيران 1967، مكنتني من رؤية ما هو أبعد من اليقينيات البسيطة واكتساب منظور أكثر انتقادًا للقومية بشكل عام، وفهمًا أكثر تطورًا للمكونات المتنوعة التي تشكل القومية. تأجيج الصراع العربي الإسرائيلي. لقد اتضح لي تدريجيًا أن القومية تكمن في قلب معظم الأنشطة الدولية

الصراعات. مشكلة القومية، كما كتبت مارلين مونرو في سجل قصاصاتها، هي أنها تمنعنا من التفكير.

هذا الكتاب عبارة عن قصة شخصية لشاب يهودي عراقي يرويها مؤرخ محترف. وهو يروي حياتي المبكرة حتى سن الثامنة عشرة، في العراق وإسرائيل وإنجلترا، ولكن من وجهة نظر باحث في الصراع العربي الإسرائيلي. لاحظت فيرجينيا وولف أن العديد من المذكرات فاشلة لأنها "تتجاهل الشخص الذي حدثت له الأمور". هنا يكون الصبي الصغير سريع التأثر والمراهق المضطرب في قلب القصة، لكن خلفية الدراما يملأها الباحث الناضج. يتم استخدام تجربتي الشخصية لتوضيح وإلقاء الضوء على قصة أكبر بكثير، قصة الهجرة الجماعية اليهودية من العراق بعد إنشاء دولة إسرائيل في عام 1948. والنتيجة هي جزء من السيرة الذاتية، وقصة عائلية، ونأمل، لمحة عن العالم الغني والمفقود للمجتمع اليهودي العراقي.

إنني أهدف إلى استعادة وإعادة إحياء الحضارة اليهودية الفريدة في الشرق الأدنى التي جرفتها رياح القومية التي لا ترحم في النصف الأول من القرن العشرين. العدسة المنفصلة للتحليل الأكاديمي لا تكفي هنا، ولذا فإنني أتعمق في تاريخ أكثر حميمية: تاريخ عائلتي. كنا عائلة يهودية عراقية من الطبقة المتوسطة العليا نزحت من العراق بسبب الضغوط المشتركة للقومية العربية واليهودية، وبسبب كراهية الأجانب العراقيين وجاذبية الدولة اليهودية المولودة حديثًا. لقد كنا جزءاً من الهجرة الجماعية لليهود من العراق إلى إسرائيل في عام 1950. وكان خروجنا من وطننا بسبب قوى كانت خارجة تماماً عن سيطرتنا، بل وخارجة عن فهمنا. بدأ هذا الكتاب كمحاولة لفهم حياتي المبكرة وتجميع أجزاء من تاريخ عائلتي. انتهى الأمر

باعتبارها رواية للدراما العائلية خلال فترة مضطربة بشكل استثنائي في تاريخ الشرق الأوسط.

كانت حظوظ عائلتنا تعكس حظوظ مجتمع بأكمله، مجتمع اقتلع من عالم كان يشعر فيه بأنه في بيته إلى عالم كان عليه أن يقوم بتكيفات مؤلمة فيه. يتم وضع قصة عائلتنا ضمن السياق الأوسع الذي أطرها: تاريخ المجتمع اليهودي في العراق. تدور القصة حول الحياة المستقرة والراضية في الغالب التي عشناها مع المسلمين في العراق. الكرب وألم النزوح؛ مشاكل التكيف مع الحياة الجديدة في "أرض الموعد"؛ أدائي الضعيف في المدرسة في إسرائيل مما دفع والدي إلى إرسالي للدراسة في إنجلترا؛ والسنوات الثلاث التعيسة التي قضيتها في لندن فيما كان بمثابة "المنفى" الثاني.

ما يضفي على قصتنا بعض الاهتمام الأوسع هو حقيقة أننا ننتمي إلى فرع من المجتمع اليهودي العالمي الذي أصبح الآن على وشك الانقراض. كنا يهوداً عرباً. لقد عشنا في بغداد واندمجنا بشكل جيد في المجتمع العراقي. كنا نتحدث العربية في المنزل، وكانت عاداتنا الاجتماعية عربية، وأسلوب حياتنا عربي، ومطبخنا شرق أوسطي رائع، وكانت موسيقى والدي مزيجًا جذابًا من العربية واليهودية.

ماذا أعني بمصطلح عربي يهودي؟ ولا أقصد العربية كهوية قومية بمعنى العروبة، وهي أيديولوجية قومية ناشئة مثل الصهيونية. أستخدم هذا المصطلح كاختصار لوصف التراث الثقافي واللغة المشتركة.

كل ما أعرفه هو أن شجرة عائلتي قد تعود إلى سبي اليهود من يهودا إلى بابل قبل ألفين ونصف. يعبر المزمور 137 من الكتاب المقدس عن شوق الشعب اليهودي خلال منفاه البابلي إلى العودة إلى صهيون (أحد الأسماء الكتابية لـ

أورشليم وأرض إسرائيل ككل): "على مياه بابل هناك جلسنا وهناك بكينا عندما تذكرنا صهيون". ومع ذلك، بالنسبة لعائلتي، لم يكن لدى صهيون سوى القليل من الإغراء. لقد ضربنا جذورا عميقة بين نهري بابل ولم يكن لدينا أي سبب لنرغب في تمزيقها.

كنا عراقيين وديانتنا يهودية، وبالتالي كنا أقلية، مثل اليزيديين والكلدان الكاثوليك والآشوريين والأرمن والشركس والتركمان والأقليات العراقية الأخرى. العلاقات بين هذه المجتمعات المتنوعة قبل عصر القومية، على الرغم من التوترات الحتمية، كانت توصف بشكل أفضل بأنها حوار وليس "صراع الحضارات". وكانت بغداد تُعرف باسم "مدينة السلام"، وكان العراق أرض التعددية والتعايش. نحن في الجالية اليهودية كان لدينا الكثير من القواسم المشتركة، لغوياً وثقافياً، مع مواطنينا العراقيين أكثر من إخواننا في الدين الأوروبيين. لم نشعر بأي صلة بالحركة الصهيونية، ولم نشعر بأي دافع داخلي للتخلي عن وطننا والذهاب والعيش في إسرائيل.

ولكن من ناحية، لم نكن عائلة يهودية عراقية نموذجية: فمن جهة والدتي كنا رعايا الإمبراطورية البريطانية الجبارة. كان جدي الأكبر لأمي قد غادر العراق عندما كان شابا للذهاب إلى بومباي، حيث جمع ثروته وأصبح من الرعايا البريطانيين. وعاد إلى العراق ليتقاعد، فبنى كنيساً سمي باسمه. كان جدي لأمي مواطناً بريطانياً بالولادة وانتقل من بومباي إلى العراق مع والديه عندما كان في السادسة عشرة من عمره. وعمل لاحقاً كمترجم فوري للقنصلية البريطانية في بغداد. تم تجنيد اثنين من أبنائه الثلاثة من قبل الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية وعملوا كضباط في جهاز المخابرات. عاشت العائلة بأكملها في العراق، الدولة التي أسسها

الإمبراطورية البريطانية بعد الحرب العالمية الأولى على أنقاض الإمبراطورية
العثمانية. وفي النهاية اضطرت الأسرة إلى مغادرة البلاد لأنه، من بين أسباب أخرى،
من خلال تسهيل الاستيلاء الصهيوني على فلسطين، ساعدت بريطانيا في
تأجيج العداء الإسلامي تجاه اليهود في جميع أنحاء العالم الإسلامي. كانت عائلة والدي
جميعها من اليهود العراقيين.

جداتي من أبي وأمي الذين أتوا إلى
إسرائيل معنا، شعرت بحنين كبير إلى العراق القديم و
كثيرا ما يشار إليها باسم جنى مال الله، "حديقة".
عدن. بالنسبة لهم كان العراق الوطن الحبيب بينما
وكانت أرض إسرائيل مكانا للمنفى. يمكن أن يكون شعورهم الحقيقي
تم التعبير عنها بعكس المزمور 137: "بال
مياه صهيون هناك جلسنا وهناك بكينا،
عندما تذكرنا بابل". الشخصية الخاصة بهم
وبشير المأزق إلى مفارقة جوهرية في القلب
الصهيونية. وشددت الصهيونية على الارتباط التاريخي بين
الشعب اليهودي إلى موطن أجداده في الشرق
الشرق، لكنها ولدت دولة ثقافية وجيوسياسية
وقد حددها التوجه بشكل شبه حصري مع الغرب.
لقد رأت إسرائيل نفسها، وكان أعداؤها ينظرون إليها، على أنها دولة
امتداد الاستعمار الأوروبي في الشرق الأوسط
أن نكون "في" الشرق الأوسط ولكن ليس "فيه". في هذا المركز الأوروبي
الدولة، كان من المستحيل على الناس مثل جداتي أن يفعلوا ذلك
تشعر وكأنك في المنزل.

والدتي التي توفيت عن عمر يناهز السادسة والتسعين في إسرائيل عام 2021،
كثيرا ما تحدثت عن العديد من أصدقاء العائلة المسلمة المقربين
الذي كان يأتي إلى منزلنا في بغداد. ذات يوم عندما
لقد تجاوزت التسعين من عمرها، فسألتها إن كان لدينا أي منها
الأصدقاء الصهاينة. أعطتني نظرة تشير ضمنا إلى أن هذا كان
سؤال غريب، ثم قال بشكل قاطع: لا! الصهيونية هي
شيء اشكنازي. لم يكن له علاقة بنا! هذا، في
جوهر الأمر، كان وجهة نظر شيوخي حول الصهيونية قبلنا

لقد تم قذفهم إلى إسرائيل، ذريتها السياسية الرئيسية. كانت صهيون بلدًا صغيرًا وبعيدًا لا نعرف عنه سوى القليل. لقد كانت هجرتنا إلى صهيون ضرورة، وليست خيارًا أيديولوجيًا. وليس من المبالغة القول إننا تم تجنيدنا في المشروع الصهيوني. علاوة على ذلك، عادة ما توصف الهجرة إلى إسرائيل بأنها "عالية" أو "صعود". وفي حالتنا، كان الانتقال من العراق إلى إسرائيل بمثابة يريده، أي نزولاً إلى أسفل السلم الاجتماعي والاقتصادي. لم نفقد ممتلكاتنا وممتلكاتنا فحسب؛ لقد فقدنا أيضًا إحساسنا القوي بهويتنا كيهود عراقيين فخورين حيث تم إبعادنا إلى هامش المجتمع الإسرائيلي. وفي مسيرتي المهنية اللاحقة في إنجلترا، كمتخصص في

العلاقات الدولية في الشرق الأوسط وكجمهور
فكريًا، تناولت روايتين مهيمنتين:
أطروحة "صراع الحضارات" لصموئيل هنتنغتون
الرواية الصهيونية عن يهود البلاد العربية. ال
السابق يستبعد ضمنا إمكانية وجود يهودي عربي
هوية. وتؤكد الرواية الصهيونية على معاداة السامية
متأصل في الدين الإسلامي؛ أن الإسلام كان
اضطهاد بلا هوادة لليهود. أن العداء ل
اليهود مستوطنون في جميع الدول العربية. أن اليهود من هؤلاء
وواجهت بلدان خطر الإبادة في بلدان أخرى
محرقة؛ وأن دولة إسرائيل الوليدة جاءت ببسالة
لإنقاذهم وتوفير الملاذ الآمن لهم. الصهيوني
ويؤكد السرد كذلك أن معاداة السامية العربية هي أمر غير مقبول
عائق لا يمكن إزالته أمام التسوية السلمية للقضية
الصراع بين إسرائيل وجيرانها العرب. في هذا
قراءة، هجرة اليهود من الأراضي العربية إلى إسرائيل
ويعزى في المقام الأول إلى الاضطهاد والتحيز
يُزعم أنهم واجهوا في بلدهم الأصلي؛ و
يتم تتبع مواقفهم السياسية المتشددة بمجرد وصولهم إلى إسرائيل
لتجربتهم الحياتية بين العرب. ولم يكن إلا في
ومع ذلك، في السنوات الأخيرة، بدأت أفكر في مدى ذلك

وقد ساعدت تجربتي الشخصية في تشكيل رؤيتي للعالم وقادتني إلى تحدي "صراع الحضارات" وكذلك السرد الصهيوني.

كانت أطروحة "صراع الحضارات" لصامويل هنتنغتون واحدة من الكلمات الطنانة في أوائل التسعينيات. ويعتقد أستاذ جامعة هارفارد أنه بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي، سيعود العالم إلى وضعه الطبيعي الذي يتسم بالصراع الثقافي. وقال إن أهم الفروق بين الناس لم تعد سياسية أو أيديولوجية بل ثقافية. ينقسم البشر على أسس ثقافية: غربية، إسلامية، هندوسية، وما إلى ذلك. لقد تم تقديم الثقافة الإسلامية على أنها معادية للغرب بشكل أساسي. وقيل إن الناس في العالم الإسلامي يرفضون قيم الغرب. وادعى هنتنغتون أن ارتباطهم الأساسي كان بدينهم وليس بدولتهم القومية. وكان دينهم لا يتوافق مع المثل الغربية الليبرالية مثل الفردية والتعددية والحرية والديمقراطية.

لقد حدث الآن "صراع الحضارات" الذي فقد مصداقيته إلى حد كبير وكان لها تأثير كبير على نهج بعض الصهاينة مؤرخو الصراع العربي الإسرائيلي. يرى هؤلاء المؤرخون الصراع متجذر في العقيدة الإسلامية والكراهية اليهود. مرددين صدى هنتنغتون، فإنهم يركزون على البعد الديني والروحي للصراع. ماذا هناك شيء مشترك بين هنتنغتون وهؤلاء المؤرخين الصهاينة عقلية استشراقية. إنهم يتعاملون مع الصور النمطية للشرق. وهي تفسر عداء المسلمين للغرب، وبواسطة امتداد العداء العربي تجاه إسرائيل باعتباره أمرا لا مفر منه نتاج دينهم وثقافتهم وليس نتاجًا محددًا الظروف التاريخية. ويقال أن الاشتباك كان بين الحضارة اليهودية المسيحية والإسلام. وجهة نظر جوهرية إن ما يعنيه أن تكون مسلمًا يؤدي إلى تفسير اختزالي له منهج المسلم تجاه العالم الخارجي بشكل عام

وتجاه اليهود بشكل خاص. هذا النوع من التحليل غير تاريخي بشكل ميؤوس منه. إنه يدمر تنوع العالم الإسلامي في كتلة واحدة غاضبة جاهلة. كما أنها تفشل في أن تضع في المعادلة المظالم الحقيقية، وغير المتخيلة، التي لدى المسلمين ضد القوى الغربية وإسرائيل.

هذه النظرة التبسيطية الأوروبية المركزية لها نظير في النظرة العالمية لبعض الناشطين الإسلاميين المتطرفين. ويؤكد الإسلاميون الراديكاليون أن قصة العربي واليهودي هي قصة صراع أساسي بين الدين والثقافة. ووفقا لهم، لم يكن اليهود أبدا جزءا من نسيج المجتمع العربي؛ لقد كانوا أجانب، عنصراً معادياً، حتى أنهم كانوا طابوراً خامساً في دار الإسلام، دار الإسلام. وينظرون إلى دولة إسرائيل على أنها كيان غير شرعي، زرعته القوى الاستعمارية في وسطهم بهدف تقسيمهم وإضعافهم. ومن ثم فإن كلاً من الصهاينة والإسلاميين يستخدمون تاريخ العلاقات بين المسلمين واليهود بشكل انتقائي لخدمة أجنداتهم العلمانية والدينية. تحث كلا المجموعتين على عدم الثقة في العدو وتدعوان إلى التعبئة المستمرة في النضال من أجل التفوق والسيادة

هيمنة.

قصة عائلتي لا تتناسب جيداً مع أي منهما الرواية الصهيونية أو الإسلامية للتجربة اليهودية تحت الحكم الاسلامي . وعلى مستوى أعمق فإنه يتعارض مع "صراع الحضارات" هو الأساس الذي يقوم عليه كليهما الروايات. وبالتالي فإن قصة عائلتي ليست فقط مثيرة للاهتمام في حد ذاتها؛ أنه يحتوي على آثار محتملة لفهمنا لمسار الشرق الأوسط الحديث التاريخ الشرقي. وبشكل أكثر تحديداً، فهو بمثابة تصحيحي إلى الرواية الصهيونية التي تنظر إلى العرب واليهود على أنهم غير قادرين خلقياً على العيش معاً في سلام و محكوم عليها بالصراع الدائم والخلاف.

كانت الصهيونية حركة أوروبية في القرن التاسع عشر: فقد عرضت الحل في هيئة دولة يهودية في فلسطين لليهود الذين عانوا من التمييز والاضطهاد في أوروبا. وفي العراق، على النقيض من ذلك، كان هناك تقليد قديم من التسامح الديني وتاريخ طويل من الانسجام النسبي بين مختلف شرائح المجتمع. ولم يكن اليهود وافدين جدد ولا أجانب في العراق. ومن المؤكد أنهم لم يكونوا متسللين. ويعود ارتباط اليهود ببابل إلى زمن إبراهيم البطريرك الذي هاجر من أور جنوب مدينة بابل إلى أرض كنعان. عاش اليهود في بابل منذ عام 586 قبل الميلاد عندما دمر الملك نبوخذنصر مملكتهم في القدس وطردهم إلى المنفى. وبعد عدة قرون، أصبحت بابل المركز الروحي لليهود في الشتات ومقر الأكاديميات الدينية الأكثر تميزا، وهي نيهارديا وسورا وبومبيديتا (الفلوجة الحديثة). وهناك تم تجميع التلمود البابلي، وتم تدوين قانون الهالاخا اليهودي.

وهكذا استقر اليهود بقوة في بابل قبل وقت طويل من ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي. وبعد أن أصبح العراق دولة ذات أغلبية مسلمة، ظل اليهود جزءاً لا يتجزأ من المجتمع العراقي. في فترة الحرب العالمية الأولى، كان اليهود يشكلون ثلث سكان بغداد، وكثيراً ما كانت توصف بأنها مدينة يهودية. بعد الحرب، واصل اليهود لعب دور بارز في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأدبية والفكرية والثقافية للمملكة العراقية. وكان هذا البروز على وجه التحديد هو الذي غذى العداء الإسلامي تجاههم في عصر القومية والطائفية المتنامية.

في ظل الإمبراطورية العثمانية، كان اليهود يتمتعون بوضع أقلية محمية تتمتع بنفس الحقوق والواجبات التي تتمتع بها الأقليات الأخرى. كانت إحدى النعم المنقذة للإمبراطورية العثمانية هي استقلالها الكبير

امتدت إلى أقلياتها. على الرغم من أن الإسلام كان الرسمي
دين الإمبراطورية، ولم يتم فرض الشريعة الإسلامية على
المجتمعات غير المسلمة. وازدهر اليهود في ظل هذا
النظام التعددي واستفادوا أيضًا من
التنظيمات، إصلاحات أواخر القرن التاسع عشر. هم
وكان لهم ممثلين في البرلمان العثماني، وهم
لعبت دورا بارزا في التمويل والتجارة و
تجارة إمبراطورية امتدت من خليج
عدن إلى الطرف الشرقي لأوروبا. في الحديث
المملكة العراقية التي تكونت من ثلاث دول عثمانية
المحافظات بعد انهيار الدولة العثمانية
واستمر اليهود في التمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها الآخرون
الأقليات. وعلى

النقيض من ذلك، كان اليهود في أوروبا هم الأقلية التي يُنظر إليها قبل كل شيء على أنها "الآخر"، وبالتالي تم اعتبارهم مشكلة. كان لدى أوروبا ما يشار إليه غالبًا باسم "المسألة اليهودية". أدى "الحل النهائي" النازي لهذه المسألة إلى إبادة ستة ملايين من اليهود الأوروبيين. وخلافاً لأوروبا، لم يكن لدى الشرق الأوسط "مسألة يهودية" - فقد كانت معاداة السامية داءاً أوروبياً أصاب الشرق الأدنى فيما بعد. كان لا بد من ترجمة الأدب المعادي للسامية من اللغات الأوروبية لأنه كان هناك القليل منه باللغة العربية. ومن الناحية السياسية، كما أشار إدوارد سعيد، فإن المسألة اليهودية في أوروبا في القرن التاسع عشر تحولت إلى القضية الفلسطينية في القرن العشرين.

لم يعيش يهود العراق في أحياء معازل، ولم يتعرضوا للقمع العنيف والاضطهاد والإبادة الجماعية التي شابت التاريخ الأوروبي. لم يكن من قبيل الصدفة أن أطلق مارك مازور على كتابه تاريخ القارة المظلمة في أوروبا في القرن العشرين اسم "القارة المظلمة". لقد استغرق الأمر من أوروبا وقتًا أطول بكثير من العالم العربي لقبول اليهود كمواطنين متساوين. وفي العراق، كانت هناك ضغوط وتوترات ومذبحة سيئة السمعة ضد اليهود في يونيو 1941.

ومع ذلك، كانت الصورة العامة هي صورة التسامح الديني والعالمية والتعايش السلمي والتفاعل المثمر. لا يمكن إنكار أن مكانة اليهود في الإسلام يمكن أن تكون مثيرة للجدل في بعض الأحيان. ولكن من المربك والمربك في نفس الوقت أن نجمع كل هذه القضايا تحت مظلة "المسألة اليهودية".

لم تنتقل عائلتي من العراق إلى إسرائيل بسبب أ
صراع الثقافات أو التعصب الديني. فعل عالمنا
لا تنهار لأننا لم نتمكن من الانسجام مع أنفسنا
الجيران المسلمين. وكان الدافع وراء نزوحنا
سياسية وليست دينية أو ثقافية. لقد أصبحنا متورطين
الصراع بين الصهيونية والقومية العربية، اثنان
الأيديولوجيات العلمانية المتنافسة. لقد وقعنا أيضًا في
انتهى الصراع بين اليهود والعرب
فلسطين. تطور هذا الصراع في أعقاب
الحرب العالمية الأولى واشتدت في أعقاب الثانية
الحرب العالمية. وفي عام 1948 شارك الجيش العراقي في البطولة العربية
الحرب ضد دولة إسرائيل المعلنة حديثا. ك
نتيجة للهزيمة العربية، كان هناك رد فعل عنيف ضد
اليهود في جميع أنحاء العالم العربي. وكانت الصهيونية واحدة من
الأسباب الرئيسية لهذا رد الفعل العنيف. وأعطى اليهود أ
القاعدة الإقليمية لأول مرة منذ أكثر من ألفي
سنين. وهذا جعل الأمر أسهل على الأصوليين الإسلاميين
القوميون العرب للتعرف على اليهود في بلدانهم
العدو الصهيوني المكروه والدعوة إلى إبعادهم.
وما كان أحد ركائز المجتمع العراقي أصبح على نحو متزايد
يُنظر إليه على أنه طابور خامس شرير.

بالنسبة للصهاينة كانت الأولوية القصوى طوال الوقت هي جلب أكبر عدد ممكن من اليهود من جميع أنحاء العالم لبناء دولة خاصة بهم. وكان هدفهم هو إقامة دولة يهودية مستقلة تمتد على أكبر جزء ممكن من فلسطين، مع وجود أكبر عدد ممكن من اليهود وأقل عدد ممكن من العرب داخل حدودها. وكانت الصهيونية نفيًا

الشتات. حتى الحرب العالمية الثانية، ركزت أنشطة الصهاينة في المقام الأول على المراكز السكانية اليهودية الكبيرة في أوروبا. كان يُنظر إلى يهود الشرق الأوسط على أنهم "مادة بشرية" أدنى مرتبة ولا يمكنهم تقديم سوى مساهمة محدودة في عملية بناء الدولة. وأدت المحرقة إلى انقلاب المواقف الصهيونية في هذا الصدد. ومن خلال محو الخزان البشري الرئيسي لمشروعهم، أجبرت قادة الحركة الصهيونية على تحويل انتباههم نحو الشرق. بعبارة أخرى، نتيجة للمحرقة، أصبح يهود الشرق الأوسط للمرة الأولى عنصراً حيوياً في المشروع الصهيوني لبناء دولة مستدامة ذات أغلبية يهودية في فلسطين.

خلال الحرب العربية الإسرائيلية عام 1948، غادر أو طرد أكثر من 700 ألف عربي من ديارهم في فلسطين. باللغة العربية يسمى هذا العام المشؤوم بالنكبة. وتسمى في العبرية "حرب الاستقلال". بالنسبة للصهاينة، لم يكن عام 1948 مجرد انتصار عسكري، بل كان معلمًا تاريخيًا، وبلوغ الدولة والسيادة، واللحظة التي تمت فيها كتابة اليهود مرة أخرى في تاريخ العالم. وبالتالي، لدينا روايتان وطنيتان مختلفتان جذريًا عن عام 1948. تركز إحداهما على تجريد السكان الأصليين من ممتلكاتهم وتهجيرهم على يد المعتدين الصهاينة. والآخر يؤكد حق اليهود في تقرير المصير الوطني في وطن أجدادهم. كلاهما يدعي الأرضية الأخلاقية العالية. ما لا يمكن إنكاره هو أن إنشاء إسرائيل كان ينطوي على ظلم هائل بحق السكان الأصليين. الفلسطينيون هم الضحايا الرئيسيون للمشروع الصهيوني. وأصبح أكثر من نصف عددهم لاجئين، ومُحي اسم فلسطين من الخريطة. ولكن كانت هناك فئة أخرى من الضحايا، أقل شهرة وأقل الحديث عنها: يهود الأراضي العربية.

التيارات التوأم

إن القومية العربية والصهيونية جعلت من المستحيل على اليهود والمسلمين الاستمرار في التعايش السلمي في العالم العربي بعد ولادة إسرائيل.

تدور مذكراتي حول الفئة الثانية من ضحايا الحركة الصهيونية كما يعكسها تاريخ عائلتي. وأكرر، كنا عربًا يهودًا. لا توجد طريقة أفضل لتحديد هويتنا قبل نزوحنا. ومع ذلك فإن مصطلح "عربي يهودي" محل نزاع شديد في إسرائيل. يمكنك أن تصف نفسك بحرية على أنك يهودي فرنسي، أو يهودي روسي، أو يهودي روماني، أو حتى يهودي ألماني، على الرغم من الارتباط الكئيب بين ألمانيا والمحرقة. ولكن إذا وصفت نفسك بأنك يهودي عربي، كما أفعل أنا، فسوف تواجه على الفور معارضة. الواصلة هامة. يرى منتقدو مصطلح اليهودي العربي أنه مربك ويخلط بين هويتين منفصلتين. وكما أرى، فإن الواصلة توحد: يمكن للعربي أن يكون يهوديًا أيضًا، ويمكن لليهودي أن يكون عربيًا أيضًا.

يسخر بعض الإسرائيليين من فكرة وجود يهودي عربي باعتبارها مستحيلة وجودياً. عادة ما يتم تصوير اليهود والعرب كشخصيات معارضة، عالقة في صراع أبدي. وعلى الجانب العربي، يؤيد المتطرفون أيضاً هذه النظرة المباشرة الثنائية القطب. يُقال لنا مرارًا وتكرارًا أن هناك صراعًا بين الثقافات، وهوة لا يمكن جسرها بين المسلمين واليهود. لقد أصبحت نظرية "صدام الحضارات" راسخة، الأمر الذي يوفر الذخيرة للرافضين على جانبي الانقسام العربي الإسرائيلي.

إن قصة عائلتي في العراق وقصة العديد من العائلات المنسية مثل عائلتي تشير إلى صورة مختلفة بشكل كبير. فهو يعود بنا إلى حقبة كان فيها الشرق الأوسط أكثر تعددية ويتمتع بقدر أعظم من التسامح الديني وثقافة سياسية قائمة على الاحترام المتبادل والتعاون بين الأقليات العرقية المختلفة. إن قصة عائلتي هي تذكير قوي بهويات الشرق الأوسط التي كانت مزدهرة ذات يوم والتي تم تثبيطها وحتى قمعها لتناسبها.

أجندات سياسية قومية قصتي تكشف جذور خيبة أملي تجاه الصهيونية. إنه يوضح كيف جعلتني تجربتي متشككًا في الخطاب الصهيوني، ولماذا ساعدت، بعد سنوات عديدة، في تحويلي إلى مؤرخ إسرائيلي رجعي، وعضو في المجموعة الصغيرة التي كانت تسمى "المؤرخين الجدد".

وبهذا المعنى، فإن مذكراتي هي عبارة عن مسالك تحريفية، أ
وثيقة مخالفة، تاريخ بديل، تحدي
إلى الرواية الصهيونية المقبولة على نطاق واسع عن اليهود
الأراضي العربية، الذين بعد الهجرة الجماعية إلى إسرائيل في
أصبحت الخمسينيات تُعرف بشكل جماعي باسم المزراحيم. أنا أزعم
أن تاريخ المزراحيين قد تم عمدا
وتشويهها لخدمة الدعاية الصهيونية. هذا التاريخ
يمكن تقسيمها إلى قسمين: ما قبل عام 1950 في العهد العثماني
الإمبراطورية والدول التي خلفتها، وما بعد عام 1950 في إسرائيل.
قبل عام 1950، كان التاريخ العربي اليهودي جزءًا لا يتجزأ من التاريخ اليهودي
تاريخ الشرق الأوسط ككل. من المستحيل أن
فهم هذا التاريخ دون السياق الإقليمي.
بعد عام 1950، أصبح التاريخ العربي اليهودي أو المزراحي جزءًا من التاريخ
تاريخ إسرائيل وعلى هذا النحو منفصل عن نطاقه الأوسع
البيئة الإقليمية. الصهاينة مهتمون فقط
اهتم بقلق شديد، بالمرحلة الأولى من العربية اليهودية
تاريخ؛ إنهم غير مهتمين تمامًا بالثانية.
الاهتمام بالمرحلة الأولى لا يكون مدفوعًا بالبحث عنه
الحقيقة ولكن من خلال الدعاية تحتاج إلى تصوير اليهود على أنهم
ضحايا الاضطهاد العربي المتوطن، هذا تصوير
ثم استُخدمت لتبرير معاملة إسرائيل الفظيعة للفلسطينيين
الفلسطينيين. غنية ورائعة ومتعددة الأبعاد
وهكذا يقتصر التاريخ على البحث عن الذخيرة لاستخدامها
في الحرب المستمرة ضد الفلسطينيين.
وقد بلغ هذا الاتجاه ذروته مع صناعة رواية النكبة اليهودية. وبحسب هذه الرواية فقد تم
التهجير القسري لـ 850 ألف يهودي من العرب

لقد وصلت الدول بعد عام 1948 إلى حد الكارثة، "النكبة اليهودية" على الأقل على قدم المساواة، إن لم تكن أكثر تدميراً في عواقبها من النكبة الفلسطينية. يُطلق على هذه الرواية أسماء مختلفة "الخروج المنسي"، أو "الخروج القسري"، أو "الخروج المزدوج"، والغرض من هذه الرواية هو خلق تناسق زائف بين مصير المجتمعين.[2] هذه الرواية ليست تاريخاً؛ إنها دعاية المنتصرين. وعلى التاريخ الصادق أن يعترف بالدور الذي لعبته جميع الحكومات المعنية في التسبب في هذه المأساة التي هي من صنع الإنسان. والفرق الرئيسي هو أن اللاجئين الفلسطينيين، في معظمهم، تعرضوا للتطهير العرقي على يد القوات المسلحة الإسرائيلية، في حين أعطت الحكومات العربية اليهود العرب، مع استثناءات قليلة، خيار المغادرة أو البقاء.

كتابي عبارة عن سجل شخصي لماضٍ معقد ومقال يحتوي على حجج سياسية. إنه نقد للصهيونية من منظور نادراً ما يُسمع خارج إسرائيل. العوالم الثلاثة لعنوان الكتاب هي بغداد، حيث عشت حتى سن الخامسة؛ رمات غان من سن الخامسة إلى الخامسة عشرة؛ ولندن من سن الخامسة عشرة إلى الثامنة عشرة. خلفية القصة هي فترة زلزالية في التاريخ اليهودي شهدت انتشار الدعاية النازية في العراق، والإبادة الجماعية النازية ليهود أوروبا، وتقسيم فلسطين، وولادة دولة إسرائيل، وأصل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، والنزوح الجماعي لليهود من العراق والدول العربية الأخرى إلى إسرائيل، والتوترات بين الأشكناز والسفارديم في السنوات الأولى من قيام الدولة، وهي التوترات التي لا تزال مستمرة في بعض النواحي حتى يومنا هذا.

تكمن صدمة معاداة السامية في قلب السرد الرئيسي للإيذاء اليهودي العالمي. هذا هو التاريخ اليهودي كسلسلة لا تنتهي من المضايقات والتمييز والقمع والاضطهاد، والتي بلغت ذروتها في

المحرقة. وقد وصفها المؤرخ الأمريكي اليهودي سالو بارون باستخفاف بأنها "المفهوم الدمعي للتاريخ اليهودي". وقال إن التاريخ الحقيقي لليهود في أوروبا يرقى إلى أكثر من مجرد معاناة مأساوية. ولكن حتى لو سلم المرء، على سبيل الجدال، بأن المفهوم الدمعي يصف التاريخ اليهودي الأوروبي، فإنه لا ينصف تاريخ اليهود في الشرق الأدنى. إن تذكر عصر العالمية والتعايش الذي تمتع به بعض اليهود، مثل عائلتي، في الدول العربية قبل عام 1948، يقدم بصيصاً من الأمل. وسط الحطام الكئيب للشرق الأوسط المعاصر، فهو أفضل نموذج لدينا لمستقبل أفضل.



نزهة مع الملك فيصل الأول وجيرترود بيل

اثنين

اختراع العراق

كان لصعود وسقوط الإمبراطوريات في القرن العشرين عواقب بعيدة المدى على الحياة اليهودية في الشرق الأوسط. لقد شكل الاستعمار البريطاني سياسة العراق الحديث وحدد ثروات اليهود العراقيين، بما في ذلك عائلتي. في ظل الإمبراطورية العثمانية، التي حكمت المنطقة طوال القرون الخمسة الماضية، كان لليهود الوضع القانوني لأهل الذمة، أو "الشعب المحمي"، أو أهل الذمة باختصار. لقد تعرضوا لمجموعة من اللوائح التمييزية، بما في ذلك ضريبة الاقتراع السنوية، لكنهم في المقابل تمتعوا بحماية الحكومة المركزية. كان النظام السياسي العثماني استبداديًا، ومتداعيًا، وغير فعال، وفاسدًا، لكن كان لديه سمة تعويضية واحدة، وهي الاستقلال الذاتي الذي منحته للأقليات الدينية والعرقية المختلفة لإدارة شؤونها الخاصة. كانت الإمبراطورية مسلمة، لكنها ضمنت بالقانون الاستقلال الديني والثقافي لجميع أقلياتها. في ظل نظام الملة، سُمح لكل طائفة دينية أن تحكم نفسها وفقًا لقوانينها الخاصة: قوانين الشريعة الإسلامية، أو القانون الكنسي المسيحي، أو الشريعة اليهودية.

أدت الحرب العالمية الأولى إلى نهاية مفاجئة للحكم العثماني في المنطقة. وبدخولها الحرب إلى جانب ألمانيا عام 1914، وقعت الإمبراطورية العثمانية على مذكرة الإعدام الخاصة بها. كان الحليف الرئيسي لبريطانيا في الحرب في الشرق الأدنى هو الحسين شريف مكة، الوصي

من الأماكن المقدسة الإسلامية، وهو سليل مباشر ل
النبي محمد ورئيس آل هاشم.
في مفاوضات سرية خلال عام 1915، بريطانيا
ووعد بدعم إنشاء دولة مستقلة
المملكة العربية يرأسها الشريف إذا كان
شن ثورة عربية ضد أسياده العثمانيين. ال
شريف مكة كسر المحرمات بالتحالف معه
الكفار ضد إخوانهم المسلمين. لقد احتفظ بجانبه من
صفقة من خلال تفويض نجله الأمير فيصل لقيادة
الثورة العربية، بالتعاون الوثيق مع تي إي لورانس،
المعروف باسم "لورنس العرب". لكن حلفائه البريطانيين
ولم يكن لديهم أي نية للوفاء بالتزاماتهم. بريطانيا
وفرضت فرنسا سلام المنتصرين، وقسمت الشرق
الشرق إلى مناطق النفوذ.

أدت الحرب العالمية الأولى إلى تفكيك إمبراطوريتين: الإمبراطورية
النمساوية المجرية والإمبراطورية العثمانية. أصبحت الدول التي خلفت الأولى دولًا
مستقلة، في حين حُرمت الدول التي خلفت الأخيرة من الاستقلال ووُضعت تحت
الحكم الاستعماري الأوروبي باستخدام أداة الانتداب الجديدة؛ منحت عصبة الأمم فرنسا
الانتداب على سوريا ولبنان بينما حصلت بريطانيا على الانتداب على العراق
وفلسطين. وكان مبرر الانتدابات هو أن العرب لم يكونوا قادرين على حكم أنفسهم،
وأنهم غير مستعدين للديمقراطية. من الناحية النظرية، كانت الفكرة هي إعداد الدولة
للاستقلال ومن ثم تسليم السلطة. ومن الناحية العملية، كانت الانتدابات بمثابة غطاء
يمكّن القوى الاستعمارية الجشعة من تحقيق مصالحها السياسية والتجارية الخاصة.

كانت بريطانيا بحاجة إلى عراق مستقر وصديق بسبب احتياطياته
النفطية الكبيرة، والطرق التجارية الجذابة التي يوفرها إلى الهند. لكن الاحتلال
البريطاني ولّد سوء النية بين القبائل والأغلبية الشيعية المسلمة. بحلول عام
1920،

أثار هذا ثورة قومية واسعة النطاق، والتي لا يمكن قمعها إلا من خلال نشر عدد كبير من القوات بتكلفة كبيرة على الخزانة البريطانية. لورانس إلى حكومته أن "العرب تمردوا ضد الأتراك في الحرب ليس لأن الحكومة التركية كانت سيئة بشكل ملحوظ ولكن لأنهم أرادوا الاستقلال". لم يخاطروا بحياتهم في المعركة لتغيير أسيادهم، أو ليصبحوا رعايا بريطانيين... ولكن للفوز بعرض خاص بهم.

اقترح لورانس وجيرترود بيل، ممثل المكتب الاستعماري في العراق، بديلاً للحكم المباشر: ممارسة النفوذ البريطاني بشكل غير مباشر من خلال نخبة سياسية عربية تابعة وبالتالي موالية "إمبراطورية غير رسمية". بالإضافة إلى كونهما من المؤيدين المقنعين لهذا الأمر، كان لورانس وبيل أيضًا من أشد المعجبين بالأمير فيصل. التقى بيل بفيصل لأول مرة في مؤتمر باريس للسلام عام 1919 وأُعجب على الفور بمظهره الجميل وذكائه وإخلاصه الواضح وروح الدعابة. اعتقد البعض أنها كانت معجبة به. حقيقة أن فيصل لم يكن عراقياً بل ينحدر من الحجاز في شمال شبه الجزيرة العربية شكلت مشكلة صغيرة. ومع ذلك، كان ونستون تشرشل، وزير المستعمرات، مقتنعًا بأن فيصل قدم الأمل في "الحل الأفضل والأرخص".

لقد انتصرت قيادة الأمير فيصل للثورة العربية
له أتباع قومي كبير. في مارس 1920،
أصدر المؤتمر الوطني السوري المملكة العربية
سوريا. لقد كانت هذه دولة أعلنت نفسها بنفسها وغير معترف بها
الذي بدأ كـ "عربي مستقل تمامًا ومطلقًا".
الحكومة الدستورية". وكان من المقرر أن تشمل الدولة الجديدة
سوريا ولبنان وفلسطين وأجزاء من الشمال
بلاد ما بين النهرين. انتخب فيصل ملكا وأعلن رئيسا
الدولة. وحدد الدستور دوره بأنه دستوري

الملك في نظام حكم ديمقراطي. لكن في الشهر التالي، منحت عصبة الأمم فرنسا الانتداب على كل من سوريا ولبنان، في حين تم تكليف بريطانيا بالانتداب على العراق وفلسطين.

كان الفرنسيون متشددين في التعامل مع المنافسين السياسيين في مجال نفوذهم كما كان الحال مع البريطانيين في مجالهم. لم يكن الفرنسيون أصدقاء للقومية العربية، حيث نظروا إلى الثورة العربية باعتبارها إمبريالية بريطانية ترتدي غطاء رأس عربي، وكانوا ينظرون إلى فيصل باعتباره الحصان المطاردة غير المقصود لسياسة بريطانية مزدوجة تهدف إلى تقويض موقف فرنسا في المشرق. كان سلوك بريطانيا في الشأن السوري نموذجياً لقوة عظمى تتعرض للضغوط: فمن أجل الحفاظ على التحالف مع قوة عظمى أخرى، خذلت حليفاً صغيراً. ولم تكن فرنسا ولا بريطانيا صديقتين للديمقراطية. أطلق الفرنسيون على بريطانيا اسم "البيون الغادر"، وهو لقب مستحق تمامًا. لكن فرنسا لم تكن أقل غدراً. وصل النزاع الثلاثي إلى ذروته في يوليو 1920 عندما زحفت القوات الفرنسية إلى دمشق، ونفت فيصل إلى المنفى، واستولت على حكومة البلاد. هكذا نشأت دولة سوريا الحديثة: بنظام جمهوري، تحت السيطرة الفرنسية، وعلى أنقاض حلم مملكة عربية موحدة ومستقلة بقيادة الهاشميين. لقد دحضت هذه الحادثة الادعاء الاستعماري الأناني بأن العرب لم يكونوا مستعدين للديمقراطية: لقد أنشأ العرب نظامًا ديمقراطيًا بملكية دستورية، وقد سرقته القوى الاستعمارية منهم.[1]

وبعد أن طرد الفرنسيون فيصل من دمشق، عاد إلى سوق العمل الملكي وصنع البريطانيون له عرشًا في بلاد ما بين النهرين، والتي أعيدت تسميتها مؤخرًا بالعراق. كان لا بد من إدارة صعود فيصل إلى العرش عام 1921 بعناية لأنه كان دخيلاً.

مع عدم وجود قاعدة قوة محلية. ومما زاد الطين بلة أنه كان سنيًا في بلد ذي أغلبية شيعية محرومة، حيث اشتبه الشيعة في أن البريطانيين كانوا يرعون فيصل من أجل ترسيخ الحكم السني. رفض جميع العراقيين تقريبًا فيصل، بما في ذلك الأكراد، لكن هذا لم يردع صانعي الملوك البريطانيين. أولاً كان لا بد من تطهير الطوابق. وقد تم استبعاد نقيب بغداد، الذي كان في الثمانين من عمره، بسبب كبر سنه. وقام البريطانيون بترحيل سيد طالب باشا، وهو زعيم قومي بارز من محافظة البصرة، بتهم ملفقة. وكانت جريمته أنه كان يطمح إلى إقامة حكم داخلي لبلاده. ولتأكيد فيصل كملك للنظام السياسي المخترع حديثًا، نظم أنصاره البريطانيون استفتاءً من سؤال واحد وقاموا بتزوير النتيجة، زاعمين أن 96% من العراقيين صوتوا لفيصل ليكون ملكًا لهم. سيتم تزوير العديد من الانتخابات في العالم العربي في العقود اللاحقة، لكن الإمبرياليين البريطانيين تميزوا بكونهم الأول.

كان تتويج فيصل، في 23 أغسطس 1921، شأنًا بريطانيًا خاصًا، نظمته جيرترود بيل وهي ترتدي نجمة البنك المركزي المصري وثلاثة أشرطة حربية. صمم بيل العلم وشعار النبالة ثم النشيد الوطني لاحقًا. توج فيصل المندوب السامي البريطاني في العراق، اللواء السير بيرسي زكريا كوكس، GCMG GCIE، KCSI KBE DL، الذي لقبه العرب كوكوس. أعلن السير بيرسي، الذي كان يرتدي زيه الأبيض بكل أشرطته ونجومه، من على منصة أقيمت في باحة سراي بغداد أن فيصل قد تم انتخابه ملكاً بأغلبية 96 في المائة من شعب بلاد ما بين النهرين يحيا الملك! وأمام المنصة، جلس المسؤولون الاستعماريون البريطانيون والوزراء العراقيون والوفود المحلية في كتل. تم كسر العلم الوطني على سارية العلم وعزفت الفرقة أغنية "فليحفظ الله الملك".

العراقيون لم يكن لديهم نشيد وطني بعد. وتلا ذلك إطلاق إحدى وعشرين طلقة تحية

تُظهر صورة التتويج فيصل المحترم ولكن ذو المظهر العصبي يجلس على عرش خشبي كبير ومجموعة من المسؤولين البريطانيين طوال القامة يقفون خلفه على المنصة. ولم يكن هناك أي من الحشود المبتهجة التي حضرت تنصيب فيصل في دمشق في العام السابق. وكان التناقض صارخاً: ففي دمشق كان فيصل هو الملك الدستوري المنتخب ديمقراطياً؛ وفي بغداد كان بمثابة الواجهة الرقيقة للحكم الأجنبي. نظر وزير المستعمرات ونستون تشرشل إلى فيصل باعتباره تابعاً، مشيرًا بشكل غير متعمد إلى أن من يدفع للمزمار هو من يضبط اللحن.

لم يقم البريطانيون باختيار الحاكم الأول للعراق فحسب، بل قاموا أيضًا بتصميم النظام السياسي للدولة الجديدة بطريقة تخفي دورهم المهيمن. وبما أن فيصل لم يكن عراقياً، كان على البريطانيين أن يجدوا له سكناً مؤقتاً مناسباً. وتقع هذه المهمة على عاتق جيرترود بيل، التي مُنحت لقبًا جديدًا كسكرتيرة شرقية في المفوضية العليا البريطانية في بغداد. بأسلوبها الفريد، أبحرت بيل على طول نهر دجلة في مركب صغير، بحثًا عن منزل مناسب للملك. من بين العروض المدرجة في قائمتها المختصرة، اختارت فيصل قصر شاشوع، وهي قلعة كبيرة بناها تاجر شاي يهودي ثري يدعى شاؤول شاشوع على ضفة النهر. تم استئجار هذا السكن الرائع، الذي يُعرف بأنه أجمل فيلا في بغداد، من مالكه حتى يتم بناء قصر ملكي مناسب. وفي قصر شاشوع، بصفته المستأجر الممتن ليهودي محلي، استقر الملك الجديد وتولى مهامه الملكية. وساعدته السيدة بيل في تجهيزه، ووضع بروتوكول للبلاط الملكي، وتعيين سيدات في انتظار الملكة. خلال هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ البلاد، عمل بيل بلا كلل لمساعدة الملك المبتدئ في جميع الأمور الكبيرة والصغيرة. وفي رسالة إلى والدها، قالت السيدة بيل نصف-

قال مازحًا: «لن أشارك أبدًا في خلق الملوك مرة أخرى؛ إنها سلالة كبيرة جدًا...'3

من الآن فصاعدا، قاد البريطانيون العراق بالتعاون الوثيق مع الملكية الهاشمية وأقلية من السياسيين الموالين لبريطانيا بقيادة نوري السعيد. تم تهميش أي شخص لا يخدم مصالحهم الإمبراطورية. كان نوري ضابطاً في الجيش العثماني، لكنه غير موقفه وقاتل إلى جانب الأمير فيصل في الثورة العربية ضد العثمانيين في الحرب العالمية الأولى. كان من المقرر أن يخدم نوري أربعة عشر فترة كرئيس للوزراء قبل أن يلقى نهايته المروعة في ثورة يوليو 1958.

جيرترود بيل، التي كانت تذهب لركوب الخيل مع نوري على ضفاف نهر دجلة، وكان بينهم العديد من الأصدقاء المقربين النخبة السياسية العراقية ولها تأثير كبير جدا في تشكيل ثروات البلاد. في السنوات الأولى لفيصل في عهدها، كان يُشار إليها أحيانًا باسم "غير المتوجة". ملكة العراق." في هذا النظام السياسي الأنجلو هاشمي كانت هناك واجهة برلمانية فخمة ولكن لا الديمقراطية ولا توجد وسائل سلمية لتحقيقها التغيير السياسي. وهكذا، منذ البداية، معادية لبريطانيا وكانت المشاعر واضحة في السياسة العراقية. بريطانيا وكان الخطأ الأساسي هو إقامة هرم مقلوب مما أعطى النخبة السنية احتكار السلطة و تهميش الأغلبية الشيعية. هذه الدولة بريطانية الصنع أدى إلى تفاقم المشاكل الهيكلية المتأصلة في العراق لم تجلب له الحرية ولا السلام ولا السعادة الناس.

وعلى نفس القدر من التعسف والحساب لملاءمة المصالح السياسية والاستراتيجية والتجارية لبريطانيا، كان ترسيم حدود العراق. لم تأخذ هذه الحدود في الاعتبار سوى القليل من الانقسامات داخل العراق على أسس لغوية أو دينية. وكانت المجموعات الرئيسية هي الأكراد في

في الشمال الشرقي، والسنة في المنطقة الوسطى حول بغداد وفي الشمال الغربي، والشيعة في الجنوب. وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك عدة أقليات، بما في ذلك الآشوريين والأرمن والتركمان واليهود. في الأصل، كان العراق سيتكون من محافظتين عثمانيتين: البصرة وبغداد. ولكن في وقت لاحق، أضيفت محافظة الموصل الغنية بالنفط إلى العراق، مما حطم آمال الأكراد، استناداً إلى معاهدة سيفر لعام 1920، في إقامة دولة كردية تتمتع بالحكم الذاتي. وقد لخص أحد المراقبين المنطق الكامن وراء المشروع بذكاء: "لقد تم إنشاء العراق على يد تشرشل، الذي كانت لديه فكرة مجنونة تتمثل في ضم بئرين منفصلتين على نطاق واسع، كركوك والموصل، من خلال توحيد ثلاثة شعوب منفصلة على نطاق واسع: الأكراد والسنة وإيران". الشيعة.'4 وكانت المحافظات الثلاث مختلفة تماما ولم يحدث ذلك أبدا

سبق أن حكمنا معًا. طحنهم معا
بأمر إمبراطوري ضمنت أن النظام السياسي الجديد كان
مجزأة ومكسورة من البداية. كما نقول في
العربية، الشيء الذي يبدأ أعوجاً، يبقى أعوجاً. في
وفي حالة العراق، ظلت خطوط الصدع الأصلية للنظام السياسي قائمة
المكان، وإذا كان أي شيء، أصبح أكثر وضوحا مع
مرور الوقت. استاء الأكراد من بريطانيا بسبب نقضها
على وعدها بالاستقلال، الشيعة لتهميشهم
لهم وللسنة لكبح جماحهم القومي
تطلعات. الجيش الذي دربه البريطانيون و
مجهزة، أصبحت أرضا خصبة للقومية
معارضة السادة البريطانيين ومحلييهم
المحميين.

كان السبب الرئيسي للاستياء خلال فترة الانتداب هو الممارسة البريطانية المتمثلة في فرق تسد بين الشرائح الرئيسية الثلاث من السكان: الأكراد والسنة والشيعة. وكان أهل السنة الأصغر بين الطوائف الثلاثة، ولكنهم كان لهم نصيب الأسد من السلطة والامتيازات والرعاية - في عهد الانتداب والحكومة

وكانت الإدارات ومؤسسات الدولة تدار في الغالب من قبل السنة، بمساعدة مستشاريهم
البريطانيين. مصدر آخر للإحباط بالنسبة للقوميين العراقيين كان السياسة
البريطانية المتمثلة في إعطاء معاملة تفضيلية للأقليات العرقية والدينية، ولا
سيما المسيحيين واليهود. وقد تم تفضيل هذه الأقليات لأنها كانت أقل عرضة
للانجذاب إلى القضايا القومية مقارنة ببقية السكان. كما فضل البريطانيون
الآشوريين على الحدود مع سوريا، وشيوخ القبائل البدو في الريف. من بين
جميع الطوائف اليهودية في الإمبراطورية العثمانية،

وكان الموجود في بلاد ما بين النهرين هو الأكثر اندماجًا في المنطقة المحلية
المجتمع الأكثر عروبة في ثقافته والأكثر
مزدهر. عندما أنشأ البريطانيون المملكة العراقية،
لقد وجدوا مجتمعًا يهوديًا نابضًا بالحياة بقيادة الرئيس
الحاخام ولجان الأعيان؛ التجار الذين
سيطرت على الكثير من تجارة الاستيراد والتصدير مع
روابط واسعة النطاق إلى بومباي وكلكتا في الهند؛ و
المصرفيين والصرافين أو المرابين الذين قدموا الكثير
التمويل للحفاظ على دوران عجلات التجارة.
رغم أنهم يشكلون 2% فقط من سكان العراق
السكان، وكانوا يسيطرون على 75 في المائة من وارداتها. ال
غرفة تجارة بغداد عام 1935 كانت تتكون من تسعة
يهود وأربعة مسلمين وبريطانيان. باختصار اليهود
وكانت العمود الفقري للاقتصاد العراقي.
كان أول وزير مالية عراقي هو يهودي عالمي، السير ساسون هاسكل (1860-1932)،
المعروف بلقبه الشرفي العثماني، ساسون أفندي. سليل عائلة يهودية عريقة
وأرستقراطية ذات ثراء كبير، تلقى تعليمه الابتدائي في التحالف الإسرائيلي
العالمي في بغداد وتعليمه العالي في الاقتصاد والقانون في القسطنطينية
وفيينا ولندن. كان يعرف تسع لغات: الإنجليزية والعربية والتركية
والفارسية والعبرية والفرنسية والألمانية واليونانية واللاتينية. في وقت
مبكر له

شغل منصب نائب في البرلمان العثماني،
ثم في عام 1925 انتخب نائباً عن العراقي الأول
البرلمان وأعيد انتخابه حتى وفاته، وحصل على
لقب غير رسمي "أبو البرلمان". بصفته وزيرا
أسست المالية والميزانية في المملكة
الهياكل والقوانين. اعتبرته جيرترود بيل
الوزير الأكثر قدرة في الحكومة، والأكثر نكران الذات و
الأكثر بعد نظر. كان هاسكل معارضًا للصهيونية
الاستيلاء على فلسطين وتحويلها إلى
الدولة اليهودية، توقعاً لوجود دولة يهودية في فلسطين
من شأنه أن يخلق مشكلة يهودية في بقية أراضي
الدولة العثمانية السابقة.

كان عدد قليل من العائلات اليهودية، باستثناء الساسونيين، ينتمون إلى
الطبقة الأرستقراطية القديمة في المملكة الجديدة. تنتمي عائلتي إلى الطبقة
المتوسطة العليا من اليهود الأثرياء. التحقت والدتي بمدرسة يهودية للبنات في
بغداد وتعرفت على بنات ساسون أفندي وهيلدا وراشيل، وتزوجت الأخيرة فيما بعد
من أحد أقارب والدتي. وكدليل على حكمة ساسون أفندي، أشارت والدتي إلى أنه هو الذي أصر
على أن تدفع بريطانيا عائدات النفط العراقي ليس بالروبية بل بالعملات
الذهبية. لقد أيدته باعتباره مثالًا رئيسيًا للمساهمة التي قدمتها الجالية اليهودية
في بناء الدولة العراقية.

لم تضم الطبقة الوسطى اليهودية التجار والممولين فحسب، بل شملت أعضاء
المهن الحرة مثل الأطباء والمحامين والأكاديميين والصحفيين. وتحتهم كانت هناك
طبقة كبيرة من اليهود من الطبقة المتوسطة الدنيا، وفي أسفل التسلسل الهرمي
الاجتماعي كان هناك يهود فقراء، يعيش الكثير منهم في حي أبو سيفين. يمكن العثور
على اليهود، مثل بقية المجتمع العراقي، في معظم المهن المهنية مثل السباكين
والكهربائيين والنجارين والإسكافيين والخياطين ومصففي الشعر. مجوهرات

وكان صنع الذهب والفضة من اختصاص اليهود. وفي شمال البلاد كان هناك بعض المزارعين اليهود، لكنهم كانوا يشكلون نسبة ضئيلة من إجمالي السكان اليهود. بعض الشركات، مثل تلك التي تنتج طعام الكوشر، كان لديها يهود فقط بين عملائها. ولكن في معظم المجالات الأخرى، كان التفاعل بين اليهود والمسلمين سمة طبيعية للحياة اليومية.

بغداد، التي استعادت مكانتها كعاصمة بعد خمسة قرون من الحكم العثماني، كان بها سكان مختلطون من السنة والشيعة والمسيحيين واليهود، وجميعهم يتحدثون العربية. كان اليهود أكبر مجموعة لها سجل مستمر في العيش في بلاد ما بين النهرين. ويمتد نسبهم إلى العصر البابلي، أي يسبق ظهور الإسلام بألف عام. لقد تفوقوا في كل جانب من جوانب المساعي الوطنية، ولعبوا دورًا بارزًا في تطوير أنظمة الصحة والتعليم والنقل العراقية. وكان تأثيرهم واضحاً في كل فرع من فروع الثقافة العراقية، من الأدب والموسيقى إلى الصحافة والإعلام. ظلت البنوك، باستثناء البنوك المملوكة للحكومة وجميع الأسواق الكبيرة، مغلقة في أيام السبت وفي الأيام المقدسة اليهودية الأخرى.

بعد سقوط العثمانيين، رحب اليهود في العراق بوصول البريطانيين، معتقدين أن ذلك سيجلب الأمن والاستقرار إلى البلد المنقسم، ويوسع الفرص التجارية ويدعم نفس الحقوق التي كان يتمتع بها اليهود في بقية المناطق البريطانية. إمبراطورية. وعلى الرغم من أنهم فضلوا في البداية الحكم البريطاني المباشر، إلا أن اليهود سرعان ما احتشدوا خلف الملك فيصل وانضموا إلى مشروعه لبناء دولة جديدة. بعد وقت قصير من صعود فيصل إلى العرش، نظمت الجالية اليهودية العراقية حفل استقبال كبير على شرفه. وأقيمت في المجمع الكبير بحضور عدد كبير من وجهاء المدينة. وقبّل فيصل التوراة التي أخرجت له من تابوت العهد

العهد، وشكر في كلمته اليهود الذين وصفهم بـ«الروح الحية لسكان العراق». 7

في عشرينيات القرن العشرين، طور اليهود العراقيون ما كان يُشار إليه غالبًا باسم "التوجه العراقي" الذي يعني العيش كمواطنين متساوين ولعب دور نشط في تطوير العراق لصالح جميع سكانه. وقد عزز تعيين السير ساسون هاسكل في أحد المناصب الحكومية العليا هذا التوجه.

ولم يخيب فيصل رعاياه اليهود. لقد كان ملكاً مستنيراً يؤمن بصدق بالحقوق المتساوية لجميع رعاياه وبمحاولة دمج جميع شرائح السكان المختلفة في أمة عراقية موحدة. وشدد فيصل مراراً وتكراراً في خطاباته على أنه لا يوجد فرق بين المسلمين والمسيحيين واليهود: فكلهم عراقيون وجميعهم ينتمون إلى العرق السامي. وقد علمه والده احترام اليهود، الذين يشار إليهم في القرآن باسم "أهل الكتاب". شجعت جيرترود بيل فيصل على التواصل مع رعاياه اليهود، وزيارة مدارسهم ومعابدهم اليهودية، والإشادة العلنية بالدور الذي لعبوه في مشروع بناء الأمة. وفي الوقت نفسه، شجعت اليهود على التطلع إلى فيصل لحمايتهم ورفاهيتهم.

كرّس دستور عام 1924 مبدأ المساواة أمام القانون بغض النظر عن الدين والعرق، وتضمن تدابير لتمكين الأقليات من الحفاظ على استقلالها الديني والثقافي. ومُنح اليهود تمثيلاً في مجلسي البرلمان بما يتناسب مع عدد سكانهم. وسُمح لهم بالارتقاء إلى مناصب عليا في الخدمة المدنية بما يتماشى مع تحصيلهم العلمي ومؤهلاتهم المهنية ومهاراتهم الإدارية. ومع ذلك، تجنب اليهود البارزون، في أغلب الأحيان، الانخراط في القومية العربية، وهي الأيديولوجية التي تبنت توحيد الدول العربية. كانت هناك عدة أسباب

لهذا. أولاً، كانوا ينتمون إلى أقلية غير مسلمة، وبالتالي لم يتناسبوا بسهولة مع المشاعر العربية الراديكالية والمعادية لبريطانيا. ثانيًا، على الرغم من انخراطهم في السياسات الحزبية، وخاصة على الجانب اليساري والليبرالي، إلا أنهم فضلوا الابتعاد عن الحركات الجماهيرية والنضالات السياسية على مستوى المنطقة.

ومع ذلك، فإن مكانة اليهود في الاقتصاد وفي البيروقراطية ألقت بظلالها على العلاقات بين المسلمين واليهود. أدى النجاح في المجالات المالية وغيرها إلى ظهور الغيرة التي يمكن أن تترجم إلى عداء نشط. واعتبر بعض المسلمين اليهود خونة للتطلعات الوطنية للشعب العراقي. وذهب آخرون، وخاصة على هامش اليمين المتطرف في السياسة العراقية، إلى أبعد من ذلك من خلال إدانة اليهود باعتبارهم عملاء للإمبريالية البريطانية. كان اليهود يدركون جيداً موقفهم الضعيف، لكنهم شعروا أن أمامهم القليل من البدائل السياسية. وبقدر ما يعنيهم الأمر، لم يكن البريطانيون مجرد حكام العراق الأقوياء فحسب، بل كانوا أيضًا أبطال الأقليات وممثلي الثقافة الغربية.

جلبت نهاية الانتداب البريطاني في أكتوبر 1932 الاستقلال الرسمي ولكن لم تحدث سوى تغييرات طفيفة في الطريقة التي تدار بها البلاد. ومثل القوميين، أصيب الملك فيصل بخيبة أمل إزاء الاتفاق الذي لم يحقق حكماً ذاتياً حقيقياً. لكن بعد أن طرده الفرنسيون من عرشه في دمشق، كان حذرًا من إثارة مواجهة مع أسياده البريطانيين، مفضلاً المضي قدمًا خطوة بخطوة نحو هدف الاستقلال الحقيقي. وفي الوقت الحاضر، واصل عملية التوازن الدقيقة بين البريطانيين والقوميين العراقيين الأكثر تطرفاً. لكن الوقت فات عليه. في 8 سبتمبر 1933، توفي الملك فيصل بشكل غير متوقع وفي ظروف غامضة أثناء خضوعه لفحص طبي عام

في إحدى العيادات في برن، سويسرا. وكان عمره خمسين عاما فقط. السبب الرسمي للوفاة كان نوبة قلبية. لم يتم إجراء تشريح للجثة. تم تحنيط جثته على عجل وإعادته إلى بغداد. وأثيرت تساؤلات كثيرة حول وفاة فيصل المفاجئة، خاصة أن الأطباء السويسريين أكدوا أنه كان بصحة جيدة وأنه لم يكن به أي شيء عند وصوله. أبلغت ممرضته الخاصة عن علامات التسمم بالزرنيخ قبل وفاته. وعلى الرغم من أن والدتي كانت تبلغ من العمر تسع سنوات فقط وقت وفاة الملك، إلا أنها تتذكر الناس الذين كانوا يبكون في الشارع ويغنون أغنية تلعن سويسرا. وكان العديد من العراقيين من ذلك الجيل، بما في ذلك والدتي، يعتقدون أن البريطانيين هم الذين أمروا سراً بتسميم الملك الشعبي لأنه لم يعد له فائدته.

كانت وفاة الملك فيصل علامة فارقة مأساوية في تاريخ العراق، إذ كانت بمثابة نهاية حقبة ليبرالية تعددية دينياً. أصبحت السياسة العراقية تحت سيطرة نوري السعيد الاستبدادي بشدة والمؤيد بشدة لبريطانيا. كان نوري شخصية ماكرة، ويُشار إليه كثيراً باسم "الثعلب القديم". لقد جسد النزعة المحافظة الفطرية للطبقة الحاكمة العراقية. كانت هيمنة نوري على هذا النحو هي التي جعلت السنوات الخمس والعشرين التالية في تاريخ العراق يُشار إليها في كثير من الأحيان باسم عهد نوري، أو عصر نوري. خلال العقد الأول من حكم المملكة، كان نوري حليفًا قويًا لليهود، لكن موقفه تغير في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ويرجع ذلك جزئيًا إلى مشاركة اليهود في الحزب الشيوعي العراقي، وجزئيًا بسبب الهجوم الصهيوني في فلسطين. .

وخلف فيصل ابنه الوحيد غازي. وكان غازي في الحادية والعشرين من عمره عندما اعتلى العرش. كان يكره الإنجليز بسبب خيانتهم لجده الحسين شريف مكة، ولخيانتهم

خيانة العرب بإصدار وعد بلفور. وعلى خلاف أبيه الدنيوي، كان غازي شاباً عديم الخبرة وغير متوازن، وغير ناضج، فاسق، مجتهد في طلب المتعة والرياضة ولكنه مهمل في واجباته العامة. لقد كان يحمل بعض وجهات النظر العربية غير الناضجة ولكن معبرة بقوة، وانخرط في الأيديولوجية النازية ومفهوم النقاء العرقي. تحدثت والدتي عن غازي باعتباره خيبة أمل كبيرة مقارنة بوالده، وباعتباره وغداً انخرط في صحبة السوء، وأبرزهم النازيين والحاج أمين الحسيني زعيم الحركة الوطنية الفلسطينية. خلال فترة حكم غازي القصيرة، أصبح القوميون أكثر صراحة وأكثر حزما في السياسة العراقية.

بعد وصول الحزب النازي إلى السلطة في عام 1933، تصاعدت الدعاية الألمانية في العراق. كان لدى الألمان عيونهم على نفط العراق وآلتهم الدعائية قواد بمهارة المشاعر المعادية لبريطانيا والمعادية للصهيونية. انتشر الإعجاب بألمانيا في جميع أنحاء البلاد. حلت الألمانية محل الفرنسية كلغة أجنبية ثانية بعد اللغة الإنجليزية في بعض المدارس. وزارة التربية والتعليم شجع على تشكيل الفتوة (الشباب)، أ لواء شبه عسكري على غرار شباب هتلر، والذي لجأ إلى مضايقة اليهود في شوارع بغداد. تركت النزعة العسكرية النازية انطباعًا قويًا على الأعضاء من جيل الشباب الذي يطمح إلى إقامة النازية الحراك في العراق . العداء لليهود مهما كان وقد وجدت المصادر مبرراً أيديولوجياً جديداً وساماً. السفير الألماني الدكتور فريتز جروبا، الذي كان متحدث باللغة العربية، كوّن صداقات كثيرة بين السكان المحليين السياسيين والصحفيين. اشترى مسيحياً.. يملك صحيفة العالم العربي والعالم العربي وهو تم نشر نسخة عربية من كتاب أدولف هتلر هناك السيرة الذاتية، مين كامبف. أصبح غازي صديقًا لجروبا.

القوميون العلمانيون والدينيون، الذين همشهم البريطانيون سابقًا، وجدوا الآن في جروبا حليفًا متعاطفًا. 10 وبتشجيع من جروبا، أعرب الجيش عن مشاعر أكثر حدة معادية لليهود والإمبريالية، وبدأ في التدخل في الساحة السياسية ضد الحكومات المدنية التي اعتبرها غير وطنية بما فيه الكفاية. وفي عام 1936، وبدعم ضمني من الملك، أطاح أربعة ضباط في الجيش يُطلق عليهم "المربع الذهبي" بالحكومة المدنية. وكان هذا أول انقلاب في السياسة العربية الحديثة.

وفي عهد غازي، أدت كراهية الأجانب في البلاد بشكل عام، وفي وسائل الإعلام وفي الدوائر الحكومية، إلى التحرك لإلغاء الوضع الخاص والامتيازات التي منحها والده للأقليات. وفي العصر الجديد للانتصار السني، تم التشهير بالأقليات. تعامل الجيش العراقي بقسوة مع الآشوريين، وبلغت ذروتها في مذبحة راح ضحيتها مئات المدنيين الأبرياء في عام 1933. تجاه المتمردين الأكراد، اعتمدت الحكومة المركزية في بغداد سياسة القبضة الحديدية، والتي تضمنت قدرًا كبيرًا من الوحشية واستخدام القوة الجوية لقصف المدنيين. مراكز. وعلى الرغم من أن وضع اليهود كان مختلفًا عن موقف الأقليات الأخرى، إلا أنهم واجهوا أيضًا قيودًا وتمييزًا متزايدًا. وفرض غازي ضريبة على اليهود كلما غادروا البلاد. وكان الغرض من هذا الإجراء هو قطع الصلة بين يهود العراق وبقية العالم، وخاصة في فلسطين. وكان الهدف من التدابير الأخرى هو تقييد نفوذ الجالية اليهودية في الداخل. تم فصل مئات اليهود من الخدمة المدنية باسم الإصلاح وتخفيضات الميزانية وتم وضع حصص غير رسمية للحد من عدد الشباب اليهود المقبولين في المدارس والكليات الحكومية. في الواقع، أخذت الحكومة زمام المبادرة في نشر معاداة السامية على النمط الأوروبي وفي سن إجراءات معادية لليهود.

توفي الملك غازي مبكرًا في حادث عام 1939 عندما اصطدمت السيارة الرياضية التي كان يقودها بشجرة في أراضي قصر الزهور، قصر الزهور. وفي ذلك الوقت، رأى العديد من العراقيين أن نوري السعيد هو الذي حرض على قتل غازي بناءً على طلب البريطانيين. غذت السفارة الألمانية الشائعات بأن المخابرات البريطانية متورطة في جريمة قتل الملك المزعومة، ولكن لم يتم تقديم أي دليل مقنع لدعم نظرية المؤامرة هذه. وتنفس اليهود الصعداء مسموعة. تم إعلان فيصل، نجل غازي، ملكًا على الفور ومنحه لقب فيصل الثاني، ولكن نظرًا لأنه كان رضيعًا يبلغ من العمر أربع سنوات، كان عليه أن يحكم تحت مجلس الوصاية برئاسة عمه الأمير عبد الإله الموالي لبريطانيا. وعبد الإله هو ابن علي ملك الحجاز

الأخ الأكبر لفيصل الأول. كان عبد الإله أميراً خجولاً، يفتقر إلى الثقة بالنفس، وغير واضح، وضعيف، و غير حاسم. وكان أطول من أقاربه وأكثر جمالا مسلوخ، وهي سمة يعتقد أنها ورثت منه جدة قوقازية. كان يحب الخيول و الريف، وقد طور اهتمامًا كبيرًا بالزراعة. وكان عبد الإله فخوراً بالدور الذي لعبته عائلته في قيادة الثورة العربية خلال الحرب العالمية الأولى لقد تأثر برغبة حقيقية في القيام بعمل جيد لبلده، لكنه ببساطة لم يكن على مستوى المهمة. مهاراته السياسية كانت محدودة، وكان يفتقر إلى الكاريزما وكان على نطاق واسع يعتبر عميلا بريطانيا.

استمرت الدعاية الألمانية في لعب دور رئيسي في نشر المشاعر المعادية لليهود في العراق، وخاصة بين الشباب، خلال فترة الوصاية. هناك عامل خارجي آخر، أثر بشكل متزايد على وضع الجالية اليهودية في العراق، وهو النضال الصهيوني لإقامة دولة يهودية في فلسطين. كانت الحركة الصهيونية حركة استعمارية استيطانية، تعود جذورها إلى وقت متأخر

أوروبا في القرن التاسع عشر، كرد فعل على مشكلة معاداة السامية الأوروبية. وعلى الرغم من أن الصهيونية كانت تمرداً ضد المعاملة الأوروبية لليهود، إلا أن قادتها لجأوا إلى المصلحة الذاتية للقوى الأوروبية العظمى. لقد قطع تيودور هرتزل، وهو يهودي من فيينا مندمج في المجتمع وأب الصهيونية السياسية، هذا الوعد في عام 1896: "من أجل أوروبا سنخدم هناك كطليعة للحضارة ضد البرابرة". وبشكل ملفق، قرر حاخامات فيينا استكشاف أفكار هرتزل وأرسلوا ممثلين اثنين إلى فلسطين. وأسفرت مهمة تقصي الحقائق هذه عن برقية من فلسطين كتب فيها الحاخامان: "العروس جميلة لكنها متزوجة من رجل آخر".

لكي تشق طريقها في عالم السياسة الدولية القاسي، وللتغلب على المعارضة المتوقعة والحتمية لعرب فلسطين، تحالفت الحركة الصهيونية مع بريطانيا العظمى في الحرب العالمية الأولى. كان أول انتصار دبلوماسي لها هو إعلان بلفور في 2 نوفمبر 1917، الذي تعهد بدعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. كانت هذه وثيقة استعمارية كلاسيكية. وكان العرب في ذلك الوقت يشكلون 90% من سكان فلسطين؛ وكان اليهود يشكلون 10% ويمتلكون 2% فقط من الأرض. ومع ذلك، دعم البريطانيون الحقوق الوطنية لليهود والحقوق الدينية والمدنية فقط للأغلبية العربية. ولزيادة الطين بلة، أشار وعد بلفور إلى العرب على أنهم "الطوائف غير اليهودية في فلسطين". ولم يكن لبريطانيا أي حق قانوني أو سياسي أو أخلاقي في تسليم أرض شعب إلى شعب آخر، ولكن بعد حصولها على الانتداب على فلسطين من عصبة الأمم، كان لديها القدرة على القيام بذلك. وبدعم من سلطة الانتداب، بدأ الصهاينة الاستيلاء المنهجي على فلسطين. القطعة المركزية ل

وكانت السياسة الإلزامية هي حرمان المؤسسات التمثيلية من وجود أغلبية عربية. وكانت الفكرة هي تأخير منح الاستقلال حتى تكون هناك أغلبية يهودية قادرة على إدارة البلاد على طول الخطوط الأوروبية. وعلى الرغم من عدم الاعتراف بذلك مطلقًا، إلا أن الوطن القومي للشعب اليهودي في البلاد لا يمكن تحقيقه إلا على حساب السكان العرب الأصليين. ولا يمكن أن يفسح المجال في فلسطين لأمة ثانية إلا بإزاحة الأولى وتهجيرها.

الظروف التي أدت إلى ظهور الصهيونية في أوروبا كانت
غائبة إلى حد كبير في الشرق. الفكرة القومية في الصميم
ولم تجد الصهيونية الأوروبية سوى عدد قليل من أتباعها بين اليهود
من الأراضي العربية. في العراق لم تكن الصهيونية محلية المنشأ
منتج بل أيديولوجية أجنبية يروج لها المبعوثون
من فلسطين. وكان بعض هؤلاء المبعوثين من الأشكناز
اليهود وبعضهم من اليهود العراقيين الذين هاجروا إلى
فلسطين بأعداد قليلة في فترة ما بين الحربين. بالرغم من
تم استقبال المبعوثين جيدًا من قبل كبار المسؤولين البريطانيين والبريطانيين
وبدا المسؤولون العراقيون واليهود العراقيون غير مبالين إلى حد كبير
حتى معادية. عندما أعطت اللجنة الصهيونية
إذن للعمل، التقى وفد من القادة اليهود
مع المفوض السامي للتعبير عن معارضتهم.
ولم يتمكن الصهاينة من حشد الدعم من أي طرف
القادة اليهود المحليين المؤثرين. 11

في إحدى المناسبات السنوية لوعد بلفور، كتب السير أرنولد ويلسون، الذي شغل منصب المفوض المدني في بغداد من عام 1918 إلى عام 1920، إلى مكتب المستعمرات حول مناقشة أجراها مع العديد من أعضاء الجالية اليهودية في ذلك الوقت:

وأشاروا إلى أن فلسطين بلد فقير وأن القدس مدينة سيئة للعيش فيها. ومقارنة بفلسطين، كانت بلاد ما بين النهرين جنة. وقال أحدهم: هذه جنة عدن؛ فمن هذا البلد الذي أخرج آدم أعطنا حكومة صالحة وسنجعل هذا البلد يزدهر. بالنسبة لنا، بلاد ما بين النهرين هي وطن، وطن قومي يهود بومباي و

سوف تكون بلاد فارس وتركيا سعداء بالقدوم. هنا يجب أن تكون الحرية والفرصة. في فلسطين قد تكون هناك حرية ولكن لن تكون هناك فرصة. 12

وكانت الآراء التي تم نقلها إلى المفوض المدني
ممثل الجالية اليهودية بشكل عام. صغير
وكانت هناك أقلية تتألف بشكل رئيسي من اليهود الأرثوذكس
انجذبت إلى فكرة الذهاب للعيش في أجداد اليهود
الوطن. في المقابل، اعتبرت الأغلبية العراق وطنهم والثقافة العربية ثقافتهم
رغم أن اليهودية هي دينهم. لقد كانوا ملتزمين تجاه العراق، واعتبروا فكرة إقامة
دولة يهودية في فلسطين غير واقعية ومزعجة. هذه البيئة السياسية المعقدة
للغاية، مع تياراتها وتياراتها المتقاطعة من المحافظة العراقية، والاستعمار البريطاني،
والقومية العربية، والصهيونية، والمعاداة
اليهودية العراقية للصهيونية، شكلت حياة عائلتي في بغداد حتى عام 1950.
وفي هذه المرحلة، تحولت هذه التيارات إلى مد وجزر.

موجات، تهدر العالم الذي عرفناه من قبل و
ويغرقنا في دولة إسرائيل الجديدة. إذا نظرنا إلى الوراء الآن،
لا أزال بالكاد أستطيع فهم التأثير العميق لوعد بلفور
كلمات الإعلان السبع والستون وكيف قلبت
حياة وثروات عائلتي بعد عقود.



يوسف وسعيدة شليم

ثلاثة

الجذور العراقية

كان لدى أبي وأمي شعور قوي بالانتماء وارتباط عاطفي عميق بالعراق. كان لديهم عائلات ممتدة، والعديد من الأصدقاء، وشبكة دعم، وثروة، ومكانة اجتماعية عالية. قبل ولادة إسرائيل والحرب العربية الإسرائيلية الأولى، لم يكن من الممكن تصور فكرة مغادرة البلاد إلى الأبد.

على الرغم من أنهما كانا وطنيين عراقيين، إلا أن والدي كانا زوجين غريبين: كلاهما جاء من عائلات يهودية، لكنهما لم يكونا مناسبين، حيث تم جمعهما معًا في زواج مرتب في بغداد عام 1942. وكانت الفجوة العمرية بينهما ثلاثة وعشرين عامًا: كان والدي يبلغ من العمر واحدًا وأربعين عامًا وكانت والدتي تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا فقط وقت زواجهما. كان الزواج المدبر هو القاعدة بين اليهود العراقيين في تلك الأيام، لكن هذا الزواج على وجه الخصوص لم يكن جزءًا من القاعدة تمامًا: فقد أكرهت والدتي من قبل عائلتها على الزواج من رجل كبير بما يكفي ليكون والدها. بمجرد تشكيل الاتحاد الرسمي، بذل الجانبان قصارى جهدهما لإنجاحه. كان والدي رجلاً طيبًا ولطيفًا وكريمًا. كانت والدتي مرنة وواقعية، وسريعة في اغتنام الفرص، وكانت تميل دائمًا إلى النظر إلى الجانب المشرق من الحياة. وبما أن والدي كان ثريًا جدًا، فقد حصل على تعويضات مادية وافرة مقابل التضحية بالحرية التي أُجبرت على تقديمها. علاوة على ذلك، أنجبت العروس الشابة ثلاثة أطفال في تتابع سريع واستغرق ذلك الأمر

حصة عادلة من وقتها وطاقتها دون الحد من أسلوب حياتها المترف.

ولد والدي في بغداد عام 1901. وكان عراقيا
اليهودي. كان اسمه يوسف شلايم. وكان يوسف اليهودي
نسخة من يوسف العربي ويوسف الإنجليزي.
ربما كان شلايم اسمًا ألمانيًا يعود إلى زمن بعيد
عدة أجيال. حسب القصة التي سمعتها من صديقي
والدتي ولكن لم أتمكن من التحقق من ذلك، وكان سلف والدي
طبيب شاب ألماني يهودي ذهب لمساعدة اليهود
بغداد لمواجهة الوباء في مرحلة ما
القرن التاسع عشر. وقيل إن الوباء يؤثر بشكل رئيسي
اليهود الفقراء في منطقة أبو سيفين المزدحمة
بغداد. وخلال عمله قام الطبيب بعلاج أ
فتاة يهودية محلية، وقع في حبها، وتزوجها و
استقر. وبحسب هذه القصة فقد سافر الطبيب
إلى بغداد مع اثنين من المتطوعين اليهود الآخرين الذين كان لديهم
أكملوا مؤخرا تدريبهم الطبي، لكنه فقط
بقي. وعاد الاثنان الآخران إلى ألمانيا بعد ذلك
استكمال مهمتهم الطبية الإنسانية. نحن لا نفعل ذلك
نعرف الاسم الأول للطبيب الذي بقي، ولا نحن أيضًا
تعرف على التهجئة الألمانية الدقيقة لقبه
لقد كان شلايم أو شلايم. بحث بواسطة ألماني
طالب دراسات عليا في ظل كل هذه المتغيرات لا يحمل
الفاكهة. هذا قادني إلى التساؤل عما إذا كانت القصة بأكملها قد تكون كذلك
كانت لا أساس لها من الصحة. لم يذكر والدي ألمانيًا أبدًا
سلف. عندما ضغطت على والدتي على مصدر
القصة، اعترفت أن المصدر ليس والدي بل
أحد أقاربه. مع الأسف، قمت بإنزال والدي
الجد الألماني إلى عالم التخمين.

كان والد والدي يهوديا عراقيا اسمه إبراهيم، وأنا سميت باسمه إبراهيم، أو أبي
للاختصار. كان لإبراهيم أربعة إخوة وأخت واحدة. تزوج من لولو بيتشاتي، التي كانت أمية،
وليس من غير المألوف على الإطلاق في البلاد

العراق في تلك الأيام على الرغم من أن نسبة الأمية بين اليهود كانت أقل بكثير منها بين المسلمين. كان إبراهيم رجلاً ثريًا إلى حدٍ ما، وكان يمتلك أرضًا في قرية الدورة الزراعية الواقعة على مشارف بغداد، ويعيش على الإيجار. كان مستأجروه فلاحين استخدموا أساليب بدائية لزراعة الأرض. فأخذوا لأنفسهم ثلثي الغلّة، ودفعوا لإبراهيم الثلث الآخر نقدًا أو عينًا. وقد ضمن ذلك حصول إبراهيم وعائلته على إمدادات منتظمة من زيت الزيتون ومنتجات الألبان والبطيخ والبطيخ وغيرها من الفواكه والخضروات.

كان لإبراهيم ثلاثة أبناء وبنتان: يوسف (والدي، الابن الأكبر)، عزرا، إسحاق، روزا وراجينا. كان يركب إلى الدورة على ظهور الخيل ليحصل على الإيجار من المزارعين المستأجرين ويحمل عليه حزام النقود. وفي إحدى جولاته عام 1914، أطلق اللصوص النار عليه فأردوه قتيلاً وسرقوا كل الأموال. ترك إبراهيم وراءه أرملة وخمسة أيتام صغار دون مصدر دخل منتظم. في هذه المرحلة، ومع فقدان المعيل، اضطر والدي يوسف، باعتباره الابن الأكبر، إلى ترك المدرسة والخروج للعمل لإعالة أسرته.

لا أذكر مناسبة واحدة تحدث فيها والدي عن الماضي لي أو لأي شخص آخر. وليس لدي أي سجلات مكتوبة لمساعدتي في تجميع قصته. كم أتمنى أن أتمكن من إجراء مقابلة معه لإعداد هذه المذكرات، والتحقق من الحقائق والتواريخ والحصول على وجهة نظره حول حياته وأوقاته. لكنه توفي بنوبة قلبية في 3 ديسمبر/كانون الأول 1970، عندما كنت في الخامسة والعشرين من عمري، ولم يترك وراءه أي سجلات. في ذلك الوقت، تم تعييني للتو محاضرًا مؤقتًا في العلاقات الدولية في جامعة ريدينغ. قامت أختي الكبرى ليديا وأبناء عمومتنا، أبناء راجينا، بالترتيبات اللازمة للجنازة. ليديا، التي تغير اسمها إلى داليا بعدنا

عندما وصلت إلى إسرائيل، أبلغتني بوفاة والدنا عن طريق رسالة بالبريد الجوي وصلتني بعد أكثر من أسبوع. لقد فعلت ذلك عمدا لتجنيبني واجب الأبناء المتمثل في العودة إلى إسرائيل للجلوس على طقوس شيفا، وهي طقوس يهودية مدتها سبعة أيام من الحداد على الموتى. كانت نوايا داليا حسنة، لكن أفعالها زادت من ألم الفجيعة بدلاً من أن تخفف منها. كان عليّ أن أتغلب على الخسارة بمفردي، حيث كنت أفتقر إلى أي دعم. وازداد حزني شعوراً بأنني لم أعرف والدي بشكل صحيح أبداً. وبعد أن حُرمت من فرصة الحزن عليه بشكل صحيح، كنت أغرق في اكتئاب خفيف كل عام في تاريخ وفاته لسنوات عديدة بعد ذلك.

مصدر معلوماتي الرئيسي لهذه الفترة المبكرة هو
حياة أبي كانت أمي، وحسابها يحتوي
ثغرات كثيرة وليس القليل من التناقضات الداخلية.
وفقا لها، والدي لم يكن تلميذا جيدا في المدرسة،
ويرجع ذلك جزئيًا إلى أنه كان يعاني من ضعف بصره
فشل الآباء في التشخيص بعد مقتل والده
توقف المعلمون في المدرسة عن إزعاجه قائلين ذلك
ولم يكن للصبي أب وأن أمه كانت جاهلة.
لذلك لم يكونوا آسفين بشكل خاص لرؤية الشباب
يوسف ترك المدرسة.

في سن الرابعة عشرة، بدأ والدي ما تحول تدريجيًا إلى مهنة ناجحة ومربحة للغاية كرجل أعمال. وكان لديه شريك يهودي في نفس عمره تقريبًا، يُدعى شعاع عبيد. كانوا يشترون ويبيعون أدوات ومواد البناء: الأسمنت، وخلاطات الأسمنت، وقضبان الحديد، والأبواب، والطوب، والبلاط، ومعدات الحمامات وأدوات المطبخ. لقد عملوا بجد، وطوروا أعمالهم، واغتنموا كل فرصة جاءت في طريقهم وازدهروا. وسرعان ما لم يتمكن متجرهم الصغير من استيعاب الحجم المتزايد من البضائع، لذلك استأجروا مخزنًا كبيرًا خانًا باللغة العربية. بعد انتهاء الشوط الأول

الحرب العالمية، في عام 1918، عرض الجيش البريطاني للبيع على
السوق المفتوح لجميع أنواع المواد الفائضة بما في ذلك الحديد الخردة،
الآلات والأدوات والرافعات وخزانات المياه والبناء
معدات. اشترى والدي وشريكه
المعدات بأسعار منخفضة للغاية وحققت ربحًا جيدًا.
توسعت أعمالهم بشكل مطرد. وبمرور الوقت، أصبحوا أيضًا
وكلاء بالعمولة في بغداد للشركات الأوروبية
تشارك في البناء. شركة تويفورد البريطانية
المتخصصة في أطقم الحمامات، اختارتها وكيلاً لها
في العراق. كما استخدمت الشركات الألمانية وغيرها من الشركات الأوروبية
لهم لتصدير بضائعهم والشركاء الشباب
واصلت الازدهار.

من خلال صنع منتجات بريطانية وأوروبية عالية الجودة
متاح للبيع في خانهم والدي وشريكه
استحوذت على دائرة كبيرة من العملاء من بينهم كبار السن
الشخصيات العامة والوزراء. الملك فيصل الأول كان لهم
العميل الأكثر شهرة. طلب مساعدوه الإمدادات من
منهم لبناء قصر الزهور. وكان هذا الدائم
المسكن الذي بناه فيصل لنفسه ولأسرته
بعد إقامته المؤقتة في قصر شاشوع وكان هذا
حيث لقي الملك غازي مصرعه. وزراء الحكومة
شراء قطع الأراضي وبناء الفلل الفاخرة عليها
عائلاتهم. سيطلبون من والدي توفير
مواد بناء لمنازلهم على حسابهم. ال
كانت التسهيلات الائتمانية التي قدمها سخية للغاية
وفي أغلب الأحيان، فشل الوزراء في دفع الأموال
لقد كانوا مدينين أو قاموا بسداد دفعات جزئية فقط، لكن والدي
لم يصر.

كان توريد البضائع دون الإصرار على الدفع شكلاً من أشكال الرشوة. وفي
العراق خلال سنوات ما بين الحربين العالميتين، كانت هذه الممارسة شائعة، استناداً
إلى الفهم الضمني الذي يقول "أنت تحك ظهري وأنا أحك ظهرك". سيكون على الوزراء
التزام، وهذا ما يجعلهم يستخدمون قدراتهم

الموقف الرسمي لرد الجميل عندما سنحت الفرصة. ويمكن أن تأخذ خدمات العودة شكل شراء لوازم لوزارتهم بأسعار مضخمة، أو إصدار تراخيص استيراد أو منح إعفاء من فئات معينة من الضرائب. ووفقا لوالدتي، لجأ العديد من التجار اليهود إلى هذا النوع من الطرق الخفية أو غير الدقيقة لرشوة الوزراء وكبار المسؤولين المسلمين.

الشراكة الناجحة بين والدي وشعاع عبيد لم تنته بسبب تغيرات في المناخ الاقتصادي أو السياسي بل نتيجة مشاكل عائلية. وكان لعبيد ابن تبين أنه من رذائله شملت شرب الخمر والقمار واستخدام خدمات بيوت الدعارة. وفي نهاية المطاف، كان من المحتم أن ينتقل سلوك الابن من المنزل إلى العمل. وفي النهاية، ذهب الشريكان في طريقهما بالاتفاق المتبادل ودون أي حدة. انتهت الشراكة التجارية لكن الصداقة استمرت. كما يقول الفرنسيون، tout casse sauf l'amitié "كل شيء ينكسر باستثناء الصداقة."

-

ومن تلقاء نفسه، استمر والدي في الازدهار. في عام 1939، بنى لنفسه منزلًا كبيرًا ومجهزًا جيدًا وأنيقًا بشكل لافت للنظر. صممه له صديق معماري ألماني مغترب. كان المنزل بالقرب من جمعية الشبان المسيحية ومتجر أوروسدي باك، المتجر الفاخر الشهير الذي يملكه اليهود، وقبالة كنيس مئير طويج في منطقة البتاويين المزدهرة، والتي تمتد عبر وسط بغداد. وكان المنزل يقع على مسافة ليست بعيدة عن نهر دجلة الذي يتدفق في وسط المدينة ويضيف إلى جمال بغداد المعماري بمجموعة جسورها القديمة. كان المنزل مكونًا من ثلاثة طوابق وحوالي عشر غرف وثلاثة حمامات فاخرة وحديقة كبيرة من المروج المشذبة وأحواض الزهور الوارفة وأشجار النخيل الطويلة.

بحلول الوقت الذي تم فيه الانتهاء من بناء المنزل، كان والدي قد اكتسب سمعة باعتباره أحد العزاب الأكثر تأهيلاً في الطائفة اليهودية في بغداد. كان في أواخر الثلاثينيات من عمره، ثريًا، يتمتع بعلاقات جيدة، وهو الآن المالك الفخور لفيلا الأحلام. كل هذا جعله هدفاً لصانعي الثقاب اليهود الذين قصفوه على ما يبدو بعروض الزواج من شابات زعموا أنهن سيصبحن عرائس مناسبات. ومع ذلك، رفض والدي جميع العروض بأدب وانتظر وقته. في النهاية، ومن دون مساعدة الخاطبين، وضع والدي عينيه على والدتي وتزوجا عام 1942. اختارها لكنها لم تختره: لقد أرغمتها عائلتها على هذا الزواج. انتقلت العروس المترددة إلى المنزل الكبير وأصبح هذا منزل العائلة حتى اضطررنا لمغادرة العراق في عام 1950.

لقد اتخذ استكشافي لجذور عائلتي منعطفًا دراماتيكيًا في عام 2014 عندما اكتشفت أن لدينا صلة بالهولوكوست. بادر أحد أقاربي البعيدين، الذي لم أكن أعلم بوجوده، بالاتصال بي. وكانت قريبتي كيرين إفرات إيمالك، ني شلايم، حفيدة هاسكل، عم والدي. في أحد الأيام، في مايو 2014، تركت كيرين لي رسالة على هاتف مركز الشرق الأوسط في كلية سانت أنتوني في أكسفورد. اتصلت بها مرة أخرى وأجرينا محادثتين طويلتين لمقارنة الملاحظات حول أسلافنا المشتركين. من محادثاتنا، حصلت على انطباع بأن كيرين كانت يهودية متدينة ووطنية إسرائيلية لديها الوقت الكافي وكانت حريصة على معرفة أكبر قدر ممكن من المعلومات عن تاريخ عائلتها. لقد سمعت عني من بعض أقاربي وتواصلت معي لمعرفة المزيد. لقد كانت مفتونة بشكل خاص بالأصل الألماني لعائلتنا. لقد أخبرت القليل الذي أعرفه عن المفترض

طبيب ألماني يهودي وأعرب عن إحباطي لعدم تمكني من الحصول على أي تفاصيل أو تواريخ.

وكما اتضح فيما بعد، كانت كيرين في الواقع قادرة على إخباري أكثر مما أستطيع أن أخبرها به. أشارت أبحاثها الخاصة إلى وجود عشيرة يهودية كبيرة تحمل اسم شلايم في ألمانيا، وأنها كانت عائلة متجولة، لها فروع ليس في العراق فحسب، بل في إيران والهند وتشيكوسلوفاكيا ودول أوروبية أخرى. وكان والد كيرين، منصور، قد زار المقبرة اليهودية في براغ وعثر على قبر بعض أفراد الأسرة. أحد شواهد القبور، الذي يحمل نجمة داود مثل كل الشواهد الأخرى، كان يحمل اسم جوزيف شلايم الذي كان تاريخ ميلاده عام 1913. وبجوار قبر جوزيف كان يوجد قبر امرأة تدعى إلكا، ربما زوجته. وكان ليوسف أربعة أطفال، مدرجين في أسفل شاهد قبره، اثنان على كل جانب. اثنان من الأسماء هما هوغو ورودولف. كان لكل طفل تاريخ ميلاد مختلف ولكن تاريخ الوفاة لجميعهم كان عام 1944. وهذا يوحي لكرين بأن الأسرة بأكملها قد هلكت في المحرقة. وكانت قد ذهبت إلى القدس لزيارة ياد فاشيم، النصب التذكاري الرسمي الإسرائيلي لضحايا المحرقة. وظهرت أسماء أقاربها في سجلاتهم، لكن لم تتوفر تفاصيل أخرى.

كان والد كيرين قد التقط صوراً لشاهدة القبر على هاتفه المحمول ووعدتني بإرسالها لي عبر البريد الإلكتروني، لكنها لم تفعل ذلك مطلقًا. كل محاولاتي اللاحقة للاتصال بها باءت بالفشل: فهي لم ترد على رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بي أو تعيد رسائلي الهاتفية. لا يمكنني إلا أن أتكهن بأسباب قطع الاتصال بها. أحد الاحتمالات هو أنني لم أعد أثير أي اهتمام بها، ولكن بعد ذلك كانت رسالة بريد إلكتروني مختصرة كافية لقول ذلك. التفسير الأكثر منطقية هو أنني لا بد أنني أساءت إليها بطريقة ما. لم تكن كيرين قد قرأت أيًا من كتبي على الرغم من توفر اثنين منها بالطبعات العبرية. عندما سألتني عن عملي

لقد أوضحت عبر الهاتف أنني مؤرخ إسرائيلي رجعي، وأحد ما يسمى بـ "المؤرخين الجدد"، وأنني أتحدى الروايات الصهيونية المعيارية حول أسباب الصراع العربي الإسرائيلي ومساره. وربما من الحماقة أنني تابعت ذلك بإرسال أحد المقالات القليلة جدًا التي نشرتها باللغة العبرية إليها عبر البريد الإلكتروني، وهو مقال عن "التاريخ الجديد والحرب العربية الإسرائيلية الأولى".

في عام 2017 تمت دعوتي من قبل السفارة الفلسطينية في براغ لإلقاء كلمة في مؤتمر كانوا ينظمونه بمناسبة الذكرى المئوية لوعد بلفور. بناءً على طلبي، أرسل منظم المؤتمر استفساري حول الأسماء التي أحملها إلى سوزانا في المقبرة اليهودية. لم تتمكن سوزانا من العثور على الأسماء في قاعدة البيانات؛ كانت بحاجة إلى مزيد من المعلومات. في 13 نوفمبر/تشرين الثاني 2017، أرسلت لها مذكرة تتضمن جميع المعلومات التي تلقيتها من كرن. وتبع ذلك المزيد من الأسئلة: أي مقبرة كانت؟ هل كان ذلك الذي في البلدة القديمة أم الذي في فينوهرادي؟ هل كنت متأكدًا من أنها مقبرة يهودية؟ هل لدي أسماء جميع الأطفال الأربعة؟ هل كنت متأكدًا بنسبة مائة بالمائة أنه كان عام 1944؟ وبما أنني لم أتمكن من الإجابة على هذه الأسئلة، فقد وصل البحث عن مكان دفن أسلافي الألمان إلى طريق مسدود.

إحدى نتائج هذا المسعى المحبط إلى حد ما كانت دفعي إلى التفكير في موقفي تجاه المحرقة. حتى لقائي مع كيرين، لم يكن شعوري تجاه الهولوكوست مختلفًا عن مشاعر معظم الناس: الرعب المطلق من فكرة إمكانية التفكير في مثل هذه الأعمال الهمجية، ناهيك عن ارتكابها في قلب أوروبا المسيحية في منتصف القرن العشرين. . لقد كانت الهولوكوست الظاهرة الأكثر فظاعة في التاريخ الأوروبي الحديث، لكنها لم تكن حتى تلك اللحظة جزءاً من تاريخي الشخصي. اليهود

لقد كان الشرق محمياً إلى حد كبير بمصادفة الجغرافيا من أهوال الإبادة الجماعية النازية.

إن اكتشاف أن خمسة من أفراد عائلتي كان من الممكن أن يكونوا من بين الستة ملايين يهودي الذين أبادهم النازيون لم يغير شيئًا في المخطط الكبير للأشياء، لكنه أثر بالتأكيد على الطريقة التي شعرت بها تجاه هذا الفصل المأساوي من تاريخ شعبي. . وكان أحد التأثيرات المباشرة لذلك هو جعلني أدرك أنني من خلال وضع سلوك إسرائيل في حرب عام 1948 تحت عدسة لا هوادة فيها، لم أسمح بما يكفي لحقيقة أن هذه الحرب وقعت بعد ثلاث سنوات فقط من الإبادة الجماعية النازية. لقد قللت من تقدير حاجة اليهود اليائسة إلى ملاذ آمن نتيجة لهذه الصدمة. كان الفلسطينيون بلا شك هم الضحايا في حرب 1948: فقد فقدوا وطنهم وأصبح 750 ألف منهم لاجئين. ومع ذلك، في صياغة إدوارد سعيد الملائمة، كانوا "ضحايا الضحايا". كان كل من المنتصرين والمهزومين، على حد تعبيره بشكل مؤثر، مترابطين باعتبارهم "مجتمعين من المعاناة". مرت عدة سنوات قبل أن أتوجه انتباهي إلى ضحايا آخرين للمشروع الصهيوني، وهم يهود الأراضي العربية.

ومن المفارقات أن التأثير الآخر لاكتشاف علاقتي الشخصية بالمحرقة هو جعلني أكثر انتقادًا لإسرائيل. لقد استخدم أصدقاء إسرائيل مراراً وتكراراً المحرقة لتفسير هوسها بالأمن وتبرير معاملتها القاسية للفلسطينيين. ومن ناحية أخرى، أدان منتقدو إسرائيل الأكثر تطرفاً من حين لآخر معاملة إسرائيل للفلسطينيين باعتبارها ليست أفضل من معاملة ألمانيا النازية لليهود. إن مثل هذه المقارنات بعيدة المنال: فرغم كل خطاياها، فإن إسرائيل لم تتورط في الإبادة الجماعية. ولكن ليس من المبرر أيضًا استخدام المحرقة كابتزاز أخلاقي لإسكات الانتقادات المشروعة لمعاملة إسرائيل للفلسطينيين.

الفلسطينيين. إن تجريد "الآخر" من إنسانيته لا بد أن تكون له عواقب وخيمة أيًا كان "الآخر". من المؤكد أن تجريد إسرائيل المنهجي من إنسانيته تجاه الشعب الفلسطيني كان له عواقب وخيمة؛ لقد مهدت الطريق لقمعهم ووحشيتهم.

تبرز الهولوكوست باعتبارها النموذج الأصلي للجريمة ضد الإنسانية. بالنسبة لي كيهودي وإسرائيلي، تعلمنا المحرقة أن نقاوم تجريد أي شعب من إنسانيته، بما في ذلك "ضحايا الضحايا" الفلسطينيين، لأن تجريد شعب من إنسانيته يمكن أن يؤدي بسهولة، كما حدث في أوروبا في الأربعينيات، إلى ارتكاب جرائم ضد الإنسانية. الإنسانية.



مسعودة ("صيدا") ني عوبديا

قصة صيدا

ولدت والدتي في بغداد في 31 تموز (يوليو) 1924. هي
جنسية الأب البريطانية التي حصل عليها عند ولادته في
امتد بومباي إلى زوجته وأطفاله الأربعة. لي
كان اسم الأم قبل الزواج مسعودة عوبديا، صيدا
(بمعنى بهيج) باختصار. عندما انتقلنا إلى إسرائيل في
وفي عام 1950 غيرت اسمها إلى عايدة. توفيت في عام 2021
يبلغ من العمر 96 عامًا في رمات غان، مسقط رأسنا في إسرائيل. كان لديها
جواز سفرين: واحد بريطاني، والآخر أمريكي. على الرغم من أنها
عاشت في إسرائيل معظم حياتها، ولم تكتسب إسرائيلية أبدًا
جنسية. اعتادت والدتي أن تخبر أي شخص يستمع
أن تاريخ الميلاد الموجود في جواز سفرها البريطاني كان خاطئًا.
ووفقا لها، قام والدها برشوة القنصلية البريطانية
موظفة تحمل ست زجاجات من الويسكي لتضعها جانبًا
أكبر بثلاث سنوات. كانت غامضة إلى حد ما بشأن ماذا
الميزة المحتملة التي يمكن أن يجلبها هذا لوالدها.

كما كانت دائمًا، كانت والدتي راوية مسلية، لكنها لم تكن دائمًا راوية متسقة.
لكن حاشا لي أن أشتكي: لقد كانت ذكراها استثنائية وتشكل الأساس لمحاولتي إعادة
بناء ماضي عائلتي. في هذا الفصل والفصل الذي يليه، شرعت في سرد
قصة سعيدة كما سمعتها منها على مر السنين، وبأكبر قدر ممكن من الدقة. تجسد
حياة والدتي التجربة الغنية لما يعنيه أن تكون عربيًا يهوديًا قبل وبعد ولادة
دولة إسرائيل.

ينحدر جد صيدا لأمه، هاسكل سلتون، من عائلة ثرية من أصحاب العقارات، ورث عن والده ثروة صغيرة على شكل أربعين مفتاحًا لأربعين منزلاً. أخبر الأب هاسكل أن أسرته يجب أن تكون قادرة على العيش من إيجار هذه المنازل وحدها لمدة سبعة أجيال دون الحاجة إلى القيام بأي عمل آخر. لسوء الحظ، فشل البطريرك في توقع أن ابنه الأكبر وورثه سوف يطورون ذوقًا في القمار. في تلك الأيام كانت جميع الزيجات تقريبًا يهودية

يتم ترتيب المجتمع من قبل الوالدين، وغالبًا ما يكون ذلك بمساعدة الخاطبة. كان المجتمع اليهودي متزمتًا إلى حد ما: كانت الفتيات محميات من الاتصال بالرجال وحتى مع الأولاد. على الرغم من هذه القواعد، كان هناك دائمًا خطر حدوث هفوات ومواجهات صدفة. كانت والدة هاسكل قلقة من أنه قد يلتقي بشخص لا يرقى إلى مستوى معايير العائلة، وقررت عدم ترك أي شيء للصدفة. لقد رتبت له خطبة ابنة عمه اليتيمة حبيبة عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها فقط، رغم أن الزواج الفعلي لم يتم إلا بعد أربع أو خمس سنوات.

بدأت عادة القمار لدى هاسكل بعد وفاة والده. وكان يلعب الورق في المساء في منزله الفخم مع أفراد من العائلات المسلمة البارزة في بغداد مثل آل باجاتشي وآل حيدري. أحبه أصدقاؤه لأن جيوبه عادة ما تكون ممتلئة بالمال. من جانبه، كان هاسكل يدبر في كثير من الأحيان الخسارة من أجل تملق ضيوفه؛ يبدو أن كونه يهوديًا بصحبة مسلمين من الطبقة العليا عزز غرائزه السخية بشكل طبيعي. كلما نقص المال، كان يبيع منزلاً. في النهاية لم يكن هناك منازل متبقية. لقد أُجبر على كسب لقمة العيش وأصبح صرفًا، مقرضًا للمال. رغم تراجع مستواه

ثروات كبيرة، احتفظ هاسكل بأسلوب حياته الباذخ وتصرفاته السهلة.

صيدا لأبيه، إسحاق شالوم يوسف عوبديا، في بغداد، لكنه ذهب عندما ولد جد
كان شابًا صغيرًا إلى الهند واستقر في بومباي، موطن جالية يهودية كبيرة،
ينحدر معظم أعضائها من العراق. وكان من الشائع بالنسبة للتجار اليهود البغداديين
أن يتجهوا شرقاً بحثاً عن أسواق جديدة وفرص جديدة. وفي بومباي، حافظوا على
لهجتهم اليهودية العربية، وأنشأوا معابدهم ومؤسسات مجتمعية خاصة بهم، وكانوا
يميلون إلى الزواج داخل مجتمعهم الخاص. كانت عائلة الساسون إحدى أشهر وأغنى
العائلات اليهودية العراقية في بومباي. ومن بغداد انتقلوا إلى بومباي في القرن
الثامن عشر وأصبحوا معروفين باسم "عائلة روتشيلد الشرق". وبينما كان آل
روتشيلد مصرفيين، كان الساسونيون تجارًا ومصنعين عالميين، وكانوا
يحكمون إمبراطورية تجارية امتدت إلى شنغهاي وهونج كونج وإنجلترا والعديد من
البلدان الأخرى.[1]

انضم إسحاق إلى شركة عائلة ساسون، وكان يعمل بشكل جيد
معهم وتزوج ابنة أخت رئيسه داود
ساسون. وتبين أن الزوجة كما قالت والدتي،
"ليس طبيعيا تماما". بعد أن أنجبت طفلاً، غرقت
إلى اكتئاب ما بعد الولادة. غسل الطفل تحت الصنبور
لقد أغرقت الرضيع عن غير قصد. وضعت عائلتها
أم مذهولة في مصحة للأمراض العقلية حيث ماتت
الشباب بشكل مأساوي.
زار إسحاق بغداد عام 1880 بحثًا عن زوجة ثانية. الآن بعد أن أصبح مزدهرًا
للغاية، قام بتعيين صانعي الثقاب للعمل. قدموا له موكبًا من الشابات لكن لم
يلفت نظر أي منهن حتى زيارة عائلة ماني حيث كانت الجدة وابنتها وحفيدتها مسعودة
يخبزون المهبوز، كعك التمر. مسعودة، الذي كان في السادسة عشرة أو السابعة
عشرة من عمره

الوقت، كان من الصعب العمل مع شويك. كانت جميلة جداً، ذات شعر داكن وعينين خضراوين، وخدودها حمراء من حرارة الفرن. وقع إسحاق في الحب من النظرة الأولى. عرض على الفور الزواج من مسعودة وإعادتها معه إلى الهند وتعويض أسرتها عن السماح لها بالرحيل. التفتت الجدة إلى مسعودة وسألتها إذا كانت تريد الذهاب إلى الهند. وبدون تردد أجاب مسعودة "نعم، نعم!" وبختها الجدة لموافقتها على التخلي عنهما بسهولة، لكن تم إبرام الصفقة على الفور مما أسعد الخاطبة. إخوة مسعودة الثلاثة، يهودا وموشيه ومنشيه، لم يشهدوا المشهد السعيد. ربما كان الأمر جيداً أيضًا، كما اكتشف إسحاق بنفسه لاحقًا، أنهم كانوا، على حد تعبير صيدا، "سمانين، كسالى، حاقدين ولا يصلحون لشيء".

في ذلك الوقت كان هناك خمسة وخمسون معبداً يهوديًا في بغداد، لذلك لم يكن هناك نقص في أماكن الصلاة، ولكن كان إسحاق متحمساً لتقديم مساهمة شخصية لمجتمعه، فاشترى منزل الحاخام أهارون سموحة وحوله إلى موقع لمجتمعه. كنيس. وكان يسمى الكنيس نيفي شالوم، واحة السلام. وكان اسمها الأكثر شهرة هو "سلات شاك شالوم"، أي كنيس إسحاق شالوم. وكان يقع في محلة الكشل قرب الشورجة وسط بغداد. ومثل معظم المعابد اليهودية الأخرى في بغداد، لم يكن المقصود منها أن تكون مكانًا للعبادة فحسب، بل أيضًا كمركز مجتمعي ومدرسة لتعليم اللغة العبرية للأطفال اليهود. اشترط إسحاق أن يتم التبرع كل عام بخمسين روبية من عائدات الكنيس إلى مدرسة عزرا الكاتب بالقرب من البصرة، حيث كانت المدرسة الدينية أكاديمية للدراسة المتقدمة للنصوص اليهودية.

بحسب سعيدة، فإن جدها حدد في الصك الذي أودعه في الطابو، السجل العقاري، الذي

سيكون الكنيس ملكًا ليهود بغداد طالما أنهم استخدموه كمكان للعبادة، لكن الملكية ستعود إلى نسله بعد ذلك. ولأنني لم أتمكن من التحقق من هذا الادعاء، كنت أرفض فكرة أننا الورثة الشرعيون لقطعة كبيرة من العقارات في بغداد. ومع ذلك، لم تكن والدتي من النوع الذي يتخلى باستخفاف عما تعتبره حقها المطلق وغير القابل للجدل في الملكية. لا بد أنها أخبرتني قصة الكنيس والتحذير المزعوم في الفعل ألف مرة. علاوة على ذلك، أصرت على أنه نظرًا لأنني كنت العضو الوحيد في العائلة الذي يعيش في بريطانيا ولأنني كنت أستاذًا محترمًا في جامعة أكسفورد، فمن واجبي البدء في إجراءات قانونية لاستعادة كنيسنا. وتزايدت الضغوط من أجل التحرك بشكل مطرد إلى أن رضخت في النهاية ـ لأكتشف أن الدولة العراقية، بما أن العراق كان في حالة حرب مع إسرائيل منذ عام 1948، لن تنظر في أي مطالبة قانونية من أي مقيم في إسرائيل.

بعد زيارة بغداد عام 1880، عاد إسحاق شالوم يوسف عوبديا إلى بومباي مع زوجته الشابة مسعودة. في بومباي استمر في الازدهار. تخصصت أعماله في تصدير البضائع من الهند إلى العراق، وكان هو وزوجته الثانية يتمتعان بأسلوب حياة فاخر في فيلا كبيرة، مع عربة تجرها الخيول وحاشية من الخدم الهندوس. اعتادوا قضاء العطلة في بيون، وهو منتجع لقضاء العطلات يتميز بطقس بارد بالقرب من بومباي، مع أفراد آخرين من عائلة ساسون، ويصطحبون معهم المغني وعازف الكمان ناحوم الكمنجاتي (كامنجا هي الكلمة العربية للكمان).

كان مسعودة يدخن النرجيلة أو الشامبانيا (المعروفة باسم الشيشة)، وهو أمر غير معتاد بالنسبة للنساء في تلك الأيام. وكان معها شيشة رائعة مصنوعة من الذهب ومزخرفة ببذخ. وفي أحد الأيام اختفت. تم استدعاء الشرطة. لقد اصطفوا جميع الخدم، وعندما لم يكن أحد يملك السرقة،

وأمروهم بالانحناء والوقوف بشكل متكرر دون انقطاع. كان هذا شكلاً من أشكال التعذيب. واستمر الأمر حتى انهارت خادمة مسنة من الإرهاق واعترفت بأنها سرقت الشيشة وأخفتها على السطح. كان الحكم القصير بالسجن بمثابة عقوبة تعسفية لها من قبل الشرطة وتحذيرًا قاسيًا للخدم الآخرين. كانت القسوة تكمن دائمًا تحت البذخ في بومباي.

وكان لإسحاق ومسعودة أربعة أولاد: مئير، وعبد الله، سلمان وجوزيف. وكان الابن الأكبر مئير، والد صيدا وجدي. ولد في بومباي في 16 سبتمبر 1882. اسمه الكامل مئير إسحاق شالوم عوبديا. بعد أن جمع ثروته وعاش في الهند لمدة على مدار خمسين عامًا، قرر إسحاق بيع شركته وتحقيقها أصوله والعودة إلى بغداد للتقاعد. كانت زوجته حريصة بشكل خاص على العودة إلى بغداد للانضمام إلى عائلتها. ولما مات إسحاق أوصى لأولاده الأربعة ثروة هائلة. بصفته الابن الأكبر، تمكن مئير من إدارة الميراث. لقد صورت والدتي أبناءها على أنهم ضعفاء، كسول وشره للإقلاع. لعدد لا بأس به من السنوات، عاش مئير وإخوته حياة ترفيهية. كانوا يعيشون في منزل الوالدين الكبير، احتفظ بقارب المتعة على النهر، وتناول الطعام جيداً واستهلكوا كميات كبيرة من العرق المقطر الروح الشامية لليانسون تشرب العائلة مع الكحول محتوى 40-63٪. أقاموا الحفلات التي استأجروا من أجلها مشاهير المطربين وأنفقوا الأموال بإسراف. وفق إحدى القصص الملفقة التي قضى الأخوان أيامهما فيها مستلقين الأراجيح مربوطة بالأشجار في الحديقة، وبين الحين والآخر ومرة أخرى يأتي خادم ومعه زجاجة عرق إعادة ملء نظاراتهم.

خلال هذه المرحلة الخالية من الهموم من حياته، التقى مئير بموزلي هاسكل سلطون وتزوجها على مضض. لقد كان عازبًا مؤهلاً، ومتعلمًا جيدًا وثريًا، وأكثر من ذلك

كان الآباء اليهود سيشعرون بسعادة غامرة لوجوده مثله
صهرهم. وقد قدمت له العديد من الشابات
من قبل صانعي الثقاب، لكن لم يرضي أي منهم متطلباته
متطلبات. وفي أحد الأيام قدموه إلى موزلي، وهو طويل القامة
فتاة ذات شعر أسود مجعد، ليست جميلة بشكل خاص ولكنها ذكية،
حية ومسلية. وأبلغ أن موسلي جاء
من منزل جيد وستكون زوجة وأم مخلصة.
كان مئير قد عاد للتو من قاربه حيث استمتع
الغناء والعزف على الأكوردين واحتساء العرق. في حالة سكر، هو
لم يحكم على الموزلي بمعاييره العالية السابقة. بواسطة
وبالصدفة، عرف والدها هاسكل سلتون نعمة عظيمة.
كان هاسكل، كما ذكرنا سابقًا، شخصًا لطيفًا وسهل التعامل معه
شخصية طيعة. اعتاد مئير على تسميته ماي بالي واش
ikhalif. ،ترجمة هذا يعني تقريباً: "لا تقلق، لا بأس
لا يهم'. عندما تم تقديمه للموزلي، هو
فقال: آه، هي ابنة مي بالي وعش خلف! هو
افترضت أن موسلي سيكون لطيفًا ومعتدلًا مثله.
مهذب مثل والدها وتم إقناعه بالحصول عليه
مخطوبة لها.

وسرعان ما أدرك مئير أنه ارتكب خطأ فادحا. وكانت خطيبته صعبة وجدلية. وأبلغ الحاخام أن لديه أفكارًا أخرى ويريد فسخ الخطوبة. أصيب الحاخام بالذعر: ففي بغداد في تلك الأيام كانت الخطبة تتطلب وثيقة موقعة، تشبه عقد الزواج. وحكم بأنه إذا أراد مئير فسخ الخطبة، فسيتعين عليه أن يدفع لعائلة موزلي خمسمائة عملة ذهبية، كما هو محدد في الوثيقة، لتعويضهم عن العار. على مضض، أخرج مئير خمسمائة قطعة ذهبية، وأعطاها لخاله، مناشي ماني، وطلب منه تسليمها إلى الحاخام بلعنة.

أثناء سيره على طول النهر نحو منزل الحاخام، مر مناشي برجل على متن قارب في النهر، وهو يصرخ "واحد".

دينار إلى البصرة! دينار واحد للبصرة! قال مناشيه: «هل أبني بيتًا أم أهدمه؟» هذا المال ليس للزواج بل للطلاق». وبدلاً من تسليم المال باللعنة، اشترى تذكرة إلى البصرة حيث ذهب بالقارب إلى الهند واختفى. لم يكن لدى مئير خمسمائة عملة ذهبية أخرى، لذلك مضى في الزواج من موزلي. بعد ولادة ثلاثة أبناء في تتابع سريع، وبعد خمسة عشر عامًا من الزواج، أنجبت موزلي طفلة أسموها مسعودة.

في مرحلة ما بعد زواج مئير، التقى به عبد الله، أحد إخوته، وسأله: أين نصيبي من إرث والدنا؟ أجاب مئير أنه أنفق معظمه في تربية عبد الله وشقيقيهما الآخرين. رفض عبد الله هذا التفسير ورفع مئير إلى المحكمة. وحكم القاضي لصالح عبد الله. وبما أنه بحلول هذا الوقت لم يكن لدى مئير أي أموال، جاء المحضرون للاستيلاء على محتويات المنزل، بما في ذلك ماكينة الخياطة الخاصة بموزلي. هذا أغضبها. احتجت أمام القاضي وأخبرته أن ماكينة الخياطة مملوكة لها وأنها هدية زفاف من والديها. ولم يتأثر القاضي. كان يهوديًا واسمه الأول شاؤول. لم يخاطبه الموزلي باسم "حضرة القاضي" بل باسم شاؤول الأسود - شاؤول الأسود - وصرخ: "أليست زوجتك تمتلك ماكينة الخياطة الخاصة بها؟!"

وبعد تجريده من بقايا ميراثه وممتلكاته الدنيوية، كان على مئير أن يجد وظيفة. كانت موطنه في اللغات: كان يتحدث العربية والإنجليزية والفرنسية والتركية والفارسية. كان قد انتقل مع والديه من بومباي إلى بغداد عندما كان في السادسة عشرة من عمره تقريبًا، وفي بغداد التحق بمدرسة التحالف للبنين، التي كانت تدرس في تلك الأيام اللغات الرئيسية للإمبراطورية العثمانية. كان مئير يتحدث العربية بلكنة هندية، لكن إتقانه لها كان بلكنة هندية

اللغة الإنجليزية كانت مثيرة للإعجاب. تم تعيينه كمترجم فوري في القنصلية البريطانية في بغداد. وفي النهاية، استقال مئير من منصبه هناك وحصل على وظيفة محاسب في إحدى وزارات الحكومة العراقية.

أدت الموجة القومية التي اجتاحت العراق منذ الثلاثينيات إلى إنهاء حياته المهنية. وقيل لمئير إنه إذا أراد الاحتفاظ بوظيفته، فعليه أن يتخلى عن جنسيته البريطانية. وكان هذا ينطوي على خيار مؤلم. في البداية كان مئير يميل إلى الاستمرار في وظيفته وفقدان جواز السفر. ولكن بعد التفكير مرة أخرى، قرر الاحتفاظ بجواز سفره. لقد ترك الخدمة المدنية ولم يندم على شيء. بل على العكس من ذلك، فقد أقام حفلاً للاحتفال بتحديه للسلطات ونجاحه في الاحتفاظ بجواز سفره البريطاني، وهو أمر يثير فخراً كبيراً. عرض الوثيقة إلى جانب الكعكة الاحتفالية، وشرب مشروبات سخية من العرق، وغنى الأغاني الإنجليزية وهو يعزف على آلة الأكورديون.

لم يبق مئير عاطلاً عن العمل لفترة طويلة. انضم له الأخ الأصغر جوزيف، تاجر سلع مع أعمال الاستيراد والتصدير. وكان له علاقات مع التجار في آسيا وأفريقيا وكانوا يشترون منهم مختلف البضائع مثل الشاي والقهوة والسكر والبهارات. كان لدى يوسف قائمة الأسعار، ويقوم عملاؤه العراقيون بتقديم الطلب والدفع عند التسليم. ازدهر الأخوان بشراء فيلات جديدة لهما عائلاتهم.

استذكرت سعيدة طفولتها في بغداد بحنين كبير. واعتبرت نفسها طفلة محظوظة، مدللة من قبل عائلتها الممتدة. باعتبارها الفتاة الوحيدة، كانت محط اهتمام كبير. والدها شغوف بها. كان لديها ثلاثة إخوة أكبر منها سناً وسبعة أعمام، بعضهم سافر للعمل وأحضر لها الحلويات وجميع أنواع الألعاب والملابس العصرية. كما تم تشجيعها على ممارسة أي أنشطة ترفيهية تحبها.

عندما كانت طفلة رضيعة، كانت تغطس في الماء في كل مرة
الفرصة - أصل شغفها بالسباحة. في
في سن الخامسة، بدأت في تلقي دروس السباحة مع
المعلمة التي سبق لها أن قامت بتدريب إخوتها. كانت
المغامرة بشكل متزايد في مياه نهر دجلة،
القفز من فوق الجسور والقيام بالأعمال المثيرة والمشاركة فيها
المسابقات. وفوق كل ذلك، مارست رياضة ركوب الخيل
والرقص.

على عكس الرجال في الأسرة، لم تظهر موزلي الكثير من المودة الجسدية تجاه
ابنتها. كانت مهتمة، ولكن ليس برهانا. بصفتها طاهية، لم تميز موزلي نفسها
أيضًا. كانت الوجبات التي طهتها أساسية إلى حد ما؛ كان النظام الغذائي الأساسي هو
الدجاج والأرز. عند تقديم الدجاج، كانت تعطي الصدر والأرجل للرجال والأجنحة
لصيدا الصغيرة. وعندما احتجت سعيدة بشكل معتدل على هذا التمييز، ردت والدتها
بأنها فتاة وليست فتى، لذا فهي بحاجة إلى أجنحة لتطير بعيدًا عن المنزل
وتتزوج وتربي أسرتها.

تلقت سعيدة تعليمها في مدرسة لورا خضوري للبنات في بغداد - أشهر مدارس
التحالف. التحالف هو الاسم المختصر للتحالف الإسرائيلي العالمي، وهي منظمة
يهودية مقرها باريس تأسست عام 1860 من قبل اليهود الفرنسيين الأثرياء لجلب نور
الغرب إلى إخوانهم في الدين في الشرق. سعت إلى الجمع بين التراث والحداثة
والتفوق في الدراسات العامة واليهودية. كان شعار المنظمة هو الأمر الحاخامي "يتحمل
جميع اليهود مسؤولية بعضهم البعض". ركزت مدارسها على اللغات الأوروبية، وخاصة
الفرنسية، والعلوم الحديثة. وكانت لغة التدريس الرئيسية هي الفرنسية، وهي
اللغة التي يتم بها تدريس التاريخ والجغرافيا والرياضيات والعلوم.

استخدم التحالف التعليم العلماني كوسيلة للحراك الاجتماعي. وكانت لها "مهمة حضارية" واضحة: انتشال اليهود مما اعتبره البعض تخلف الأراضي العربية. وفي عام 1864 تم افتتاح أول مدرسة التحالف للبنين في بغداد. في عام 1893 تم افتتاح مدرسة للبنات. كانت قيم المنظمة هي الانفتاح والتسامح وتكافؤ الفرص، وبالتالي فهي لا تستبعد غير اليهود. ومع ارتفاع سمعة التحالف، بدأ عدد قليل من المسلمين والمسيحيين بإرسال أطفالهم إلى مدارس التحالف. في هذه البيئة الغربية والعالمية، تلقت سعيدة تعليمها الابتدائي والثانوي. كانت إحدى ذكرياتها المبكرة هي زيارة الملك فيصل الأول لمدرسة لورا خضوري بصحبة الحاخام الأكبر وقادة آخرين من الجالية اليهودية. وقد حرص فيصل على زيارة كل مدرسة يهودية في بغداد في سعيه لاحتضان الأقليات وتشكيل أمة عراقية موحدة.

في ذكريات سعيدة، كان التحالف مدرسة سعيدة وتقدمية ذات معايير عالية بشكل خاص في اللغات: جاء مدرسو اللغة الفرنسية من باريس، ومدرسو اللغة الإنجليزية من لندن، وبعض معلمي اللغة العربية من بيروت، أحد المراكز الثقافية في العالم العربي. . لكن سعيدة لم تتفوق في دراستها. كانت مهتمة أكثر بالأنشطة الرياضية والرقص والنوادي والحفلات والاستمتاع. تركت المدرسة في سن السابعة عشرة بدرجات متفاوتة من الكفاءة في أربع لغات. ولأنها تعلمت اللغة الفرنسية، فقد كانت تتحدثها بطلاقة، دون أي أثر للكنة. وفي التسعينات من عمرها، كانت تتباهى بإعلان مبدأ أرخميدس باللغة الفرنسية.

كان التحالف الإسرائيلي العالمي على خلاف مع الحركة الصهيونية التي ظهرت في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر. وطالبت الصهيونية

اليهود يغادرون منازلهم وينضمون إلى مشروع بناء دولة يهودية مستقلة في الشرق الأوسط. ومن ناحية أخرى، سعى التحالف إلى الحفاظ على المجتمعات اليهودية كأعضاء أساسيين في مجتمعاتهم. ونتيجة لذلك، وجدت الحركتان نفسيهما في لعبة شد الحبل حول الجاليات اليهودية في جميع أنحاء العالمين العربي والإسلامي. 2

أثناء نشأتها، لم تكن صيدا على علم بهذه المعركة بين الأيديولوجيات التي أدت إلى انفصال المجتمع اليهودي العالمي تدريجيًا. عززت مدرستها الوطنية العراقية مثل أي مدرسة أخرى، حيث غنت جميع الفتيات أنشودة لخير الملك فيصل الأول باعتباره "أفضل ملك في العالم". في عام 1933، عندما توفيت فيصل في ظروف مريبة، بكت هي وزملاؤها جميعًا، مطالبين بإحراق برن وتدمير سويسرا.

وقامت مدرسة التحالف للبنين بغرس قيم مماثلة واغتنم خريجوها الفرص المهنية التي أتاحها الانتداب البريطاني والدولة التي خلفته، وانتهى بهم الأمر كموظفين مدنيين وإداريين ومحاسبين. أصبح اثنان من إخوة صيدا ضابطين في جهاز المخابرات بالجيش البريطاني. بحلول هذا الوقت، كانت القومية العراقية الأكثر حزماً في طور التحرك وكانت الثورة في طور التكوين. ولم يكن أحد يعلم حينها مدى أهمية ذلك بالنسبة لمستقبل اليهود العرب.



صيدا في ميدان الطرف الأغر

خمسة

الاتصال البريطاني

في عام 1941، كان صيدا في السادسة عشرة من عمره. اندلعت الحرب في أوروبا، واقتربت أهوالها من بغداد، عالم بعيد عن وجودها المحمي السابق. ومع انتشار كراهية الأجانب في جميع أنحاء البلاد، وجد المواطنون البريطانيون واليهود أنفسهم فجأة في مواجهة مخاطر جديدة، وكانت صيدا على حد سواء. في ظلال القومية العراقية الجديدة، استعد رشيد علي الكيلاني للاستيلاء على مقاليد السلطة مرة أخرى. لقد كان مناهضًا لبريطانيا، ومؤيداً للقومية العربية، ومؤيدًا للنازية. وأعرب عن أمله في أن يساعد انتصار المحور العراق على تحقيق الاستقلال الكامل. وقد ضغط عليه الوصي عبد الإله للاستقالة من منصب رئيس الوزراء في يناير 1941، بعد أن رفض قطع العلاقات مع إيطاليا في عهد موسوليني. رشيد علي لن يتحمل هذه الهزيمة مستلقيا. كان رشيد علي مدعومًا بحماس من قبل أربعة جيوش

الضباط المعروفون باسم "المربع الذهبي"؛ رفضوا الملكية والسياسيين الذين فرضتهم بريطانيا منذ عام 1921 فصاعدا. كما كثفت ألمانيا النازية دعايتها في العراق، أصبحت المشاعر المعادية لبريطانيا متشابكة مع معاداة السامية. بالنسبة للمربع الذهبي، كان البريطانيون كان المستعمرون الأجانب واليهود إمبرياليين وكلاء. لقد كان العراق جزءاً من أمة عربية أكبر اليهود لا ينتمون.

كما تم نشر الدعاية المعادية لليهود من قبل مجموعة من اللاجئين العرب من فلسطين. وكان على رأسهم

المفتي العام الحاج أمين الحسيني، زعيم الحركة الوطنية الفلسطينية، الذي اختلف مع الإنجليز بسبب رعايتهم وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. في عام 1939 وصل الحاج أمين إلى العراق وبدأ في إدانة اليهود المحليين لتعاونهم المزعوم مع كل من البريطانيين والصهاينة. ولم يفرق بين الصهيونية كحركة استعمارية استيطانية واليهودية كدين. وتحدث عن يهود العراق باعتبارهم "العدو الداخلي". وقد تم التقاط رسالته وإعادة تدويرها من قبل الصحف اليمينية والسياسيين المثيرين للرعاع. لذلك، في حين أن معاداة السامية في بغداد كانت في تزايد واضح، إلا أنها كانت مستوردة من الخارج أكثر من كونها منتجًا محليًا.

أدت الاستقالة القسرية للحكومة القومية إلى تفاقم عدم الثقة في بريطانيا والعائلة المالكة. خطط رشيد علي مع أعضاء المربع الذهبي لاغتيال عبد الإله والاستيلاء على السلطة. وفي 31 مارس اكتشف عبد الإله المؤامرة. هرب هو وبقية العائلة المالكة إلى الأردن، الذي كان يحكمه فرع آخر من العائلة الهاشمية. في اليوم التالي، نفذ المربع الذهبي انقلابهم. وبعد يومين، حلت "حكومة الدفاع الوطني" محل حكومة الوصي وأصبح رشيد علي رئيسًا للوزراء مرة أخرى. كان أحد الإجراءات الأولى للحكومة الجديدة هو إرسال قوة مدفعية عراقية لمواجهة قاعدة سلاح الجو الملكي البريطاني في الحبانية وبدء الحصار.

فضل المشير أرشيبالد ويفيل، القائد الأعلى للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، والسير كيناهان كورنواليس، السفير البريطاني في العراق، إجراء مفاوضات مع المتمردين، لكن ونستون تشرشل رأى أن هذا بمثابة استرضاء ونقضهم. بالنسبة للإمبراطورية المحاصرة، كانت المخاطر كبيرة. اعتمد أسطول البحر الأبيض المتوسط بشكل كامل على النفط المرسل من الموصل إلى العراق

مصافي التكرير في حيفا عبر خط أنابيب يبلغ طوله 600 ميل. وعلى حد تعبير مجلة تايم، كان هذا "الشريان السباتي للإمبراطورية البريطانية". 1

وكان العراق أيضًا جسرًا بريًا مهمًا بين مصر والهند. خوفًا من وجود رأس جسر مؤيد للنازية في الشرق الأوسط وفقدان السيطرة على حقول النفط العراقية، أمر تشرشل بعمل عسكري قوي. بناءً على أوامره، هبطت وحدة من الجيش الهندي في البصرة بينما تم إرسال قوات الفيلق العربي بقيادة بريطانيا (هابفورس) عبر 1000 كيلومتر من الصحراء من الأردن. وتقاربت القوتان في بغداد بحركة الكماشة. وبحلول نهاية شهر مايو، كانت بريطانيا قد أكملت إعادة احتلال البلاد فيما كان بمثابة تراجع عن الاستقلال الذي اكتسبته البلاد، اسميًا على الأقل، في عام 1932. وقد أطلق البريطانيون على عملهم اسم "حرب الثلاثين يومًا". وكان الغرض من التدخل العسكري هو إحداث تغيير في النظام. في 29 مايو، أصيب رشيد علي، المفتي الأكبر، وأربعون من أنصارهم بالذعر وفروا إلى إيران ومنها إلى أوروبا التي تحتلها ألمانيا، تاركين وراءهم فراغًا خطيرًا في السلطة. وسارع أحد الأشخاص في وزارة الخارجية، مستحضراً قصة أطفال عراقيين قديمة، إلى إطلاق لقب "علي بابا والأربعين حرامي". في 31 مايو، تفاوض كورنواليس على هدنة مع القوات العراقية.

خلال الفترة القصيرة التي تلت ذلك، وقعت الكارثة على شكل مذبحة عنيفة ضد الطائفة اليهودية في بغداد، والتي أصبحت تعرف باسمها العربي باسم الفرهود. وتعني الكلمة حرفيًا "انهيار القانون والنظام". الرجل الذي تحمل النصيب الأكبر من مسؤولية هذه الكارثة في العاصمة العراقية كان كورنواليس، رجل عملاق، طوله أكثر من ستة أقدام، منعزل ومتغطرس ومراوغ إلى حد ما. وبمجرد وصول القوات البريطانية إلى بغداد، تم وضعها

تحت قيادته بدلاً من رؤسائهم العسكريين، وكان السفير يسترضيهم.

في صباح الأول من يونيو، عاد الوصي إلى بغداد وبدأ مهمة تشكيل حكومة موالية. قبل يومين، وصل هابفورس، العمود البريطاني الميكانيكي القادم من الأردن، إلى ضواحي المدينة، على بعد حوالي خمسة كيلومترات من وسط المدينة. أمر كورنواليس هابفورس بالبقاء حيث كانوا، وعدم عبور نهر دجلة، وعدم دخول المدينة. أمر كورنواليس قوة الجيش الهندي، التي كانت في طريقها من البصرة، بوقف تقدمها والتخييم على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً من بغداد على الجانب الغربي من نهر دجلة. كان السبب وراء هذه الأوامر الغريبة هو رغبة كورنواليس في تجنب الانطباع بأن الوصي قد عاد إلى السلطة بسبب التدخل العسكري البريطاني. وقال إن وجود الحراب البريطانية في بغداد من شأنه أن يقلل من كرامة حليفهم. ومع ذلك، كانت تلك هي الحقيقة الصارخة: لم يكن من الممكن أن يعود الوصي الذي لا يحظى بالشعبية، والذي كان يُنظر إليه على نطاق واسع على أنه عميل بريطاني، إلى السلطة دون دعم تلك الحراب البريطانية.

كان إبقاء الجيش على مسافة بعيدة بمثابة خطأ فادح في التقدير. وأدى ذلك إلى حالة من الفوضى لعدم وجود رجال شرطة في الشوارع لحفظ السلام. علاوة على ذلك، سمحت الهدنة التي وقعها كورنواليس للجيش العراقي بدخول العاصمة طالما بقي على الجانب الشرقي من نهر دجلة. أما الجانب الشرقي فيشمل وسط المدينة والأسواق والمركز التجاري والأحياء التي يعيش فيها معظم اليهود. وهكذا تم التخلي عن المدنيين تحت رحمة الجنود المهزومين ولكنهم ما زالوا مسلحين وغاضبين يسعون للانتقام. وكان اليهود هدفاً واضحاً لأنه كان يُنظر إليهم على أنهم أصدقاء للبريطانيين. كما قال إيلي قدوري، الباحث اليهودي العراقي البريطاني

"هكذا كان يهود بغداد يتعرضون للقتل والنهب باعتبارهم من أنصار البريطانيين." 3

وقد غذت الشكوك حول عدم ولاء اليهود لبلدهم بسبب سوء الفهم. شاهدت مجموعة من الجنود العراقيين الذين كانوا يعبرون جسر الخير إلى الجانب الغربي من بغداد مجموعة صغيرة من اليهود يرتدون ملابس احتفالية، ويسيرون في الاتجاه المعاكس. وبما أنه كان يوم الأحد، وليس السبت اليهودي، فقد افترض الجنود أن اليهود قد ارتدوا ملابسهم للترحيب بالوصي. وصادف أن يوم الأحد هذا هو اليوم الأول لعيد الأسابيع اليهودي المقدس. يصادف عيد الأسابيع نهاية موسم حصاد القمح ويحيي أيضًا ذكرى اليوم الذي أعطى فيه الله التوراة لشعب إسرائيل المجتمعين في جبل سيناء. وفي العيد ارتدى اليهود أرقى ثيابهم، ومعظمها بيضاء، واحتفلوا في الشوارع وهم في طريقهم إلى الكنيس. وهاجم الجنود اليهود، فقتلوا واحدًا وجرحوا ستة عشر آخرين، وأثاروا موجة من أعمال الشغب. أصبح الاحتفال البريء بعيد يهودي بمثابة الشرارة لمذبحة بربرية. حشد غاضب مسلح بالسكاكين والعصي والفؤوس هاجم اليهود في الحافلات وفي الشوارع وفي منازلهم في الأحياء اليهودية والمختلطة. في المساء، أوقف حشد مسعور حافلة مليئة باليهود وتم جر ركابها إلى الخارج وذبحهم وتشويههم.

وفي الليل، هاجم جنود ومدنيون وشباب مسلحون المزيد من منازل اليهود. لقد قتلوا واغتصبوا ونهبوا وأضرموا النار في المنازل. وشهد اليوم التالي المزيد من أعمال الشغب والحرق العمد مع وصول أشخاص من خارج المدينة. وكان معظم الوافدين الجدد من سكان الأحياء الفقيرة على الجانب الآخر من نهر دجلة والبدو الذين استقروا في ضواحي المدينة. في حين شهد اليوم الأول فظائع شرسة ضد اليهود، شهد اليوم الثاني فلاحين و

الفقراء من الأطراف يأتون للنهب وبالتالي يتجهون إلى المناطق اليهودية الميسورة.

وفي يومين من الفوضى، قُتل 179 يهوديًا وجُرح عدة مئات آخرين. ودفن القتلى في مقبرة جماعية ونقل الجرحى إلى المستشفيات. تم نهب 586 متجرا و 911 منزلا. وقدرت الأضرار في ذلك الوقت بعدة ملايين من الجنيهات. لم يتم قمع أعمال الشغب حتى مساء اليوم الثاني - وتم قمعها بسرعة كبيرة بمجرد أن أعطى الوصي الجيش الأمر بإطلاق النار. ويبدو أن التأخير في إصدار الأمر كان بسبب خوفه من استعداء القوات المسلحة العراقية المناهضة بشدة لبريطانيا. وكان ينتظر وصول القوات الآشورية من كركوك التي لم تلوثها الدعاية النازية وكانت موالية له. وأودت العملية بحياة حوالي مائة من غير اليهود، معظمهم من اللصوص العزل.

4

لقد هز الفرهود المجتمع اليهودي العراقي برمته حتى النخاع. بالنسبة للبعض، كان ذلك بمثابة تدمير الجنة اليهودية العراقية. كان مثل هذا الهجوم الشرس على اليهود غير متوقع على الإطلاق وغير مسبوق. ولم يكن هناك أي هجوم آخر على الجالية اليهودية في القرون الأخيرة. وكان ذلك مخالفًا لتعاليم القرآن وانتهك قوانين الشريعة المتعلقة بمعاملة أهل الذمة أو "الأقليات المحمية". إن "التوجه العراقي" الذي ترسخ منذ عشرينيات القرن الماضي أصبح الآن موضع تساؤل. وأثيرت شكوك جدية حول إمكانية التعايش بين المسلمين واليهود في وطنهم المشترك. كان قادة المجتمع ملزمين بالانخراط في البحث الصادق عن الذات.

في البداية بدا أن حلم الاندماج في المجتمع العراقي قد تحطم بشكل لا رجعة فيه بسبب أحداث 1-2 حزيران/يونيو. ولكن بعد أن تلاشت الصدمة الأولية، استعاد غالبية القادة، الحاخام الأكبر والمجلس المنتخب المكون من ستين عضوًا، الأمل في إمكانية عودة الحياة إلى طبيعتها.

طبيعي. لقد ثبطوا عزيمة العديد من أفراد مجتمعهم الذين أرادوا الهجرة في أعقاب الفرهود مباشرة وشددوا على أهمية إعادة الإدماج. بعد وقت قصير من وقوع الحدث، أصبح القادة ينظرون إلى الفرهود باعتباره انحرافًا، باعتباره نتاجًا لظروف غريبة في الفترة الفاصلة بين زوال النظام الفاشي واستبداله بنظام أكثر اعتدالًا. وعزز الإيمان بإمكانية مستقبل أفضل.

بينما كان الجيل الأكبر سناً من اليهود يميل إلى اتباعهم
ومع ذلك، كان جيل الشباب أكثر تشككا.
بالنسبة لهم لم يكن الفرهود مجرد حلقة عابرة بل
دليل على عداء المسلمين الثابت. وكان المتمردون
ينقسمون إلى مجموعتين رئيسيتين: أنصار الصهيونية
وأنصار الشيوعية. وكانت كلا المجموعتين
أشعر بخيبة أمل عميقة تجاه بريطانيا العظمى لأن
وكان الجيش البريطاني يقف على أبواب بغداد حينذاك
وكان المدنيون الأبرياء يتعرضون للنهب والقتل. وكلاهما
تشترك المجموعات في الفرضية القائلة بأن الحياة لليهود كانت كذلك
لا يطاق في العراق كما كان في ذلك الوقت. ل
وكان الجواب الوحيد للصهاينة هو انضمام يهود العراق
الحركة الصهيونية والهجرة إلى فلسطين. ال
لقد اعتقد الشيوعيون أنه لكي يتمكنوا من العيش في العراق
كمواطنين متساوين، كان هناك إصلاح جذري للنظام
مطلوب. لقد اعتقدوا أن انتصار الشيوعية في
وسيضع العراق حداً للتمييز ضد الجميع
الأقليات، بما في ذلك اليهود.

على الرغم من أن سعيدة كانت مراهقة فقط في ذلك الوقت، إلا أنها كانت تحتفظ بذكريات حية عن الفرهود. تلقي قصتها بعض الضوء على السياسة المعقدة التي تكمن وراء المأساة الرهيبة التي تكشفت أمام عينيها. وبما أن الفرهود كان يكتسب مثل هذه الأهمية في الذاكرة الجماعية لليهود العراقيين، وبما أن هناك تفسيرات متضاربة لهذه الأحداث، فقد

الذكريات تستحق أن تتعلق ببعض التفاصيل. بالإضافة إلى ذلك، فإن جميع روايات الفرهود المتوفرة لدينا تقريبًا كتبها رجال. ولم ترغب الجالية اليهودية في نقل تجربة النساء، وخاصة اللاتي تعرضن للاغتصاب، ونادرا ما تُروى قصصهن. تقدم سعيدة ووالدتها منظوراً أنثوياً نادراً.

في قلب الأدبيات الموجودة يكمن سؤال نقدي: هل رأى اليهود العراقيون في الفرهود استمرارًا لتاريخ طويل وحزين، مشابه لتاريخ يهود أوروبا، من العصور الوسطى إلى المحرقة؟ ويؤكد بعض المعلقين أن معاداة السامية التي أظهرها المسلمون في عام 1941 كانت مجرد حلقة أخرى في سلسلة طويلة من الكراهية والاضطهاد، وهو نوع من المعادل العربي لـ ليلة الكريستال في ألمانيا النازية. قام مارك كوهين، الأستاذ في جامعة برينستون والخبير البارز في العلاقات الإسلامية اليهودية، بفحص المذكرات اليهودية العراقية ذات الصلة بهذه الفترة وخلص إلى أن مؤلفيها لم يشاركوا هذا الرأي. بالنسبة لهم، لم يكن الفرهود حدثًا معاديًا للسامية، بل كان نتاجًا لعوامل سياسية خارجية معقدة. ولم يكن الفرهود في نظرهم حلقة في سلسلة طويلة من الكراهية والاضطهاد، بل بداية فصل جديد في تاريخهم. 6

شهادة سعيدة المباشرة لها تأثير على هذا النقاش. إنه يمس جوانب مختلفة من الفرهود إلى جانب معاداة السامية. وتسلط روايتها الضوء على المشاعر المعادية لبريطانيا التي كانت سائدة في المجتمع العراقي في ذلك الوقت، وهي المشاعر التي ساعدت على إشعال ثورة رشيد علي الكيلاني الوطنية وتداعياتها الدموية. بمعنى ما، توفر تجربة سعيدة دليلًا صغيرًا يدعم وجهة نظر كل من مارك كوهين وأوريت باشكين بأن الفرهود لم يكن مجرد مظهر من مظاهر الإسلام الراسخ والمشترك على نطاق واسع.

العداء لليهود إنما هو ظاهرة." أكثر تعقيدا

عندما استولى رشيد علي على السلطة، كان أحد آخر الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الملكية المنتهية ولايتها هو إصدار إعلان يدعو جميع الرعايا الأجانب إلى طلب الحماية في أقرب سفارة أجنبية. وكان والدا سعيدة قد اشتريا مؤخراً قصراً كبيراً وجميلاً في منطقة الكرادة على الضفة الشرقية لنهر دجلة. في الجزء الخلفي من المنزل كانت هناك حديقة كبيرة بها مروج وأزهار النرجس البري والأزهار والأقحوان والخطميات وزهور الحائط ومجموعة من أشجار النخيل. لم يكن أي من إخوتها متزوجًا بعد وكانوا جميعًا يعيشون في منزل العائلة. ولم يستجيب الأهل لدعوة الحكومة المنتهية ولايتها. لقد كانوا مترددين في ترك منزلهم الجديد وشعروا أيضًا أنه من غير المحتمل أن يتعرضوا للأذى بسبب تقدمهم في السن. كان الأخوان سيختاران الذهاب إلى السفارة البريطانية، لكنها كانت بعيدة على الجانب الغربي من النهر بينما كانت السفارة الأمريكية على جانبهما. وقرروا الذهاب إلى السفارة الأمريكية بدلاً من ذلك. طلب الوالدان من الإخوة اصطحاب أختهم المراهقة معهم، خوفًا من تعرضها للخطر إذا بقيت في المنزل. لذلك توجه الأشقاء الأربعة إلى السفارة الأمريكية ومكثوا هناك لمدة شهر حتى هدأت الأزمة.

أحد الأسباب المحددة لقلق الوالدين على سلامة ابنتهما هو أنه في منطقة الكرادة، على مسافة ليست بعيدة عن منزلهما، كانت توجد الأكاديمية العسكرية الملكية، وهي مدرسة للطلاب الضباط. واستغرقت فترة التدريب ستة أشهر، وبعد التخرج حصل الطلاب على رتبة نائب ثابت أو نائب ضابط. التدريب اليومي للطلاب، تحت إشراف رقيب أول شرس المظهر ذو شارب مقود، أخذهم عبر منزل أجدادي. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً من الطلاب لاكتشاف الجميلة

تلميذة تعيش في المنزل. عندما يقتربون، كان الرقيب يصرخ بأمر لتحويل كل الرؤوس إلى اليسار، لكن الطلاب كانوا يديرون أعينهم إلى اليمين على أمل إلقاء نظرة عليها.

على الرغم من أن رمي العائلة المالكة من النافذة أعقبته فترة من القلق والتوتر الشديدين، إلا أن سعيدة قضت وقتًا ممتعًا في السفارة. في هذه السن المبكرة، كانت لديها موهبة تحسد عليها لتحقيق أقصى استفادة من أي موقف جديد. لقد تصرف المضيفون الأمريكيون، من السفير إلى الأسفل، بلطف واحترام لا ينقطعان تجاه ضيوفهم غير المدعوين. وكان من بين الضيوف عدد من اليهود العراقيين، لكن غالبيتهم كانوا مواطنين أميركيين يملكون أعمالاً تجارية في بغداد أو يعملون في شركات النفط. وخصصت السفارة مبنى للنساء وآخر للرجال. وكان الطعام كافياً، ولكن كان هناك نقص في بعض السلع الأساسية بسبب حالة الطوارئ. تمكن أحد مالكي أحد المتاجر الكبرى من ترتيب عمليات توصيل خاصة للطعام. ولم يشتكي أحد إلا شابة تحب الطعام وتطالب بالمزيد. وعندما سُئلت عن سبب احتياجها الشديد، أجابت: "أنا ساندي، ولست غاندي!". تم تقديم عرض كل مساء لفائدة الضيوف. ساعد إسحاق شقيق صيدا الأكبر في الترفيه عن الضيوف وموظفي السفارة من خلال وضع شارب مزيف وتقليد أدولف هتلر.

دبلوماسي أميركي شاب ووسيم في منتصف العشرينيات من عمره تألق في صيدا. كان اسمه إلمور إيفانز. وفي فترة ما بعد الظهر، عندما كان معظم الضيوف يستريحون في حدائق السفارة، أعطى إلمور لصيدا دروسًا خصوصية في اللغة الإنجليزية. لقد حصلوا على ما يرام معًا. لقد أحبها، لقد أحبته واستمتعوا بصحبة بعضهم البعض. وبحسب رواية سعيدة، فقد تغازلا ولكنهما لم يقبلا. ذات يوم قال إلمور لتلميذه اليقظ البالغ من العمر ستة عشر عامًا: «يا إلهي، أريد أن أخبرك بأجمل شيء في العالم.»

العالم، ولكن لا أستطيع لأنك صغير جدا. ما كان يقصده على الأرجح هو أنه كان يحبها، وأنها لو كانت أكبر سنًا بقليل، لكان قد تقدم بطلب الزواج.

ولم يُسمح لوالدي صيدا بالبقاء في المنزل أثناء حالة الطوارئ. أعلنت حكومة رشيد علي أنه سيتم نقل جميع الأجانب إلى معسكرات الاعتقال من أجل السلامة العامة. ولم يذكر الإعلان اليهود على وجه التحديد، بل فقط الأجانب بشكل عام. وبعد بضعة أيام، حضر رجال الشرطة إلى المنزل لاعتقال والدي سعيدة. واحتجت موزلي قائلة إنها عراقية وليست أجنبية. فقال لها الشرطي: ينبغي أن تخجلي من نفسك لأنك تزوجت أجنبياً، وليس أي أجنبي عجوز بل رجل إنجليزي! رد الموزلي: "حسنًا، خذ زوجي الإنجليزي ودعني أعود إلى عائلتي العراقية". قال الشرطي: «هذا النوع من الكلام لن يوصلك إلى أي مكان».

تم نقل موزلي ومائير إلى معسكر حيث نصبت الخيام على عجل لإيواء المعتقلين الأجانب. كانت الظروف في المخيم بسيطة ولكنها ليست مهينة. وبعد أن خلفنا أهوال القرن العشرين، فإن شبح المعسكرات يعيد إلى الأذهان أسوأ انتهاكات حقوق الإنسان. لكن هذه المعسكرات، على الرغم من تركيزها على "احتواء" الأجانب، لم تظهر القسوة التي نعرفها الآن. تم إطعام المعتقلين وشربهم ولم يتعرضوا أبدًا للإيذاء الجسدي. ولم يتعرضوا للمضايقة أو سوء المعاملة بأي شكل من الأشكال. عندما تحتاج المرأة للذهاب إلى المرحاض، يجب أن يرافقها شرطي. كانت مرافقة الموزلي واجبًا لا يحظى بشعبية لأنها كانت شرسة ومشاكسة وجدلية. حاول كل شرطي التملص من هذا الواجب عندما جاء دوره، وكان هناك مزاح ودي بينهما حول هذا الموضوع. في الليل كان هناك انقطاع للتيار الكهربائي ليجعل من الصعب على طياري سلاح الجو الملكي البريطاني تحديد الأهداف العراقية. طيارو سلاح الجو الملكي البريطاني

لم يكن من المحتمل أن تقصف أي مدنيين، ناهيك عن الرعايا البريطانيين، لكن روحها المتمردة دفعت موزلي إلى إشعال الأضواء، عمداً وبتحدٍ. وعندما وبخها أحد رجال الشرطة، قالت له إنها تريد أن تأتي الطائرات البريطانية وتقتلهم جميعًا. عندما أعادت بريطانيا احتلال البلاد، تم إطلاق سراح جميع الأجانب والسماح لهم بالعودة إلى منازلهم.

وغادرت سعيدة وإخوتها السفارة الأميركية في 31
وذهبت مي إلى منزل عمهما هارون
وهو شقيق الموزلي لأنه كان يسكن الباب الشرقي آنذاك
يعتبر حيًا أكثر أمانًا. صيدا واخوتها
سمعت صراخ الضحايا وشاهدت ألسنة اللهب ولكن
لم تشهد الفظائع. في صباح اليوم التالي، العم
أعادهم سائق هارون إلى السفارة الأمريكية
حيث مكثوا يومين آخرين حتى اندلعت أعمال الشغب
تم قمعها من قبل الشرطة وتم استعادة النظام. بعد الغبار
عندما استقر صيدا، علم أن البريطانيين لديهم قوات في الخارج
بغداد لكنها لم تستخدمها. مطحنة الشائعات
اقترح أن الدافع السري للبريطانيين هو التحول
اليهود كبش فداء للإذلال الوطني الذي
لقد ألحقوا أنفسهم بالجيش العراقي و
الشعب العراقي. في وقت لاحق من حياته، وقعت شكوك صيدا على السير
كيناهان كورنواليس. الطريقة التي عبرت بها عن الأمر بالنسبة لي كانت هكذا
أراد كورنواليس أن يمنح الجماهير الغاضبة فرصة لذلك
تنفيس عن غضبها، لكنها اعتقدت أنه ربما لم يفعل ذلك
توقع حجم الموت والدمار الذي كان
لزيارته على اليهود نتيجة لأوامره إلى
جيش. اعتقدت أن الحلقة ظهرت على الأقل
اللامبالاة القاسية من جانبه تجاه مصير اليهود.

وروى صيدا أن العديد من المسلمين في الأحياء المختلطة بذلوا جهوداً كبيرة لمساعدة جيرانهم وأصدقائهم اليهود في ساعة حاجتهم. تم توفير الحماية إما عن طريق أخذ اليهود إلى بيوت المسلمين أو

بالوقوف خارج منازل الجيران اليهود ومنع مثيري الشغب من الهجوم. وأضاف سعيدا:
لقد تطلب الأمر الكثير من الشجاعة للوقوف عند بوابة منزل يهودي والقول للحشد
الغاضب، لا يمكنكم الدخول إلى هنا! تم العثور على تحية للشجاعة التي أظهرها
المسلمون خلال الفرهود في العديد من الشهادات المباشرة للناجين اليهود. ومن
المعروف أن الزوجة المسلمة لعقيد عراقي وقفت أمام بوابة جارها اليهودي وبيدها
بندقية زوجها المحشوة وهددت بإطلاق النار على أي شخص يقترب منها.

تعليق صيدا الآخر اللافت يتعلق بالشعب الذي لم يكن مدفوعًا بكراهية اليهود،
بل رأوا في حالة الفوضى السائدة فرصة للنهب والسلب. وأوضحت ذلك بقصة
رجل يرتدي ملابس رثة ويعيش في كوخ بلا مياه جارية أو كهرباء. التقط جهاز راديو
باهظ الثمن من متجر يملكه يهودي وأخذه إلي كوخه. ونظرًا لانقطاع التيار
الكهربائي، ظل الراديو صامتًا. قرع الرجل، غاضبًا، جهاز الراديو وصرخ: «هيا،
غنّي!» أنت تغني لليهود فلماذا لا تغني لنا؟!

بعد استعادة النظام الملكي وتعيين حكومة مطيعة، أصبح البريطانيون مرة أخرى
هم الحكام النهائيون في البلاد. لقد حددوا تشكيل الوزارات وقاموا بتطهير الجيش
والمستويات العليا في الخدمة المدنية من أي شخص يشتبه في تعاطفه مع
النازيين أو المناهضين لبريطانيا. قامت الحكومة العراقية الجديدة، برئاسة نوري السعيد،
بتعيين لجنة تحقيق في أحداث 1-2 يونيو 1941 وعرضت تعويضات للضحايا.
وحكم على ثمانية من المهاجمين، بينهم ضباط بالجيش ورجال الشرطة، بالإعدام. وكان هذا
جزءاً من سلسلة من الخطوات التي اتخذتها الحكومة لتعزيز ثقة اليهود، لكن الجالية
اليهودية ظلت متخوفة. لم يفعلوا
ذلك

يثقون بالشرطة ويخشون تكرار أعمال العنف. وواصل ضباط وجنود الجيش التربص في الأحياء اليهودية لانتزاع الأموال والتهديد بالانتقام من أي شخص يقدم معلومات إلى السلطات عن أفراد من القوات المسلحة شاركوا في الأعمال الوحشية. وتذكرت سعيدة الشعور السائد بعدم الأمان والخطر الكامن أينما ذهبت. بدأت هي وصديقاتها في المدرسة اليهودية في ارتداء العباءات، وهو الثوب الأسود الفضفاض الذي ترتديه النساء المسلمات، لإخفاء هويتهن اليهودية. كما أنهم كانوا يقلدون لهجة المسلمين العراقيين، خوفاً من أن تفضحهم أصواتهم.

كان للحرب عواقب "دنيوية" أكثر أيضًا. لم تتقدم سعيدة للامتحانات الوطنية بسبب تأجيلها. وفي العام التالي، أجبرتها عائلتها على ترك المدرسة والزواج. ما حدث لوالدي أثناء الفرهود كان أكثر غموضًا بالنسبة لي، حتى أخبرني ابن عمي فؤاد حمامة أن والدي كان يتمتع بحماية جيدة أثناء وبعد الحدث من قبل أصدقائه المسلمين. في عام 1950، عندما كان فؤاد في الثانية عشرة من عمره، غادر العراق بمفرده بشكل غير قانوني للذهاب إلى إسرائيل، وهناك أعطاه ضابط الهجرة اسمًا عبريًا: هرتزل يوناتي. الحمام في اللغة العربية يعني الحمامة. بالعبرية هي يونا - يوناتي بالعبرية تعني حمامتي. كان هرتزل اسم صاحب رؤية الدولة اليهودية وكان يدل على الفخر بالصهيونية.

فؤاد هو ابن راجينا أخت يوسف. بعد الفرهود، أرسل والداه فؤاد للإقامة مع عمه يوسف لأن حيهم الفقير واليهودي كان يعتبر غير آمن. علاوة على ذلك، كان منزل عمه يحرسه اثنان من رجال الشرطة، أحدهما في الشارع بالخارج والآخر على السطح. وأوضح فؤاد أن هذه الدرجة العالية غير المعتادة من الحماية ترجع إلى صداقة والدي الوثيقة

مع قائد شرطة بغداد المسلم. وكان الصديقان يلعبان الورق معًا ويخرجان إلى
النوادي الليلية. لقد أمضوا أيضًا وقتًا ممتعًا مع فرقة من الراقصات
الألمانيات اللاتي كان يجب أن تحصل عروضهن في الملاهي على ترخيص من قبل
رئيس الشرطة المحلي. وبما أن والدي لم يكن يتحدث الألمانية ولا الإنجليزية، فلا بد أن
المحادثة كانت محدودة نوعًا ما.

كيف شعر والدي بشأن إعادة احتلال بلاده
من قبل البريطانيين غير معروف. ما هو واضح هو أن له
عانت الأعمال من انتكاسة خطيرة. بعد اندلاع
الحرب العالمية الثانية، ركز طاقاته عليها
تراكم أكبر قدر من الحديد المجلفن (الحديد المطلي بـ
طبقة من الزنك) قدر استطاعته. هذا أكسبه اللقب
ملك الزنكو - ملك الحديد المجلفن. خلال الحرب
وكانت هذه المادة مطلوبة بشدة، خاصة من قبل البريطانيين
القوات المتمركزة في العراق. كان هدف الأب هو إنشاء
الاحتكار حتى يتمكن من تحديد سعر المنتج. بعد
أعاد البريطانيون احتلال البلاد، لكنهم فرضوا ذلك
رقابة صارمة على الاقتصاد وتقنين صارم
العديد من العناصر الاستراتيجية، بما في ذلك جميع أنواع الحديد والصلب.
وقع متجر والدي بالجملة تحت النظام الجديد. هو
ولم يكن بإمكانهم بيع الحديد إلا للقوات البريطانية وبسعرهم
ثابت - السعر القديم. حلمه أن يصبح إمبراطورًا
تم تحطيم الحديد المجلفن. الرجل الذي فرض كل شيء
كان القيود هو الحاكم المتعجرف السير كيناهان
كورنواليس، الذي كان والدي، مثل والدتي، يلعنه.
وبما أن اسمه كان صعب النطق، فقد اختاروا
اللقب العربي له: كلب بن الكلب ولد المغفل
من المغفلين.

كان أحد أفراد عائلتنا سعيدًا بالتعاون مع البريطانيين: الأخ الأكبر لصيدا
إسحاق، أو لنعطيه اسمه الكامل، إسحاق شالوم مئير عوبديا، وهو رجل أعمال حصل على
عمولات من شركات بريطانية مقابل

توزيع بضائعهم في العراق. الصدق، كما أود
اكتشف لاحقًا، لم تكن من أبرز صفاته. هو
عمل وكيلاً لشركة بريطانية كبرى في بغداد.
تمتلك الشركة بناية كبيرة في بغداد وهي
باع إسحاق لصديق يهودي له بسعر أقل بكثير من سوقه
السعر، ويحصل على رشوة كبيرة بنفسه. عندما
اكتشف رؤساء الشركة أمر الصفقة الجانبية
طرد وكيلهم المحلي الملتوي. بلا خجل، مع
اشترى الجيد إسحاق فيلا فاخرة في منطقة الكرادة
بالقرب من نهر دجلة واستمر في حركته المشكوك فيها
والتعامل.
كان أحد خطوط أعمال إسحاق المربحة هو بيع
ويسكي سكوتش. بعد اندلاع العالم الثاني
أثناء الحرب، كان بحاجة إلى القيام برحلة إلى اسكتلندا للقاء رفاقه
الموردين وهذا استلزم زيارة البريطانيين
القنصلية في بغداد لحضور الإجراءات الرسمية. كاتب
لا بد وأنك أخبرت القنصل أن هناك رجلاً عراقياً بالداخل
غرفة الانتظار الذين يتحدثون الإنجليزية بشكل جيد ومن قد يفعل ذلك
تكون مفيدة لهم. وسرعان ما جاء القنصل نفسه
أسفل وأجرت مقابلة مع عمي بإسهاب. العديد من
كانت الأسئلة حول مؤهلاته ولغته
مهارات. وفي نهاية المقابلة قال القنصل: يا سيدي
عوبديا، نود أن نعرض عليك عمولة. 'الذي - التي
"سيكون لطيفًا جدًا"، أجاب عمي وهو يفكر في القنصل
يعني عمولة تجارية. وكان على طرفه
اللسان ليسأل "كم؟" لكنه لم ينطق بهذه الكلمات.
ذهب القنصل وعاد ومعه قطعة من
النماذج مطبوعة مع ترويسة "مكتب الحرب". كما كان
ملء الاستمارات، اتضح تدريجيا لعمي أن
كانت العمولة التي عُرضت عليه هي أن يصبح ضابطًا
في الجيش البريطاني. لقد تردد للحظة ولكن بعد ذلك
قررت المضي في ذلك. وهكذا أصبح أ
ملازم في الجيش البريطاني. مرة واحدة في الجيش، كان إسحاق

تم تعيينه في سلك المخابرات دون أي تدريب عسكري. ولم تكن هناك حاجة إلى تدريب لأن وظيفته كانت في الأساس وظيفة مترجم فوري، خاصة لكبار الضباط البريطانيين في الاجتماعات مع نظرائهم العراقيين الذين لا يتحدثون الإنجليزية.

ذات يوم وصل لواء بريطاني إلى المدينة. كان لا بد من اصطحابه إلى سلسلة من الاجتماعات مع كبار الضباط العراقيين وتم تكليف إسحاق بالترجمة الفورية له. في الطريق إلى الاجتماع الأول، أخذ إسحاق نفسًا عميقًا وقال للجنرال: "أعذرني على توضيح ذلك لك يا سيدي، لكن في هذا البلد لن يحترمك الناس إذا كان مساعدك مجرد ضابط صغير". التفت إليه الجنرال وقال: أيها الملازم عوبديا، عندما نعود إلى القاعدة، اذهب إلى المكتب واحصل على رتبة نقيب مؤقتة. بعد عودة الجنرال إلى إنجلترا، أُمر إسحاق بالعودة إلى رتبة ملازم. أثار ضجة وهدد بالاستقالة من الجيش، قائلاً للعقيد الذي قاد كتيبته إنه لا توجد عدالة في الجيش البريطاني وأن هناك تمييزًا ضد الأجانب. وكان العقيد، وهو إيرلندي صعد من الرتب، متعاطفا مع هذه الحجة. شجع إسحاق على إخبار قائدهم بما قاله له للتو. فعل إسحاق ذلك، ونتيجة لذلك سُمح له بالاحتفاظ برتبة وشارة نقيب.

وهكذا حضر إسحاق حفل زفاف سعيدة بزي نقيب في الجيش البريطاني. وكان الزواج نفسه قد فرض على صيدا من قبل عائلتها. كانت تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا فقط، تلميذة تعيش حياة اجتماعية ورياضية مزدحمة ولا ترغب في أن تكون مقيدة. في تلك الأيام تم ترتيب معظم الزيجات في الطائفة اليهودية في بغداد. ولم يكن من غير المعتاد تزويج الشابات لرجال أكبر سنا بكثير، خاصة إذا كانوا أثرياء. ولكن في هذه الحالة لم يتم ترتيب الزواج فحسب، بل تم فرضه من قبل

الأسرة على مراهق متردد. جاءت المبادرة من والدي يوسف شلايم، وهو أعزب يبلغ من العمر 41 عامًا، رأى سعيدة في إحدى الحفلات وأبهره جمالها، ولم يكن يدرك مدى صغر سنها. كان يوسف شريكاً تجارياً لبعض أعمام صيدا، ومن خلال أحدهم طرح هذا الموضوع الحساس. وتشاور العم مع والدي صيدا وإخوتها وأعمامها الآخرين، وكان الإجماع على قبول العرض.

إحدى التطورات في القصة كانت صداقة سعيدة مع أ
فتى مسلم وسيم اسمه نيازي والخوف منها
من شأنه أن يجلب العار على الأسرة. التقى هو وصيدا في
نادي ركوب الخيل وكان لديه عدد قليل من الخفية
المحادثات في زواياها الأقل تعرضًا. المداعبة
بين المراهقين حسبما أفاد شاهد عيان
والدا صيدا. لقد قصدت العائلة ذلك من خلال تزويج سعيدة
لتقضي على صداقتها مع مسلم في مهدها
حماية شرف العائلة. الشراكات التجارية و
لعب الورق مع المسلمين كان شيئاً واحداً، وهو الزواج المختلط
كان آخر. لقد كان من المحرمات المطلقة. كان والد صيدا
العضو الوحيد في الأسرة الذي أبدى تحفظاته
حول المباراة المقترحة, بحجة أن الرجل فيها
كان السؤال قديمًا جدًا بالنسبة لها. لكن والدها كان
فاق عددا. لأمها موسلي الذي كان أكثر
واعية بالمال، كانت ثروة الخاطب هي
الاعتبار الغالب. كانت متحمسة للفكر
أن تتزوج ابنتها من رجل ثري وصاحب
مسكن رائع كان موضع حسد
مجتمع. وكان عامل الجذب الآخر هو أن الوالدين سيفعلان ذلك
لا يجب تقديم المهر العرفي - معدل الجاري في
كان الوقت مناسبًا للعائلات من طبقتهم الاجتماعية والاقتصادية
5000 دينار. مع سخريتها المعتادة تحولت موزلي
زوجها وطالب بمعرفة: وإلا كيف نفعل ذلك
تزويج الفتاة المسكينة؟ بملايين والدك؟».

ولم يُسمح لصيدا بأي رأي في هذا الأمر؛ لقد أُبلغت ببساطة أنها ستتزوج من رجل لم تقابله من قبل. كل احتجاجاتها كانت بلا جدوى. وفي النهاية أضربت عن الطعام، وحبست نفسها في غرفتها ورفضت النزول لتناول وجبات الطعام. ومع ذلك، فهي لم تبق بدون طعام تماماً. كان شقيقها صالح قد عاد لتوه من رحلة عمل إلى الموصل وأحضر معه أكياساً كبيرة تحتوي على جميع أنواع المكسرات والفواكه المجففة، واحتفظ بها في غرفته. كلما شعرت سعيدة بوجع الجوع، كانت تتسلل إلى غرفة صالح وتساعد نفسها في الحصول على الأشياء الجيدة. وانهار الإضراب عن الطعام بعد يومين.

إن زواجها يعني أن سعيدة لن تضطر إلى العودة إلى المدرسة لأداء الامتحانات. شجع إسحاق أخته على الاستسلام لضغوط بقية أفراد الأسرة. أخبرها أنها إذا تزوجت من رجل ثري، فستتمكن من إرسال أطفالها للتعليم في إنجلترا. لم تكن هذه الحجة مقنعة جداً في ذلك الوقت، لكنها جاءت بنتائج عكسية على إسحاق لاحقاً. عندما كنت راسبة في المدرسة في إسرائيل، في الوقت الذي كان فيه والدي عاطلاً عن العمل، أصرت سعيدة على أن يتولى شقيقها مسؤولية تعليمي في إنجلترا.

ولم تلتقي سعيدة بزوجها وجهاً لوجه حتى حفل خطوبتهما، أو ليلة الحناء كما كانت تسمى. كان الحفل بمثابة حفل فخم مع الطعام والشراب والترفيه الفخم ولم يدخر أي نفقات. حدث ذلك في قصر والدي سعيدة الكبير في منطقة الكرادة، والذي اشتراه شقيقها إسحاق بعائدات صفقته الجانبية المراوغة. تم تزيين طوابق المنزل الثلاثة والسطحين والحديقة لإضفاء جو احتفالي. وتضمنت قائمة تضم حوالي مائة ضيف عائلات وعائلات العروس والعريس، وزملاء صيدا في المدرسة، والأصدقاء والمعارف، وعدد قليل من ضباط الجيش البريطاني الذين تمت دعوتهم من قبل إسحاق وصالح.

وكان من بين الضيوف أيضًا العديد من الدبلوماسيين من السفارة الأمريكية الذين قدموا ملجأ للعروس وإخوتها في العام السابق، خلال الحرب الأنجلو-عراقية.

وكانت أصابع صيدا مغطاة بالحناء، وهي صبغة تتلاشى بعد بضعة أيام ومن المفترض أن تجلب الحظ السعيد، كما تم إعطاء كل ضيف لمسة على يده. وقد تمت خطبة ثلاث مطربات بغداديات مشهورات للترفيه عن الضيوف. إحداهن عفيفة إسكندر، مسيحية أرمنية، تعتبر من أفضل المطربات في تاريخ العراق. الملقبة بـ "الشحرور العراقي"، ترددت شائعات بأنها عشيقة رئيس بلدية بغداد. ومن بين هؤلاء سليمة مراد، المشهورة بسليمة باشا، وهي مغنية يهودية انتشرت شهرتها في كل مكان. وعلى الرغم من كونها يهودية، إلا أنها كانت المطربة الأكثر شعبية في العراق في ذلك الوقت. نوري السعيد، ضابط عثماني سابق، منحها اللقب العثماني الفخري "باشا".

غنت سليمة الأغاني العربية الحديثة بدلاً من المقام التقليدي، وسرعان ما أصبحت جزءاً من التراث الموسيقي العراقي. اندمجت سليمة جيدًا في المجتمع العراقي، بعد أن تزوجت من مغني وممثل مشهور آخر هو ناظم الغزالي. لقد كان مسلمًا واتخذت الخطوة النادرة والمثيرة للجدل للغاية باعتناق الإسلام. لم يكن هذا ضروريًا تمامًا لأن الإسلام يسمح للرجال بالتزاوج مع نساء الديانات الإبراهيمية الأخرى - في حين يُحظر رسميًا على المرأة المسلمة الزواج من رجل غير مسلم بغض النظر عن دينه. يُسمح للرجل المسلم بالزواج من مسيحية أو يهودية، والذين يكرمهم القرآن بأنهم "أهل الكتاب". سليمة باشا لم تزر إسرائيل مطلقًا، لكنها بقيت في العراق حتى وفاتها عام 1974.

كانت هناك حاجة إلى ثروة صغيرة وخاتم ثمين لإغراء سليمة الأسطورية بالغناء في هذه الحفلة الخاصة.

وصلت منتصف الليل قادمة من نادي الجواهري، حيث كانت تحيي كل ليلة، ولكن بمجرد وصولها إلى الحفلة بقيت حتى الفجر. وقد رافقها الأخوة الكويتيون الذين لحنوا العديد من أغانيها. لقد كانوا موسيقيين يهود، لا ينفصلون مثل التوأم السيامي، ينحدرون من الكويت كما يوحي اسمهم. ومن الكويت انتقلوا إلى البصرة، ومن البصرة إلى بغداد حيث أصبحوا نجوماً. داود عزف على العود وصالح على الكمان. لقد قاموا بتأليف أغانٍ مبتكرة ولكنها متجذرة في التقاليد، ومن هنا كانت شعبيتها الكبيرة. كانوا يؤدون عروضهم بانتظام في نادي الهلال، لكنهم وصلوا إلى جمهور أوسع بكثير من خلال برنامجهم الإذاعي الأسبوعي من هيئة إذاعة بغداد. موطن قوتهم كان المقام، وهو شكل موسيقي فريد لا يوجد إلا في العراق. وتتكون مجموعتهم الكاملة من سبعة رجال، واحد منهم فقط، عازف الإيقاع حسين عبد الله، كان مسلماً. لم تبث BBH أي موسيقى حية في أيام الصيام اليهودية يوم الغفران وتيشا باب.

نوع آخر من المطربات في الحفلة هو الدقة اليهودية (جمع دقفات)، من دقة، وتعني "إيقاع". كانت الدقاقات عبارة عن فرقة من النساء، غالبًا ما يرتبطن ببعضهن البعض، يغنين ويعزفن على الطبول في حفلات الزفاف مقابل رسوم متواضعة، تكملها نصائح من الضيوف. كانت الفرقة التي جاءت إلى ليلة الحناء هذه مكونة من خمس نساء كبيرات في السن، جلسن على الأرض مع طبولهن وغنوا أغاني الزفاف التقليدية حتى الصباح. لقد كانوا غريبي الأطوار ومنفتحين وروح الدعابة، وقد خلقوا جوًا مرحًا للغاية. احتوت أغنيتهم "أفكي" على أبيات تسخر من والدة العروس بسبب الحيل التي استخدمتها للقبض على مثل هذا العريس المرغوب فيه. لم تكن هذه الأغنية مناسبة بشكل خاص لهذه المناسبة بالذات، لكن لم يعترض أحد.

جلس الناس على الأرض حول الدقاقات وانضموا إلى الغناء والتصفيق. وكان من أكثر معجبيهم حماساً القنصل العام الأمريكي واسمه الأول ويليام. لقد جلس هو أيضًا على الأرض، وربما كان قد شرب قدرًا لا بأس به من الشراب، وكان يصفق لهم ويهتف لهم. ولإظهار تقديره، عرض على سعيدة أعلى جائزة حصل عليها وهي تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. سألت إذا كان لديها خدم وطهاة وسائقون هناك. وعندما كان الجواب "لا"، رفضت العرض بأدب. استمرت الاحتفالات طوال الليل.

تم حفل الزفاف بعد ثلاثة أيام من حفل الحناء، في 20 مايو 1942. قبل الزفاف، تم توقيع عقد الزواج أو الكيتوبة من قبل العريس بحضور حاخام وشاهدين. وقد حددت الكتوبة حقوق ومسؤوليات العريس فيما يتعلق بالعروس، كما حددت المبلغ النقدي الذي يدين لها بها في حالة الطلاق. أقيم حفل الزفاف في نفس القصر الذي أقيمت فيه حفلة الحناء وبنفس الديكور، لكنها كانت مناسبة أكثر رزانة ورسمية مع موسيقى أقل وطقوس دينية أكثر. ومع ذلك، كان هذا أيضًا أمرًا ساحرًا للغاية. صيدا، التي كانت ترتدي فستانًا أبيض طويلًا، قادها شقيقها إسحاق إلى منتصف العشب، حيث كان والدها مريضًا للغاية ولم يتمكن من الحضور. ارتدى يوسف سترة عشاء أنيقة وقفازات بيضاء. قاد صيدا إلى الشوباه، وهي مظلة مرفوعة بأربعة أعمدة. أجرى الحاخام مراسم الزواج تحت الشوباه مع كل الصلوات والبركات التقليدية. ثم سلم الكتوبة للعروس. تطلبت المرحلة التالية من الحفل من العريس كسر الزجاج المغطى بالورق ووضعه على المنصة أمامه. في ما يعتبر مناسبة مبهجة، فإن فكرة هذه الطقوس هي السماح بلحظة من التأمل. وقرأ العريس بالعبرية المزمور 137 الذي يترجم كالآتي:

إن نسيتك يا أورشليم فلتنس يميني
مكرها. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك. إن لم أضع
أورشليم فوق أعظم فرحي.

اندلعت الهتافات والتصفيق بصوت عالٍ لحظة كسر الزجاج. الضيوف يقبلون ويتعانقون ويكررون مازال توف، حظًا سعيدًا! وتلا الحفل بوفيه عشاء والمزيد من المشروبات. بعد العشاء، اصطحب العريس عروسه إلى منزله في البتاويين لقضاء ليلة زفافهما.

ما حدث في ليلة الزفاف التي شاركتها والدتي معي للمرة الأولى في نزهة إلى باث في يوليو 2019، عندما كنا نحتفل بعيد ميلادها الخامس والتسعين. أختي الكبرى داليا، التي تعيش في تل أبيب، جاءت معها من إسرائيل. كانت والدتي تعاني من بعض المشاكل في الحركة ولم تكن قادرة على المشي لمسافات طويلة، لكنها رفضت عرض الكرسي المتحرك لأنها اعتبرته غير لائق. كانت الرحلة البحرية على طول نهر أفون مثالية لها. بعد الرحلة البحرية، ذهبت زوجتي جوين وداليا في جولة في الحمامات الرومانية بينما ذهبت أنا وعايدة لتناول الشاي والكعك في Pump Room الأنيقة. أضاف عازف البيانو الذي يعزف رقصات الفالس شوبان وشتراوس في الخلفية إلى أجواء العالم القديم. في هذا الوضع غير المتوقع، كشفت والدتي بتفاصيل مؤلمة عما لا أستطيع الآن إلا أن أفكر فيه باعتباره اعتداءً تعرضت له منذ ما يقرب من ثمانين عامًا. اعتدت أن أقصف والدتي بالأسئلة طوال الوقت الذي عملت فيه على هذه المذكرات. لكن في هذه المناسبة، ودون أي تحريض، بدأت قصة ليلة زفافها، مستهلةً إياها بقولها لي: "هذا ليس للكتاب"، أي أنه كان بيننا ولا ينبغي إدراجه في مذكراتي. وفي وقت لاحق رفعت هذا الحظر.

في عيد ميلاد والدتي الفعلي، فتحنا زجاجة من الشمبانيا العتيقة وجلسنا لتناول العشاء العائلي في منزلنا في أكسفورد. انضممت أنا وجوين إلى أختي الصغرى، فيلما، التي تعيش في لندن، وابنتها أماندا، وكذلك ابنتنا تامار. بعد العشاء، دعوت والدتي لتروي للنساء القصة التي روتها لي في باث. لقد كنت في ذهني بشأن إعادة سرد القصة في هذا الكتاب لأنها تتضمن تفاصيل حميمة وتنتهك خصوصية والدتي. اعتقدت جوين أنه ربما ينبغي سرد القصة بسبب الضوء الذي تلقيه على القسوة وانعدام الحساسية التي تعامل بها الشابات في ذلك المجتمع والآثار الطويلة الأمد لمثل هذه المعاملة. بالإضافة إلى تقديم أدلة قوية على الممارسات الثقافية التي لا تحترم استقلالية المرأة أو حقوقها، فقد اعتقدت أن ذلك كان مثيرًا للاهتمام، بسبب تأثير سماع قصتها على عايدة من قبل النساء اللاتي لديهن وجهة نظر مختلفة تماماً.

وكما جرت العادة، كانت الاستعدادات الدقيقة تُجرى لفض بكارة العروس الجديدة في ما كان سيصبح بيت الزوجية. خارج الغرفة وقفت والدة يوسف، لولو، وشقيقته روزا، وابنة أخته راشيل. كما كانت حاضرة جدة أم سعيدة الجليلة، حبيبة، وخادمة شابة. ووفقاً للعادة السائدة اليوم، تم استبعاد والدة العروس. ومرة أخرى، ووفقاً للعادة، تم إنتاج منديل ملطخ بالدماء وتم تسليمه للسائق الذي كانت مهمته القيادة إلى الكرادة وتقديمه إلى والدة العروس كتأكيد على أن شرف العائلة قد صمد أمام الاختبار. توقع السائق إكرامية كبيرة لأنه كان حاملاً لأخبار سارة في مناسبة مهمة. لكن الموزلي أعطاه نصيحة صغيرة مخيبة للآمال أرجعتها سعيدة إلى بخلها المعتاد. في تلك الليلة، نامت جدة سعيدة بجانبها على السطح. وكانت مهمة الجدة

حماية الفتاة في حال حاول زوجها القدوم إليها للمرة الثانية.

روت والدتي هذه القصة بهدوء وواقعية، لكنها قالت إنها دفعت إلى هذا اللقاء الجنسي فجأة ودون أي استعداد تشريحي أو نفسي. لقد لخصت التجربة برمتها في كلمة واحدة - "فظيعة". أثارت روايتها نقاشًا حيويًا، أشبه بتشريح الجثة بين بعض النساء الحاضرات. شاركت زوجتي جوين وابنتي تمار وابنة أختي أماندا في المناقشة. وأعربوا عن غضبهم من المعاملة الوحشية التي تعرضت لها الفتاة المراهقة ووصفوها بأنها اغتصاب. وشككوا في فكرة أن الجدة كانت هناك لحماية سعيدة، بحجة أنه بما أن الأسرة قد أجبرتها بالفعل على الزواج وأخضعتها لهذه المحنة، فإن الحماية بعد الحدث لا معنى لها. لم تقل سعيدة نفسها الكثير خلال المناقشة، ولكن في صباح اليوم التالي، أثناء تناول الإفطار، وبعد أن أتيحت لها الوقت للتفكير، فتحت الموضوع مرة أخرى بشكل عفوي، ووصفت التجربة التي اضطرت إلى الخضوع لها بأنها "جريمة". كانت هذه أقوى كلمة استخدمتها على الإطلاق في وصف هذه الحادثة المؤلمة، والتي تعود إلى ما يقرب من ثمانين عامًا. في محادثة هاتفية بتاريخ 24 أبريل/نيسان 2021، قبل شهرين من وفاتها، أعطتني الإذن برواية هذه الحلقة في مذكراتي، بما في ذلك التفاصيل الأكثر حميمية التي اخترت استبعادها.

على الرغم من إجبارها على زواج مرتب، وعلى الرغم من صدمة ليلة الزفاف، استقرت سعيدة بسرعة على أسلوب حياتها الجديد كسيدة ترفيهية. وكانت البراغماتية هي السمة المميزة لها. وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك تعويضات مادية وافرة في الزواج من رجل ثري. مكّن الزواج عايدة من ترك الضغوط الأكاديمية في المدرسة والاستقرار في حياة جديدة

كسيدة القصر في منزلها الجديد. ومن جانبه، بذل يوسف كل ما في وسعه لتسهيل عملية الانتقال وتدليل عروسه الشابة. وبحسب رواية سعيدة، فقد أصبح بعد ذلك رجلاً نبيلًا وزوجًا مثاليًا: لطيفًا ولطيفًا ومراعيًا. وكان أيضًا مهذبًا وكان يتمتع بأخلاق لا تشوبها شائبة. وقد تأثرت سعيدة بأخلاقه الحميدة لدرجة أنها كانت تقول له: «أين نشأت في قصر باكنغهام؟» وفوق كل شيء، كان يوسف كريماً للغاية. أحد الأمثلة الصغيرة التي قدمها سعيدا على كرمه هو أنه كان يحتفظ دائمًا بالنقود في الجيب الأيمن من بنطاله وكذلك في محفظته. وهذا يعني أنه عندما خرجوا مع الأصدقاء إلى مقهى أو مطعم، كان هو الأسرع في جمع المال لدفع الفاتورة. ومثل سعيدة، كان يوسف حيوانًا اجتماعيًا يستمتع بالاختلاط مع الناس والنوادي والرقص.

عائلة يوسف حررت صيدا من كل المسؤوليات
والتي عادة ما تكون مصحوبة بإدارة مؤسسة كبيرة. له
كانت الأخت روزا مسؤولة عن المنزل، وتحتفظ بـ
العين الساهرة على طاقم متنوع من الطهاة وعمال النظافة و
البستانيين. تتكون الحياة الاجتماعية من دورة لا تنتهي من
حفلات الاستقبال الدبلوماسية والوظائف الرسمية والحفلات والعشاء
الحفلات وألعاب الورق مع الأصدقاء وزيارات النوادي الاجتماعية.
تم إجراء قدر كبير من الترفيه في منزلنا. لي
كان الأب يستمتع باستقبال الضيوف ويذهب إليهم كثيراً
صعوبة في جعل زياراتهم مقبولة قدر الإمكان. في هذا
وقد ساعده مختلف أفراد عائلته. حول
جانب المنزل الكبير كان هناك مبنى خارجي به
ثلاث غرف وحمام - اثنان من أبناء أخيه
أخته راجينا تعيش هناك. وكان واحدا مما سبق
فؤاد من مواليد 1937، والآخر هو شقيقه الأكبر
عزرا، مواليد 1926. انتقل الشقيقان للعيش في منزل والدي
البيت بعد الفرهود لأنه أسلم من البقاء فيه

حيهم اليهودي الفقير. وكان والدهم، لياهو (إلياهو) حمامة، يملك دكاناً في سوق الشورجة القديم، يبيع القهوة والشاي والمكسرات بأنواعها والفواكه المجففة ومجموعة كبيرة من البهارات. كان يقوم بتسليم هذه الأطباق الشهية بانتظام إلى الأسرة الممتدة.

عزرا كان المفضل لدى والدي. لقد كان شابًا عاقلًا وذو أخلاق جيدة ومفيداً، التحق بمدرسة شمش الثانوية اليهودية المحلية. كان والدي، الذي كان يحب تناول كميات كبيرة من الطعام والوجبات الخفيفة والمرطبات، يعتمد دائمًا على عزرا للمساعدة في الاستعدادات ومن ثم رعاية الضيوف طوال فترة زيارتهم. وفي أحد الأيام وصل الضيوف، لكن عزرا كان على السطح مع صديق، ولم ينزل للمساعدة. وبعد أن غادر الضيوف، وبخه والدي وصفعه على وجهه. لقد تأذى عزرا وأُهين بشدة. تمتم دفاعًا عن النفس قائلاً إن لديه امتحانًا في المدرسة في اليوم التالي كان يراجعه هو وصديقه. حدثت هذه الحادثة في عام 1944 وبعد فترة وجيزة غادر عزرا العراق بشكل غير قانوني وذهب إلى فلسطين بمساعدة الحركة السرية الصهيونية. وتكهنت والدتي بأن الصفعة على وجه عزرا دفعت عزرا إلى الاقتراب من مبعوثين صهيونيين. في الواقع، كما علمت لاحقًا من ابن عمي فؤاد، كان عزرا صهيونيًا ملتزمًا وعضوًا قديمًا في حركتها السرية. ومع ذلك، فقد نجح تمامًا في إخفاء أنشطته الصهيونية عن عمه. ومن غير المرجح أن تكون الصفعة على وجهه أكثر من عامل ثانوي في قراره بالاستقالة وبدء حياة جديدة في فلسطين.

على أية حال، كانت للقصة نهاية غير سعيدة. عند وصوله إلى فلسطين، غيّر عزرا لقبه من حمامة إلى زيت، وهو ما يعني الزيتون بالعبرية (وبالعربية). انضم إلى كيبوتس ماعوز حاييم حيث كان يقود جراراً، وتزوج وتطوع للخدمة في الهاغاناه، القوة اليهودية شبه العسكرية قبل الاستقلال. مع تفشي المرض

بعد الحرب العربية الإسرائيلية الأولى في مايو 1948، انضم إلى لواء جفعاتي وتوفي أثناء القتال ضد الجيش المصري أثناء الدفاع عن كيبوتس نيتسانيم في النقب. وكانت زوجته نعمة حاملاً في ذلك الوقت. في لقائهما الأخير، أخبر عزرا نعمة أنه إذا لم يرجع من الأمام، وإذا ولدت ولدًا، أن يطلب من الصبي عندما يكبر أن ينتقم لدمه. أنجبت نيهاما فتاة أسمتها تكفا، وهي الكلمة العبرية التي تعني الأمل. نعمة تخبر فؤاد عن أمنية أخيه الأخيرة. أخبرني فؤاد، الذي تم تغيير اسمه إلى هرتزل لدى وصوله إلى إسرائيل عام 1949، أنه شعر أنه حقق رغبة أخيه الأكبر في الانتقام من خلال القتال مع جيش الدفاع الإسرائيلي ضد الجيش المصري في ثلاث حروب: حرب السويس. 1956، حرب يونيو 1967، وحرب أكتوبر 1973.

في أحد الأيام في إسرائيل، عندما كنت في أوائل مراهقتي، كنت أبحث في ألبوم يضم الضحايا الإسرائيليين في حرب عام 1948، والذي أعارني إياه جارنا المجاور، وعثرت على اسم عزرا زيت (حمامة). . كانت هناك لقطة صغيرة للرأس، وتاريخي الميلاد والوفاة، وتفاصيل أخرى أو اثنتين. عرضت الصورة على والدي، الذي بدا متأثرًا، بل ومضطربًا بشكل واضح. لقد اهتزت صورة ابن أخيه المتوفى، لكنه لم يقل شيئًا سوى أن سألني أين وجدت الألبوم. وبما أنني أعرف الآن عن ظروف رحيل ابن عمي من بيتنا في بغداد قبل عام من ولادتي، فإنني أتساءل عما إذا كان والدي قد سيطر عليه الشعور بالذنب. ولكن في ذلك الوقت لم يقل شيئا. لقد بدا مذهولًا ومنزعجًا. وفي هذه المناسبة، كما في العديد من المناسبات الأخرى، بدا أنه غير قادر على التعبير عن مشاعره بالكلمات.

كانت والدتي أكثر انفتاحًا وأكثر وضوحًا وأكثر ثرثرة. أحد الأشياء القليلة المتوقعة منها كامرأة متزوجة هو أن تنجب أطفالًا، وقد أعطت

ولادة ثلاثة في تتابع سريع. ولدت أختي ليديا في 14 فبراير 1944، وولدت أنا في 31 أكتوبر 1945، وأختي الصغرى فيلما ولدت في 1 ديسمبر 1948. كانت ولادتي بمثابة تغيير جيلي في تاريخ العائلة. كان جدي لأمي مئير يرقد على فراش الموت في منزله في الكرادة، متأثرا بسرطان الكبد. وكانت ابنته سعيدة في الشهر التاسع من حملها، وتحمل حفيده الثاني. كان الموزلي وابنهما الأكبر إسحاق بجانب سريره في الأسبوع الأخير من حياته. ولم يخبروا سعيدة بمرض والدها العضال لأنهم كانوا يخشون أن يؤثر ذلك على صحتها ويعرض الطفل للخطر.

تقدم رسالة مكونة من ثلاث صفحات كتبها إسحاق إلى شقيقه ألفريد، الذي عاش في طهران، تفاصيل كثيرة حول الظروف المحيطة بوفاة والدهما. وبحسب هذه الرسالة، بدأ مئير يشكو من آلام في معدته قبل عامين من وفاته. أخذه الأخ الأوسط صالح إلى المستشفى اليهودي مئير الياس. اعتقد الطبيب في هذا المستشفى أن مئير مصاب بالديدان في معدته ووصف له ما يعتقد أنه الدواء المناسب. وتبين أن هذا هو التشخيص الخاطئ وربما يكون العلاج قد ساهم في وفاته. عندما تدهورت حالة مئير، تم استدعاء إسحاق من القاهرة. عندما رأى إسحاق مدى ضعف والده وشحوبه، لجأ إلى المديرية الطبية للجيش في بغداد طلبًا للمساعدة. استجاب الدكتور سندرمان لاتصاله ورافقه الى الكرادة لفحص المريض. كان تشخيص الدكتور سيندرمان هو أن المريض يعاني من سرطان الكبد وأنه لا يمكن فعل أي شيء لإنقاذه. وبما أن مائير لم يكن قادراً على تناول الطعام، قام القائمون على رعايته بغمس القطن في ماء الورد والسكر لترطيب شفتيه. وافته المنية الساعة 1600 يوم 6 تشرين الثاني (نوفمبر) 1945، يوم ختاني. عاد الموزلي إلى منزله مسرعًا من

مراسم الختان ووضعت قطعة من البهجة التركية في فم زوجها المحتضر. ابتسم مئير ابتسامة باهتة، وأخذ نفسا عميقا ثم لفظ أنفاسه بسلام.



آفي في بغداد وهو في الرابعة من عمره

ستة

بغداد

كنت في الثانية أو الثالثة من عمري، في رعاية مربيتي،
نجلس على سجادة فارسية على سطح منزلنا،
محاطة بالألعاب بمختلف أنواعها، بما في ذلك أ
زوج كبير بشكل غريب من مقص البلاستيك. اخترت أن تجرب
المقص على إصبع قدمي الكبير لمربيتي. يبدو أنها تستمتع
اللعبة بشكل كبير، تعج بالضحك، وشجعتني على ذلك
اضغط بقوة أكبر على المقص. الأصعب أنا
عند الضغط عليها، كانت ضحكاتها أعلى. هذا هو واحد من
أقدم وأكثر ذكريات طفولتي حيوية. ال
الحلقة عبارة عن نسخة مصغرة من حياتي العائلية في بغداد: قدنا
أسلوب حياة مريح ومريح، محاطًا بالمربيات
والخدم؛ لقد كنت محظوظًا ومدللًا، وحتى
قوبل بالسلوك المشاغب على ما يبدو من جهتي
تساهل حنون. وكانت النتيجة النهائية سعيدة و
طفولة خالية من الرعاية.

لقد ولدت في بغداد في 31 تشرين الأول (أكتوبر) 1945. وبينما كنت ألفظ أنفاسي الأولى، كان جدي مئير، في جزء آخر من بغداد، يلفظ أنفاسه الأخيرة. كيف كانت المدينة التي ضمت العديد من أجيال عائلتي؟ كان لبغدادنا ماضٍ عريق. تأسست في القرن الثامن وأصبحت عاصمة الإمبراطورية العباسية، ومركز الخلافة العربية خلال "العصر الذهبي للإسلام" في القرنين التاسع والعاشر. خلال هذه الفترة، تطورت إلى مركز تجاري وثقافي كبير

المركز الفكري للعالم العربي. في عام 1534، استولت الإمبراطورية العثمانية على بغداد ولم تعد عاصمة للإمبراطورية، التي طغت عليها الآن القسطنطينية.

خلال القرون الخمسة من الحكم العثماني، شهدت المدينة تدهورًا بطيئًا. ومع تفكك الإمبراطورية العثمانية، وقعت تحت الانتداب البريطاني، وفي عام 1932، أصبحت عاصمة المملكة الهاشمية العراقية. استعادت بعضًا من أهميتها السابقة كمركز مهم للثقافة العربية. وهكذا كانت بغداد في طفولتي مدينة مختلفة تماماً عن تلك التي كانت في العهد العثماني. بعد الحرب العالمية الثانية تطورت بسرعة وقدمت للطبقات الوسطى العليا أشكالًا حديثة من الترفيه والثقافة: دور السينما والموسيقى الشعبية وركوب الخيل والتنس وغيرها من أشكال الرياضة. وقبل كل شيء، كانت مدينة حضرية متعددة الأعراق، وموطناً لأقليات مختلفة، وتنتشر فيها المساجد والكنائس والمعابد اليهودية. وكانت لدينا علاقات ودية مع جيراننا المسلمين والمسيحيين، غير مرتبطة بالخلافات الدينية.

هذا لا يعني أن اليهودية لم تكن ذات أهمية
جزء من هويتنا الجماعية. في الواقع، كان متكاملا
إلى الطريقة التي رأينا بها أنفسنا وإلى الطريقة التي تصرفنا بها
حياتنا اليومية. لقد كنا بالتأكيد علمانيين، ولسنا أرثوذكسيين
اليهود. ولكن على الرغم من أننا لم نكن متدينين، فقد احتفظنا بالشريعة اليهودية
بيت. تم ذبح الدجاج الذي استهلكناه بواسطة أ
"شوهيت" أي الذبح حسب الطقوس اليهودية
لقتل الحيوانات. ليلة الجمعة كان لدينا
كيدوش، صلاة وبركة يتلوها والدي باسم
رب البيت مع خمر حلوة في كأس من فضة،
في الوجبة الاحتفالية التقليدية للدخول في يوم السبت.
كان كنيس مئير طاويج يقع على الجانب الآخر من الطريق الذي يقع فيه منزلنا
منزل. لم يكن والدي يذهب إلى هناك ليصلي كل يوم سبت؛
كان يحضر الخدمات فقط في المهرجانات والخاصة
مناسبات. علاوة على مستحقاته كعضو في

في الكنيس، تبرع بسخاء لجمعية خيرية للفقراء كانت تديرها الكنيس.
كانت اليهودية بالنسبة لعائلتنا ثقافة أكثر منها ديانة.

كنا عائلة من الطبقة المتوسطة العليا ميسورة الحال ومريحة. كنا نعيش في منزل كبير في 44 شارع العلمين، بحي البتاويين المزدهر وسط المدينة، على مشارف الباب الشرقي. وبجانب البتاويين تقع إيليا، وبجانب إيليا تقع الكرادة حيث تعيش جدتي لأمي. وكانت معظم المنازل في البتاويين عبارة عن فلل خاصة محاطة بالحدائق والبساتين. وكان حيًا مختلطًا يضم نسبة كبيرة من السكان اليهود. كان منزلنا هو المنزل الذي بناه والدي لنفسه عندما كان أعزبًا، ووفقًا لأمي، كان من أرقى المنازل في بغداد بأكملها. وبما أنه هو نفسه كان مستوردًا وموردًا لمواد البناء، فقد كان في وضع جيد للاختيار من بين أفضل المقاولين. في الطابق الأرضي كانت هناك قاعة. غرفة جلوس بها موقد حطب أمريكي الصنع، وأرائك وكراسي مخملية خضراء، وسجاد فارسي ثمين؛ وغرفة طعام كبيرة. قادتني مجموعة من السلالم إلى غرفة نوم والدي وإلى الحمام الفخم ذي البلاط الأخضر المستورد من إنجلترا. في الطابق التالي كان هناك حمام آخر وشرفتين وغرف نوم للأطفال ومربية. كان هناك جناح آخر من المبنى يضم والدة والدي وأخته وابنة أخيه وغيرهم من أفراد عائلته المتنقلين. يحتوي المنزل إجمالاً على ثلاثة حمامات وسبعة مراحيض.

أدت مجموعة من السلالم إلى سقف مسطح محاط بجدار من الطوب يصل ارتفاعه إلى الخصر. في الصيف، عندما يكون الجو حارا بشكل لا يطاق، كان الخدم يجمعون لنا أسرة خاصة على السطح حتى نتمكن من النوم في الهواء الطلق، يبردنا النسيم القادم من نهر دجلة. كان لدى والدي سرير مزدوج مع عمود في كل زاوية وشبكة بيضاء لمنحهم الخصوصية

وحمايتهم من البعوض ليلاً. أخواتي وأنا
كان لديهم أسرة مفردة بدون شباك. عندما أصبح الجو حارا جدا
السقف المفتوح، كان والدي ينتقلان إلى شرفة السطح
الذي كان في الظل. كان لدى والدتي بطة مفضلة-
وسادة الريش التي أحضرها جدها لأبيها
عاد لها من إحدى رحلاته إلى الصين. معرفة كيف
كانت ملتصقة بهذه الوسادة، وكان الخدم يحركونها
إلى الطابق السفلي البارد لتأخذ قيلولتها بعد الظهر ثم تعود إلى المنزل
السقف في المساء. النوم على السطح نقل أ
شعور غريب بالعزلة والتواصل مع الطبيعة. واحد
من ذكرياتي الأولى عندما كنت طفلاً مستلقيًا على السرير
السقف والتحديق في القمر والنجوم. إذا نظرنا إلى الوراء
في هذا الإعداد المثالي، أشعر بالحرج قليلاً
كم كنت مدللاً ومتميزًا عندما كنت طفلاً صغيرًا.
كان والدي هو الأب والمعيل، وكان يعامل دائمًا باحترام كبير من الجميع، كما هي
العادة في المجتمع العربي. كان متوسط الطول، ممتلئ الجسم، أصلع، ويرتدي
نظارة مستديرة ذات إطار ذهبي وعدسات سميكة جدًا. تتكون خزانة ملابسه من
بدلات مصممة خصيصًا من ثلاث قطع من القماش الإنجليزي الفاخر والتي
كان يرتديها دائمًا مع قميص أبيض وربطة عنق متطابقة. أتذكره كرجل لطيف الكلام
ولطيف ومهتم وكريم. على الرغم من أنني لم أتعرض له مطلقًا، فمن الواضح أنه
كان لديه نزعة عنيفة أيضًا. وعندما فقد أعصابه، كان عرضة لضرب الناس.

أكثر الناس كانوا يلقبون بأبي أبا أبي، والد أبي أبي،
بدلاً من يوسف. وكان السيد شلايم رسمي للغاية بينما كان يوسف
كان الأمر مألوفًا جدًا، لذا بدا أن أبو أبي يشعر بالسعادة
متوسطة، وفقاً للعرف العربي. الرجال العرب هم
غالبًا ما يطلق عليهم اسم ابنهم الأكبر. في الماضي كانوا
يتم استدعاؤهم على اسم ابنتهم الكبرى فقط في حالة عدم وجود ابن.
ولكن في السنوات الأخيرة، حدث تحول بين الأجيال
المكان: يمكن تسمية الرجال باسم ابنتهم إذا كانت هي
الأكبر ولو كان هناك ابن أصغر. وكان هذا صغيرا ولكن

مثال واضح على التمييز ضد المرأة في المجتمع العربي اليهودي في القرن الماضي، وهو موضوع سأعود إليه.

كان نطاق الأسماء في عائلتي الممتدة متنوعًا بشكل لافت للنظر، ناهيك عن كونه مربكًا. لقد نشأ التنوع من وضعنا الهجين كيهود عرب. وكانت بعض الأسماء عربية عراقية ولكنها ليست مسلمة حصراً، مثل مسعودة وسعيدة وصالح وحبيبة وموزلي وفؤاد. وكانت بعض الأسماء يهودية بشكل واضح مثل مئير ومناشي وإلياهو وعزرا وشاؤول وهاسكل. وكانت بعض الأسماء، مثل أسماء شقيقتي ليديا وفيلما، وأسماء عمي ألفريد، عبارة عن مزيج نموذجي من عائلة يهودية عراقية تلقت تعليمها في التحالف.

كان اسمي إبراهيم أو أبي للاختصار. لقد سُميت على اسم جدي لأبي، الذي قتل على يد اللصوص. تشير وثيقة التسجيل المدني الخاصة بي إلى اسمي إبراهيم - النسخة العربية من اسم إبراهيم. تاريخ الميلاد 31 أكتوبر 1945. اسم الأب يوسف واسم الأم مسعودة ولكن لا يوجد لقب. تحت الدين تقول الوثيقة الموسوي، وتعني عضوا في دين موسى. لماذا لم يقل ببساطة "يهودي"، الكلمة العربية التي تعني "يهودي"، ليس واضحا بالنسبة لي. يوجد على الشهادة ختم يحمل صورة الملك الرضيع، فيصل الثاني، الذي كان عمره آنذاك عشر سنوات.

كنت الطفلة الوسطى، وُلدت بين أختين: ليديا، التي تكبرني بثمانية عشر شهرًا، وفيلما، التي تصغرني بثلاث سنوات. كان الجو في منزلنا هادئًا ومريحًا، وكانت الألعاب متناثرة في كل مكان. كان المفضلان لدي هما الحصان الخشبي الذي يمكنني ركوبه، والقطار المزود بقاطرة الرياح التي تعلمت كيفية تجميعها وتشغيلها. كنا أنا وأخواتي على ما يرام، وقد اعتنى بنا آباؤنا وأقاربنا الذين عاشوا معنا والمربيات والخدم. لم يكن والدنا أبًا غائبًا. كان يأتي إلى المنزل كل يوم لتناول طعام الغداء والقيلولة، لذلك رأينا أ

الكثير منه. كانت والدتنا سيدة مرحة: لم يكن لديها عمل ولا تقوم بأية أعمال
منزلية، لذا كان بإمكانها تكريس معظم وقتها للمساعي الممتعة. في سن الرابعة
والعشرين كان لديها ثلاثة أطفال صغار، لكنها حصلت على قدر كبير من المساعدة
التي أرادتها في رعايتهم. لقد كانت أمًا جميلة، مفعمة بالحيوية، ومحبة، وكانت
تتمتع بالكثير من المرح. كانت الفجوة العمرية بين والدينا مذهلة، لكنهما كانا
والدين جيدين بطرقهما المختلفة وعملا بشكل جيد كفريق.

وكان جميع سكان المنزل الكبير الآخرين مرتبطين به
والدي، واحتلوا جناحا منفصلا. والدته
لولو، التي كنا نسميها يوما، كانت تقوم بمعظم أعمال الطهي والطبخ
كان دائمًا في متناول اليد للمساعدة عند الحاجة. قضت
معظم اليوم في المطبخ، لإعداد الإفطار والغداء
والعشاء. ابنتها روزا، الأخت الكبرى لأبي،
كان هو المسؤول عن الأسرة. وكانت قصيرة،
كثيف، ذو شعر أسود كثيف، وفرق في وسطه،
وكانت ترتدي دائمًا اللون الأسود. لقد علمت بالمأساة
التي كانت تكمن وراء ملابسها الكئيبة فقط عندما كبرت.
كانت روزا في السابعة عشرة من عمرها عندما تزوجت من رجل يهودي
وبعد عام أنجبت طفلة.
بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، زوجها
تم تجنيده في الخدمة العسكرية من قبل الإمبراطورية العثمانية. في
في ذلك الوقت كان العراق الحالي يتكون من ثلاثة عثمانيين
المحافظات: كركوك وبغداد والبصرة. الكلمة التي صيغت هي
ربما تسمية خاطئة لأن الأتراك لم يكن لديهم
عملية توظيف بيروقراطية منظمة، على الأقل ليس فيها
هذا الجزء من إمبراطوريتهم المتداعية. إمبراطورية في حالة حرب
كانت بحاجة إلى وقود للمدافع، لذلك كان رقباء تجنيدها سيفعلون ذلك
يحضر بشكل غير متوقع ويختار حرفيًا الشباب من
الشوارع أينما وجدوها. في العثمانية
كانت ظروف الجيش رهيبة: كان هناك نقص في الغذاء و
وكانت الملابس غير كافية لظروف الشتاء القاسية. روزا
كان من سوء حظ الزوج أن يتم التقاطه في واحدة من هذه

غارات. لم يسمع عنه مرة أخرى. ولم تكن ابنته الصغيرة راشيل تعرفه إلا بصعوبة. ولم تتلق روزا من السلطات التركية أي أخبار عن مصيره، لذا لم يكن لديها أي وسيلة لمعرفة ما إذا كان حياً أم ميتاً. على الأرجح أنه مات في الحرب، لكن لم يكن هناك إشعار رسمي يؤكد ذلك. وهذا يعني، وفقًا للقانون اليهودي، أن روزا لا يمكنها الزواج مرة أخرى. لبقية حياتها، ارتدت اللون الأسود حدادًا على وفاة زوجها المفترض. كان عليها أن تربي ابنتها كوالدة وحيدة.

أبلغ جميع خدم المنازل روزا. لقد ارتفعت
المعايير، يمكن أن تكون شرسة وكانت تتمتع بسمعة طيبة
مدير مهمة صعبة. أي عامل نظافة لم يرق لها
تم توبيخ التوقعات الصارمة وتم تنظيفها
مرة أخرى. كانت روزا أمًا مخلصة لراشيل، طفلتها الوحيدة.
عاشت راشيل معنا، وذهبت إلى المدرسة، لكنها كانت كذلك أيضًا
تم استدعاؤها للمساعدة، خاصة كنادلة في العشاء و
الأطراف. مثل والدتها، لم تكن راشيل على وجه الخصوص
جذاب. لسوء الحظ بالنسبة لها، في تلك الأيام فتاة
لم يكن جميلا وكان من المتوقع أن يأتي مع أعلى من-
المهر العادي من أجل جذب الزوج. صانعو الثقاب
كانوا متورطين عادة. يمكن للأقارب أن يلعبوا دورًا رئيسيًا في ذلك
اختيار شريك لطفلهما، كما اكتشفت والدتي
إلى تكلفتها. وبما أن راشيل لم يكن لها أب، فقد تصرف والدي
بصفته وليًا لها، وبمنحها مهرًا قدره 1000 جنيه
دينار. وكان الدينار في ذلك الوقت يساوي تقريبًا نفس قيمة الدينار
جنيهًا إسترلينيًا، لذلك لم يكن مبلغًا زهيدًا. راشيل
ربما كان من الممكن العثور على زوج بدون
المهر، ولكن المهر لم يضرها.

كانت معاملة والدي لأخيه الأصغر إسحاق أقل كرمًا بشكل ملحوظ من معاملته لابنة أخته. ولقب إسحاق بسحاق العامي إسحاق الأعمى لصغر عينيه وقصر نظره. شاك هو النطق اليهودي العراقي لإسحاق وعامي باللغة العربية

يعني أعمى. لم يكن إسحاق يتمتع بذكاء عالٍ، وكان والدي يعتبره عبئًا.
وكثيراً ما كان يغضب منه، بل ويصفعه في بعض الأحيان. ولتجنب اللقاءات
المؤلمة، كان إسحاق يأتي إلى المنزل فقط عندما يكون والدي في العمل. وحتى
في ذلك الوقت، لم يكن يدخل عبر المدخل الرئيسي، بل كان يتنقل عبر المرآب
إلى المطبخ، حيث تطعمه والدته وشقيقته روزا.

كان تقسيم العمل بين مختلف موظفينا
أقل من دقيقة. رجل واحد، روبن، كان والدي
أمين مخزن ومكلف بالقيام بالتسوق للجميع
أُسرَة. على الرغم من أن عائلتنا لم يكن لديها سوى خمسة أفواه
الأعلاف، وكان هناك أيضا الأسرة الممتدة والموظفين. روزا
كانت مسؤولة عن المطبخ، لذلك كانت هي التي
أخبر روبن ماذا يشتري. في الساعة الخامسة أو السادسة كل يوم
في الصباح، كان روبن يذهب إلى سوق الشورجة ببغداد
أقدم سوق يقع في قلب المدينة. طازج
كان الإنتاج متوفراً بكثرة، بما في ذلك الفاكهة و
الخضار والبيض والدواجن واللحوم والأسماك ومنتجات الألبان
مثل الحليب والزبدة والقشدة الحامضة واللبن والجبن المملح و
والعديد من أنواع الجبن الأخرى. عندما كان التسوق
بعد الانتهاء من ذلك، سيقوم روبن بتحميلها على عربة يجرها حصان، محليًا
تاكسي، وتتوجه إلى منزلنا في البتاويين، على بعد حوالي كيلومتر واحد
من السوق. بعد أن قام بتسليم مشترياته، سيفعل ذلك
ثم يذهب إلى المتجر ليبدأ عمله اليومي. كان كل شيء
يتم شراؤها وطهيها واستهلاكها في نفس اليوم؛ بقايا الطعام
تم التخلص منها.

ولم يكن البستاني، وهو مسلم يُدعى عابد، يقدم تقاريره إلى روزا، بل مباشرة
إلى سيدة المنزل. وكان يوم السبت هو يوم إجازته الوحيد. كانت قطعة الأرض الأصلية
التي بني عليها منزلنا تحتوي على حديقة أكثر من كافية ومجموعة من الأشجار
الناضجة. لم يكن هناك سوى شجرة نخيل قديمة واحدة بجوار المنزل، لكنها أنتجت
محصولًا ضخمًا بشكل استثنائي

مواعيد عصارية. غالبًا ما لاحظ أفراد العائلة والأصدقاء الذين تلقوا طرودًا من تلك التمور أن مذاقها أفضل من الشوكولاتة. عندما كنت طفلاً، كنت أشاهد بمزيج من الإعجاب والقلق عندما كان عابد يتسلق شجرة النخيل ليلتقط الحلوى الأسطورية.

بعد أن تزوج والدي، ظهرت إمكانية شراء قطعة أرض إضافية وأكبر في المنزل المجاور. أعطى والدي والدتي خيار ملعب التنس أو الحديقة. اختارت حديقة. أنتج أحد بستاني المناظر الطبيعية خطة لمساحة متناغمة مع حديقة عشبية وأحواض زهور وبستان به أشجار البرتقال والتين والمشمش والخوخ. وكانت النتيجة حديقة جميلة جدًا، اعتنى بها عابد بمحبة. إحدى ذكرياتي العشوائية عن بغداد هي الاستيقاظ ليلاً، والمشي إلى الشرفة ورؤية عدد كبير من الضيوف يجلسون حول طاولات طويلة محملة بالطعام والشراب، والنوادل يركضون ذهابًا وإيابًا حاملين الصواني وفرقة موسيقية تعزف. في الخلفية.

المهام اليومية الروتينية من غسل وارتداء الملابس والتغذية
تم تكليف الأطفال بمربيات تم اختيارهن بعناية.
مارسيل، المربية الرئيسية، كانت ابنة روبن، ال
أمين مخزن. كانوا عائلة يهودية كردية فقيرة من
الموصل في الشمال. كانت مارسيل طويلة، أشقر وأنيقة
امرأة شابة. بعض العائلات اليهودية الثرية
المربيات الأرمنيات العاملات، اللاتي كان لهن مجد معين
المرفقة: كانوا محترفين، وكانوا أعلى
الأجور وتم تمييزهم بزيهم الأبيض.
وتتمتع المربيات الأرمنيات بسمعة طيبة بين الجميع
المجتمعات، ولكنهم كانوا مسيحيين. اليهود الأثرياء الذين
شعرت بعدم الارتياح تجاه توظيف المسيحيين الذين بحثوا عن اليهود
ويميل هؤلاء المربيات إلى القدوم من الموصل أو كركوك.
والدتي، التي كانت شديدة الوعي بمكانتها، أرادت منا أن نفعل ذلك
لديك مربية أرمنية. رفض والدي. يستطيع

كان من السهل تحمل تكلفة توظيف مربية أرمنية واحدة، لكن المربيات اليهوديات المفضلات ومارسيل كانا مناسبين للمشروع تماماً.

في أحد الأيام، وتحت مراقبة مارسيل، سقطت من كرسيي المرتفع واصطدمت رأسي بالأرضية الحجرية. كان من المفترض أن أتناول الطعام ولكنني وقفت فجأة على الكرسي وانقلبت. سمع والداي الانفجار القوي وصراخي واندفعا إلى الغرفة مذعورين. استشاط والدي غضباً وصفع مارسيل بقوة على وجهها وهو يصرخ: «أمبا؟» هل أنت أعمى؟ ""كنت واقفاً بجانبه"" كيف يمكن أن تدع هذا يحدث؟ اخرج من هنا! نحن لا نريدك في هذا المنزل! وعندما أصبح من الواضح أن السقوط لم يسبب أي ضرر جسيم، هدأ غضب والدي. كانت والدتي غاضبة جداً منه لأنه ضرب الفتاة المسكينة. في النهاية وافق على السماح لمارسيل بالبقاء لكنها سارت على قشر البيض وظل الجو في المنزل متوترا لبعض الوقت بعد الحادث.

كانت والدتي متفائلة لا يمكن كبتها. لمعانها على وكانت الحادثة، بعد سنوات عديدة، أن السقوط لم يحدث أي ضرر وربما فعل بعض الخير بالفتح وتوسيع عقلي. فكرت، ربما كان ذلك بسبب من الخريف تبين أنني ذكي جداً! والدتي أحببت التخطيط لكيفية جعلني ذكيًا. لقد افترضت ذلك كانت قشور الفستق الغنية بالفيتامينات ضرورية لمثقفي التنمية، لذلك أمطرتني بالفستق. أخواتي تم إعفاؤهم من هذا النوع من التغذية على الأرجح رأت الاتفاقية أن الفتيات لا يحتاجن إلى أدمغة.

ويعكس هذا التمييز نمطاً أوسع من التمييز ضد المرأة في المجتمع العربي المعاصر. ولتوضيح الأمر في أبشع صوره، كان الأولاد يعتبرون أخباراً جيدة بينما كانت الفتيات يعتبرن غير مؤاتيات أو حتى لعنة. يكبر الأولاد ليصبحوا رجالًا، ويذهبون إلى العمل، ويكسبون المال ويساعدون في إعالة الأسرة. أما الفتيات، من ناحية أخرى، فقد اعتبرن عبئا ماليا. يمكنهم أيضا

أن تكون مسؤولية اجتماعية، على سبيل المثال إذا مارسوا الجنس قبل الزواج، مما جلب العار على الأسرة - من المفترض أن الأولاد لا يستطيعون ذلك. وبالتالي، لم يكن من غير المألوف أن يرغب الآباء في تزويج بناتهم في أقرب فرصة. كان التوقع الشائع للفتيات هو إنهاء المدرسة والزواج وتربية الأطفال. لا شيء من هذا بالطبع يتناقض مع حقيقة أن عائلتي، مثل معظم الأسر الأخرى، كانت تضم نساء قويات للغاية في وسطها. وكان بعضهم، للأسف، من أكثر المتحمسين لتطبيق التمييز بين الجنسين.

وإلى جانب هذه العادات العامة جاءت الظروف الخاصة لعائلتي. كنت الولد الوحيد في العائلة، وحصلت على نصيبي العادل من الاهتمام. لم يكن والداي وحدهما من أعطاني معاملة تفضيلية، بل أيضًا الجدات والعمات والخدم، وبدرجة أقل المربيات. لقد كنت شغوفًا بالعديد من النساء اللواتي لم يتوقفن أبدًا عن إصدار الفواتير والهديل من حولي. تلقت أخواتي الحب والمودة ولكن لم يكن بنفس الدرجة التي أتلقاها. كان من غير الطبيعي بالنسبة لهم ألا يشعروا أحيانًا بألم الغيرة من المعاملة التفضيلية التي تلقيتها.

بعض العلامات لم تكن دقيقة جدًا. كان يوما يقول ليديا وفيلما: «أبي هو العسال وأونتم كشور البساي، أبي هو العسل، وأنت قشور البصل!» فقط عندما كبرت بدأت أقدر التأثيرات الضارة للغاية التي لا بد أن تحدثها مثل هذه المواقف على أخواتي من حيث الثقة بالنفس واحترام الذات. دفاعي الوحيد هو أنني في ذلك الوقت لم أكن ببساطة على دراية بالطرق التي عملت بها ديناميكيات عائلتنا لصالحي ولصالح ليديا وفيلما على المدى الطويل.

دفعني الشعور الدائم بالذنب تجاه أخواتي، عندما كنت أكتب هذا الفصل، إلى الضغط على والدتي.

مسألة المحسوبية تعود إلى بغداد. هي
رفضت بشدة الإيحاء بأن أخواتي لديهن أي شيء
سبب للشعور بالظلم. قالت، في المقام الأول، فيلما
لقد كنت أصغر من أن ألاحظ أيًا من هذه الأشياء. ولا
هل شعرت ليديا في ذلك الوقت بأنها لم تحصل على حقها؟
على العكس من ذلك، كانت مدللة، وعلى قدر كبير من
لقد أثيرت ضجة حولها قبل ولادتي وبعدها.
لم تسميها يوما قشور البصل إلا عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها
شقي أو عندما ضربتني. احتجاجات ليديا على الطريق
ولم يبدأ علاجها إلا بعد انتقالنا إلى إسرائيل،
وفقا لأمي. والسبب الذي ذكره
كان التغيير هو أنه لم يكن لدينا خدم في إسرائيل، وكانت ليديا كذلك
من المتوقع أن تساعد في الأعمال المنزلية.

والدتي أيضاً كانت مدللة في بغداد. بدأ يومها النموذجي في حياتها بوجبة
إفطار ضخمة تتكون من الخبز المسطح والبيض المسلوق والباذنجان المقلي
والطحينة والسلطة والجبن، وللحلوى الكريمة مع شراب التمر. بعد الإفطار، كان
عدد قليل من صديقاتها يأتي إلى منزلنا للعب الورق بينما كان أزواجهن في العمل.
في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا، سيكون لديهم استراحة لتناول القهوة تتكون
من أكثر بكثير من مجرد قهوة. كان الأمر أشبه بما يسميه الأطفال الإنجليز
بالعامية "الأحد عشر". هنا تم تقديم المعجنات المليئة بالجبن والخضروات
المقلية وكروكيت الدجاج والكعك للسيدات. سيتم تقديم الغداء لجميع أفراد الأسرة
حوالي الساعة الثانية بعد عودة والدي من العمل. كان الغداء أمرًا كبيرًا جدًا مع
مجموعة كبيرة من أطباق الأسماك واللحوم والخضروات ولكن النظام الغذائي الأساسي كان
الدجاج والأرز. كان هناك عادة طبق واحد حلو وحامض وبعض الحلويات. تم توزيع كل
الطعام على الطاولة قبل بدء الوجبة كما هي العادة في الشرق الأوسط. بعد الغداء،
كان آباؤنا ينزلون إلى السرداب في الطابق السفلي البارد ليأخذوا قيلولة. وكان
السرداب مزوداً بنوع بدائي من الهواء

مكيف: نباتات متسلقة على إطار خشبي رفيع
وكان لا بد من رشها بالماء من وقت لآخر. حولت النباتات الرياح الدافئة الواردة
إلى نسيم بارد وعطر بشكل معتدل. كان آباؤنا يخرجون من الطابق السفلي بعد
ساعة أو ساعتين لتناول جولة أخرى من الشاي والقهوة والفواكه الطازجة. لم يعد والدي
إلى العمل في فترة ما بعد الظهر: كان موظفوه يديرون العمل نيابة عنه.

في الصيف كان لدينا نزهات عائلية متكررة في
نهر دجلة، وينتهي عند شاطئ الجزيرة الكبيرة
الجزيرة، على منعطف قرب الكرادة. الجوهرية، على
كانت الضفة المقابلة للنهر مكانًا شهيرًا آخر
السباحة والنزهة. مثل العديد من أصدقائنا الأثرياء
والأقارب، نصبنا خيمة كبيرة في الجمهورية و
احتفظ بها طوال الصيف. حتى العم يوسف الذي
فيلا في الكرادة كانت على ضفة النهر، لا تزال نصب أ
خيمة كبيرة على الجانب الآخر في الجوهرة. كان لديه أيضا
زورق التجديف الخاص به وكان يستخدم مجدفًا (بالامتشي)، وهو
عجوز مسلم يدعى عامر، والذي كان متاحًا دائمًا
نقل أي فرد من أفراد الأسرة الممتدة في أي اتجاه
الذي أخذ خيالهم. لقد انضممنا عادة إلى هذه
رحلات من قبل بعض أعمام والدتي الآخرين و
العائلات، وأحيانًا بواسطة هاسكل شمتوب، رئيس
الطائفة اليهودية التي سأذكرها لاحقا
-علاقته بخروج اليهود من العراق. ال
كان الكبار يسبحون حول الجزيرة وأكثر من ذلك
نشيطًا بينهم، بما في ذلك والدتي، أيضًا
السباحة على طول الطريق إلى الجزيرة بجانب القارب. مغطاة
مع الغطاء النباتي الكثيف في وسط نهر الجزيرة
كان مكانًا مثاليًا للترفيه للأشخاص من جميع الأعمار
جميع مستويات اللياقة البدنية. كنا نحن الأطفال أصغر من أن نسبح فيها
النهر في ذلك الوقت، لكن سُمح لنا بالتجديف و
اللعب في المياه الضحلة.

وكانت النزهة هي نجمة العرض. يشتهر المطبخ العراقي اليهودي في جميع أنحاء الشرق الأوسط بأطباقه المتنوعة والرائعة المذاق، ومن أكثر وجباته المميزة سمك المسكوف، أي السمك المشوي. كان ملاحنا يشتري سمك شبوط حيًا كبيرًا من الصيادين على طول الرصيف، ويربطه بالقارب ويتبعه عبر المياه إلى الجزيرة. كان يشعل النار، ويقطع السمكة بسكينه الحادة، ويضاف إليها الملح، والكاري العطري، والبصل، والطماطم، ويضعها على الأسياخ إلى جانب جمر النار. وعندما تصبح السمكة جاهزة، كان المتنزهون يأكلونها بأيديهم العارية، ويجلسون على بطانية بجانب النهر. كان سمك مسكوف البدائي تحفة فنية في الطهي، وقد تعززت متعة الأكل برائحة نار الحطب.

بالنسبة للبالغين، كانت النزهة يتبعها أحيانًا نوع آخر من الترفيه. بعد أن يؤويوا أطفالهم إلى السرير، يجتمع الكبار في أحد منازلهم للعب الورق. وكانت تنتظرهم وجبة أخرى على شكل وليمة منتصف الليل. كانت لعبة البوكر هي اللعبة الأكثر شعبية، ولم يكن من غير المألوف بالنسبة لهم الاستمرار في لعبها حتى الساعة الثانية أو الثالثة صباحًا. لم يدخر أي تفكير للسائقين الذين اضطروا إلى الانتظار حتى يستعد أسيادهم للعودة إلى منازلهم. بعد وفاة والدتي، وجدت في أوراقها مذكرات جيب صغيرة لعام 1947. كانت تحتوي على إدخالات واقعية قصيرة، كلها باللغة الفرنسية، بأحرف صغيرة وخط يدوي أنيق للغاية. كان من المذهل رؤية عدد المرات التي ظهرت فيها ألعاب الورق في التقويم الاجتماعي المزدحم لوالدي. في المذكرات، لا تتم الإشارة إلى والدي باسم يوسف، بل باسم يوسف، وكل إدخال يسجل عدد الدنانير التي ربحها أو خسرها في اللعبة.

كان معظم أصدقاء والدي من اليهود، لكن كان لديهم أيضًا أصدقاء مقربون من غير اليهود. وكان أحدهم جمال بابان، المحامي والسياسي الكردي الذي شغل منصب وزير العدل في عدد من الوزارات في الأربعينيات. هو

وكانت زوجته تأتي إلى منزلنا لتلعب الورق، وكانا يتبادلان الدعوة بدعوة والدي إلى منزلهما. استمرت جلسات لعب الورق هذه أيضًا حتى الساعات الأولى من الليل. عند الاستضافة، كان جمال بابان يصر على توصيل ضيوفه إلى منازلهم كدليل على الاحترام والوعد الضمني بالحماية. بل بتباهي، أخرج مسدسه وأخذه معه في الرحلة ليثبت أنه مستعد لكل الاحتمالات. اعتقد والداي أن المسدس غير ضروري وأن بابان كان يحمله من أجل التأثير، لكن هذا لم يقلل من الاحترام والمودة التي يكنونها له. يقولون أن الصديق في وقت الحاجة هو صديق بالفعل، وفي ساعة حاجتهم، كان على بابان أن يثبت أنه صديق حقيقي. أقامت زوجته علاقة صداقة مع والدتي وكانت تأتي أحيانًا لزيارتنا مع أطفالها عندما يكون الرجال في العمل.

جانب آخر من حياتنا الاجتماعية يتعلق بالنوادي. كان هناك سبعة أو ثمانية أندية يهودية في بغداد. كان المجتمع اليهودي هرميًا إلى حد ما وكانت الأندية المختلفة تلبي احتياجات الطبقات الاجتماعية المختلفة. وكان النادي الأكثر شهرة هو الزوراء. والثاني هو الرشيد. وكانت الثروة والمكانة الاجتماعية أهم معايير العضوية. أن تكون ثريًا في حد ذاته لم يكن كافيًا؛ تم رفض بعض الرجال الأثرياء بسبب كونهم غير مقبولين. كان لكل عضو في النادي حق التصويت ويمكنه حظر مقدم الطلب الذي لا يحبه. وصل والداي إلى الأندية الكبرى واستمتعا بالذهاب إليها. وكان ناديهم المفضل هو الزوراء حيث كانت الأجواء ودية ومرحبة. تم تقديم وجبات العشاء المشوية على العشب بواسطة نوادل يرتدون الزي الرسمي. عندما لا يتناولون وجبة، يمكن للضيوف لعب الطاولة أو ألعاب الورق أو مجرد الاسترخاء والدردشة مع الأصدقاء. تم الترحيب بالأطفال الصغار في النادي وتم تخصيص منطقة خاصة لهم. تمت رعاية الأطفال من قبل مربياتهم و

تم دفع الأطفال في عرباتهم. وكان مشهد المربيات الأرمنيات بزيهن الأبيض الأنيق مشهداً مألوفاً.

مرة واحدة في الأسبوع في المتوسط، تتم دعوة فرقة من الموسيقيين اليهود للترفيه عن إخوانهم في الدين في النادي. وقد ميز العديد من اليهود أنفسهم في العراق كمؤلفين موسيقيين وكتاب أغاني ومغنيين وعازفين على الآلات التقليدية. وكانوا بارعين بشكل خاص في المقام، وهو نظام مشروط يستخدم في الموسيقى العربية الكلاسيكية؛ كلمة المقام في اللغة العربية تعني المكان أو الموقع أو الموضع. كان المقام أيضًا جزءًا من الثقافة اليهودية السفارديمية - حيث استخدمه اليهود في صلواتهم الأسبوعية وفي الأيام المقدسة في المعابد اليهودية. تميز اليهود أيضًا في الموسيقى العربية التقليدية، ونتيجة لذلك، كان الطلب عليهم مرتفعًا في الأماكن اليهودية وغير اليهودية. كانت الموسيقى بمثابة جسر بين اليهود والمسلمين، متجاوزة هوياتهم المنفصلة ومؤكدة على الثقافة المشتركة والإنسانية.[1]

كان شغف والدتي هو الموسيقى العربية الشعبية والسفر. منذ صغرها كان لديها طموح للسفر إلى الخارج واستكشاف العالم. في المدرسة، طُلب منها وزملاؤها ذات مرة كتابة مقال يوضح ما يودون القيام به عندما يكبرون وأسباب اختيارهم. كتبت سعيدة أنها تريد أن تصبح مضيفة جوية أو بدلاً من ذلك أن تكون امرأة غنية قادرة على تحمل تكاليف السفر بمفردها. كونها متزوجة من رجل ثري أعطاها المال للسفر، كما أن وجود مربيات لرعاية أطفالها أعطاها الحرية للقيام بذلك.

وكانت سعيدة ترافق والدتها في رحلاتها إلى الخارج. في إحدى الرحلات، أخذت الأم وابنتها إلى مصر، حيث أمضيا بضعة أيام في فندق سيسيل الشهير بالإسكندرية. ومن هناك أرسلت صيدا بطاقة بريدية إلى والدي بتاريخ 12 آب (أغسطس) 1947. وبما أن البطاقة البريدية هي المراسلات الوحيدة التي قمت بها

بين والدي، قد يكون من المفيد الاقتباس بالكامل. وكتبت: "عزيزي يوسف".

نحن الآن في الإسكندرية، ونستمتع كثيرًا. لا أستطيع أن أتخيل مكانًا أجمل أو أكثر متعة من هذا. نحن نقيم في فندق سيسيل، الفندق الذي نقرأ عنه دائمًا في الصحف. كل الوزراء يبقون هنا وقدموا لنا أجمل غرفة، وخاصة المنظر. إنه مذهل: البحر من جهة وحديقة زغلول من جهة أخرى. أنا راضٍ وأستمتع به كثيرًا. أنا أسبح في البحر والشواطئ هنا رائعة. الليلة الماضية ذهبنا إلى فندق Auberge Bleu ثم ذهبنا إلى عرض قدمه ممثلون مصريون.

وكانت سعيدة في الثالثة والعشرين من عمرها، وكانت جميلة جدًا. في إحدى الأمسيات ذهبت هي ووالدتها إلى ملهى ليلي مرموق يُدعى Sans Souci. ولدهشتهم الكبرى، كان الملك فاروق موجودًا هناك أيضًا. كان فاروق يتمتع بسمعة طيبة باعتباره فتى مستهترًا وله سلسلة طويلة من الشؤون التي حظيت بتغطية إعلامية واسعة النطاق. (تم الإطاحة به لاحقًا في ثورة الضباط الأحرار عام 1952). وفي سان سوسي، اقترب أحد أعضاء الوفد المرافق للملك من سعيدة وخاطبها بالفرنسية. وقال إن شخصية مهمة تريد مقابلتها ولكن يفضل ألا يكون ذلك في النادي. هل ترغب في الذهاب معهم إلى القصر؟ وأجابت سعيدة بالفرنسية بأنها ستفعل ذلك، لكن زوجها كان على وشك الحضور لاستلامها. ثم التفتت إلى والدتها وقالت إنه يتعين عليهم مغادرة النادي على الفور. بعد أن اشترت تذاكر باهظة الثمن واستقرت لتوها لقضاء أمسية ترفيهية، تساءلت والدتها عن ضرورة الإسراع. لعدم رغبتها في إخبارها بالسبب الحقيقي، وهو أن الملك الفاسق كان يضع عينيه عليها، اختلقت سعيدة على الفور عذرًا مفاده أنها تعاني من آلام حادة في المعدة. استقلوا سيارة أجرة وعادوا إلى فندق سيسيل. وفي اليوم التالي ذهبوا إلى القاهرة ومن هناك عادوا إلى بغداد. لقد نجا صيدا بأعجوبة.

على الجبهة الجيوسياسية الأكبر، كان عام 1947 عامًا حافلًا بالأحداث، وهو العام الذي وصل فيه النضال من أجل فلسطين إلى ذروته.

مرحلة حاسمة. تم رسم خطوط المعركة بوضوح بينهما
الصهاينة ومؤيديهم الدوليين من جهة واحدة
من جهة، والفلسطينيين وحلفائهم العرب من جهة أخرى.
نوع أصعب بكثير من الصهيونية، "محاربة الصهيونية".
كان يُطلق عليه أحيانًا، وقد تم تزويره أثناء
الحرب العالمية الثانية، والالتزام باليهودية
أصبحت الدولة أعمق وأكثر يأسًا في الظل
من المحرقة. احتمال وضع الأقلية في ظل
ولم يكن الحكم العربي أفضل من الموت
الحكم على الطائفة اليهودية في فلسطين وعلى
الناجين من "الحل النهائي" النازي. وكان قادة الصهاينة
عازمة على المضي قدما في إقامة الدولة بالوسائل الدبلوماسية إذا
ممكن، ولكن بالقوة العسكرية إذا لزم الأمر. وجود
وفشلت مراراً وتكراراً في إيجاد حل سلمي للصراع
بين اليهود والعرب في فلسطين، قذفت بريطانيا هذا
البطاطا الساخنة السياسية في حضن الرضيع المتحد
الأمم، خليفة عصبة الأمم. في
فبراير 1947 قدمت بريطانيا إشعاراً رسميًا بنيتها القيام بذلك
أنهى الانتداب في 15 مايو 1948، وفي 29 مايو 1948
نوفمبر 1947، الجمعية العامة للأمم المتحدة
صوتت الأمم لصالح تقسيم فلسطين الانتدابية إلى
دولتان: واحدة عربية، وواحدة يهودية.
أرسل المجلس العام للطائفة اليهودية العراقية برقية إلى الأمم المتحدة يعارض
فيها قرار التقسيم وإنشاء الدولة اليهودية. مثل عائلتي، كان غالبية اليهود
العراقيين يعتبرون أنفسهم عراقيين أولا ويهودا ثانيا؛ كانوا يخشون أن يؤدي إنشاء
دولة يهودية إلى تقويض موقفهم في العراق. في جميع أنحاء العالم العربي
والإسلامي، كان يُنظر إلى خطة التقسيم على أنها ظلم جسيم للفلسطينيين، وتحمل
المجتمعات اليهودية المحلية المسؤولية عنه جزئيًا. التمييز بين اليهود والصهاينة
أمر بالغ الأهمية

وكان الوئام بين الأديان في العالم العربي ينهار بسرعة.

استقبل يهود فلسطين قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة بالابتهاج والابتهاج؛ رفضتها الدول العربية، المنظمة بشكل فضفاض في جامعة الدول العربية، باعتبارها غير عادلة وغير قانونية وغير عملية، وذهبت إلى الحرب لإحباطها. وانقسمت الحرب من أجل فلسطين إلى مرحلة غير رسمية ومرحلة رسمية. وكانت المرحلة غير الرسمية بين الطائفتين في فلسطين، واستمرت من 1 ديسمبر 1947 حتى 14 مايو 1948. وانتهت بانتصار اليهود وإعلان دولة إسرائيل عند منتصف الليل. خلال هذه المرحلة الأولى من الحرب، تم تدمير المجتمع الفلسطيني وبدأت الموجة الأولى من اللاجئين. في صباح اليوم التالي لميلاد إسرائيل، غزت الجيوش النظامية لسبع دول عربية فلسطين بهدف إحباط التقسيم وإبقاء فلسطين بأكملها في أيدي العرب. استمر القتال في هذه المرحلة الرسمية من الحرب على ثلاث جولات حتى 7 يناير 1949 وانتهى بانتصار اليهود وهزيمة عربية شاملة.

وفي سياق الحرب، قام اليهود بتوسيع أراضي دولتهم من 55% التي خصصها لهم رسامي الخرائط التابعون للأمم المتحدة إلى 78% من فلسطين الانتدابية. تم الاستيلاء على الضفة الغربية وضمها لاحقًا إلى الأردن؛ وظل قطاع غزة تحت الحكم العسكري المصري. وأصبح ثلاثة أرباع مليون فلسطيني، أي أكثر من نصف السكان العرب، لاجئين، ومُحي اسم فلسطين من الخريطة. بالنسبة للإسرائيليين كانت تلك "حرب الاستقلال". بالنسبة للفلسطينيين كان ذلك بمثابة "النكبة" أو الكارثة.

وقعت جميع الدول العربية المجاورة، سوريا ولبنان والأردن ومصر، اتفاقيات هدنة مع إسرائيل عندما انتهت الأعمال العدائية. وسحب العراق جيشه من الجبهة الفلسطينية دون التوقيع على هدنة

الاتفاق، ونتيجة لذلك، ظلت رسميًا في حالة حرب مع إسرائيل منذ ذلك الحين. وكان رفض التوقيع على اتفاقية هدنة مع "دولة العصابات" شيئاً ارتداه قادة العراق كوسام شرف. ومن خلال إرسال الجيش العراقي لإنقاذ الفلسطينيين، اكتسبت العائلة المالكة هيبة لا تُقاس. في الماضي كان يُنظر إليها على أنها دمية في أيدي البريطانيين. والآن أصبح يُنظر إليها على أنها تخدم قضية القومية العربية.

وكان الأثر الآخر لمشاركة العراق في الحرب من أجل فلسطين هو تأجيج التوتر بين المسلمين واليهود في الداخل. وسواء كانوا يتعاطفون مع الصهيونية أم لا، فقد كان عامة الناس يشتبهون على نطاق واسع في اليهود العراقيين بأنهم مؤيدون سرًا لدولة إسرائيل. اجتاحت العالم العربي موجة شعبية قوية من العداء تجاه كل من إسرائيل واليهود الذين يعيشون في وسطهم في أعقاب خسارة فلسطين، ولم يكن العراق استثناءً لذلك. وسار المتظاهرون في شوارع بغداد وهم يهتفون "الموت لليهود". وتم إطلاق حملة لجمع الأموال "لإنقاذ فلسطين من اليهود"، ودعت الصحف إلى مقاطعة المتاجر اليهودية لتحرير العراقيين من "العبودية الاقتصادية والهيمنة التي تفرضها الأقلية اليهودية". أدى وصول ثمانية آلاف لاجئ فلسطيني إلى العراق في صيف عام 1948 إلى جلب التكلفة الإنسانية للفشل في ساحة المعركة.

كانت الهزيمة في فلسطين بمثابة إذلال وطني عميق. ومن أجل صرف الانتباه عن مسؤوليتهم عن الأداء العسكري الهزيل في العراق، بحث قادتها عن كبش فداء ووجدوا في اليهود الذين يعيشون بينهم هدفاً مناسباً. لم تستجب الحكومة العراقية للغضب الشعبي فحسب، بل قامت بنشاط بإثارة الهستيريا الشعبية والشكوك ضد اليهود. وباستخدام القومية كأداة فجة لكنها قوية، قادت الحكومة حملة التحريض،

إدانة اليهود باعتبارهم أجانب وخونة وخطرين
العمود الخامس. وكان في هذه المرحلة أن المسؤول
بدأ اضطهاد اليهود. وتم إقرار قانون في يوليو/تموز
1948، جعل الصهيونية جريمة جنائية يعاقب عليها
الإعدام أو عقوبة لا تقل عن سبع سنوات في السجن.
تم طرد المسؤولين اليهود من وظائفهم الحكومية؛
تم طرد الموظفين اليهود من وظيفة السكك الحديدية
مكتب وقسم التلغراف، ظاهريا لمنع
منهم من القيام بأعمال "التخريب والخيانة".
تم حرمان التجار اليهود من تراخيص الاستيراد والتصدير،
وتم وضع قيود على حرية اليهود
البنوك للتداول بالعملة الأجنبية.

فاجأت محاكمة شفيق عدس في سبتمبر 1948 الجالية اليهودية. كان أديس أغنى يهودي في العراق وله علاقات وثيقة مع مسؤولين عراقيين رفيعي المستوى، بما في ذلك الوصي عبد الإله. وبعد محاكمة صورية استمرت ثلاثة أيام فقط، أُدين بتهم كاذبة تتعلق ببيع أسلحة لإسرائيل ودعم الحزب الشيوعي العراقي. وكان رئيس المحكمة العسكرية هو عبد الله النسني، عضو حزب الاستقلال القومي المناهض لليهود والمؤيد للنازية. ولم تقدم للمحكمة أي أدلة موثوقة، ولم يُسمح لأي شهود بالحضور، وحُرِم المتهم من حقه في الحصول على دفاع مناسب. وحكم عليه بالإعدام شنقاً وغرامة قدرها خمسة ملايين دينار؛ واستولت وزارة الدفاع على باقي ممتلكاته. في وسائل الإعلام، تم استنكار أديس بطرق مختلفة باعتباره ثعبانًا وخائنًا وجاسوسًا وصهيونيًا ويهوديًا. بالنسبة لموشيه جات، وهو باحث إسرائيلي في التراث العراقي، «كان من الواضح أن محاكمة أديس كانت منظمة، وأنه كان كبش فداء لهزيمة العراق في الحرب مع إسرائيل؛ وكان ذلك الانتقام من الطائفة اليهودية من خلال هذا الاعتداء على أحد أعضائها البارزين. بدأ سقوط Ades

أجراس الإنذار في المجتمع اليهودي، خاصة أنه كان يهوديًا مندمجًا وغير صهيوني. إذا كان من الممكن معاملة مثل هذا الرجل القوي بهذه الطريقة التعسفية، فلن يكون هناك أمل كبير في حماية اليهود الأقل نفوذاً. وبدأ بعضهم بالهروب عبر عبور الحدود سراً إلى إيران ومن هناك واصلوا الرحلة إلى إسرائيل.

واجهت عائلتي الغضب المتزايد بشكل مباشر
ضد اليهود على المستويين الشعبي والرسمي. الحرب
بالنسبة لفلسطين، كانت نقطة تحول رئيسية نحو الأسوأ في عام 2013
العلاقات الإسلامية اليهودية. والدتي تفرد ولادة
إسرائيل باعتبارها النقطة الحاسمة في أزمة يهود العراق.
عندما تم إنشاء إسرائيل، لاستخدام كلماتها الخاصة،
"لقد انقلب كل شيء رأساً على عقب." هذا عندما
بدأت المشكلة. كان هناك مضايقات واضطهاد. نحن
عانى كثيرا. تم إعلان الأحكام العرفية الشديدة
وفُرضت الرقابة على وسائل الإعلام بشكل مثير للقلق
تم القبض على عدد من اليهود. رسائل كتبها اليهود
تم فتحها من قبل الرقابة العسكرية بحثا عن
أدلة إدانة. تم استدعاء اليهود ل
استجواب الشرطة بناء على أدلة واهية على وجود صلات
مع إسرائيل، وأحيانا عندما لا يكون هناك دليل على ذلك
الجميع. ووجهت الشرطة اتهامات إلى المحاكم العسكرية
ضد اليهود لدعمهم الصهيونية ولم يكونوا كذلك
فوق الأدلة الملفقة. في بعض الحالات، التهديد
تم استخدام إجراءات المحكمة من قبل رجال الشرطة كوسيلة للابتزاز
مال. وفي قضايا أخرى أُحيلت إلى المحاكمة لليهود
الذين أدينوا حكم عليهم بالسجن متفاوتة
أطوال وفقا لخطورة ما يزعمونه
جريمة. ولم يكن هناك استئناف ضد الحكم الصادر
القضاة العسكريون.
وفي إحدى المرات، بعد أن فتح الرقيب رسائلهما، تم استدعاء سعيدة ووالدتها
موصلي إلى مركز الشرطة المحلي للاشتباه في دعمهما لـ

صهيونية. في رسائل إلى إسحاق شقيق صيدا الأكبر الذي عاش
وفي لندن، أشاروا إلى سليم صندوق، وهي كلمة مشفرة
لدولة إسرائيل المنشأة حديثًا. (السندوق باللغة العربية
يعني صندوقًا.) كان سليم صندوق شخصًا حقيقيًا، وهو من أقاربه
الذين غادروا العراق بشكل غير قانوني عبر إيران للذهاب والعيش في إسرائيل.
وفي مركز الشرطة، تم الفصل بين سعيدة وموزلي.
تم أخذ صيدا أولاً لرؤية ضابط شرطة. 'من هو سليم؟
سندوق؟ سألها. صيدا مرتجلة على الفور و
فأجاب بأنه رجل سمين ويبقى جائعا دائما لا
لا يهم كم أكل. عندما غادرت الغرفة، كان موزلي
دخلت وتمكنت سعيدة من الهمس في أذنها أ
كلمة عن سليم صندوق. سأل الضابط موسلي
نفس السؤال الذي أجابت عليه بطريقة مسرحية
تزدهر، أن هذا كان رجلاً سمينًا للغاية ويأكل مثل
خنزير لكنه لم يكن راضيا أبدا. على الرغم من الحسابين
تم إحصاء سعيدا مرة أخرى إلى المكتب لمزيد من المعلومات
استجواب. هذه المرة استجمعت شجاعتها و
وقال لضابط الشرطة: انظر هنا، نحن بريطانيون. نحن
لم أفعل أي شيء. لذا فقط اتركونا وشأننا. ال
ويبدو أن التهديد الضمني بإشراك السلطات البريطانية كان كذلك
عمل.

وفي الحياة اليومية تعرض اليهود لوخزات طفيفة بالإضافة إلى إصابات
أكثر خطورة. أصبح الأفراد الذين يكنون الاستياء ضد اليهود الآن أقل تقييدًا في
التعبير عن مشاعرهم علنًا. وتشير الحوادث الصغيرة إلى تحول أكثر عمومية في
المناخ. وسط التغيرات التي عاشتها من حولها في هذا الوقت، تذكرت والدتي حادثة
واحدة على وجه الخصوص. لقد أخذها سائقنا من المنزل ليأخذها إلى خان والدي. كان هذا قبل
أيام إشارات المرور - وبدلاً من ذلك، وقف شرطي بصافرة على منصة عند مفترق
الطرق لتوجيه حركة المرور. في ذلك اليوم أوقف الشرطي سائقنا وسأله عن سبب
سرعته. أجاب سائقنا أنه

كان في عجلة من أمره للوصول إلى سيده. عند سماع ذلك، قام الشرطي بشتم السائق وسيده بصوت عالٍ. لم يكن لدى والدتي أدنى شك في أن الشرطي عرف على الفور من لهجتهم أنهم يهود وأنه لم يكن ليجرؤ على التحدث إليهم بهذه الإهانة في الأوقات العادية.

لم يكن لدى والدي أصدقاء كانوا صهيونيين بشكل علني. وفي سياق حيث كانت الصهيونية يُعاقب عليها بالإعدام، لم يكن هذا مفاجئاً. في إسرائيل، تذكرت والدتي بحنين الأصدقاء المسلمين الرائعين الذين كانوا لدينا في بغداد والأوقات السعيدة التي قضيناها معهم. ومن بين الصفات التي خصتها بالثناء كانت أعمالهم العديدة من اللطف المتفاني وولائهم الذي لا يتزعزع حتى عندما تحول المد الشعبي ضد اليهود. ذات يوم سألتها إذا كان لدينا أي أصدقاء صهاينة. سؤالي فاجأها. "لا!" أجابت بشكل قاطع. "الصهيونية شيء اشكنازي. لم يكن له علاقة بنا! وفي حين أصرت والدتي على أن اضطهاد مجتمعنا في بغداد كان مدبراً من قبل السلطات، إلا أنها اعترفت بأن العديد من اليهود استقبلوا الهزيمة العربية في فلسطين برضا لا يخفيه بل وببهجة. لقد أطلق العرب على إسرائيل اسم الدولة المزعومة، أي ما يسمى بالدولة. إحدى الأغاني اليهودية التي انتشرت بعد الهزيمة العربية في فلسطين تحدثت عن سبع دول مهزومة من الدولة المزعومة: سبع دويلات هربت من الدولة الواحدة المزعومة.

قبل الهزيمة، كان المزاج العام في الشارع العربي مزدهراً، ورافقه خطاب متخثر حول إلقاء اليهود في البحر. وصورت الرسوم الكاريكاتورية سبعة جنود عرب كبار، يمثلون الجيوش العربية النظامية السبعة التي شاركت في الغزو، مع الحراب في نهاية بنادقهم، وهم يقودون يهوديًا صغيراً ذو أنف معقوف من لوح غوص إلى البحر. وكانت هذه الرسوم الكاريكاتورية

كانت صورهم عنصرية بشكل فج، لكنها عكست القناعة السائدة بأن الدولة اليهودية الوليدة لم يكن لديها أي فرصة في مواجهة القوة المشتركة للجيوش العربية. وكانت الثقة المفرطة واضحة ليس في الشارع فحسب، بل في المستويات السياسية والعسكرية العليا في المجتمع العراقي.

جدتي موزلي عاشت في فيلا في الكرادة
بالقرب من نهر دجلة. وكان جارها وصديقها أ
امرأة مسلمة تدعى أم أحمد، أم أحمد.
وكان أحمد ضابطا كبيرا في الجيش العراقي. يوم واحد
ذهب الموزلي لإجراء مكالمة اجتماعية روتينية على أم أحمد.
كان أحمد في المنزل مع مجموعة صغيرة من زملائه
الضباط. وقفوا حول طاولة تم توزيعها على
خريطة فلسطين وكانوا منخرطين في الرسوم المتحركة للغاية
مناظرة. تخميني، وهو مجرد تخمين، هو أن هذا كان
الخريطة التي أعدتها اللجنة العسكرية العربية
عصبة الغزو المنسق لفلسطين
انتهاء الانتداب البريطاني. ولم تكن أم أحمد
أعجب بهم. لقد أبعدتهم عن الطريق، حصلت
إلى الخريطة وطلب أن يقال له: "أين هذا-"
تسمى الدولة؟ وأشار الضباط على الخريطة إلى المنطقة
التي خصصتها الأمم المتحدة للدولة اليهودية.
ولم تحاول أم أحمد إخفاء احتقارها لها
الضباط الذين جادلوا وتألموا كثيراً
استراتيجيات بديلة للتعامل مع الحالة الجنينية
من إسرائيل. "ألا تخجلون من أنفسكم؟" هي
طلب أن يعرف ثم أضاف بسرعة: "أنا، بمفردي،
يمكن التقاط هذه الحالة المزعومة وسحقها بين بلدي
أسنان.' استمعت جدتي لصديقتها في ذهول
الصمت. ولم تشك في تقييم أم أحمد للأمر
التوازن العسكري وكانت مليئة بالهلع بشأن
المصير الذي ينتظر شقيقتها الصغرى غلا وأختها الأخرى
أقارب في فلسطين.

بعد سنوات، عندما عشنا في إسرائيل، تذكرت جدتي هذا المشهد مراراً وتكراراً بشعور انتصار خاص بها. في 15 مايو من كل عام، ينظم الجيش الإسرائيلي عرضًا بمناسبة عيد الاستقلال. كان العرض بمثابة عرض رائع للقوة العسكرية. وجابت وحدات المشاة الشوارع برفقة الدبابات وقطع المدفعية، فيما أجرى طيارو القوات الجوية تدريبات بهلوانية. وكانت جدتي تشاهد هذا المشهد بإعجاب واضح. بالنسبة لطريقة تفكيرها، فإن هذا الجيش اليهودي المكتسب حديثًا قد يقدم بعض التعويض عن عجز اليهود في العراق. "أين أنت يا أم أحمد؟" سوف يصرخ موزلي. "دعونا نرى أنك تضع هذه الحالة المزعومة بين أسنانك وتسحقها." ولكن هذا لاستباق ما جاء لاحقا. في الوقت الذي نحن فيه

شعرت بالضعف لأننا كنا يهودًا. يوم واحد في شهر أكتوبر في عام 1948، وصلت رسالة عبر صندوق البريد موجهة إلى أب. على الظرف كانت هناك جمجمة ذات عظمتين متقاطعتين تحت. قررت والدتي فتحه. وكانت تحتوي على التهديد بأنه ما لم يدفع والدي فدية قدرها 10000 دينار، عصابة ستختطف أختي ليديا، يتبعها أ تحذير: المنزل مراقب وإذا حاول أحد ذلك لإبلاغ الشرطة، سيتم قتلهم. كان يوم السبت وكان والدي يجلس في مقهى بجانب النهر مع البعض من أعمام والدتي. غادرت والدتي المنزل عبر الباب الخلفي، وأخذت الرسالة معها، ومشت سيرا على الأقدام على طول الطريق إلى المقهى. بعد أن أخبرت زوجها القصة، وبعد أن أظهرت له الرسالة، حثته على ذلك دفع أموال الفدية.

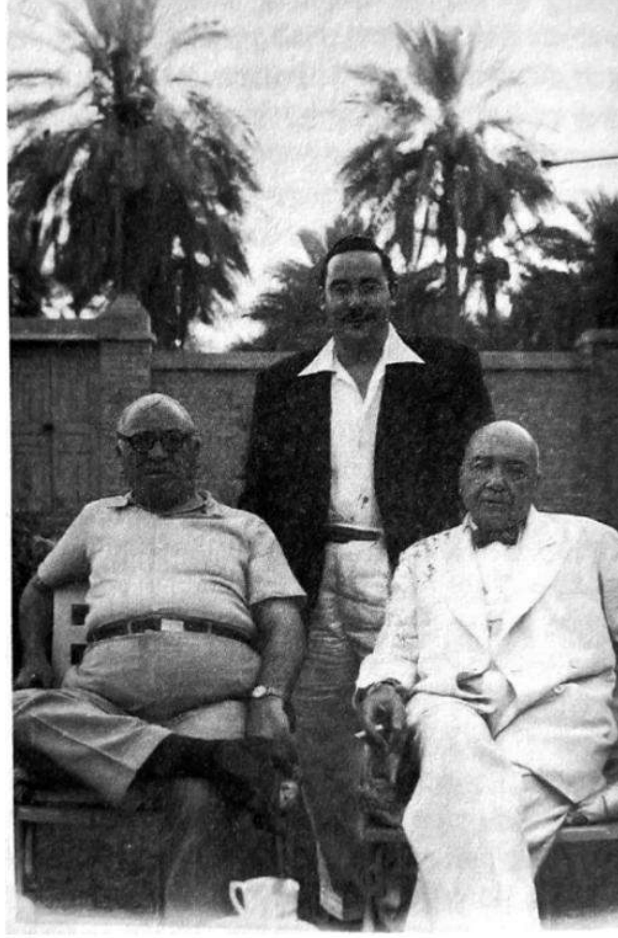
وكان رد فعل والدي الفوري هو رفض الاستسلام للابتزاز. وأشار إلى أنه قدم في الماضي خدمات كثيرة لوزراء مختلفين، ومن بينهم وزير الشرطة الحالي؛ الآن هو بحاجة إلى مساعدتهم وجاء دورهم لتقديم معروف له. ومن المقهى ذهب إلى

منزل وزير الشرطة، وأخبره بما حدث وحصل على وعده الفوري بتولي القضية. رافق العم جاكوب والدتي إلى المنزل ودخلوا من الباب الخلفي. وبعد وقت قصير من عودتهم، رن الهاتف. وعلى الطرف الآخر من الهاتف كان هناك رجل بصوت عالٍ للغاية. وتبين فيما بعد أن هذا الرجل هو زعيم العصابة ويعمل في مقسم الهاتف. أجاب العم جاكوب على الهاتف وتظاهر بأنه الخادم. وقال الصوت الذي تردد في جميع أنحاء المنزل: "قل لسيدك أنه إذا لم تتم تلبية مطالبي، فسوف أقوم بتفجير منزله". في اللغة العربية، تبدو كلمتي "ينفجر" و"يكتسح" متشابهتين إلى حد ما، فأجاب العم جاكوب، الذي خلط بين الفعلين عمداً: "ليس عليك تكنس المنزل، لقد قمت بكنسه للتو". كرر المبتز التهديد بغضب وأغلق الهاتف.

في وقت لاحق من اليوم اتصل زعيم العصابة مرة أخرى وأجاب والدي هذه المرة. حذر رجل العصابات والدي من إخبار أحد، بالذهاب إلى البنك لسحب 10000 دينار، ووضع المال في طرد، وانتظار رجل سيأتي إلى الباب في وقت محدد ليطلب الأمانة، الطرد أو الودائع. كان عليه أن يسلم الطرد للرجل دون أن يقول كلمة واحدة. وبحلول ذلك الوقت كان قائد شرطة بغداد، بناء على تعليمات من وزير الشرطة، يتولى القضية. أرسل فريقاً من عدة رجال شرطة لاعتراض المتصل: اثنان داخل المنزل، واثنان متنكرين في زي متسولين في الشارع، وواحد مختبئ أعلى شجرة عند مدخل المنزل. كان والدي قد أعد طرداً يحتوي على بعض الأوراق النقدية الحقيقية ذات القيمة العالية ولكن معظمها قصاصات من الصحف لتضخيم الطرد. في الساعة المحددة، جاء رجل إلى الباب، وقرع الجرس وطلب الطرد. ما إن قام والدي بتسليم الطرد حتى قام جميع رجال الشرطة

انقضت على المتصل. في البداية أكد المتصل براءته مدعيا أن رجلا آخر أعطاه خمسة دنانير وطلب منه استلام الطرد وهذا كل ما يعرفه. وعندما صفعه والدي صفعتين قويتين على وجهه، رفع الرجل يديه للإشارة إلى الاستسلام وقال إنه سيعترف. وتم اقتياده إلى مركز الشرطة حيث اعترف بأنه عضو في العصابة وأعطى أسماء الأعضاء الآخرين. ثم تم القبض عليهم جميعًا من قبل الشرطة.

اسم العصابة هو عصابة الليل والهوا
عصابة الليل والرياح." الصحف استمتعت
الدراما وتشبيههم بـ "علي بابا والأربعين حرامي".
وتضم العصابة بعض المجرمين العاديين، ولكن القادة
ومن بينهم ابن شقيق وزير ومسؤول في مفتاح
موقف في مقسم الهاتف. استهدفت العصابة
التجار اليهود لأنهم كانوا أغنياء ولأن
لقد كانوا هدفًا أكثر ليونة من المسلمين الأثرياء. الصحف
نشر تقارير مثيرة عن المحاكمة بشكل يومي،
مع صور القضاة والمتهمين والجري
التعليق. في ذلك الوقت كان العراق تحت الأحكام العرفية
بسبب الحرب في فلسطين. وكان القضاة من الجيش
ضباط يرتدون الزي العسكري. وأصدروا أحكاماً صارمة عليه
جميع أفراد العصابة: السجن من سنتين إلى خمس سنوات، جميعاً
مع الأشغال الشاقة. أصبحت والدتي قلقة للغاية من ذلك
هؤلاء المبتزون يسعون للانتقام بعد مغادرتهم
سجن. لقد كانت مرعوبة من أنهم سيفعلون ذلك جيدًا
التهديد بتفجير المنزل، لكن خوفها الأكبر كان ذلك
كانوا يختطفون أو يقتلون أحد أطفالها. ال
احتمالية تحقق هذا الكابوس هي التي جعلتها تبدأ
أفكر في مغادرة العراق إلى الأبد.



هاسكل شمتوب (يمين) وتوفيق السويدي (يسار)

سبعة

قنبلة بغداد

كانت الأعوام 1950-1951 بمثابة كارثة بالنسبة لليهود العراقيين. وفي غضون ما يزيد قليلاً عن عام، ترك المجتمع بأكمله تقريبًا وطنه القديم وشقوا طريقهم إلى دولة إسرائيل الفتية والفقيرة. وكانت عائلتي من بينهم. لقد انهار أسلوب حياتنا المريح من حولنا وهو تغيير لم أستطع حتى أن أفهمه بشكل خافت عندما كنت طفلاً. منذ ذلك الحين، وأنا أحاول فهم ما حدث ولماذا.

كانت عائلتي جزءاً مما كان يسمى "العلية الكبرى".
بين يونيو 1950 ويونيو 1951 حوالي 110.000 يهودي
هاجر من العراق إلى إسرائيل. عدد المهاجرين
منذ قيام دولة إسرائيل عام 1948 وحتى قيامها
وصلت نهاية عام 1953 إلى ما يقرب من 125000 من إجمالي حوالي
135.000 يهودي عراقي. عدة آلاف غادروا العراق إلى بلدان أخرى
البلدان وبقي حوالي 6000 يهودي فقط في العراق. أ
الوجود اليهودي الذي يعود إلى ألفين ونصف الألف سنة، إلى
تدمير الهيكل الأول والبابلي
المنفى، وصل إلى نهاية مفاجئة ومؤلمة. الشتات أن
لقد كان التجسيد الحي للتعاون الإسلامي اليهودي.
لم يكن الوجود أكثر. الممتلكات اليهودية التي تركت في العراق
وقدرت قيمتها بـ 200 مليون دينار، أي ما يقارب 200 مليون
جنيه في ذلك الوقت. وبصرف النظر عن الملكية الخاصة، فإن
تمتلك الجالية اليهودية بشكل جماعي حوالي 200 مبنى،
بما في ذلك 50 معبدًا يهوديًا و20 مدرسة ومستشفى ومكاتب

الكتل والمراكز المجتمعية والنوادي ودور السينما. لكن هذا كان مجرد جانب واحد من المأساة.

والأكثر خطورة والأكثر ديمومة هي الندوب العاطفية والنفسية الناجمة عن اقتلاعنا بعنف من بيئتنا الطبيعية وقذفنا إلى بلد جديد له ثقافة مختلفة وروح مختلفة ولغة أجنبية. وقد وصف عدد من المؤلفين محنة النزوح المؤلمة. يقول إسحق بار موشيه، وهو قريب لي من بعيد، بمرارة في مذكراته "الخروج من العراق": "لقد غادرنا العراق كيهود ووصلنا إلى إسرائيل كعراقيين".[1]

إن الظروف المحيطة بخروج اليهود من بغداد هي موضوع جدل ساخن ومستمر. هناك روايات متضاربة حول الأسباب. تحتوي رواية عائلتي على طبقات إضافية من التجربة المميزة. يصور السرد الصهيوني المعياري الهجرة الجماعية على أنها عمل طوعي ناجم عن العداء المحلي، ويضعها في سياق معاداة السامية الإسلامية البدائية والمضايقات التي تعرض لها اليهود من قبل جميع الأنظمة العربية عبر التاريخ. ووفقاً لهذه الرواية، لم يكن الفرهود في بغداد عام 1941 سوى حلقة واحدة في سلسلة لا تنتهي من الاضطهاد وسوء المعاملة؛ وفي أعقاب الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، واجه يهود العراق تهديداً وشيكاً بالإبادة؛ وجاءت الحركة الصهيونية لنجدتهم، ومنحتهم ملجأ في دولة إسرائيل المولودة حديثًا ليعيشوا بقية حياتهم بحرية وكرامة. هذه النسخة البطولية الإيثارية، التي تصور الحركة الصهيونية كمنقذ ليهود العراق، تنعكس في الاسم الرسمي الذي أُطلق على الجسر الجوي: عملية عزرا ونحميا، نسبة إلى الرجال الذين احتفل بهم الكتاب المقدس العبري لإخراج اليهود من المنفى.

حساب بديل، والذي يمكن أن يسمى ما بعد-
وتؤكد الرواية الصهيونية أن الغالبية العظمى من
ولم يرغب المهاجرون في مغادرة العراق؛ أنه لم يكن لديهم
التقارب الأيديولوجي مع الصهيونية؛ وأنهم كانوا
ضحايا الأعمال الصهيونية التي تهدف إلى ترهيبهم
ترك وطنهم. التهمة الأخطر
ووجهها ضد الحركة الصهيونية وإسرائيل في هذا الشأن
العلاقة هي أنهم حرضوا بالفعل على تفجير
أهداف يهودية في بغداد في محاولة لإثارة هروب جماعي
اليهود العراقيين إلى إسرائيل. وفي هذا الفهم الصهيونية التي
ظهرت كرد على معاداة السامية في أوروبا في أواخر القرن العشرين
في القرن التاسع عشر، لجأ اليهود إلى العنف ضدهم
الأراضي العربية من أجل تحقيق إحدى أهدافها الأخرى
أهداف "جمع المنفيين" أو جلب
أكبر عدد ممكن من اليهود من جميع أنحاء الأرض إلى
صهيون. ورغم أن بعض اليهود العراقيين يؤمنون بالصهيونية و
لقد رأوا إسرائيل وطنهم الحقيقي، وكانوا صغاراً
أقلية. أحد التقديرات هو أن من إجمالي 130 ألف عراقي
اليهود، لم يكن عددهم أكثر من 2000 ينتمون للصهيونيين
الحركة، أي 1.53 في المائة. [2]

ويضع بعض الكتاب في هذا الموضوع الهجمات الإرهابية في بغداد تحت عنوان
"الصهيونية القاسية". ويرى آخرون أن الحركة الصهيونية بدأت تلعب
دوراً في تقويض العلاقات بين المسلمين واليهود في البلدان العربية قبل
وقت طويل من ظهور اليهود. دولة إسرائيل. ماريون وولفسون، على سبيل المثال،
في كتابها "الأنبياء في بابل"، توضح هذه النقطة باقتباس معبر من السير
فرانسيس همفريز، السفير البريطاني في بغداد. قرب نهاية عام 1934 كتب السير
فرانسيس أنه بينما قبل الحرب العالمية الأولى كان اليهود يتمتعون بوضع
أفضل من أي أقلية أخرى في البلاد، "لقد زرعت الصهيونية الشقاق بين اليهود
والعرب، ونشأت المرارة بين الاثنين".

شعوب لم تكن موجودة من قبل." وظل السير فرانسيس على رأيه القائل بأنه "لا يوجد عداء طبيعي بين اليهود والعرب في العراق".

قدمت الهجمات على خمسة أهداف يهودية في بغداد في الفترة 1950-1951 مثالاً دراميًا لمدى تدهور العلاقات بين المسلمين واليهود منذ الثلاثينيات. الحادث الأكثر شهرة والوحيد وقع في 14 يناير 1951 عندما ألقيت قنبلة يدوية على الفناء الأمامي لكنيس مسعودة شمتوب، مما أسفر عن مقتل أربعة يهود وإصابة عشرين آخرين. إن مسألة من يقف وراء القنابل ذات أهمية حاسمة لفهم الأصول الحقيقية للهجرة الجماعية. وقد نفى المتحدثون باسم الصهيونية باستمرار أي تورط في التفجيرات. وأرجعوا الهجمات إما إلى الحكومة العراقية التي كانت تبحث عن كبش فداء لهزيمة العرب في الحرب من أجل فلسطين وللمشاكل الداخلية للبلاد، أو إلى عناصر عراقية يمينية متطرفة أرادت طرد اليهود من البلاد. وكانت أصابع اللوم عادة ما توجه إلى حزب الاستقلال القومي العربي المعادي بشدة للأجانب واليهود.

وعينت الحكومة الإسرائيلية لجنتي تحقيق للنظر في الأمر، واحدة في عام 1952 والأخرى في عام 1960، وخلصت كلتاهما بشكل قاطع إلى أنه لم يكن هناك أي تورط إسرائيلي على الإطلاق. وقد جادل عدد من اليهود العراقيين والعلماء العراقيين المولد في إسرائيل، على العكس من ذلك، بأن الحركة السرية الصهيونية هي المسؤولة. ولدعم ادعاءاتهم، اعتمدوا على شهادات مختلفة وأدلة ظرفية ومعلومات مجزأة، لكنهم لم يتمكنوا من تقديم دليل دامغ. كان جميع أقاربي في إسرائيل على قناعة تامة، سواء أكان هناك دليل أم لا، بأن الحركة السرية الصهيونية هي التي خططت لخروجنا من العراق.

منذ مراهقتي المبكرة، كنت مفتونًا بقصة القنابل. لاحقاً، بعد أن أصبحت مؤرخاً للصراع العربي الإسرائيلي، تعمق فضولي. وفي أثناء كتابة هذا الكتاب تعمقت أكثر. في الفترة 1981-1982، كنت في سنة إجازة في إسرائيل، حيث كنت أقوم بإجراء بحث لما أصبح كتابي الأول عن الشرق الأوسط: التواطؤ عبر نهر الأردن: الملك عبد الله، والحركة الصهيونية، وتقسيم فلسطين. قضيت معظم العام في أرشيف دولة إسرائيل في القدس، أطلب ملفًا تلو الآخر من الوثائق الرسمية الصادرة حديثًا. في أحد الأيام طلبت ملفًا كنت قد رأيته في الكتالوج بعنوان "العراق، 1950". قيل لي أن هذا الملف لم يتم رفع السرية عنه لذا لم أتمكن من رؤيته. "آها،" فكرت في نفسي أن هذا الملف يجب أن يحتوي على أدلة إدانة وربما حتى دليل دامغ. لقد نسخت إسرائيل من بريطانيا قاعدة الثلاثين عامًا لمراجعة الوثائق الرسمية ورفع السرية عنها، ولذلك طلبت من أمين الأرشيف تطبيق القاعدة العامة على هذا الملف بالذات. ووعد بالتحقق لكنه عاد في اليوم التالي بخبر مخيب للآمال مفاده أنه لا يمكن الكشف عن هذا الملف لأنه يحتوي على بعض وثائق الموساد، وكالة الاستخبارات الخارجية الإسرائيلية.

إن تفسير أمين المحفوظات زاد من شكوكي. طلبت منه مراجعة الملف وثيقة تلو الأخرى، والاحتفاظ بوثائق الموساد والإفراج عن وثائق وزارة الخارجية. ووعدني مرة أخرى بالتحقق، وبعد التشاور مع رؤسائه، أخبرني أنه لا يمكن القيام بذلك؛ كان يجب أن يظل الملف بأكمله سريًا. ومع ذلك، أكد لي أمين المحفوظات أنه قرأ الملف بنفسه وأنه لا يحتوي على أي دليل يدينه. لم يكن لدي خيار سوى قبول هذا. أنا مؤرخ، ولست من أصحاب نظرية المؤامرة، لذا لا أستطيع أن ألقي ادعاءات دون أدلة موثوقة

إثبات لهم. ومن ناحية أخرى، أعلم أيضًا أنه ليس كل عمل رسمي يترك وراءه أثرًا ورقيًا.
لقد علقت الحكم على هوية الجناة ولكني احتفظت باهتمام شديد بهذه الملحمة.

في أحد الأيام، خلال زيارة إلى إسرائيل في عام 2017، بالصدفة تقريبًا، عثرت على أدلة موثوقة على أن الموساد العالي (وحدة يشوف التي تعاملت مع الهجرة غير الشرعية إلى فلسطين)، والعمليات السرية الصهيونية في العراق كانتا وراء هجوم بغداد. التفجيرات. وقد مكنني هذا من رؤية قصة عائلتي كجزء من قصة أكبر بكثير تتعلق بخروج الجالية اليهودية من العراق. كان قرار مغادرة العراق مؤلمًا للغاية بالنسبة لنا، كما كان الحال بالنسبة للعديد من العائلات اليهودية الأخرى. لقد عشنا في العراق لأجيال، وكانت لدينا جذور عميقة في البلاد، وكنا مندمجين اجتماعيًا بشكل جيد، وكانت أعمال والدي مزدهرة ولم تكن لدينا رغبة في تغيير هويتنا أو جنسيتنا أو أسلوب حياتنا. كان الذهاب إلى إسرائيل بمثابة قفزة في الظلام لم نكن مستعدين لها على الإطلاق. ومن ناحية أخرى، كان الوضع السياسي في العراق يتدهور بسرعة كبيرة دون أي أمل في التحسن في الأفق. في بعض النواحي، كانت التوقعات في 1948-1949 أكثر كآبة مما كانت عليه بعد الفرهود في عام 1941. كان الفرهود حدثًا لمرة واحدة، في حين أن الاضطهاد الآن أصبح أطول ومتعدد الجوانب. في عام 1941 كان الغوغاء هم الذين انقلبوا ضد اليهود. الآن كانت الحكومة.

وفي ظل مناخ الخوف هذا، خاطر عدة آلاف من اليهود بمغادرة العراق بطريقة غير شرعية. وقد تم تشجيع ومساعدة البعض من قبل الحركة السرية الصهيونية. في عام 1942، في أعقاب الفرهود، بدأ المبعوثون الصهاينة يصلون إلى العراق من فلسطين لإجراء اتصالات مع اليهود المحليين وتعليمهم اللغة العبرية ونشر الرسالة الصهيونية. وكانت مهامهم الأخرى هي تنظيم الهروب غير القانوني لـ

اليهود من العراق إلى فلسطين عبر إيران والتخطيط للدفاع عن النفس محليًا في حالة وقوع مذبحة أخرى. وتم تهريب الأسلحة الصغيرة إلى البلاد وتدريب المجندين المحليين على استخدامها. كانت الحركة السرية تسمى هاتنوا أو "الحركة" وكان جناحها العسكري يسمى هاشورا أو "العمود". وكان معظم المجندين من الشباب اليهود من عائلات فقيرة. وفي الاجتماعات السرية كانوا يتنقلون من يد إلى يد المسدس والكتاب المقدس اليهودي. وهكذا أقسموا الولاء للحركة. ولم تكن لدى الصهاينة رغبة في تحسين أوضاع اليهود في العراق، بل أرادوا فقط تسريع رحيلهم. وكان الهدف الحقيقي هو إعداد المجندين للهجرة إلى فلسطين، وبما أن السلطات لم تسمح بذلك، كان لا بد من القيام بذلك سراً. لقد عرضت إيران طريقًا مريحًا، وإن كان محفوفًا بالمخاطر، لليهود الذين أرادوا مغادرة العراق، سواء تحت رعاية الحركة أو بقوتهم الخاصة. وكانت إيران ثاني دولة ذات أغلبية مسلمة تعترف بإسرائيل كدولة ذات سيادة بعد تركيا. وكان شاه إيران على علاقة سيئة مع العراق، في حين حافظ على علاقات سرية وثيقة مع إسرائيل. ونتيجة لذلك، سُمح للوكالة اليهودية بأن يكون لها مكتب في طهران وأن تفتح معسكر عبور يمكن من خلاله نقل اليهود جواً إلى إسرائيل.

قام اثنان من أبناء عمومتي، أبراهام وفؤاد حمامة، بالرحلة السرية إلى إسرائيل عبر الطريق الإيراني. وكانوا أبناء راجينا، أخت والدي، التي لديها ولدان آخران وأربع بنات. كان لياهو (إلياهو) زوج راجينا يملك متجراً في سوق الشورجة ببغداد. كانت راجينا وإلياس أميين. لقد كانوا عائلة فقيرة، على عكس أعمام والدتي الذين كانوا جميعاً من التجار الأثرياء من الطبقة المتوسطة. كانت الحياة في حي الحمامات تعتبر غير آمنة بعد الفرهود، فانتقل عزرا الابن الأكبر وفؤاد الابن الأصغر إلى منزل والدي

والتي، كما ورد في الفصل الثالث، تتمتع بحماية الشرطة. في عام 1944، عندما غادر عزرا البلاد بشكل غير قانوني للذهاب إلى فلسطين، أخذ مكانه إبراهيم، الابن الثاني. كان أبراهام مراهقًا هادئًا ومهذبًا وحسن التصرف ولكنه منعزل إلى حد ما. دون علم والدي، بقدر ما أستطيع أن أقول، كان جميع أبناء أخيه الثلاثة نشطين في الحركة الصهيونية السرية.

ولد أبراهام في بغداد عام 1928؛ التحق بمدرسة شمش، وهي مدرسة ثانوية يهودية تتمتع بسمعة أكاديمية جيدة وتدعمها الجمعية الأنجلو يهودية. بينما كان أبراهام لا يزال في المدرسة، تم تجنيده من قبل الحركة الصهيونية السرية، وبعد تلقين شامل، تمت ترقيته إلى هاشوراء، جناحها العسكري. وكانت مهمته إيجاد أماكن مناسبة لإخفاء الأسلحة وصيانتها وإصلاحها وتوزيعها على الناشطين الآخرين حسب الضرورة. وتم التدريب على استخدام الأسلحة من قبل مبعوثين صهاينة في مناطق نائية خارج بغداد. كانت مهمة أبراهام هي جلب الأسلحة من مخابئ مختلفة في المدينة وإعادتها عند انتهاء جلسة التدريب. ما إذا كان قد قام بإخفاء أسلحة في منزلنا هو سؤال مثير للاهتمام وليس لدي إجابة عليه.

كانت تسيبورا إحدى العضوات في الحركة التي طردت بنفس القدر من مُثُلها. إن كونك عضوًا في مجتمع سري والتعامل مع الأسلحة يعد أمرًا تمكينيًا للشاب. بالنسبة لامرأة يهودية شابة، ونظرًا للعادات الاجتماعية المحافظة في ذلك الوقت، كان الأمر أكثر تحررًا. وكان من مبادئ الحركة المساواة الكاملة بين المرأة والرجل. كانت تسيبورا ناشطة في حد ذاتها: فقد عملت هي وأبراهام كفريق واحد. وقع المراهقان في الحب وتزوجا فيما بعد في إسرائيل.

كان فؤاد أصغر من أن يفهم ما يجري، لكنه كان أيضًا يقدم بعض المساعدة للحركة. عندما قام أبراهام وزملاؤه بنقل الأسلحة من أحد

في مكان سري لآخر، كانوا أحيانًا يأخذون فؤاد معهم لإعطاء انطباع بوجود نزهة عائلية بريئة. في خريف عام 1949، وفي مواجهة تهديد وشيك بالاعتقال من قبل الشرطة، عبر أبراهام وأعضاء آخرون من مجموعته الحدود بشكل غير قانوني وشقوا طريقهم إلى طهران. وبعد عام ساعد فيه المسؤولين الصهاينة في معسكر العبور، قاموا بترتيب رحلته إلى إسرائيل. وافقت الحكومة الإيرانية على معاملة أي يهودي عراقي يصل إلى أراضيها كلاجئ وتسهيل رحلته إلى إسرائيل. وترددت شائعات بأن الرشاوى على نطاق واسع لكبار المسؤولين الإيرانيين مهدت الطريق لهذا الاتفاق.

في أكتوبر 1949، سار فؤاد على خطى أخيه، لكن خروجه، كما أخبرني في إسرائيل عام 2019، كان أكثر حافلًا بالأحداث. كان عمره اثنتي عشرة سنة فقط عندما انطلق في الرحلة المحفوفة بالمخاطر إلى إسرائيل برفقة مرشد من الحركة ونحو عشرين يهوديًا آخرين. وكان الطفل الوحيد. وشقوا طريقهم إلى مدينة العمارة في جنوب شرق العراق على بعد حوالي خمسين كيلومتراً من الحدود مع إيران. وفي العمارة تم القبض عليهم وإعادتهم من حيث أتوا في سيارة للشرطة، برفقة شرطي كان من المقرر أن يأخذهم إلى السجن. ودفعت الرشوة الشرطي إلى إطلاق سراحهم. وبمجرد إطلاق سراحهم، لم يعودوا إلى منازلهم في حالة قيام الشرطة بالبحث عنهم.

وبعد بضعة أيام من الاختباء، انطلقت المجموعة مرة أخرى، هذه المرة برفقة مرشد مسلم، كان مهربًا أكثر من كونه مرشدًا. أوصلهم المهرب إلى الحدود، وأشار إلى نقطة حدودية وطلب منهم إكمال الرحلة سيرًا على الأقدام. في الواقع، كان هناك مركزان حدوديان، أحدهما عراقي والآخر إيراني. وبعد أن حصل المهرب على أجره، تعمد توجيههم نحو المركز العراقي لأنه أراد إلقاء القبض عليهم وإعادتهم. ولحسن الحظ، هرب ضابط إيراني

تجاههم وقادهم إلى جانبه من الحدود. وجاء ضابط عراقي على الفور وطلب تسليم الرجال إليه. رفض الإيراني، وهدد العراقي بالعودة بتعزيزات لاستعادة المجرمين. وذكّر اليهود الضابط الإيراني بأن الشاه أصدر تعليماته باستقبال أي لاجئ من العراق في بلاده. وأكد لهم بدوره أنه ليس لديهم ما يدعو للقلق. لكنهم ما زالوا قلقين ويطالبون بمعرفة ما سيحدث إذا عاد الضابط العراقي للمطالبة بهم. ورد الإيراني بأنه سيطلق النار عليه، مما خفف من بعض مخاوفهم.

واستغرقت المجموعة ثلاثة أشهر للوصول من الحدود إلى طهران. كانت الرحلة صعبة، وكان من الصعب الحصول على الطعام. كان شتاءً شديد البرودة ممطرًا وعواصف ثلجية. كانوا يشقون طريقهم ببطء، أحيانًا سيرًا على الأقدام، وأحيانًا على ظهور الحمير، ويقيمون في قرى فقيرة حيث يتكون الإفطار المعتاد من البيتا والتمر. وفي طهران ذهبوا إلى معسكر العبور التابع للوكالة اليهودية. كانت المرافق في المعسكر بدائية للغاية، ولكن هنا كان بإمكان النزلاء الوافدين حديثًا الراحة والاستمتاع بوجبات الطعام المنتظمة على الأقل. ويأتي مسؤول إيراني إلى المعسكر للقيام بالأعمال الورقية قبل إصدار تصاريح الخروج اللازمة. لقد كانت عملية بطيئة حيث كان لا بد من إكمال النماذج الفردية قبل إصدار كل تصريح خروج. وفي إحدى المناسبات، عندما كان المسؤول يشرب الخمر ويتواصل مع الأعضاء الأكبر سناً في المجموعة، التقط الشاب فؤاد ختمه وقام بتوزيع تصاريح الخروج بحرية. وبمجرد الانتهاء من جميع الإجراءات الشكلية، تم وضع اليهود على متن طائرة أقلتهم إلى مطار اللد بالقرب من تل أبيب. لعبت إيران الشاه دوراً محورياً في تسهيل الهجرة غير الشرعية لليهود العراقيين إلى إسرائيل.

قريب آخر غادر العراق بشكل غير قانوني في عام 1949 هو جاكوب
سلطون، شقيق جدتي موصلي. كان هذا أ
قصة مختلفة جدا. وكان العم يعقوب وسطاً مريحاً.
رجل أعمال من الدرجة الأولى ليس له أي روابط أو تعاطف مع
الحركة الصهيونية. لم يكن إغراء صهيون بل رهيبًا
وضع اليهود في العراق بعد الغزوة الأولى
الحرب العربية الإسرائيلية التي دفعته إلى الفرار؛ لقد شعر بذلك هناك
لم يكن له مستقبل لنفسه ولاسرته في العراق بسبب ذلك
كانوا يهودًا. كان قرار الرحيل مؤلمًا
لأنه أدى إلى خسارة معظم أصوله. لكن
خطر البقاء، كما رآه، يفوق المادة
فوائد. لقد اتخذ قراره، وأخرج بعض أمواله
البلاد عبر قنوات غير نظامية، وتركوها وراءهم
منزله وعمله وسيارته. المهربون أخذوا العم
يعقوب وعائلته وخادمتهم المؤمنة صبيحة عبر
الحدود إلى إيران. جدتي أطلقت عليه اسم "على الأسود".
السوق" بسبب مغادرة البلاد دون تأشيرة خروج
كانت جريمة. وفي طهران، ساعدت عائلتي
شقيق الأم ألفريد الذي عاش هناك ومن طهران
أكملوا الرحلة إلى إسرائيل جواً.

وكانت مراقبة حدودها مع إيران مجرد واحدة من الاهتمامات العديدة للحكومة العراقية في ذلك الوقت. وكان السؤال الأساسي بالنسبة للعراقيين هو ما إذا كان عليهم أن "يتطوروا" و"يتغربوا" بالطريقة التي توقعها أسيادهم المستعمرون السابقون، أو أن يرسموا مساراً عربياً مستقلاً ويدفعوا الثمن. وبشكل أسرع، كان على الحكومة أن تتعامل مع جميع المشاكل المرتبطة بالاستعمار والاستعمار الجديد. على الرغم من أن العراق حصل على استقلاله الرسمي في عام 1932، إلا أن بريطانيا استمرت في ممارسة السلطة غير المباشرة ولكن الحاسمة من خلال العائلة المالكة والنخبة السياسية الموالية برئاسة نوري السعيد. ومع ذلك، لم يكن البريطانيون يتمتعون بشعبية في البلاد

كبير وكان يُنظر إلى أصدقائهم المحليين على نطاق واسع على أنهم متعاونون.

وكانت المعارضة الرئيسية هي حزب الاستقلال، وهو حزب قومي يميني دعا إلى تأكيد استقلال العراق الكامل عن الاستعمار البريطاني. تأسست عام 1945؛ كان العديد من أعضائه يشاركون رشيد علي الجيلاني في التعاطف المؤيد للنازية ودعموا انقلابه المناهض لبريطانيا في عام 1941. كان للحزب قاعدة قوية من الدعم الشعبي وأبدى معارضة قوية للحزب الحاكم المحافظ. لقد كانت معادية لليهود بسبب أيديولوجيتها اليمينية ولأن اليهود كانوا يُنظر إليهم على أنهم حلفاء للبريطانيين. ودعت صحيفتها، لواء العراق، التي وصفت الأقلية اليهودية مرارا وتكرارا بأنها أذناب للاستعمار البريطاني وبأنها طابور خامس، إلى طرد جميع اليهود من البلاد ومصادرة ممتلكاتهم. وقيل إن العراق يجب أن يعامل اليهود كما تعامل إسرائيل الفلسطينيين.

لم يكن لدى الحكومة أي نية لطرد اليهود، لكنها كانت بحاجة إلى استعادة السيطرة على الوضع من خلال العمل على وقف الهروب غير القانوني للشعب اليهودي والأموال اليهودية خارج البلاد والحد من الأنشطة التخريبية للصهيونية السرية، والتي شملت دفع الرشاوى للسياسيين وموظفي الخدمة المدنية والشرطة وشرطة الحدود. وبمجرد أن أدركت أنه لا يمكن وقف الهروب غير القانوني للأشخاص، قررت استعادة السيطرة من خلال إصدار قانون يضفي الشرعية عليه. وقبل إقرار القانون، طلب مجلس الوزراء العراقي من صالح جبر، وزير الداخلية، الاستعانة بمشورة الحكومة البريطانية. ذهب جبر لرؤية السفير البريطاني في بغداد وأُبلغ أن البريطانيين لم يوافقوا فقط على السماح ليهود العراق بالانتقال إلى إسرائيل، بل قاموا بالفعل بصياغة قانون لجعل ذلك ممكنًا.

في 9 مارس 1950، أقر البرلمان العراقي قانون إلغاء الجنسية، الذي يمكّن الحكومة
من إصدار تأشيرة خروج لأي يهودي يرغب "بمحض إرادته واختياره" في مغادرة البلاد
إلى الأبد. وبالإضافة إلى التخلي عن جنسيتهم العراقية، كان على أولئك الذين
غادروا بموجب القانون التنازل عن حقهم في العودة إلى العراق مرة أخرى. أولئك
الذين اختاروا البقاء حصلوا على حقوق متساوية مع تلك التي يتمتع بها أي
مسلم. وكان من المقرر أن يظل القانون ساري المفعول لمدة عام واحد. ولم يُذكر أي شيء
عن حقوق الملكية لأولئك الذين اختاروا المغادرة. ومع صدور هذا القانون، الذي فتح
الأبواب أمام الهجرة اليهودية القانونية إلى إسرائيل، تراجعت الهجرة غير الشرعية
لليهود من العراق بشكل كبير. وكان التبرير الرسمي للقانون هو ارتفاع معدل
الهجرة اليهودية غير الشرعية، التي تسببت في أضرار اقتصادية كبيرة
للبلاد. وكان القوة الدافعة وراء ذلك هو رئيس الوزراء توفيق السويدي (1892-
1968).

كان السويدي سياسيًا عراقيًا تقدميًا، ومحاميًا
مهنة، وهو مسلم سني الذي ادعت عائلته الوضع
من السادة (جمع السيد) من نسل النبي
محمد. وقد استمتع السويدي بشكل غير عادي
تربية عالمية. عندما كان طفلاً تم إرساله إليه
مدرسة التحالف الابتدائية في بغداد حيث معظم
كان أصدقاؤه يهودًا. وقد تم الاعتراف بهذا بشكل عام
كأفضل مدرسة في العراق في مطلع العشرين
قرن. كما أرسلت العديد من عائلات السادة الأخرى أولادها إلى هناك
هذه المدرسة اليهودية بسبب الجودة العالية التي تتمتع بها
تعليم. بعد المدرسة درس السويدي القانون في إحدى الكليات
اسطنبول وفي جامعة السوربون في باريس، وأصبح يجيدها
التركية والفرنسية بالإضافة إلى الإنجليزية.[6]

بعد إنشاء إسرائيل، فرضت الجامعة العربية مقاطعة شاملة للدولة اليهودية. وقد
التزم العراق، مثل جميع أعضاء الجامعة الآخرين، بهذه المقاطعة. عراقي

ولم يُسمح لليهود بمغادرة البلاد إلا عن طريق إيداع مبلغ كبير من المال، ويتم مصادرته إذا فشلوا في العودة في غضون ثلاثة أشهر. وكان الهدف من هذه القاعدة تثبيط اليهود العراقيين عن الهجرة إلى إسرائيل. كرئيس للوفد العراقي إلى الأمم المتحدة عام 1949، كان توفيق السويدي يدرك جيداً الضغوط الدولية التي نظمتها إسرائيل وأصدقاؤها في أمريكا، للسماح بحرية الحركة ليهود العراق. وتم تكثيف الدعاية الصهيونية ضد الحكومة العراقية، حيث صورت اليهود كمجتمع على وشك الإبادة، مع توفير إسرائيل لهم الملجأ الوحيد الممكن. في العراق كان السويدي معروفًا بكونه حسن التصرف تجاه اليهود. كان لديه العديد من الأصدقاء اليهود منذ أيامه في مدرسة التحالف. وكان هاسكل شمتوب، رئيس الطائفة اليهودية في بغداد، جاره وصديقه المقرب جداً. جاء شمتوب من عائلة يهودية بارزة. كان رجل أعمال ومثقفًا وقنصلًا فخريًا سابقًا لتشيكوسلوفاكيا. لقد كان مثالاً لليهودي العراقي الوطني المجتهد والناجح والملتزم بالقانون.

تعاطف شمتوب مع الأهداف العامة للحركة الصهيونية، لكنه استنكر الأنشطة غير القانونية لعملائها في العراق وخشي من أن تأتي بنتائج عكسية على مجتمعه. فيما يتعلق بالأساليب الصهيونية المتغطرسة، كان لشمتوب خبرة مباشرة. في عام 1943، قام مبعوثون صهاينة بتهريب ثمانية عشر شابًا يهوديًا من عائلات ميسورة الحال إلى خارج البلاد دون الحصول على إذن من عائلاتهم. وكان من بينهم يوسف، ابن شمتوب البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً. استشاط شمطوب غضبًا وتدخل بقوة لدى الوكالة اليهودية في فلسطين مطالبًا بعودة الشباب. وكما تبين، بعد بضعة أشهر قضاها في كيبوتس متقشف، أراد يوسف العودة إلى منزله على أية حال. ولكن بحلول ذلك الوقت، لم يكن لديه جواز سفر. فتوجه إلى القنصل العراقي في القدس الذي به

وكان تشانس صديقًا لوالده، وأخبره أنه فقد جواز سفره. وأصدر له القنصل واحدة جديدة وحثه بغمزة على ألا يفقدها مرة أخرى. وكان هذا مجرد مثال واحد على التوتر المتزايد بين زعماء الطائفة اليهودية البغدادية والمبعوثين الصهاينة المتطفلين.

طور شيمتوب كراهية شديدة بشكل خاص لـ
مردخاي بن بورات، رئيس الموساد العالي
مبعوث إلى العراق . وكان بن بورات مسؤولاً عن كل الآخرين
المبعوثون، الذين سيطروا على الميزانية، كان لديهم السر
جهاز إرسال للتواصل مع رؤسائه
وتصرفت لصالح دولة إسرائيل وليس لصالحها
مصلحة الجالية اليهودية المحلية. شيمتوب
واتهم بن بورات بالتصرف بشكل غير مسؤول وبالاعتداء على
صلاحيات القيادة المحلية المنتخبة و
تعريض مكانة الطائفة اليهودية للخطر. لي
وتذكرت الأم أن شمتوب تحدث عنها بمرارة
ووصفه بن بورات بأنه كاذب وشخص من الطبقة الدنيا. في
في عيون شيمتوب، لم يكن لدى بن بورات أي نعم إنقاذ؛ هو
الجمع بين الوقاحة والتهور على قدم المساواة تقريبا
النسب. وفي إحدى المرات كان شيمتوب غاضبًا جدًا منه
بن بورات أنه خلع قبعته وألقاها على الأرض.
واتفق توفيق السويدي مع شمتوب على أن الهجرة
كانت مسألة تتعلق بالمجتمع اليهودي المحلي وأتباعه
زعماء، وليس لعملاء دولة معادية. هذا
مهدت الاتفاقية الطريق لقانون التجريد من الجنسية. هو - هي
كما أدت الحكومة العراقية إلى تفويض اليهود
المجتمع مهام تسجيل وترتيب النقل
لأولئك من أعضائها الذين اختاروا المغادرة.
كان لدى والدتي بعض الملاحظات التي تود إبداءها بشأن القانون ومهندسيه الرئيسيين. ووفقا لها، فإن العديد من اليهود الذين سجلوا بموجب القانون لم يتخذوا قرارهم نهائيا بالتنازل عن جنسيتهم العراقية؛

لقد أرادوا ببساطة أن يمنحوا أنفسهم مخرجًا إذا أصبح الوضع لا يطاق. وبعبارة أخرى، كان ذلك خيارا وليس قرارا لا رجعة فيه. علاوة على ذلك، فقد افترضوا، بشكل معقول بما فيه الكفاية، أنه حتى في حالة المغادرة، فإن حقوقهم في الملكية لن تتأثر. ونتيجة لذلك، عندما صدر قانون آخر بعد عام، لتجميد أصول أولئك الذين سجلوا، شعروا بالخداع.

بالنسبة لمهندسي قانون 1950 كانت والدتي
لا شيء سوى الثناء. كان هاسكل شمتوب عائلتنا المقربة
صديق. في الصيف، غالبًا ما كان ينضم إلينا هو وعائلته
النزهات على ضفاف نهر دجلة ومشاركتها المشهورة عالمياً
مسجوف، سمك مشوي. أقيمت نزهات أخرى في
البر الرئيسي. كانت والدتي، وهي شابة اجتماعية، جيدة في ذلك
اكتشاف أماكن جذابة للنزهات مثل الخاصة
العقارات مع البحيرات والحدائق والمتنزهات. سوف تقول
شمطوب للمكانِ المناسب وسيقوم بالاتصال بالمالك
للحصول على إذن لاستخدام الأسباب. في إحدى المناسبات
التفت شيمتوب إلى والدتي، التي كانت صغيرة بما يكفي لذلك
تكون ابنته، وقال لها: يا ماما، أين أنت؟
سوف يأخذنا في المرة القادمة؟ اعتاد هو وزوجته أن يأتيا
إلى منزلنا للعب الورق وكان والدي يذهبون إليه
لهم. لقد لعبوا البوكر مقابل مبالغ معتدلة من المال. هو - هي
كان في التجمعات الاجتماعية في منزلهم التي التقى بها والدي
Tawfiq al-Suwaydi and his wife Fakhriya. Mr Suwaydi did
لم يلعب الورق، لكن زوجته فعلت ذلك. مثل زوجها فخرية
جاء من عائلة عراقية من الطبقة العليا. وكانت قد حضرت
مدرسة Alliance Française في البصرة حيث كانت
تدرس من قبل الراهبات الفرنسيات. السيدة شمتوب والسيدة السويدي و
أصبحت والدتي صديقة جيدة وكانت تلتقي أحيانًا للعب
بطاقات في الصباح عندما كان أزواجهن في العمل.
بينما اختلط معظم اليهود من الطبقة الاجتماعية لوالدي بحرية
وكان المجتمع المسلم الراقي، هاسكل شمتوب، يتمتع بشكل خاص بحالة جيدة-

متصلة ومتكاملة بشكل جيد. وكان واحدا من حفنة من اليهود الذين ينتمون إلى ناد اجتماعي خاص في بغداد.

كان عم والدتي، شاك موشي سلطون، ينتمي أيضًا إلى هذا النادي. وكان موضع مزاح ودي بين فرعي الأسرة السامية. في إحدى المناسبات، سأل أصدقاء مسلمون شاك موشي عما إذا كان صحيحًا أن اليهود يعتقدون أنه عندما يأتي المسيح، سيصبح المسلمون حميرًا وسيركبها اليهود. ولم ينكر شاك موشي القصة. وتم الضغط عليه أكثر: هل يختارون الحمير السنية أم الشيعية؟ تهرب شاك موشي من السؤال بقوله أنه عندما يأتي المسيح، ستكون هناك هرج ومرج كامل وسيقفز اليهود على أول حمار يأتي في طريقهم دون التحقق من طائفته!

وكانت والدتي تعتقد أن هاسكل شمتوب قام برشوة توفيق السويدي للسماح لليهود بمغادرة البلاد. وعندما سألتها ما الذي جعلها تعتقد أن السويدي تلقى رشوة، أجابت عادة بسؤال: "ولماذا يفعل ذلك؟" وتابعت قائلة إنه في العراق في تلك الأيام، إذا أردت القيام بأي شيء، عليك رشوة الشرطي أو المسؤول أو الوزير المعني. لم تكن الرشوة أمرًا غير عادي: لقد كانت جزءًا من الثقافة السياسية السائدة. ومع ذلك، قد تكون كلمة "رشوة" أقوى من أن تصف ما حدث في هذه الحالة بالذات. بالإضافة إلى كونه رئيسًا للوزراء، شغل توفيق السويدي منصب رئيس مجلس إدارة شركة العراق تورز، وهي شركة سفر راسخة مقرها في بغداد. تم منح امتياز ترتيب الجسر الجوي لليهود خارج العراق لشركة أمريكية تدعى الشرق الأدنى للنقل الجوي والتي كانت في الواقع منظمة واجهة لإسرائيل، وهي شريكة لشركة النقل الوطنية العال. في البداية، اضطرت الطائرات إلى التوقف في مطار نيقوسيا في قبرص، لكن تم إسقاط هذا التظاهر فيما بعد، وسمح للطائرات بالتحليق مباشرة إلى مطار اللد، بالقرب من تل أبيب.

وكان من المقرر أن تحصل شركة "عراق تورز" على حصة من إيرادات الجسر الجوي على أساس عدد الركاب. وكانت المبالغ المعنية كبيرة: عشرة جنيهات لكل فرد مضروبة في 100 ألف راكب كانت ستحقق ربحًا قدره مليون جنيه. وبهذا المعنى، يمكن القول إن رئيس الوزراء استفاد بشكل غير مباشر من الصفقة.

كان موقف الجالية اليهودية تجاه القانون
متناقض. شكك البعض في أنها كانت خدعة لكشف القناع
واعتقال الصهاينة العازمين على المغادرة وأخذ ممتلكاتهم
المال معهم. تم تأجيل بعض الذين كانوا مترددين
بسبب العقبات البيروقراطية الخطيرة التي ينطوي عليها الأمر. بغرض
الحصول على تأشيرة خروج ذات اتجاه واحد يحتاج مقدم الطلب إلى مجموعة كبيرة من
تصاريح من السلطات الضريبية، وزارة العدل،
المجلس المحلي والشرطة - للتصديق على ذلك
لم يكن مدينًا للسلطات بأي أموال. وكانت بعض العائلات
منقسمون بشدة بين الراحلين والباقين؛ عندما واحد
توصل العضو إلى قرار حازم بالمغادرة، أما بقية الأعضاء
عادة ما تتبع الأسرة. لكن الغالبية العظمى من العراقيين
لم يكن لدى اليهود ببساطة أي رغبة في التخلي عن الأرض التي يعيشون فيها
كان لديهم مثل هذه الجذور العميقة. ونتيجة لذلك، في الأيام الأولى
بعد إقرار قانون التجريد من الجنسية، عدد قليل جداً
اليهود المسجلون للتنازل عن جنسيتهم العراقية. في
وفي العام التالي وقعت سلسلة من الانفجارات في المباني اليهودية
تسريع وتيرة التسجيل. تأثير
كان من المفترض أن تولد القنابل الخوف والذعر والارتباك في صفوف السكان
الجالية اليهودية ولحث الغالبية العظمى من
الباقي لتغيير رأيهم. وكانت القنابل واحدة فقط
عاملا في تدهور الوضع بشكل مطرد. تأثيرهم،
ومع ذلك، لم يكن لا يستهان به. وكان هناك ارتباط مباشر
بين التفجيرات وارتفاع عددها
المتقدمين للهجرة من العراق.10
تم افتتاح مكتب في كنيس مئير طويج للراغبين في التسجيل في تسكيت
الجنسية،

إلغاء الجنسية. وكان هذا شرطًا للحصول على تأشيرة خروج ذات اتجاه واحد. وكان من المفترض أن يتولى مسئولو الجالية اليهودية مسؤولية الشكليات، لكن المسلحين الصهاينة أبعدوهم عن الطريق واغتصبوا مكانهم. كان شلومو هليل مسؤولاً بشكل عام عن ترتيب الرحلات الجوية المستأجرة إلى إسرائيل. أصبح الخروج معروفًا باسم "سنت التسقيت"، أي عام "التسقيت".[11] ولكنه كان بطيئًا جدًا. في اليوم الأول، حضر ثلاثة يهود فقط إلى مكتب الكنيس للتسجيل. في 19 مارس 1950، انفجرت قنبلة في المركز الثقافي الأمريكي والمكتبة في بغداد، وهو مركز يرتاده العديد من اليهود. وألحقت القنبلة أضرارا بالمبنى وأصابت عدة أشخاص، لكن التأثير النفسي كان محدودا لأن اليهود لم يكونوا الهدف المحدد. بحلول 7 أبريل، ارتفع عدد المهاجرين المحتملين إلى 126.

وقع الهجوم الأول على هدف يهودي في 8 أبريل الساعة 9.15 مساءً. عندما ألقيت قنبلة يدوية من سيارة متحركة على الرصيف خارج الدار البيضاء، وهو مقهى يملكه يهودي في شارع أبو نواس على ضفة نهر دجلة. ولم يقتل أحد ولكن أصيب أربعة يهود في الانفجار. وعلى الرغم من أن الأضرار كانت ضئيلة، إلا أن هذا الحادث هز الجالية اليهودية. وفي اليوم التالي، حضر 3400 يهودي إلى مكتب الهجرة للتسجيل. وكان معظمهم فقراء، وليس لديهم ما يخسرونه. وبحلول نهاية الشهر، وصل العدد إلى 25300.[12] وقد أجبر هذا العدد الكبير غير المتوقع من المتقدمين السلطات على فتح مكاتب جديدة للهجرة في المدارس والمعابد اليهودية. ولكن في منتصف عام 1950، تباطأت وتيرة التسجيل. وقد أبلغ اليهود الذين وصلوا إلى إسرائيل عن الظروف القاسية في معسكرات العبور وحذروا أقاربهم من اتباع خطاهم. وكان للتحذير بعض التأثير، خاصة على اليهود الأثرياء. ولكن بحلول هذا الوقت، تم إنشاء حلقة مفرغة

وجد المترددون صعوبة في البقاء. واستغل الصهاينة أحداث التفجيرات، وحذروا اليهود بضرورة الإسراع بمغادرة البلاد قبل فوات الأوان. وبحلول نهاية العام، كان أكثر من تسعين ألف يهودي قد سجلوا أسماءهم للتنازل عن جنسيتهم العراقية. ثم جاءت القنبلة الكبيرة.

في 14 يناير 1951، في الساعة السابعة مساءً، ألقيت قنبلة يدوية على الفناء الخارجي لكنيس مسعودة شمتوب، الذي كان بمثابة نقطة تجمع لأولئك الذين سمحت لهم السلطات بالمغادرة. وكانت القنبلة اليدوية من نوع ميلز بريطانية الصنع، ويستخدمها الجيش والشرطة العراقيان. وأفاد شهود عيان أن القنبلة ألقاها رجل ذو مظهر عربي. وأصابت القنبلة كابل جهد عالي وانفجرت مما أدى إلى مقتل أربعة يهود وإصابة عشرين آخرين. وبما أن القنبلة ألقيت على فناء شبه فارغ، فربما كان المقصود منها التخويف وليس القتل؛ لقد كان الاصطدام العرضي بالكابل هو الذي تسبب في وقوع الوفيات. ومهما كانت النوايا وراءه، فقد تسبب هذا الهجوم المميت في حالة من الذعر الحقيقي وارتفاع فوري في عدد الأشخاص الذين اختاروا المغادرة.

وبمجرد أن انقشع الغبار، بدأت الشائعات تنتشر حول هوية المهاجم ودوافعه. الأشخاص الذين تحدث إليهم إسحاق بار موشيه افترضوا أن الجناة لا بد أن يكونوا نازيين أو استقلاليين أو أي جماعة متطرفة أخرى من كارهي اليهود. واشتبه آخرون في أن هذا كان من عمل الحركة السرية الصهيونية. وقال أحد الرجال لبار موشيه إن رجال الحركة وحدهم هم الذين يمكنهم القيام بهذا العمل الفظيع. "لماذا يفعلون ذلك؟" سأل بار موشيه. لأنهم لم يكونوا أقل اهتماما بتسريع خروج اليهود من العراق من الحكومة أو الشرطة فكان الجواب. وخلص بار موشيه إلى أن القنبلة، مهما كان مصدرها، فقد أدت وظيفتها: «لقد هاجم خوف جديد اليهود... لقد شعروا أن الأرض تتحرك تحت أقدامهم، وكانوا

هاجس ما سيأتي... إلقاء القنبلة فصل جديد في الفترة الأخيرة التي نعيشها في العراق، وقد انفتحت أمامنا هاوية. ,13

وبأخذ هذا الهجوم مع الهجمات السابقة، يبدو أنه يشير إلى وجود منظمة خبيثة تتآمر ضد اليهود. لم يبق هناك شك في أذهان معظم اليهود بأن العراق لم يعد مكانًا آمنًا لهم. وحتى اليهود الأثرياء من الطبقة المتوسطة العليا اضطروا إلى إعادة النظر في خياراتهم. بحلول بداية مارس 1951، كان 105.400 شخص قد سجلوا أسماءهم للمغادرة، وكان 70.000 منهم لا يزالون في البلاد - في حالة من النسيان.

عند هذه النقطة جاءت ضربة قوية أخرى للجالية اليهودية، هذه المرة من الحكومة العراقية. كان عرض التجريد الطوعي من الجنسية صالحًا لمدة عام واحد، وبالتالي كان من المقرر أن ينتهي في 9 مارس 1951. وبحلول ذلك الوقت، كان نوري السعيد قد حل محل توفيق السويدي كرئيس للوزراء. ولم يظهر نوري أي مشاعر معادية لليهود في الماضي. على العكس من ذلك، كان مرتبطًا بسياسة فيصل الأول في مصادقة اليهود، وهي السياسة التي أوصت بها جيرترود بيل بشدة لكليهما. لكن قيل إن العدد الكبير من اليهود الذين شاركوا في المظاهرات الشيوعية ضد معاهدة بورتسموث في يناير 1948 قد أثار حفيظة نوري. كان من المفترض أن تقوم هذه المعاهدة بمراجعة المعاهدة الأنجلو-عراقية لعام 1930، لكنها أبقت العراق فعليًا تحت الحماية البريطانية. أجبرت الاحتجاجات الشعبية نوري على التنصل من المعاهدة الجديدة، لكنها أيضًا قلبته ضد اليهود المتمردين. حتى أنه تردد أنه أقسم على تحويل اليهود إلى الفقر، إلى بيع الحمص في شوارع بغداد. 14 على مدى العامين التاليين، ناقش نوري فكرة ترحيل يهود العراق إلى إسرائيل أو مبادلتهم بعدد مماثل من اللاجئين الفلسطينيين، ثم تركها جانبًا.

كانت هذه حكومة نوري الحادية عشرة. كان يخشى الآن
أن الاقتصاد العراقي لن يتمكن من النجاة من هذه النقلة
رأس المال اليهودي إلى الدولة اليهودية المعادية التي طردتها
أكثر من نصف سكان فلسطين العرب. على افتراض
في منصبه، قام فجأة بإلغاء موافقة السويدي
السياسة تجاه المجتمع اليهودي. في 10 مارس 1951،
ودعا نوري مجلس النواب إلى جلسة خاصة
وأصدر القانون رقم 5: مراقبة وإدارة
ملكية اليهود المسقطين جنسيتهم. هذا القانون جمد كل
أصول اليهود الذين تخلوا عن جنسيتهم:
المنازل والشركات والمحلات التجارية والبضائع والأوراق المالية و
الحسابات المصرفية. دخل القانون حيز التنفيذ على الفور وكان كذلك
تنفيذها بطريقة لا ترحم. وأمرت البنوك بذلك
أغلقت الشركات اليهودية أبوابها لمدة يومين
تم حجز وإغلاق المتاجر اليهودية وإغلاقها من قبل
الشرطة، ومنعت أصحابها من الوصول إليها.
من خلال إقرار هذا القانون، سعى نوري إلى معاقبة يهود العراق ودولة إسرائيل.
وتم تحويل الثروة اليهودية العراقية، وهي أصل محتمل لبناء الدولة اليهودية الوليدة،
إلى خزائن الخزانة العراقية. بالنسبة لليهود المغادرين، لم يكن هذا القانون سوى
كارثة. لقد قبض عليهم عديمي الجنسية والعاطلين عن العمل وفي كثير من الحالات
بلا مأوى. أولئك الذين لم يبيعوا منازلهم بعد، وكذلك أولئك الذين باعوا منازلهم
وأودعوا العائدات في البنوك، فقدوا كل شيء. تم تهريب بعض الأصول إلى خارج
البلاد بوسائل غير مشروعة، لكن معظم اليهود البالغ عددهم 70 ألفًا الذين سجلوا
للمغادرة ولكنهم لم يغادروا بعد أصبحوا فقراء بين عشية وضحاها. ولم يُسمح لكل
شخص بالغ، ينتظر الحصول على مقعد على متن طائرة لمغادرة البلاد، إلا بأخذ 50
دينارًا نقدًا وحقيبة واحدة فقط.

خلال الفترة المتبقية من العام وقع حادثان تفجير آخران. في 10 مايو 1951، في
الساعة الثالثة صباحًا، ألقيت قنبلة يدوية على نافذة العرض في بيت لاوي المملوك
لليهود.

محل بيع السيارات في شارع الرشيد. وكانت الشركة وكيلاً لاستيراد السيارات
الأمريكية. ودمر جزء من المبنى لكن لم يصب أحد بأذى حيث كان المكان خاليا وقت
الانفجار. وفي 9 يونيو/حزيران، انفجرت عبوة ناسفة عند مدخل مبنى يملكه يهودي
يدعى ستانلي شاشوا، وهو وكيل آخر لاستيراد السيارات الأمريكية. وأدى الانفجار
إلى وقوع بعض الأضرار في المبنى دون وقوع إصابات. في غضون ذلك، مددت الحكومة
الموعد النهائي للتسجيل من مارس/آذار حتى نهاية يوليو/تموز. وبحلول نهاية عام
1951، تم تسجيل أكثر من 120.000 يهودي، وبحلول بداية عام 1952، غادر جميعهم
تقريبًا إلى إسرائيل. وكانت إسرائيل هي الوجهة الوحيدة لعملية عزرا
ونحميا. وكان يقود الطائرات طيارون يهود يحملون جوازات سفر أجنبية. بالنسبة
لإسرائيل، أسفرت العملية، إلى جانب شحنتها البشرية، عن مئات الآلاف من
الجنيهات بالعملة الصعبة.

أن القنابل الخمس لعبت دوراً ما في إقناع
إن هجرة يهود العراق إلى إسرائيل أمر لا جدال فيه. الكبير
السؤال هو من زرع القنابل؟ الأدلة عندي
اكتشف يقدم إجابة جزئية على هذا السؤال: ثلاثة
ومن بين القنابل الخمس كانت من عمل الحركة السرية الصهيونية
في بغداد. ولكن قبل تقديم الأدلة على بلدي
نسخة من الأحداث، وأود أن التخلص من
النسخة الصهيونية التقليدية حول الهجرة الجماعية من
العراق. وتنفي هذه الرواية بشكل قاطع أي دور صهيوني فيها
زرع القنابل. أبرزهما
دعاة هذا الإصدار هم شلومو هيليل ومردخاي
بن بورات. ولد شلومو هليل في بغداد عام 1923 و
هاجر إلى فلسطين عام 1934. بعد العالم الثاني
الحرب، لعب دورا رئيسيا في تنظيم غير شرعي وبعد ذلك
الهجرة الشرعية لليهود العراقيين إلى إسرائيل. له
وكان النجاح الأكبر هو اللقاء مع رئيس الوزراء توفيق
السويدي، حيث تظاهر بأنه مسؤول أمريكي

شركة الطيران المستأجرة، الشرق الأدنى للنقل الجوي، وحصلت على امتياز نقل اليهود خارج البلاد. واصل هليل مسيرته العامة المتميزة كدبلوماسي ووزير ورئيس للكنيست (البرلمان الإسرائيلي). ونشر هليل رواية شخصية لما قدمه على أنه جهد صهيوني بطولي لإنقاذ يهود العراق. وهو يرفض في هذا الكتاب الادعاء بأن القنابل اليدوية قد تم إلقاؤها من قبل عملاء يهود لتخويف اليهود ودفعهم إلى الفرار من العراق باعتباره "سخيفًا بشكل واضح"، وهو افتراء ساخر روجت له الأحزاب العربية بفؤوسها الخاصة للطحن. 15

ولد مردخاي بن بورات في بغداد عام 1923
مراد قصاص، كان ناشطا في الحركة السرية الصهيونية
غادر العراق بطريقة غير شرعية إلى فلسطين الانتدابية عام 1945. كان
تم إعادته إلى بغداد عام 1949 من قبل بيت الموساد العالية،
المنظمة المسؤولة عن الهجرة السرية إلى
تمهيد الطريق للهجرة. لقد كان في المجمل
المسؤول عن عملية عزرا ونحميا وبالتالي المفتاح
الرقم في القصة. كان بن بورات جلخًا و
الشخصية المسيطرة التي أثارت عداء قادة
الطائفة اليهودية البغدادية بجرأته وتصرفه
دون التشاور، من خلال التعدي على صلاحياتهم
وتعريض حياة اليهود الذين فضلوا ذلك للخطر
البقاء في العراق. خلال فتراته الأربع كعضو في
في الكنيست، كان يمثل خمسة أحزاب سياسية مختلفة. هو
نفى بشدة أي تورط له في تفجيرات بغداد
لكن الشائعات استمرت. اليهود العراقيون الساخطون في إسرائيل
لقبه مراد أبو الكنبل مراد القنابل.16

نشر بن بورات حسابه الخاص تحت عنوان إلى بغداد والعودة. الكتاب مفاخر ويهنئ نفسه. ومع ذلك، فهو سجل قيم لفترة حافلة بالأحداث في تاريخ يهود العراق. الفصل الثاني عشر يحمل عنوان "القنابل في شوارع بغداد". هنا

ويذكر المؤلف بصراحة، باعتباره أحد قادة العملية، أن الادعاء بأن مبعوثي إسرائيل هم الذين ألقوا القنابل في قلب بغداد لتخويف اليهود ودفعهم للهجرة إلى العراق كان ادعاءً وضيعًا ولا أساس له من الصحة على الإطلاق. في الواقع، ذهب إلى حد وصف هذا الادعاء بأنه فرية دموية. 7 كملحق لكتابه، أدرج بن بورات تقرير لجنة التحقيق في هذه القضية لعام 1960. وذكر التقرير أن اللجنة لم تجد أي دليل واقعي على أن الهجمات نفذتها منظمة يهودية أو أفراد يهود. كما لم تتمكن اللجنة من التفكير في أي سبب منطقي قد يكون دفع منظمة يهودية إلى التحريض على مثل هذه الهجمات. وكانت اللجنة مقتنعة أيضًا بأنه لم تصدر أي منظمة إسرائيلية الأمر بهذه الهجمات. وفي عام 1977، اتهم صحفي إسرائيلي يُدعى باروخ نادل بن بورات مباشرة بزرع القنابل. رفع بن بورات دعوى قضائية ضد الصحفي بتهمة التشهير وحصل على اعتذار غير مشروط. 19

بالنسبة لبن بورات كانت هذه نهاية الأمر. ولكن هذا ليس بالنسبة لي. أستطيع الآن أن أقول بكل ثقة أن بن بورات لم يقم بإلقاء أي من القنابل التي انفجرت في شوارع بغداد في الفترة 1950-1951. أما ما إذا كان متواطئا، وما إذا كان لديه أي معرفة مسبقة على الإطلاق، فهو سؤال منفصل. ونظراً لموقعه المركزي كأعلى مبعوث إسرائيلي إلى العراق، فمن الصعب أن نصدق أنه لم يكن لديه أدنى فكرة عما كان زملاؤه في الحركة السرية الصهيونية يعتزمون فعله. لكن ليس لدينا إجابات محددة حتى الآن.

والشخص المسؤول عن ثلاث من التفجيرات هو يوسف إبراهيم بصري، وهو يهودي بغدادي يبلغ من العمر 28 عاماً، ومحامي حسب المهنة، واشتراكي، وقومي يهودي متحمس، وعضو في حشوورة، الجناح العسكري لحركة هاتينوا. . وفي ديسمبر 1949، ومع اشتداد اضطهاد الأقلية اليهودية، غادر البصري

العراق بطريقة غير شرعية ومضى عبر طهران في طريقه إلى إسرائيل. وفي إسرائيل تم تجنيده في الموساد وإعادته إلى بغداد كجاسوس وعميل أمني. ولم يكن البصري مسؤولاً عن الحادث المميت الذي وقع في كنيس مسعودة شمتوب. لكنه كان مسؤولاً عن ثلاثة من الانفجارات الأخرى. ولم يكن هدفه القتل بل تخويف اليهود المترددين وحثهم على التسجيل لإلغاء جنسيتهم العراقية. على الأقل هذا هو الانطباع الذي اكتسبته من التحدث مع يهودي بغدادي آخر ينتمي إلى نفس الدائرة الصهيونية المتماسكة، والذي أعطاني، بعد سبعة وستين عامًا، القصة غير المروية وراء الهجرة الجماعية. اسم مصدري هو يعقوب كركوكلي، يهودي عراقي

من مواليد بغداد عام 1928 وأمضى عدة سجون
أحكام على الأنشطة الصهيونية وهرب في نهاية المطاف من
العراق إلى إسرائيل عام 1973. كان جاراً وصديقاً لي
والدتي في رمات غان والتقيت به من خلالها في زيارة
في مارس 2017. كان لدى والدتي دائرة من الأصدقاء، كبار السن
اليهود العراقيون، الذين كانوا يجتمعون بانتظام مساء كل يوم اثنين
القهوة والكعك في صالة الفندق في كفر ه-
المكابية، في إحدى ضواحي رمات غان المورقة. يوم الاثنين واحد،
جاء يعقوب وزوجته داليا لاصطحابنا ونقلنا بالسيارة
إلى الفندق. جلست بعد ذلك في السيارة وبعد ذلك في الفندق
له. وهو رجل ذو نظارة طبية، متوسط الطول، نحيل الجسم
أشعل النار مع خدود غائرة وشعر ناصع البياض وحواجب
والشارب. إنه ضعيف السمع، ويتحدث ببطء و
عمدا، وعبريته يتم تصريفها بطريقة مميزة
لهجة عربية. في مجموعتنا كان هناك أربعة أو خمسة أزواج
وتم إجراء المحادثة في خليط من
العبرية والعربية. معظم الحاضرين، مثل كركوكلي،
كانوا يمينيين، ورفضوا العرب، وناخبي الليكود والكثير منهم
كان الحديث عن الشؤون الجارية. حاولت توجيه بلدي
محادثة خاصة مع كركوكلي بعيداً عن الحاضر
ونحو الماضي البعيد.

خلال الأمسية، وفي العديد من المحادثات اللاحقة، تعلمت الكثير عن خلفية كركوكلي. وتستحق قصته إعادة سردها بسبب الضوء الذي تلقيه على الروابط الوثيقة بين إسرائيل والصهاينة بين يهود العراق وعلى الطريقة التي تعمل بها أجهزة الأمن الإسرائيلية خلف خطوط العدو. وعلى غير العادة بالنسبة لصبي يهودي، ذهب يعقوب إلى مدرسة ثانوية إسلامية. في أوائل الثلاثينيات من عمره، اكتسب معرفة عميقة بالتاريخ الإسلامي واللاهوت، وبالقرآن والشريعة الإسلامية. وكان ذلك بعد الانقلاب العسكري الذي وقع في 14 يوليو 1958 والذي أطاح بالنظام الملكي. وكان قائد الانقلاب هو العميد عبد الكريم قاسم الذي تصادف أنه جار كركوكلي. كان قاسم قومياً عراقياً ومصلحاً اجتماعياً حقيقياً ومناهضاً للإمبريالية. تجربته كضابط شاب في حرب عام 1948 من أجل فلسطين جعلته ضد بريطانيا وأتباعها الصهاينة ولكن ليس ضد الأقلية اليهودية في العراق - فقد أظهر موقفًا ليبراليًا وسخيًا بشكل ملحوظ تجاه يهود العراق حتى أطاح به انقلاب البعث في عام 1963. وتذكر كركوكلي قاسم كرجل صالح ومستقيم أعطى نصف راتبه لوالديه وواصل أسلوب حياته المتواضع بعد وصوله إلى السلطة. أصبح الرجلان صديقين. ساعده قاسم في الحصول على القبول في كلية الدراسات الإسلامية في بغداد التي لم يكن غير المسلمين مؤهلين للالتحاق بها. أنهى كركوكلي دراسته بامتياز عام 1961، وحصل على القرآن الكريم من العميد وأرفق به رسالة تهنئة من رئيس الوزراء. وأشارت الرسالة بكل فخر إلى أن هذه هي المرة الأولى التي يفوز فيها ابن إحدى الأقليات بهذه الجائزة المرموقة.

في يوليو 1968، تم افتتاح عصر مظلم في العراق من خلال انقلاب آخر لحزب البعث والذي رفع صدام حسين إلى منصب نائب الرئيس. وضع صدام مكانا قاسيا

إجراءات ضد جميع الأقليات في العراق وخاصة ضد اليهود. في هذه البيئة المعادية بشكل عام، تم القبض على كركوكلي واقتياده للاستجواب أولاً إلى البصرة ومن هناك إلى قصر النهاية في بغداد، وهو قصر ملكي عثماني سابق حوله نظام البعث إلى سجن سيء السمعة يُعرف شعبياً باسم قصر لا. يعود. سمي بقصر اللاعودة لأن السجناء الذين قيل إنهم أعداء النظام تعرضوا للتعذيب والقتل هناك. وكان هناك جناح خاص للشيوعيين. قضى كركوكلي خمس سنوات في هذا السجن، بعضها في الحبس الانفرادي. تعرض لأبشع أنواع التعذيب وتدهورت صحته الجسدية والعقلية لدرجة أنه توسل لحراسه أن يطلقوا النار عليه. ولم يتم توجيه أي اتهامات رسمية ضده ولم تُعقد أي محاكمة رسمية. وفي يناير/كانون الثاني 1973، أُطلق سراحه فجأة دون أي تفسير، وسُمح له بمغادرة العراق مع عائلته للذهاب للعيش في إسرائيل.20

منذ صغره، انجذب يعقوب إلى الحركة الصهيونية. وينطبق الشيء نفسه على أخته راعوث والأخ الأصغر إبراهيم. أصيبت العائلة بأكملها بصدمة نفسية بسبب الفرهود وعلقوا آمالهم في مستقبل أفضل على المثل الصهيوني المتمثل في إقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين. عندما كان يعقوب في السابعة أو الثامنة من عمره، لفت انتباهه شقيقه الأكبر شلومو إلى أن وطنهم الحقيقي ليس العراق بل فلسطين. في عام 1944، عندما كان في السادسة عشرة من عمره، زار يعقوب فلسطين للمرة الأولى ليقيم مع أخته راعوث. خلال زيارته، اصطحبه أحدهم لرؤية إيسر هاريل، رئيس جهاز الأمن الداخلي للدولة الذي كان في طور التكوين. وأشار هاريل إلى أن يعقوب يمكن أن يكون مصدر قوة وسأل عما إذا كان مستعدًا لمساعدتهم. ومن دون تردد قال يعقوب "نعم". حصل على الاسم الرمزي جدعون. كانت مهمته الأولى هي مساعدة أحد الخبراء في نسخ الطوابع والطوابع المختلفة

تصريح على جواز سفره العراقي. وقد استخدمت الحركة هذه الوثائق المزورة مراراً وتكراراً لإخراج أعضائها من العراق عبر إيران إلى فلسطين. وفي بغداد، واصل يعقوب خدمة القضية الصهيونية من خلال جمع المعلومات ومساعدة مبعوثيها السريين بطرق عملية لا حصر لها. ويدعي أنه زود إسرائيل بقائمة كاملة من الأسلحة العراقية التي حصل عليها في عام 1948، وهو العام الذي اندلعت فيه الحرب العربية الإسرائيلية الأولى.

وأكد لي يعقوب كركوكلي أنه أصبح ناشط صهيوني انطلاقا من قناعة أيديولوجية بحتة. لقد كان تدرب كمحاسب، وحصل على عيشة جيدة ولم يفعل ذلك بحاجة إلى أي دعم مالي. وبالفعل، كان على استعداد للدفع ثمناً باهظاً لخدماته للقضية الصهيونية، بما في ذلك الاعتقال والتعذيب. ورغم أنه نجا من المحنة، إلا أنه غادر ندوب جسدية وعاطفية عميقة. ومع ذلك لم يكن لديه أي ندم. وبالنظر إلى حياته، كان فخوراً بما فعله ومندهش بصراحة من الشجاعة التي أظهرها بصفته أ شاب في مواجهة الشدائد. ولو كان له طريقه مرة أخرى، وقال إنه سيفعل ذلك مرة أخرى. التزامه به دولة إسرائيل كانت غير مشروطة، بل وكان لها ما يبررها الأساليب العنيفة التي استخدمتها لتصفية اليهود المهجر في العراق. وقد دفع عدد قليل من الأفراد حياتهم ثمنا لذلك وخسر الكثيرون أصولهم ولكن المكاسب للصغار كانت الدولة اليهودية لا تحصى. على الرغم من أنه هو نفسه أ وهو مؤيد مدى الحياة لحزب الليكود اليميني، كركوكلي ويعتقد أن دافيد بن غوريون، زعيم حزب العمل وكان الحزب وأول رئيس وزراء لإسرائيل، يمتلك البصيرة والحكمة في عام 1950 للتطلع إلى خمسين عامًا للأمام. ولو لم يتصرف كما فعل، لكانت هناك فرصة فريدة من نوعها لقد تم تفويتها: أقل من خمس يهود العراق سيفعلون ذلك لو جعلت علياء وإسرائيل قد انتهى بهم الأمر إلى الفقر تشكيلها ديموغرافيا واقتصاديا، ومن حيث

حماية. لقد كان اجتثاث الطائفة اليهودية من العراق مبرراً تماماً.

وبعبارة أخرى، كان يعتقد أن الغاية تبرر الوسيلة. لكن كان لديه شيء أكثر إثارة للاهتمام ليقوله عن تفجيرات بغداد والعمليات السرية الصهيونية. عندما وصلت إلى المنزل، قمت بسرعة بتدوين كل ما أستطيع تذكره. باختصار: كان يعقوب كركوكلي ينتمي إلى مجموعة صغيرة قامت باتخاذ الترتيبات العملية لليهود الذين اختاروا المغادرة بعد إقرار قانون نزع الجنسية؛ وضمت المجموعة المحامي يوسف بصري وعضو الحشوورة؛ لقد نفذ البصري هجمات إرهابية بمفرده دون أن يخبر الآخرين بما كان ينوي فعله؛ وكان مراقب البصري هو ضابط مخابرات إسرائيلي، ماكس بينيت، الذي كان يقيم في إيران. قام بينيت بتزويد البصري بقنابل يدوية ومادة تي إن تي؛ وكان البصري قد نفذ ثلاث هجمات على مواقع يهودية، لكنه بالتأكيد لم ينفذ الهجوم الذي استهدف كنيس مسعودة شمتوب.

وكان كركوكلي أكثر إصرارا على أن البصري لا علاقة له بالهجوم على الكنيس. وهذا يثير السؤال الواضح: من هو الجاني الحقيقي؟ أجاب كركوكلي، بلمسة ذات أهمية خاصة، أنه الشخص الوحيد في العالم الذي يعرف الإجابة على هذا السؤال. وبعد قليل من الحث، كشف هوية الجاني. كان صالح الحيدري، مسلم سني من أصول سورية. وكان الحيدري، بحسب كركوكلي، شخصية بغيضة ومحتالاً يعيش على الاحتيال والمكاسب غير الأخلاقية لأخواته الخمس. كان لديه بعض المعارف اليهود، لكنه ارتكب خطأ بمحاولة الاحتيال عليهم. وقد أبلغوا عنه الشرطة، وتم القبض عليه وإدانته، وقضى عقوبة السجن. وكان الحيدري قد ألقى القنبلة اليدوية على باحة الكنيس انتقاما من اليهود الذين أبلغوا السلطات عنه.

كانت هذه الاكتشافات مثيرة للاهتمام وأثارت شهيتي للمزيد. كان من المقرر أن أعود إلى المملكة المتحدة في وقت متأخر من بعد الظهر في اليوم التالي. سألت كركوكلي إذا كان بإمكاني زيارته في منزله في الصباح مع دفتر ملاحظات لتدوين الملاحظات. فأجاب أن بضع ساعات لن تكون كافية. كان يعرف القصة بأكملها، وكان لديه وثائق للتحقق من صحتها، لكنني سأحتاج إلى يومين أو ثلاثة أيام كاملة معه للحصول على القصة الكاملة. ولم يكن لدي خيار سوى ترك الأمر عند هذا الحد. وكانت الحصيلة حتى الآن ثلاث قنابل زرعها يهودي، وواحدة زرعها مجرم مسلم، وقنبلة مجهولة المصدر. كانت لا تزال هناك العديد من الأسئلة التي لم تتم الإجابة عليها في ذهني عندما استقلت رحلة الخطوط الجوية البريطانية من مطار بن غوريون إلى مطار هيثرو.

كانت رحلتي التالية إلى إسرائيل في أواخر أكتوبر 2017. هذه المرة ذهبت مسلحًا بجهاز تسجيل. وكان الغرض الرئيسي من الرحلة هو إلقاء الكلمة الرئيسية في المؤتمر الفلسطيني في القدس الشرقية في الذكرى المئوية لوعد بلفور. بالإضافة إلى حضوري المؤتمر، قضيت أسبوعًا مع والدتي في رمات غان. في 28 تشرين الأول/أكتوبر، جاء يعقوب كركوكلي وزوجته داليا في المساء إلى شقة والدتي. المقابلة التي قمت بتسجيلها كانت كاملة باللغة العبرية واستمرت لمدة ساعة ونصف. وتخللتها مداخلات من والدتي، بمزيج من العبرية والعربية، للإجابة على بعض الأسئلة التي أطرحها على ضيفتنا أو لتقدم لنا القهوة والشاي والعرق والمكسرات والتمر والمشمش المجفف والشوكولاتة وغيرها من المرطبات.

أقترح الآن أن أعرض بالتفصيل مضمون المقابلة على الرغم من أنها تنطوي على بعض التداخل مع ما كتبته بالفعل في هذا الفصل. وبعد إقرار قانون التجريد من الجنسية، تم تشكيل مجموعة صغيرة تتألف من مبعوثين إسرائيليين وصهاينة محليين لتسريع عملية التسجيل والهجرة. المجموعة

وكان من بينهم مردخاي بن بورات، المبعوث الإسرائيلي الكبير، ويوسف بصري، ويوسف خبازة، وساسون صادق، ويعقوب كركوكلي نفسه وعدد قليل من الآخرين. وكانوا يجتمعون في منزل ساسون صادق للعب الورق، لكن ذلك كان مجرد غطاء لنشاطهم الحقيقي.

وكان رد فعل الطائفة اليهودية على القانون بطيئا ومترددا. تقدم المئات فقط في المرحلة الأولية. وقد شعرت السلطات الإسرائيلية بخيبة أمل شديدة إزاء هذا الرد. وجرت المشاورات وتم التوصل إلى قرار باتخاذ إجراءات لتشجيع اليهود على التخلي عن جنسيتهم العراقية. كانت إسرائيل بحاجة إلى القوى البشرية لبناء الدولة ولزيادة أعداد الجيش. في ذلك الوقت كان عدد سكان إسرائيل صغيرا، 600 ألف نسمة فقط، بينما كانت محاطة بدول عربية يبلغ عدد سكانها مجتمعة عشرات الملايين. وكانت هناك حاجة ملحة لزيادة الأعداد على الجانب اليهودي من المعادلة الديموغرافية.

ولم يتمكن كركوكلي من تذكر تواريخ ومواقع محددة لأحداث التفجيرات. لكنه تذكر أسماء الدار البيضاء وبيت لاوي وستانلي شعشعع، وقد لاحظ في إحدى المرات أن يوسف البصري تغيب لعدة أيام دون إعطاء أي تفسير وأن الغياب تزامن مع انفجار. وفي مناسبة أخرى، غادر البصري اجتماعًا لبضع ساعات، وعندما عاد، كان صامتًا ومتوترًا بشكل واضح. وفي مناسبة ثالثة رأى كركوكلي البصري في الشارع بسيارته الصغيرة السوداء من طراز أوستن. وصل البصري إلى الاجتماع بعد حوالي خمس دقائق من وصول كركوكلي، وبدا أشعثًا بعض الشيء، وقلقًا بعض الشيء، ومرتبكًا بعض الشيء. كان مترددًا في التحدث وجلس بهدوء في الزاوية في محاولة لاستعادة رباطة جأشه. اعتقد كركوكلي، ولكن لم يكن متأكداً، أن هذا ربما كان يوم الانفجار في مقهى الدار البيضاء الذي كان فيه يهودي واحد.

أصيب في العين. وعلى أية حال، فهو لم يكشف عن شكوكه للبصري، ولم يناقشها مع أي عضو آخر في مجموعتهم.

وقال كركوكلي إن المراقب على البصري كان ضابط مخابرات إسرائيلي يدعى ماكس بينيت، ومقره في طهران. اسمه الكامل هو مئير ماكس بينيت وكان رائدا في فرع المخابرات في جيش الدفاع الإسرائيلي. وفي طهران، تمتع بينيت بقدر كبير من حرية العمل في إطار التعاون السري بين البلدين. زود بينيت البصري بالخرائط والاستخبارات والتعليمات والقنابل اليدوية ومادة تي إن تي. لقد تم ضبط القنابل اليدوية والمتفجرات والتعليمات بعناية بهدف الترهيب وليس القتل. وكان البصري يترك سيارته في خانقين، على بعد حوالي ثمانية كيلومترات من الحدود مع إيران، على رافد نهر الوند لنهر ديالى، ثم يعبر الحدود بشكل غير قانوني للقاء مراقبه. ولم يكن هذا مخاطرة كبيرة لأن الحدود لم تكن تحت حراسة مشددة. وبعد إلقاء القبض على البصري، تم العثور في سيارته على آثار مادة تي إن تي مماثلة لتلك الموجودة في موقع القنبلة.

اعتقل البصري في 10 حزيران (يونيو) 1951 بسبب خطأ ارتكبه. بعد انفجار أربع قنابل في شوارع بغداد، تعرضت إدارة التحقيقات الجنائية لضغوط هائلة للعثور على الجناة. ولاحظ رجال المباحث أن مجموعة من اليهود تجمعوا في منزل ساسون صادق في ظروف مشبوهة، فاقتادوه إلى مركز الشرطة للتحقيق معه. وأكد صادق أن أصدقاءه جاءوا إلى منزله للعب الورق. ولم يستطع أن يخبرهم بأي شيء عن القنابل لأنه لم يكن يعرف شيئاً. البصري هو ابن عم صادق وممثله القانوني.

وفي صباح أحد الأيام، اتصل البصري بزوجة صادق، سمحة، لمساعدتها في ترتيب زيارة لزوجها في مركز الشرطة. كان هناك طرق على الباب. البصري خرج من

نافذة ورأيت سيارة إدارة البحث الجنائي. كان ينبغي عليه أن يبقى في مكانه وأن يخبر رجال المباحث بأنه الممثل القانوني لساسون صادق وأنه كان هناك لمحاولة تأمين إطلاق سراحه. لكنه أصيب بالذعر واختبأ داخل خزانة الملابس. وسأل المحققون سمحة إن كانت تعرف يوسف خبازة. وقالت إنها تعرفه ولكن ليس لديها أي فكرة عن مكان وجوده. وفي الواقع، كان خبازة قد تمكن للتو من الفرار من العراق بوثائق مزورة وكان في طريقه إلى إسرائيل. بدأ المحققون بتفتيش المنزل ووجدوا البصري مختبئًا في خزانة الملابس. 'من أنت؟' طالبوا. وأخبرهم البصري باسمه، وأنه محامٍ، وابن عم ساسون صادق. ولكن الوقت قد فات الآن بالنسبة للبصري للتظاهر بالبراءة. وإذا كان بريئا فلماذا اختفى؟ ولم يتمكن البصري من تقديم تفسير معقول. تم القبض عليه على الفور واحتجازه وتعرض للتعذيب لفترات طويلة وحاول الانتحار. وبعد ما يقرب من شهر من التعذيب المروع، انهار واعترف بأنه كان مسؤولاً عن ثلاث من القنابل ولكن ليس عن القنبلة التي وقعت في كنيس مسعودة شمتوب. 21

وكان كركوكلي قد أخبرني في لقائنا الأول أن منفذ تفجير الكنيس هو شخصية سورية سيئة السمعة تدعى صالح الحيدري. وأخبرني أيضًا أن هذا كان انتقامًا من اليهود الذين ظلموه، كما ادعى. لكنه فاجأني الآن بقوله إن الحيدري تعرض للهجوم من قبل ضابط شرطة في منطقة البتاويين. هذا لم يكن له معنى كبير وقلت ذلك. لماذا يجب على ضابط شرطة عراقي أن يقوم بالمهمة القذرة لصالح الحركة الصهيونية السرية من خلال الضغط على اليهود للهجرة إلى إسرائيل؟ عندما سمعت تفسير كركوكلي، كدت أن أسقط من على كرسيي: الرجل المعني كان متعاونًا تلقى رشوة من الحركة الصهيونية السرية. أرادت الحركة تخويف اليهود الذين ما زالوا يأملون في البقاء في العراق، ففعلوا

قام برشوة ضابط الشرطة الذي قام بتعيين الحيدري للقيام بهذا العمل القذر.

سألت غير مصدق إذا كان ذلك يعني أن النشطاء الصهاينة تعمدوا تفجير قنابل في المباني اليهودية. نعم، كان الجواب الهادئ. وتساءلت هل كان مبعوثو إسرائيل متورطين بشكل مباشر في دفع الرشاوى للشرطي العراقي الفاسد. ولم يعرف كركوكلي الجواب. كان يعتقد أن الحركة دفعت الرشاوى. لكنه شبه الموساد بالأخطبوط. ولم يكن يعرف الكلمة بالعبرية فاستخدم الكلمات العربية أخطبوط وأوجدوبوس. 22 هل علم البصري أن الشرطي كان يتقاضى أجرا من الصهاينة؟ كان كركوكلي يميل إلى الاعتقاد بأنه فعل ذلك لكنه لم يكن متأكداً. ما كان يعرفه هو أنه تم القبض على ضابط الشرطة ومحاكمته وإدانته بالتعاون مع العدو. لكن لم يتم الدعاية الكافية لمحاكمته. وبطبيعة الحال، ظلت الحركة بعيدة عن الأضواء قدر الإمكان في هذه القضية. لقد حاولت يائسة التقليل من الدعاية التي حظيت بها رشوة المسؤولين وعمليات العلم الكاذب. ومن جانبها، شعرت السلطات بالحرج من اكتشاف وجود خائن بينهم. ولذلك بذلوا قصارى جهدهم لإبعاد هذه القضية بالذات عن الأضواء. وفي المقابل، أعلنوا بكل فخر نجاحهم في كشف عصابة الجواسيس والمخربين الصهاينة وتقديمهم للعدالة.

ناشط صهيوني آخر اعتقلته إدارة التحقيقات الجنائية هو مساعد البصري، شالوم صالح شالوم. كان شالوم إسكافيًا ساذجًا يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا، وتم تجنيده في صفوف الحشوراء وتدريبه كخبير أسلحة. وكما ذكرنا سابقاً، قام مبعوثون إسرائيليون بتهريب الأسلحة إلى بغداد وقاموا سراً بتدريب الشباب اليهود العراقيين على استخدامها لغرض الدفاع عن النفس في حالة حدوث فرهود آخر. وكانت مهمة شالوم هي إخفاء الأسلحة في مختلف المعابد اليهودية والمنازل الخاصة. وقد تفصيله أيضاً

منظمة سرية صهيونية للمساعدة في تسجيل اليهود الذين قرروا التخلي عن جنسيتهم العراقية. وكان مكان التسجيل الرئيسي في كنيس مئير طاويج، ولكن مع زيادة الأعداد، تم افتتاح مكان إضافي في كنيس مسعودة شمطوب. تم القبض على شالوم في هذا الكنيس، الذي كان بمثابة مخزن كبير للأسلحة غير المشروعة. أثناء التحقيق، الذي رافقه أبشع أشكال التعذيب في إدارة التحقيقات الجنائية، انهار شالوم. واعترف بأنه ويوسف بصري ويوسف خبازة نفذوا ثلاثة من أصل خمس هجمات. وأخذ رجال الشرطة من كنيس إلى كنيس، ومن بيت إلى بيت، وأراهم أين كانت الأسلحة مخبأة.

في منزل يوسف خبازة الذي تمكن من الفرار
وفي اللحظة الأخيرة، عثروا على أسلحة ومتفجرات وخريطة
تم وضع علامة عليها بموقع ذاكرات التخزين المؤقت الأخرى وقائمة
أعضاء الحركة. وهذا ما مكن الشرطة من
تقريب الحلقة بأكملها. وتم القبض على واحد وعشرين
الناشطين، ومن بينهم بعض النساء، ومحاكمتهم جميعاً.
ووجهت النيابة للمتهمين تهمة العضوية في
المنظمة الصهيونية السرية. المشتبه بهم
وقيل إن الهدف الأساسي هو تخويف اليهود ودفعهم إلى ذلك
الهجرة في أسرع وقت ممكن والأخطر
ووجهت اتهامات إلى المتورطين في هذه القضية
زرع القنابل لتحقيق هذا الهدف. بعض من
وتم إطلاق سراح المتهمين والحكم على الباقين
مدد مختلفة بالسجن تتراوح بين خمسة أشهر وخمسة
سنين. وحكم على يوسف خبازة بالإعدام غيابيا.

بدأت محاكمة يوسف بصري وشالوم صالح شالوم في 15 أكتوبر/تشرين الأول 1951. ووجهت إليهما تهمة تنفيذ ثلاث هجمات إرهابية: في 19 مارس/آذار 1950 على المركز الثقافي الأمريكي؛ في 10 أيار (مايو) 1951 في مبنى شركة بيت لاوي؛ وفي 9 يونيو 1951 في ستانلي

وكالة شاشوا للسيارات. وكانت عينة مادة تي إن تي التي عثر عليها في سيارة البصري واحدة من أدلة الإدانة المقدمة إلى المحكمة لإثبات إدانته. وحكم على البصري وشالوم بالإعدام شنقا. ووفقاً لشلومو هليل، فإن الكلمات الأخيرة التي قالها البصري قبل الذهاب إلى المشنقة كانت "عاشت دولة إسرائيل!".

وبشكل إجمالي، عثرت إدارة البحث الجنائي على اثني عشر مخبأ، مما أسفر عن كمية كبيرة من الأموال. تضمنت الأحكام الصادرة ضد المدانين 425 قنبلة يدوية، و33 رشاشًا، و186 مسدسًا، و24647 رصاصة، و79 خزنة رشاشات، و32 خنجرًا.[23]

ولم أتمكن من تحديد المسؤول عن القنبلة الرابعة. وقد نفذ يوسف خبازة ويوسف بصري وشالوم صالح شالوم ثلاثة من الهجمات الإرهابية على إخوانهم في الدين. ونفت الحكومة الإسرائيلية بشكل قاطع أي تورط يهودي أو إسرائيلي في أي من التفجيرات. وأرجع مردخاي بن بورات وشلومو هيليل جميع الهجمات إلى متطرفين إسلاميين يمينيين من حزب الاستقلال. وكان يعقوب كركوكلي متأكدا من أن البصري لم يلقي القنبلة اليدوية على كنيس مسعودة شمتوب لكنه لم يكن متأكدا مما إذا كان مسؤولا عن ثلاثة أو أربعة من الانفجارات الأخرى. وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن البصري كان متورطاً في ثلاثة من التفجيرات المتبقية، بينما كان حزب الاستقلال متورطاً في الانفجار الآخر. لقد توصلت إلى هذا الاستنتاج ليس بروح التسوية، بل بشكل مبدئي، على أساس دليل واحد واهٍ.

في عام 2013 نشر صحفي عراقي يدعى شامل عبد القادر كتابا بعنوان تاريخ الحركة الصهيونية في العراق ودورها في هجرة اليهود 1950-1951. ويذكر المؤلف أن عضو حزب الاستقلال، الذي يعرفه فقط بالأحرف الأولى من اسمه اعترف له (م.ش.ع) بأنه وعضو آخر في الحزب (ت.ب.)

نفذ الهجوم على الدار البيضاء في إبريل 1950 بتوجيهات عدنان الراوي، الشاعر وأحد قيادات الحزب. وفي الاعتراف المزعوم،

وأخبرنا الراوي أن تردد اليهود في مغادرة العراق يتطلب التحرك لإجبارهم على مغادرة العراق، ونحن في الحزب نأمل في طرد جميع اليهود من العراق. وبالفعل تم اتخاذ القرار بتفجير كازينو البيضاء الذي كان يرتاده الشباب اليهود. الراوي أخبرنا أنه سيزودنا بالقنابل لنلقيها على الكازينو لبث الرعب في قلب اليهود. وبعد أيام جاء الراوي وكُلفنا أنا و(ت.ب) بإلقاء القنابل على الكازينو، وفي اليوم المحدد في أبريل 1950 ألقينا القنابل على اليهود الجالسين هناك وهربنا واختبأنا في أحد المنازل. استأجرنا قرب مدخل شارع ابو نواس بالقرب من الكازينو واختفينا. 24

وعلى أساس هذا الاعتراف، استنتجت أن حزب الاستقلال، وليس الحركة السرية الصهيونية، هو المسؤول على الأرجح عن الهجوم بالقنابل اليدوية على الدار البيضاء في 8 أبريل 1950.

شامل عبد القادر هو صديق لهيفاء جاجاوي، امرأة عراقية تعمل في مكتبة مركز الشرق الأوسط في كليتي، كلية سانت أنتوني، أكسفورد. ومن خلالها أهدى لمكتبتنا العنوان المذكور وكتبه الأخرى التي لم يُترجم أي منها إلى اللغة الإنجليزية. بمساعدة هيفا، اتصلت بشامل عبد القادر ومراسلته عبر البريد الإلكتروني في أبريل ومايو 2022. لقد كان مطلعًا جيدًا ومفيدًا للغاية. وأخبرني أن الرجل الذي تلقى الرشوة من الحركة السرية الصهيونية لتنظيم تفجير كنيس مسعودة شمطوب هو سالم القريشي، نقيب في القسم الخاص في مديرية شرطة مدينة بغداد. وشارك القريشي لاحقاً في مداهمة المعابد والمدارس بحثاً عن الأسلحة المخبأة. تم نقله من الخدمة في القسم الخاص إلى مركز شرطة عادي. بعد انقلاب 14 يوليو 1958، ألقي القبض عليه وحكمت عليه المحكمة الثورية بالسجن مع الأشغال الشاقة.

ولم يكن كركوكلي دقيقا فيما يتعلق بالقصة الخلفية للرشوة وتفجير الكنيس. ومع ذلك، في معظم النواحي الأخرى، فإن ما قاله لي يتوافق مع بقية الأدلة التي تمكنت من جمعها من مصادر أخرى. بالنسبة لأحد ادعاءاته، لم أتمكن من العثور على أي دليل داعم. ويتعلق هذا بسياسة دولة إسرائيل تجاه ممتلكات اليهود الذين غادروا العراق. وكان أحد أسباب رفض الحكومة العراقية السماح بالخروج الحر لليهود قبل مارس 1950 هو الخوف من العواقب الاقتصادية على البلاد. لقد كان اليهود ركيزة أساسية للاقتصاد الوطني والنظام المصرفي، ولو أنهم غادروا بشكل جماعي بكل أصولهم، لكانت العواقب وخيمة. وزعم بعض الكتاب أن الحكومة الإسرائيلية كانت في حاجة ماسة إلى الناس لدرجة أنها أشارت إلى أنها سترحب باليهود حتى بدون ممتلكاتهم. يدعي أحدهم، أبراهام شاما، أنه "في وقت ما في ربيع عام 1950، توصلت السلطات العراقية إلى اتفاق مع ممثلي الوكالة اليهودية للسماح لليهود العراقيين بمغادرة العراق بتأشيرة ذهاب فقط إلى إسرائيل، بشرط أن يتنازلوا عن جنسيتهم العراقية و ترك أصولهم للحكومة العراقية. 25

ولم يذهب كركوكلي إلى هذا الحد. لكنه ادعى أن الحكومة الإسرائيلية منذ البداية اعتبرت الثروة اليهودية العراقية ورقة مساومة في مفاوضات السلام المستقبلية مع العرب. وتعرضت إسرائيل لضغوط دولية قوية للسماح لـ 750 ألف فلسطيني الذين أصبحوا لاجئين في عام 1948 إما بالعودة إلى منازلهم أو الحصول على تعويضات. لقد رفضت إسرائيل بشكل قاطع حق العودة. وقد ترك هذا خيار التعويض، لكن إسرائيل كانت مترددة للغاية في التنازل عن هذا أيضًا. وفي هذا السياق نشأت فكرة تعويض الممتلكات المتبقية

وراء اللاجئين الفلسطينيين ضد ممتلكات اليهود العراقيين.

ويؤكد كركوكلي أن هذه الفكرة كانت طوال الوقت في أذهان صناع السياسة الإسرائيليين، ولهذا السبب لم يدافعوا بقوة كما كان ينبغي أن يفعلوا عن حقوق الملكية للمجتمع اليهودي العراقي. وبشكل أكثر تحديداً، يؤكد أن شلومو هليل وهاسكل شمتوب توصلا إلى تفاهم ضمني مع توفيق السويدي مفاده أنه إذا سمح لليهود بالمغادرة إلى إسرائيل، فيمكن أن تظل ممتلكاتهم وراءهم. ولا يمكن التوفيق بين هذا الادعاء وحقيقة أن هليل التقى بالسويدي في 28 أبريل 1950، بعد سبعة أسابيع من إقرار مشروع قانون نزع الجنسية. علاوة على ذلك، ذهب هليل لرؤية رئيس الوزراء متنكرا في هيئة ممثل لشركة أمريكية مستأجرة للقيام بأعمال تجارية، لترتيب صفقة نقل. ولم يكن من الممكن أن يكون قد قدم أي عرض من هذا القبيل نيابة عن الحكومة الإسرائيلية. كان شمتوب رئيساً للجالية اليهودية، لذا فمن غير المحتمل جداً أن يوافق على مثل هذه الصفقة الساخرة على حسابها أيضاً.

وكان الشخص الوحيد الذي سعى بنشاط إلى مثل هذه الصفقة هو مردخاي بن بورات. وبحسب روايته الخاصة، كتب إلى الموساد في 19 مارس 1950 موضحاً أن هناك فرصة لتحريك الأمور إلى الأمام من خلال رشوة رئيس الوزراء ووزير الداخلية. واقترح إعطاء هذين الرجلين جزءا من الممتلكات المتبقية في العراق وتعويض أصحابها اليهود بالممتلكات التي تركها اللاجئون الفلسطينيون في إسرائيل. طلب بن بورات الإذن بالمضي قدماً، لكنه، كما يذكر في كتابه، لم يتلق أي رد من أي نوع.26

لقد اتخذت إسرائيل موقفاً بشأن الممتلكات العراقية اليهودية، ولكن فقط بعد إقرار قانون تجميد الممتلكات. في 19 مارس 1951، موشيه شاريت، وزير خارجية إسرائيل،

ونددت بالقانون من على منصة الكنيست ووصفته بأنه "عمل سطو" وربطته لأول مرة بالممتلكات التي تركها اللاجئون الفلسطينيون وراءهم في إسرائيل. وأعلن شاريت أن حكومته قررت أن تؤخذ في الاعتبار قيمة الممتلكات اليهودية المجمدة في العراق عند حساب حجم التعويضات التي قد تدفع للعرب الذين تركوا ممتلكاتهم في إسرائيل. بالنسبة للربط الذي يقيمه بين مجموعتي الممتلكات، لم أجد أي دليل على وجود اتفاق بين الحكومتين الإسرائيلية والعراقية بشأن ممتلكات يهود العراق قبل دخول قانون نزع الجنسية حيز التنفيذ لا يوجد اتفاق، وما يعنيه ذلك هو أن الأدلة المتاحة لا تسمح بأي حكم نهائي بشأن القضية الحاسمة في هذه المرحلة.

خلال إحدى زياراتي إلى إسرائيل حاولت التحقق من قصة الصفقة الإسرائيلية العراقية المزعومة مع شلومو هليل نفسه عن طريق الاتصال به في منزله في رعنانا. في 30 يوليو/تموز 2018، تحدثنا عبر الهاتف لمدة ساعة ونصف. كان عمره خمسة وتسعين عاما، لكن عقله كان حادا، وصوته قويا، وكان يشع بثقة بالنفس، ورحب بفرصة طرح النسخة البطولية لعملية عزرا ونحميا مرة أخرى. في بداية حديثنا، رفض بشكل قاطع ادعاء الاتفاق الإسرائيلي مع توفيق السويدي على أن حكومته يمكنها الاحتفاظ بأصول اليهود الذين غادروا إلى إسرائيل، ووصفه بأنه منافي للعقل تمامًا. ذكرني هليل أنه، كما كتب في كتابه، ذهب إلى الاجتماع مع السويدي في 28 أبريل 1950 ليس باسم شلومو هليل ولكن بهوية مزيفة مثل ريتشارد أرمسترونج، ممثل شركة الطيران الأمريكية، الشرق الأدنى للنقل الجوي، و أن الغرض الوحيد من الاجتماع هو مناقشة التكلفة

والخدمات اللوجستية للجسر الجوي لليهود الذين اختاروا الاستفادة من قانون نزع الجنسية.

وأضاف هليل أن السويدي كان يتوقع أن يقبل عدد قليل فقط من اليهود العرض. ودليله على ذلك هو أن السير هنري ماك، السفير البريطاني في بغداد، أبلغ وزارة الخارجية أنه سأل رئيس الوزراء عن عدد اليهود الذين يقدر أنهم سيغادرون بعد إقرار مشروع القانون في البرلمان وأن الإجابة كانت 6000. أو 7000. كما رفض هليل أيضًا اقتراح كركوكلي القائل بأن إسرائيل ربما تكون قد أعطت العراقيين موافقتها الضمنية على الاحتفاظ بممتلكات يهود العراق المغادرين، باعتباره لا أساس له من الصحة، على أمل أن يتم استخدام ذلك لتعويض مطالبة اللاجئين الفلسطينيين بالتعويض. وأكد هليل أنه لم تكن هناك مفاوضات مباشرة أو غير مباشرة بين الحكومتين الإسرائيلية والعراقية بشأن ممتلكات اليهود العراقيين.

ومضى هليل في رفضه بشكل قاطع اقتراح تورط إسرائيلي أو صهيوني في تفجير القنابل. كان الدافع الرئيسي لحجته هو أن إسرائيل في عام 1950 لم تكن في وضع يسمح لها باستيعاب عدد كبير من اليهود العراقيين. في العامين الأول والثاني من وجودها، امتلأت إسرائيل بالمهاجرين من مختلف البلدان، واضطرت الوكالة اليهودية إلى تخصيص حصص وطنية للحفاظ على مواردها المحدودة. تم إعطاء الأولوية للمهاجرين من بولندا ورومانيا. تحدت رومانيا أوامر موسكو وفتحت أبوابها أمام الهجرة اليهودية إلى إسرائيل. وكان على الوكالة اليهودية أن تدفع مبلغًا من المال للحكومة الرومانية عن كل مهاجر. أدى الخوف من إغلاق البوابات مرة أخرى إلى قيام الوكالة اليهودية بوضع اليهود الرومانيين على رأس الطابور. وكان هذا الأمر محبطًا للغاية بالنسبة لشلومو هليل، الذي تم إرساله لتنظيم الهجرة القانونية من العراق بعد فتح البوابات.

في مارس 1950 ذهب هليل لرؤية ليفي أشكول، ال
أمين صندوق الوكالة اليهودية للضغط على قضية العراق
اليهود. وبحسب ما ورد قال له أشكول: قل لهم أن يفعلوا ذلك
مرحبا بك ولكن ليس الآن ليس لدينا بيوت ولا خيام ولا
مدارس، ولا عمل، ولا طعام. وبعد يومين هليل
ذهبت لرؤية رئيس الوزراء دافيد بن غوريون. بن غوريون
وبحسب ما ورد قال له إن إشكول على حق. ليس لدينا
أي شئ. ولكن هناك خطر من أن الحكومة العراقية سوف تفعل ذلك
تغيير رأيها. لذا، اذهبوا وأحضروا يهود العراق في أقرب وقت
قدر الإمكان! وقال هليل أنه في ظل هذه الظروف
ولم يكن من المنطقي بالنسبة لقادة إسرائيل أن يصدروا الأمر بزرعها
القنابل من أجل تسريع وتيرة الهجرة من العراق. 28
لكنني لا أدعي أن الأمر، إذا كان هناك أمر في
وكلها جاءت من القيادة الإسرائيلية العليا.

وباستثناء صفقة الملكية، أعجبني كركوكلي كمصدر موثوق للدور الذي
لعبته الحركة الصهيونية في ذروة الأحداث في 1950-1951. وعلى عكس بعض
المشاركين الآخرين المعروفين في الدراما والذين دخلوا فيما بعد إلى الحياة العامة
في إسرائيل، لم يكن لديه فأس ليطحنه. وبحلول الوقت الذي التقينا فيه، كان معظم
أبناء جيله قد ماتوا. كان كركوكلي في التاسعة والثمانين من عمره، وكان
حريصًا على أن يترك وراءه سجلاً من الأحداث الجسيمة التي، كما كان يعلم
جيدًا، لم يلعب فيها سوى دورًا صغيرًا للغاية. ومع ذلك، كما أشار لي مرارًا
وتكرارًا، كان واحدًا من عدد قليل من الناجين الذين عرفوا الخلفية الدرامية. وكان
يحرص على سرد القصة بدلاً من أن يأخذها معه إلى قبره. حتى أنه اقترح في مرحلة
ما أن نكتب أنا وهو القصة معًا. أجبت بأنني لست خبيرا في تاريخ العراق، وأنني
أكتب فقط مذكرات شخصية، وأنه من الأفضل له أن يكتب قصته بالتعاون مع
صحفي إسرائيلي.

ويبقى موضوع الوثائق الداعمة، وأبرزها تقرير شرطة بغداد حول القضية، والذي أخبرني كركوكلي في أول لقاء لنا أنه بحوزته. باعتباري مؤرخًا دبلوماسيًا، فإنني مهتم جدًا، إن لم أقل مهووسًا، بالأدلة الوثائقية. وفي لقائنا الثاني، الذي سجلت فيه المقابلة، ذكّرت كركوكلي بوعده، لكنه كان مراوغاً. وقال إن أرشيفه الشخصي كان في كريات أونو، في الشقة التي تقاسمها مع زوجته الأولى حتى وفاتها. بعد أن التقى داليا وانتقل إلى شقتها في رمات غان، قام بتأجير الشقة في كريات أونو لزوجين مسنين. عرضت عليه الذهاب معه إلى كريات أونو للحصول على محضر الشرطة. لقد رفض عرضي بأدب. بدأت أشك في أن الوثيقة غير موجودة وأن كركوكلي كان يخدعني فحسب. ظللت أضايقه من أجل التقرير واستمر في المماطلة. بقيت والدتي أيضًا في القضية وقد أتى إصرارها بثمارها. اتصلت بي ذات يوم لتخبرني أن لديها التقرير وأنها سترسله لي بالبريد في أكسفورد. وكان هذا التقرير يستحق الانتظار.

تقرير الشرطة ليس على ورقة مكتوب عليها عنوان. إنه مكتوب على ورق عادي، طوله صفحة واحدة، باللغة العربية بالطبع، بدون تاريخ، ولا توقيع، ولا سطر موضوع، ولا إشارة إلى الجهة المقصودة منه. كان علي أن أسأل كركوكلي من أين جاء هذا التقرير وكيف حصل عليه. وكان جوابه أنه بعد سنوات عديدة من وقوع الحادث، شعر أنه بحاجة إلى معرفة الحقيقة كاملة، لذلك أجرى تحقيقاته الخاصة. وصدف أنه كان لديه صديق مسلم، وهو ضابط شرطة كبير متقاعد، والذي لجأ إليه طلبًا للمساعدة. وادعى كركوكلي أنه نجح في إقناع الصديق بأن مصلحته كانت ذات طبيعة تاريخية وليست سياسية، وقد ألزمه الصديق بتوفير نسخة من التقرير له من أرشيف شرطة بغداد. وهنا ما يقول:

كشفت السجلات السرية لقسم الشرطة الخاصة أساليب التضليل التي لجأت بها (كادر) الحركة الصهيونية السرية في العراق إلى خداع الطائفة اليهودية وإقناعهم بمغادرة العراق، حيث استخدم القادمون من إسرائيل وتمسكوا بطرق غير أخلاقية لطردهم من العراق. (تسهيل) مهمتهم مثل دفع الرشاوى الكبيرة وتزوير المستندات الرسمية.

يتذكر كورجي صبيح لاوي: استخدم عملاء إسرائيليون الطبيب (عبد النبي)، وهو يهودي عراقي بتزوير توقيع وزير الداخلية العراقي صالح جبر وأن أحد المقربين من ذلك الوزير يطلب 200 دينار عن كل تصريح (هجرة) ليهودي عراقي وأن دائرة السفر رفضت جميع المعاملات التي حملت توقيع صالح جابر بسبب اكتشافهم أنها مزورة!

كما تم استخدام (لتهريب) موظفين يهود في المطار، وألقت الشرطة القبض على مواطن لبناني يدعى (عادل) كان يحاول تهريب ستة وعشرين حقيبة لأفراد تابعين للمنظمة الصهيونية السرية.

وفي 21 يونيو 1951، صدرت أوامر بالقبض على 149 عضوًا في المنظمة الصهيونية السرية، وبعد أسبوع ضبطت الشرطة في كنيس مسعودة شمتوب جهازي إرسال عسكريين يحملان الرمز D-5 كان يستخدمهما البعض. أعضاء لجنة الهجرة يرسلون برقيات إلى تل أبيب.

قبل ذلك بأيام قليلة، وبالتحديد في 16 حزيران (يونيو)، اعترف شالوم صالح شالوم بالتفصيل بدوره ودور يوسف بصري ويوسف مراد [يوسف مراد خبازة] في قضية إلقاء القنابل والمتفجرات على المحلات التجارية اليهودية؛ وبهذا تمكنت الشرطة من فك اللغز الكبير الذي حل ببغداد بسبب اختفاء الجناة الحقيقيين لهذه الجرائم التي استهدفت اليهود العراقيين.

وقال شالوم للمحقق: في هذا اليوم وجدت نفسي في مأزق، هل أرد باعتراف غير صادق فيما يتعلق بالوقائع التي واجهتني بها، ولكن بما أنني اعترفت ببعض القضايا مثل الإشارة إلى مخابئ الأسلحة، فأنا قررت الكشف عن كل الحقائق التي لدي.

كما اعترف يوسف بصري بدوره، وأضاف: بعد صدور قانون إسقاط الجنسية، صدرت أوامر من إسرائيل باستدعاء جميع أعضاء الحركة الصهيونية السرية، وبالفعل تمكنا من إخراج الكثير منهم أثناء يوسف مراد [خبازة] وبقي حبيب [مردخاي بن بورات].

المحقق: هل تعرف شيئاً عن حبيب؟

يوسف بصري: اعتقدت أنه جاء من إسرائيل وأنه حول نشاطنا إلى نشاط إرهابي مثل إلقاء القنابل واعتمد على مصادر معروفة في التجسس على العراق مثل عزرا هندي، شمعون بلاص، سليم صادق، إلياهو بنمور، داد باشا ولطيف فرام وزيلخا والطبيبين

سليم الشكرجي وإدوار مروان. وكان يوسف مراد [خبازة] معروفًا باسم جوني، وكان متحمسًا لهجرة اليهود وكان يتردد على دكاكينهم وأسواقهم يحثهم على التنازل عن جنسيتهم وكان يدفع له حبيب. حبيب

ولم يكن في ذلك الوقت ببغداد لأنه هرب إلى إسرائيل وظهر باسم مردخاي بن فرات [مردخاي بن بورات].
وبهروبه بلغ عدد اليهود العراقيين الذين تخلوا عن جنسيتهم تحت تأثير الحركة الصهيونية السرية
108.154، وبلغ عدد اليهود الذين هاجروا 99.546، وبقي 8.608 في الانتظار حتى 20 حزيران (يونيو) 1951!

ويشكل هذا التقرير دليلا لا يمكن إنكاره على تورط الصهيونية في الهجمات الإرهابية التي ساعدت في إنهاء ألفين ونصف من الوجود اليهودي في بابل. أتردد في تسميتها "بندقية دخان" لأنها لا تحمل أيًا من العلامات المعتادة للوثيقة الرسمية. ومن ناحية أخرى، فمن الواضح أنه يعتمد على المعرفة الداخلية. ولم يكن من الممكن تجميعها دون الوصول إلى سجلات الشرطة. التفاصيل الدقيقة التي يتضمنها التقرير، وتسمية الأسماء، تعزز مصداقيته.

وقد تم أخيراً تبديد أي شكوك عالقة لدي بشهادة الصحفي العراقي والخبير البارز في هذا الموضوع، شامل عبد القادر. وكان لعبد القادر صديق وهو ضابط شرطة متقاعد هو العقيد عبد الرحمن السامرائي. وفي الفترة 1950-1951، تولى السامرائي قيادة وحدة القسم الخاص في مديرية شرطة مدينة بغداد التي كانت تحقق في الأنشطة الصهيونية غير القانونية. ونفذ أوامر من مدير عام شرطة بغداد عبد الجبار فهمي، وشارك إلى جانب سالم القريشي في اعتقال واستجواب النشطاء وفي مداهمة المباني اليهودية بحثاً عن أسلحة. وقدم السامرائي لعبد القادر نسخة من كامل ملف التحقيقات مع النشطاء الصهاينة. يقع الملف في 258 صفحة. وأرسلت التقرير المكون من صفحة واحدة الذي بحوزتي إلى عبد القادر، وأكد أنه جزء من الملف الأكبر. 29

هناك جانبان لملحمة القنابل: الجانب الشخصي والمهني. القصة التي سمعتها من أهلي وأقاربي عندما كنت صبيا أثرت في نفسي وأثارت الكثير من الأسئلة التي لم تتم الإجابة عليها. لقد كان من المحزن والمحبط أن نعتقد أن إخواننا اليهود

ربما كان له دور في اقتلاعنا من وطننا. لقد أصبحت مهووسة بهذه القصة. وفي وقت لاحق، جاءت مشاركتي في القصة كمؤرخ محترف. كان من المغري تبني نظرية المؤامرة، ولكن كمؤرخ كنت بحاجة إلى أدلة دامغة لتأكيدها أو دحضها. كان هذا هو مصدر بحثي طوال حياتي عن حقيقة الأمر. إذا فشلت في الوصول إلى الجزء السفلي من الأمر، لم يكن ذلك بسبب عدم المحاولة. ما آمل أن أكون قد حققته هو جمع أفضل الأدلة المتاحة، بما في ذلك الأدلة الجديدة التي اكتشفتها، واستخدام هذه الأدلة لكشف النسخة الصهيونية من هذه الملحمة المؤسفة. كانت مراسلتي مع شامل عبد القادر هي المرحلة الأخيرة في بحثي عن الحقيقة. ولم يترك مجالًا للشك في أن تقرير الشرطة الذي قدمه لي يعقوب كركوكلي كان حقيقيًا. إن المقتطف الذي لدي من هذا التقرير الأطول هو إدانة خطيرة للناشطين الصهاينة وللأساليب التي استخدموها لتحقيق أهدافهم، مثل دفع الرشاوى وتزوير الوثائق. لكن التهمة الأكثر خطورة الواردة في التقرير هي أن مبعوثي إسرائيل حولوا أتباعهم اليهود المحليين إلى إرهابيين.

تم شنق يوسف البصري وشالوم صالح شالوم في بغداد في يناير 1952، بعد حوالي نصف عام من الانتهاء الرسمي لعملية عزرا ونحميا. وكما لاحظ عالم الاجتماع الإسرائيلي يهودا شنهاف:

وكان من الطبيعي أن يتفاعل اليهود العراقيون في إسرائيل بغضب شديد مع أنباء الشنق. لكن على العكس من ذلك، فشلت مجالس العزاء التي نظمها زعماء الطائفة في مختلف المدن الإسرائيلية في إثارة تضامن واسع النطاق مع الصهيونيين العراقيين. بل على العكس تماما: وثيقة سرية من موشيه ساسون، من قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، إلى وزير الخارجية موشيه شاريت تؤكد أن العديد من المهاجرين العراقيين، المقيمين في مخيمات العبور، استقبلوا الشنق بالموقف التالي: "هذا هو انتقام الله من اليهود". الحركة التي أوصلتنا إلى هذه الأعماق." وتشهد مرارة رد الفعل هذا على درجة حادة من السخط بين اليهود العراقيين الذين وصلوا حديثا. ويشير ذلك إلى أن عددًا كبيرًا منهم لم ينظروا إلى هجرتهم على أنها عودة سعيدة إلى صهيون كما صورها المجتمع.

النشطاء الصهاينة. بل، بالإضافة إلى إلقاء اللوم على الحكومة العراقية، فقد ألقوا باللوم على الحركة الصهيونية لإحضارهم إلى إسرائيل لأسباب لا تشمل المصالح الفضلى للمهاجر. 30

الجدل الدائر حول المسؤولية عن قنبلة بغداد لا يزال يتردد صداه في إسرائيل حتى يومنا هذا. في عام 1954، حظيت هذه الحادثة السيئة السمعة باهتمام متجدد بسبب ما يسمى "العمل المؤسف"، والمعروف أيضًا باسم "عملية سوزانا" أو "قضية لافون". تم القبض على عدد من اليهود المصريين بتهمة زرع قنابل في الأماكن العامة وفي مكاتب خدمة المعلومات الأمريكية في القاهرة والإسكندرية. لقد كانت هذه عملية إسرائيلية كاذبة تهدف إلى إثارة الضغينة بين النظام الثوري برئاسة جمال عبد الناصر والقوى الغربية. قامت المخابرات العسكرية الإسرائيلية بتجنيد وتدريب وتجهيز عصابة التجسس والتخريب اليهودية. وأدى اعتقال أحد أعضائها إلى انهيار الشبكة بأكملها، ومحاكمة أعضائها التسعة حظيت بتغطية إعلامية واسعة، وإعدام اثنين منهم والقبض على الضابط الإسرائيلي المسؤول: مئير ماكس بينيت، وهو نفس ماكس بينيت الذي كان قام بتوجيه عمليات العلم الزائف في بغداد قبل بضع سنوات. في عام 1954 كان برتبة مقدم في فرع المخابرات العسكرية في جيش الدفاع الإسرائيلي. انتحر في سجن القاهرة بقطع أوردته بشفرة حلاقة بعد تعرضه للتعذيب وسماعه أن السلطات العراقية طلبت تسليمه. كان الهدف من وراء عملية سوزانا هو إفساد الأمور

العلاقات بين مصر والغرب؛ وكان تأثيره
توتر العلاقات بين الشعب المصري واليهود
الذي سكن في وسطهم. ويبدو أن الهجمات الإرهابية
تؤكد شكوك المسلمين المصريين في أن لهم
وكان المواطنون اليهود يدينون بالولاء لدولة أجنبية
وتشكل تهديدا للأمن القومي. مثل ستانفورد
وقال البروفيسور جويل بينين: "تورط مصري".

أثارت أعمال التجسس والتخريب التي قام بها اليهود ضد مصر والتي نظمتها وأدارتها المخابرات العسكرية الإسرائيلية تساؤلات جوهرية حول هوياتهم وولاءاتهم. '31

لقد جاءت القضية برمتها بنتائج عكسية كارثية على إسرائيل. وكان بنحاس لافون وزير الدفاع في ذلك الوقت، ونفى بشدة إعطاء الأمر للمخابرات العسكرية بتفعيل الشبكة. وندد بنوع الإجراء الذي اتخذ في القضية التي تحمل اسمه ووصفه بأنه غبي وغير إنساني، وأضاف أن الأمر برمته بدأ في العراق.[32] واضطر لافون إلى الاستقالة؛ ومع ذلك، استمرت "الصهيونية القاسية" في وصف سلوك إسرائيل بعد فترة طويلة من انتهاء "قضية لافون". ربما تكون هذه "الأعمال المؤسفة" قد بدأت مع التفجيرات التي انفجرت في وسط بغداد عام 1950، لكن ربما كانت لها جذور أعمق بكثير. على أية حال، فهو أحد الأمثلة الأكثر إثارة للصدمة على "الصهيونية القاسية" التي واجهتها خلال خمسين عامًا من التجول الأكاديمي حول الطرق السريعة والطرق الفرعية للصراع العربي الإسرائيلي.

جواز سفر مسعودة شلايم البريطاني مع إضافة أسماء أطفالها الثلاثة

ثمانية

وداعاً بغداد

في 21 تموز (يوليو) 1950، غادرت أنا وجدتي لأمي ووالدتي وشقيقتي بغداد إلى الأبد. غادرنا بشكل قانوني بتأشيرات خروج عراقية مختومة على جوازات سفر البالغين. كانت والدتي سعيدة من الرعايا البريطانيين بالولادة لأن والدها مئير ولد في بومباي عام 1882 عندما كانت الهند تحت حكم الراج. جدتي موزلي، ولدت في بغداد عام 1888، حصلت على الجنسية البريطانية عندما تزوجت جدي. تمت إضافتي أنا وأخواتي إلى جواز سفر والدتي البريطاني قبل عشرة أيام من مغادرتنا. غادرنا في رحلة منتظمة إلى قبرص مع توقف في مطار بيروت. ومن قبرص، وبعد الإقامة لمدة شهرين تقريبًا في أحد فنادق نيقوسيا، واصلنا الرحلة بالقارب إلى ميناء حيفا في إسرائيل. وبقي والدي الذي كان يحمل الجنسية العراقية. وانضم إلينا في إسرائيل بعد حوالي عام ونصف، بعد أن غادر العراق بشكل غير قانوني عبر الحدود إلى إيران بمساعدة المهربين الأكراد.

لم تكن مغادرتنا المنفصلة لوطننا بمحض إرادتنا: لقد شعرنا بالضغط، إن لم يكن مجبراً، على المغادرة بسبب ظروف خارجة عن إرادتنا. بالنسبة لنا، كما هو الحال بالنسبة لأغلبية يهود العراق، وعلى الرغم من الفرهود والاضطهاد في الفترة من 1948 إلى 1950، فإن مغادرة بلد كانت لنا فيه مثل هذه الجذور العميقة لم يكن خياراً سهلاً. تسبب تمزيق هذه الجذور في حزن عميق، زاد من حدته

مع العلم أنه لا عودة إلى وطننا ومسقط رأسنا الحبيب.

فيما يتعلق بالأسباب المحددة لرحيلنا، كان مصدري الوحيد هو والدتي ولم تكن روايتها متسقة تمامًا. أحد الأسباب التي ذكرتها منذ وقت طويل جدًا هو القلق بشأن صحتي. لقد ولدت بأقدام مسطحة، وهو أمر غير شائع على الإطلاق بين اليهود. ولكن لسبب غامض، اشتبه والداي في احتمال إصابتي بمرض شلل الأطفال. لذلك أخذوني إلى طبيب أطفال رائد. كان جزء من الفحص يتألف من وخز راحتي قدمي بدبوس. أدى عدم استجابتي إلى تعميق شكوك والدي في أن هناك خطأ ما. عندما وصلنا إلى المنزل سألتني والدتي إذا كنت قد شعرت بأي ألم نتيجة وخز الدبوس. "بالطبع،" كان ردي المقتضب. فلماذا لم تظهر علي أي علامة على الألم؟ على هذا السؤال أجبت على ما يبدو: "ألا يخجل الطبيب من نفسه؟" وهو بالغ! فلماذا أذاني بدبوس؟ لقد كنت غاضبة منه ولهذا السبب تظاهرت بأن الأمر لم يكن مؤلمًا. وهناك ادعاء آخر لوالدتي، والذي يبدو غير قابل للتصديق أيضًا، وهو أن طبيب الأطفال المسلم أخبرهم بوجود طبيب في تل أبيب، وهو طبيب متخصص معروف عالميًا، ونصحهم بأخذي لرؤيته. لا أتذكر هذه الحادثة، لكنها صدمتني دائمًا كسبب غير متوقع لاتخاذ القرار المهم بمغادرة العراق. وبعد استجوابها عن كثب، اعترفت والدتي بأن قصة شلل الأطفال المشتبه بها لم تكن السبب الحقيقي، بل كانت مجرد ذريعة استخدمتها في جهودها لإقناع والدي بالمغادرة.

السبب الحقيقي للمغادرة، بحسب رواية والدتي اللاحقة، هو أن الحياة في العراق أصبحت خطيرة للغاية بحلول عام 1950، على اليهود بشكل عام وعلى عائلتنا بشكل خاص. وكان اضطهاد اليهود

مكثفة، واتخذت أشكالا مختلفة. أصبحت الحكومة والسلطة القضائية والجمهور معادية بشكل علني. تم فرض قيود على التجارة والتجارة اليهودية. تم فصل اليهود من الخدمة المدنية وتم وضع المجتمع بأكمله تحت المراقبة. مُنع الشباب اليهود من االلتحاق بكليات التعليم اإلضافي. قامت الشرطة باالعتقال والتعذيب وفرض غرامات تعسفية وانتزاع الأموال من اليهود الأبرياء فيما بدا وكأنه حملة مضايقات بموافقة الحكومة. وفوق كل ذلك جاءت سلسلة التفجيرات، الموصوفة في الفصل الأخير، والتي أثارت ذعراً حقيقياً في المجتمع اليهودي وضاعفت الشعور بعدم الأمان. بحلول نهاية أبريل 1950، كان أكثر من 25.000 يهودي قد سجلوا أسماءهم للتخلي عن جنسيتهم ومغادرة العراق بتأشيرة ذهاب فقط. لم تتذكر والدتي التواريخ أو التفاصيل، لكنها كانت تتذكر بوضوح أجواء الخوف والترقب التي أعقبت االنفجارات.

باإلضافة إلى انعدام الأمن العام، واجهت عائلتي تهديدًا أكثر تحديدًا: إطلاق سراح أعضاء عصابة الليل والهوا "عصابة الليل والريح" من السجن - التي حاولت ابتزازنا وفشلت. يعود ذلك إلى عام 1948. وكان التهديد الأصلي للعصابة، باختطاف أختي ليديا، لا يزال يتردد صداه بقوة في آذان والدي. أثناء المحاكمة وبعدها، كان أعضاء العصابة يتوعدون باستمرار باالنتقام، ويرسلون إلينا تهديدات بالقتل. الآن أولئك الذين تلقوا أحكامًا أقصر كانوا على وشك إطلاق سراحهم من السجن مع عواقب لا يمكن التنبؤ بها بالنسبة لنا. واجه يهود آخرون حالة من عدم اليقين. كان علينا أن نتعامل مع التهديدات القاتلة من المجرمين المدانين. وعلى الرغم من المخاطر، أراد والدي البقاء. ومن ناحية أخرى، اعتقدت والدتي أن المخاطر كبيرة للغاية، خاصة بالنسبة لأطفالها، وقررت المغادرة. ولم يحاول والدي ثنيها أو إيقافها. مرة واحدة هي

لقد اتخذ قرار المغادرة، فقد قدم لها دعمه الكامل في جميع المهام العملية العديدة التي كان يجب إنجازها قبل المغادرة.

فضل والدي البقاء في العراق لأنه عراقي. لم يكن يعيش في الخارج ولم يسافر إلى الخارج ولم يتحدث أي لغة أجنبية. كان يستطيع قراءة اللغة العبرية ولكن فقط لغرض تلاوة الصلوات اليهودية التي تعلمها عن ظهر قلب. ولم تكن لديه أي صلة أيديولوجية بالصهيونية. وكانت هويته كيهودي عرقية ثقافية وليست صهيونية قومية. فإذا كان هناك شيء اسمه "قومية الشتات"، أي التوق البدائي إلى العودة إلى وطن عرقي، فإنه لم يشعر بذلك. كانت إسرائيل بالنسبة له دولة أجنبية، أكثر أجنبية من أي دولة أخرى ناطقة بالعربية. علاوة على ذلك، كانت لديه أسباب مادية ثقيلة تربطه بالبلد الذي ولد فيه. كان لديه منزل رائع كان مصدر فخره وبهجته، وعملًا مزدهرًا ومستودعًا مليئًا بالبضائع باهظة الثمن. وأخيرًا وليس آخرًا، كان لديه أربعة موظفين يهود يعتمدون عليه في معيشتهم. لقد أجبره الشعور بالمسؤولية الأخلاقية على الاستمرار على الأقل حتى يتخذوا قرارهم بشأن المغادرة أو البقاء. على أقل تقدير، كان يحتاج إلى وقت لبيع أصوله، وإنهاء أعماله، والوفاء بواجبه تجاه موظفيه.

وحتى لو أراد والدي مغادرة البلاد في هذه المرحلة، معنا أو بعدنا بوقت قصير، فإنه لم يكن ليتمكن من القيام بذلك، على الأقل ليس من الناحية القانونية. مثل أي يهودي عراقي آخر، تم منحه سنة للتسجيل للحصول على تأشيرة خروج باتجاه واحد بموجب قانون مارس 1950. ولكن من أجل الحصول على مثل هذه التأشيرة، كان عليه أن يثبت أنه لم يكن لديه أي ديون مستحقة من أي نوع للسلطات. ولم يكن والدي في وضع يسمح له بذلك لأنه خذله أحد الأصدقاء. كما ذكر في الفصل الثاني، في

في فترة ما بين الحربين العالميتين، كان لوالدي شريك تجاري وصديق مقرب اسمه شعاع عبيد. انتهت الشراكة التجارية بسبب سوء سلوك نجل عبيد، لكن الصداقة استمرت. في عام 1949، طلب عبيد من والدي خدمة: كان بحاجة إلى اقتراض المال الذي يتضمن التوقيع على وثائق "أنا مدين لك"، وأراد أن يضمنها والدي. وافق والدي. وهذا يعني أنه إذا تخلف عبيد عن سداد الدين، فإن والدي سيكون مسؤولاً. ثم طلب عبيد من والدي معروفًا آخر: ضمان رحلته إلى الخارج - في عام 1946 أصدرت الحكومة العراقية مرسومًا يقضي بأن على اليهودي الذي يريد السفر إلى الخارج أن يلتزم بإيداع مبلغ 2000 دينار سيتم مصادرته في حالة عدم العودة. وفي 15 ماي 1948، تمت زيادة الوديعة إلى 3000 دينار، وفي سنة 1949 تمت زيادتها مرة أخرى إلى 5000 دينار. وبمساعدة سند والدي، حصل عبيد على تصريح لمغادرة العراق لفترة محدودة. ذهب إلى إسرائيل ولم يعد. ومرة أخرى، بقي والدي في مأزق.

إحدى مزايا عدم التسجيل للمغادرة هي أن والدي كان قادرًا على الاحتفاظ بجميع الحقوق المرتبطة بجنسيته العراقية. ولم تتم مصادرة ممتلكاته، ولم يتم تجميد حسابه المصرفي. انخفضت أسعار المنازل بشكل كبير نتيجة للهجرة الجماعية لليهود من العراق. لقد كان سوقًا للمشتري إلى حد كبير. وفي نهاية المطاف، نجح والدي في بيع منزلنا بمبلغ 10000 دينار. كان هذا مبلغًا كبيرًا ولكنه مجرد جزء صغير مما كان يمكن أن يجلبه المنزل في الأوقات العادية. وينطبق الشيء نفسه على البضائع الموجودة في المستودع. بعد أن استحوذ والدي على بعض أصوله، كان بحاجة إلى إخراج العائدات من البلاد. ولم يتمكن من القيام بذلك بشكل قانوني بسبب القيود التي فرضتها الحكومة على العملة. إن القيام بذلك بشكل غير قانوني ينطوي على مخاطر خسارة الأموال وعقوبات شديدة في حالة اكتشافها.

كان نقل الأموال إلى خارج البلاد أمرًا صعبًا ولكنه ليس مستحيلاً.
بالنسبة للمصرفيين اليهود الذين احتفظوا بجنسيتهم العراقية، كان الأمر كالمعتاد إلى حد ما. ومن حسن حظ والدي أنه كان لديه صديق يهودي جدير بالثقة اسمه يوسف المصري. المصري هو ابن شقيق هاسكل شمتوب. جاء شيمتوب إلى والدي في ساعة حاجتهما وعرض مساعدته، لكنهما لم يرغبا في إزعاجه. كان المصري مصرفيًا انتقل من بغداد إلى لندن عندما تدهور وضع اليهود. لقد وضع خطة مفصلة لإخراج الأموال اليهودية بطريقة غير مشروعة من العراق. كان والدي يسلم المال إلى شخص موثوق به في بغداد، ومن هناك يتم نقله إلى لندن، ومن لندن إلى إسرائيل. هكذا كنا نعيش في إسرائيل ماليًا حتى والدي

اشتعلت معنا. استخدم
والدي وضعه كمواطن عراقي لمساعدة أفراد الأسرة الآخرين الذين كانوا في مأزق أسوأ منه. وكان أحدهم العم شاؤول، الأخ الأصغر لجدتي موسلي. كان شاؤول تاجراً ثرياً ورجلاً سعيداً في زواجه. وقد دفع الخوف على سلامة أسرتهم شاؤول إلى التسجيل للخروج في حالة تدهور الوضع أكثر. لم يكن قد قرر الرحيل؛ لقد سعى فقط إلى طمأنة استراتيجية الخروج. لقد فاجأه القانون رقم 5 الصادر في 10 مارس 1951. ومثل 100 ألف يهودي عراقي آخرين سجلوا أسمائهم في السجل ولكنهم لم يغادروا البلاد، تم تجميد جميع أصوله فجأة، بما في ذلك حسابه المصرفي. ومثلهم، كان الآن في حالة من النسيان. كان لدى شاؤول صندوق ودائع آمن في أحد البنوك مليء بالمال والذهب والمجوهرات، وقد مُنع الآن من الوصول إليه. حصل والدي على صندوق ودائع آمن في نفس البنك، ومن خلال رشوة أحد موظفي البنك، تمكن من جمع محتويات صندوق شاؤول وتسليمه إليه.

غادر شاؤول وعائلته العراق بتأشيرات خروج مناسبة في اتجاه واحد، حقيبة واحدة لكل منهم و50 ديناراً لكل شخص بالغ. لقد أعطى أشياءه الثمينة لرجل قام بتهريبها إلى خارج البلاد وسلمها بأمان في إسرائيل. ولم يكن اليهود الآخرون محظوظين. وكان أمامهم خيار، قبل ركوب الطائرة المغادرة، أن يعهدوا بأشياءهم الثمينة إلى الناشطين الصهاينة الذين أعطوهم إيصالاً ووعدوا بتسليم الأشياء الثمينة في إسرائيل. وكان بعض هؤلاء الناشطين صادقين، والبعض الآخر لم يكن كذلك. عرفت والدتي أن أحد المسؤولين حصل على أشياء ثمينة لحفظها في بغداد، لكنه فشل في إعادتها إلى صاحبها في إسرائيل، بدعوى أنها صودرت منه في المطار. لكن المالك اكتشف فيما بعد الخاتم الماسي الخاص بزوجته على يد زوجة المسؤول. وكانت هناك العديد من القصص المشابهة للناشطين الصهاينة الذين استغلوا محنة اليهود العراقيين لتحقيق مكاسب شخصية.

أراد والدي أن يكرر نفس الخدعة مع عمه يوسف، شقيق جدي مئير. وكان يوسف زوجة وأربعة أطفال. لقد مكنه النجاح في العمل من ذلك شراء فيلا جميلة مع حديقة كبيرة في الكرادة منطقة جنوب بغداد على ضفة نهر دجلة نهر. كان لأجدادي أيضاً فيلا في الكرادة، ولكن لقد كانت داخلية، وليست على الواجهة المائية. يمتلك يوسف أ عدد المنازل وبعد التسجيل لمغادرة العراق، بدأ في صرف أصوله. في كل مرة كان يبيع منزلاً، كان اشترى سبيكة ذهب وخبأها في صندوق ودائعه في منزله البنك، أو هكذا تقول القصة. وفي نهاية المطاف، باع العائلة بيتاً للمسلم بثمن بخس. لقد أغلقوا الاتفاق وتوقيع الأوراق. ولكن بدلاً من تسليم المال، فضرب الرجل يوسف على رأسه ضربة حادة أداة وأصابته. لم تكن الإصابة قاتلة، لكنها كان كافيا لزعزعة جوزيف حتى النخاع. قرر أن التخلي عن صندوق الودائع الآمن مع سبائك الذهب. لم يفعل ذلك

أريد أن أخوض المزيد من المخاطر بنفسه أو أن أعرض والدي لخطر القبض عليه. عندما ظهر رقمه، جمع يوسف عائلته وركب الطائرة المستأجرة التي أقلتهم إلى إسرائيل عبر قبرص. وكان الأمر نفسه بالنسبة لجميع الركاب: حقيبة واحدة لكل منهم و50 ديناراً لكل شخص بالغ. وكما هو الحال في الجزائر ما بعد الاستقلال عام 1962، كان اختيار العم جوزيف هو نفس الخيار بالنسبة لليهود الجزائريين: "la valise ou le cercueil" - الحقيبة أو التابوت.

كان مأزقنا مختلفاً إلى حد ما عن مأزق العم يوسف. وقد اختار الذهاب إلى إسرائيل مع عائلته بأكملها، باستخدام الطريق المسموح به رسمياً. وفي حالتنا، كان القرار هو أن تغادر والدتي مع الأطفال وأن يبقى والدي في الوقت الحالي، لكي يتصرف في أصوله بأفضل ما يستطيع، ثم يتوصل بعد ذلك إلى استراتيجية للخروج. المشكلة هي أنني وأخواتي كنا مواطنين عراقيين بحكم أن أبنا عراقي. ولذلك لم تتمكن من مغادرة البلاد مع والدتنا بمفردها لأنها أجنبية. كونها امرأة حازمة وواسعة الحيلة، وجدت حلاً لهذه المشكلة. هناك مفهوم عربي يسمى الواسطة، والذي يمكن ترجمته بشكل فضفاض إلى المحسوبية أو "النفوذ" أو "من تعرفه". ويشير إلى استخدام علاقات الفرد لإنجاز الأمور، بما في ذلك جعل موظفي الخدمة المدنية يخالفون القواعد. كانت والدتي تؤمن بشدة بالواسطة. بالنسبة لها، كانت الواسطة أسلوب حياة. وفي ساعة حاجتها، قامت بجمع كل الاتصالات الممكنة لتسهيل رحيلنا.

كان أول ميناء اتصلت به والدتي هو القنصلية البريطانية في بغداد. وشرحت لهم المشكلة وطلبت منهم إضافة أطفالها الثلاثة إلى جواز سفرها البريطاني حتى تتمكن من إخراجهم معها خارج البلاد. كان الرد البيروقراطي المباشر الذي تلقته هو أن هذا مخالف للقواعد ولا توجد طريقة يمكنهم من خلالها مساعدتها. شعرت بخيبة أمل ولكن لم تنحني، فلجأت والدتي إلى علي

غالب، أقرب صديق لنا مسلم، وهو موظف كبير في وزارة الداخلية وله صلاحية إصدار تأشيرات الخروج. لم يكن غالب يلعب الورق، لذلك لم يكن زائرًا منتظمًا. كان يأتي مع عائلته إلى منزلنا لتناول العشاء ويرد بالمثل بدعوات لتناول العشاء في منزلهم. لقد كان صديقاً حقيقياً وشخصاً مستنيراً تجاوز الانقسامات الطائفية والولاءات القبلية.

وأبدى علي غالب تعاطفا خاصا تجاه اليهود واستنكر بشدة الإجراءات التي اتخذتها حكومته للإضرار بهم. وأثناء أزمة الطائفة اليهودية عام 1950، نقلته وزارة الداخلية من بغداد إلى البصرة. ترددت شائعات أن سبب النقل هو المساعدة السرية التي كان يقدمها لليهود في التحايل على القواعد الرسمية. في البداية، أخبر غالب والدتي أنه لا يستطيع مساعدتها: كان لديه سلطة ختم تأشيرات الخروج على جوازات السفر العراقية ولكن ليس على جوازات السفر البريطانية. لكنه في آخر يوم له في منصبه، أرسل أحد مساعديه ليطلب من والدتي أن تأتي بسرعة إلى مكتبه بجواز سفرها البريطاني. ذهبت وسلمت جواز سفرها. وكتب في الصفحة 14 باللغة العربية أنه سُمح لحامل جواز السفر مغادرة البلاد مع أطفالها الثلاثة: ليديا وإبراهيم وفيلما. وضع الختم الرسمي، وأضاف توقيعه، والتفت إلى والدتي وقال: "هذا هو تصريح الخروج الأخير الذي أصدرته". كان التاريخ 9 يوليو 1950.

وبعد يومين، حضرت والدتي مرة أخرى إلى القنصلية البريطانية وقدمت جواز سفرها مع تأشيرة الخروج العراقية. كانت قلقة من أنهم سوف يرفضون صلاحية تأشيرة الخروج وربما حتى تقديم شكوى رسمية إلى رؤساء علي غالب. ومما أثار ارتياحها الكبير أنهم قبلوا بسهولة تأشيرة الخروج العراقية، بل واستخدموها كأساس لإلغاء قرارهم السابق. اذا كان عراقيا

ولم يكن لدى الحكومة أي اعتراض على مغادرة الأطفال العراقيين للمقاطعة مع أمهاتهم الأجنبية، ولم يفعلوا ذلك. وعليه، أضافوا إلى جواز سفر والدتي أسماء وسنوات ميلاد وجنس أطفالها الثلاثة. فقط لإزالة أي شك، تم ذكر الإدخال بالأحرف الكبيرة: "(ليست مواضيع بريطانية)." انظر الصفحة 16. وفي الصفحة 16، كتب نائب القنصل: "لا يُقبل إدخال أسماء الأطفال في جواز سفر أمهاتهم كدليل على جنسيتهم".

وتمت إزالة عقبة بيروقراطية كبيرة، لكن ظلت هناك مشاكل عملية كثيرة. وكان بعضها يتعلق بالقيود الصارمة التي فرضتها الحكومة على إخراج الذهب والفضة والمجوهرات والتحف والسجاد الشرقي إلى خارج البلاد. إذا تركنا مجوهرات والدتي جانبًا، فقد امتلكت عائلتنا كنزًا كبيرًا من العناصر الثمينة. وكانت عادة يهودية عندما يولد طفل أن يقدم له أو لها سلاسل أو أساور ذهبية وأكواب فضية وتمائم وهدايا أخرى. كان كل عيد ميلاد مناسبة للحصول على هدايا أكثر تكلفة. كنا ثلاثة، وكان معظم أصدقاء عائلتنا ميسورين، لذلك كان الكنز كبيرًا جدًا. ومع ذلك، وبسبب الهجرة الجماعية المفاجئة لليهود من العراق، انخفضت القيمة السوقية للمعادن الثمينة والأحجار الكريمة بشكل كبير. كما هو الحال مع المنازل والسيارات، كان هذا سوقًا للمشتري.

ولإخراج أي شيء خارج البلاد يتجاوز الحصة الأساسية، يحتاج المرء إلى تصريح خاص. وكان رئيس اللجنة التي أصدرت التصاريح هو منذر العزالي، وهو سليل عائلة شيعية، تم إرساله إلى مدرسة التحالف حيث أصبح صديقاً مقرباً لعمي صالح. لكن في هذه الحالة بالذات، لم تكن الواسطة ذات جدوى. تعرف أزالي على والدتي على أنها الأخت الصغرى لصالح عوبديا لكنه رفض طلبها. اعتقدت أن قراره كان غير عادل. أنه مارس التمييز

ضدها لأنها بريطانية. ومع ذلك، فمن الأرجح أن أزالي، بصفته موظفًا حكوميًا نزيهًا، كان يطبق القواعد ببساطة دون خوف أو محاباة. على أية حال، اضطرت والدتي إلى بيع الأشياء الثمينة لصائغ جاء إلى منزلنا ومعه ميزانان وعرض ما اعتبرته حوالي عُشر قيمتها الفعلية. قالت بمرارة إن الموازين مخصصة لوزن الفواكه والخضروات، وليس لوزن المعادن الثمينة.

تربح البعض وتخسر البعض. وكان حظ والدتي أفضل في استخدام الواسطة للحصول على تصريح خاص لنقل السجاد الفارسي إلى خارج البلاد. هنا مرة أخرى كانت هناك قواعد وأنظمة صارمة. في منزلنا في بغداد لم يكن لدينا سجاد يغطي كامل الجدار لأنه لم يكن مناسبًا للطقس الحار، خاصة في فصل الصيف. كانت أرضيات منزلنا مغطاة بالسجاد الفارسي، وخاصة كاشان. سجاد كاشان منسوج بإحكام شديد وبالتالي فهو متين؛ فهي بالكاد تتدهور مع الاستخدام العادي وتميل إلى الحفاظ على قيمتها.

إن اللعب وفقًا للكتاب يعني التخلي عن سجادنا الثمين أو بيعه مقابل جزء بسيط من قيمته. الواسطة على شكل جمال بابان مكنتنا من تجاوز القواعد. كان بابان سياسيًا كرديًا مشهورًا ووزيرًا للعدل عدة مرات. كما كان يرأس شركة محاماة من الدرجة الأولى تضم عددًا كبيرًا من اليهود البارزين بين عملائها. كان هو وزوجته أصدقاء لوالدي. كانوا يأتون إلى منزلنا للعب الورق. كان والداي، باتباعهما للممارسة اليهودية الشائعة في ذلك الوقت، يتدبران الخسارة كوسيلة لتعزيز الصداقة مع ضيفهما المميز. لم يشعر بابان بالإهانة عندما طلبت والدتي نصيحته في مسألة تافهة تتعلق بالسجاد الفارسي. على العكس من ذلك، كان سعيدًا جدًا بتقديم المساعدة. هو

أعطتها اسم المسؤول الكردي المسؤول عن مكتب الجمارك والمكوس.

في اليوم التالي ذهبت والدتي وانضمت إلى الطابور لرؤية المدير. وأخبرته أن جمال بابان أرسلها للتحدث معه وأبلغه تحياته. بعد الحديث عن صديقهما المشترك، توصلت والدتي إلى الهدف الحقيقي من الزيارة: الحصول على تصريح لأخذ ستة سجاد فارسي خارج المقاطعة. وأوضحت أن أطفالها الثلاثة الصغار في المنزل ينامون على سجادة ويغطون أنفسهم بسجادة أخرى؛ وأنهم ذاهبون إلى لندن حيث سيكون الجو باردًا جدًا؛ وأن الأطفال لن يكونوا قادرين على التعامل بدون السجاد. ثم كتب الرجل على ورقة تحمل ختمًا رسميًا "إذن بمغادرة العراق ومعه ستة سجاد فارسي" وسلمها لها.

بقي السؤال قائمًا حول ما يجب فعله بألماس والدتي، جوهرة تاج المجموعة إذا جاز التعبير. ومرة أخرى، جاء علي غالب للإنقاذ. أخبر والدتي ألا تقلق، واقترح أن تعطيه الماسات في حقيبة صغيرة، وسيبذل قصارى جهده لإعادتها إليها على متن الطائرة بعد أن تجتاز مراقبة الجوازات والجمارك، قبل الإقلاع مباشرة. ولم تتردد في تنفيذ ما اقترحه عليها، لأنها كانت تثق به تماما. كان همها الوحيد هو أنه قد يتم القبض عليه وينتهي به الأمر بدفع ثمن باهظ مقابل لطفه في تقديم معروف لها.

قبل وقت قصير من مغادرتنا، جاء علي غالب وزوجته وأولاده لزيارتنا لتوديعنا. وكانوا أيضاً على وشك الانتقال إلى البصرة. كان الجو في البلاد متوتراً وكئيباً ولم يكن أحد يستطيع أن يتنبأ بما يخبئه المستقبل. لكن الصداقة كانت عميقة ومتينة. كانت أمسية صيفية دافئة وجلسنا في الحديقة لتناول العشاء الأخير مع العائلة. علي اعترف

والدي أنه لم ينم طوال الليل بعد إدخال تصريح الخروج للأطفال الثلاثة في جواز
سفر والدتي البريطاني. كان المزاج حول الطاولة حزينًا ولم تتدفق المحادثة
بالسهولة التي كانت عليها من قبل في الأوقات العادية. ربما كان جميع البالغين
يعرفون في أعماقهم أنهم لن يروا أصدقائهم مرة أخرى أبدًا. كانت عائلة غالب تنتقل
فقط إلى البصرة، بينما كنا سنعيش في دولة معادية قاتلت مؤخرًا ضد الجيش
العراقي في الحرب من أجل فلسطين وكانت لا تزال رسميًا في حالة حرب مع العراق.
على الرغم من الكآبة والكآبة المحيطة، أو ربما بسببها، احتفظ البالغون بوجه
شجاع وبذلوا جهدًا ليبدووا متفائلين. كنا نحن الأطفال نلعب كالمعتاد، بمرح
وصوت صاخب، وفي جهل مبهج للمخاوف الوجودية التي تثقل كاهل آبائنا.

كانت الأيام القليلة الماضية قبل المغادرة للغاية
المحموم: توديع الأصدقاء والأقارب، والتخلص
السلع المنزلية والمهمات الأخيرة والتعبئة.
على الرغم من أننا كنا في رحلة منتظمة إلى قبرص، إلا أننا
أخذت كمية مذهلة من الأمتعة معنا. وهذا يشمل
حقائب كبيرة منتفخة بالملابس لجميع المواسم،
كتب أطفال، ألعاب، صناديق شاي مليئة بالسلع المنزلية، أ
خدمة عشاء فاخرة وحزمة كبيرة مع
المذكورة أعلاه ستة سجاد فارسي ملفوف. جدة
كان الموزلي، البالغ من العمر 62 عامًا، قادمًا معنا في الرحلة الطويلة.
وبما أنها كانت تحمل جواز سفر بريطاني، فإنها لم تكن بحاجة إلى تأشيرة خروج.
ويعني جواز السفر أيضًا أنها تستطيع أيضًا الاحتفاظ بملكية المنزل
منزلها في الكرادة.
أخذنا والدي إلى المطار في 21 تموز (يوليو) 1950. وكان إذا شعر بالخوف
والقلق يحتفظ به لنفسه. لا بد أن والدتي تساءلت عما إذا كانت ستراه مرة أخرى.
قبلنا الوداع، وقمنا بتخليص مراقبة الجوازات والجمارك وصعدنا إلى الطائرة. علي
غالب لم يقل ما إذا كان

نفسه سيأتي إلى الطائرة. كل ما قاله لأمي هو ألا تقلق. لكن والدتي لم تستطع التوقف عن القلق بشأن ما قد يحدث لصديقتها إذا تم القبض عليه متلبسا وهو يساعد يهوديا على تهريب الماس إلى خارج البلاد في انتهاك صارخ للقانون العراقي. وفي الحدث لم يأت غالب بنفسه؛ فأرسل أحد مساعديه الذي كان يحمل تصريحاً أمنياً وبالتالي لم يكن خاضعاً للتفتيش. جاء المساعد إلى الطائرة، ظاهريًا ليقول وداعًا. ذهب إلى والدتي ليصافحها. وأثناء قيامه بذلك، قام أيضًا بوضع الحقيبة التي تحتوي على الماس في راحة يدها. بالنسبة لوالدتي، كما أشارت لي، كان الماس يمثل أكثر بكثير من مجرد ملكية مادية قيمة: لقد كان شهادة على صدق واستقامة صديق مسلم، ودليل ملموس على أن اللياقة الإنسانية لم يتم طمسها بالكامل من قبل السياسة السياسية. ضغوط الصراع العربي الصهيوني.

أخذتنا الرحلة إلى مطار نيقوسيا في قبرص، على الرغم من أن وجهتنا النهائية كانت إسرائيل. وكانت قبرص في ذلك الوقت مستعمرة بريطانية. وبعد أن وافقت على خطة الحكومة العراقية للسماح لليهود بمغادرة البلاد، عرضت بريطانيا الآن قبرص كنقطة توقف بين بغداد وتل أبيب. وبطبيعة الحال، لم تكن هناك رحلات جوية تجارية منتظمة من العراق إلى إسرائيل. في اليوم التالي للحرب من أجل فلسطين، أصدرت جامعة الدول العربية مرسوماً بمقاطعة دبلوماسية واقتصادية للدولة اليهودية الوليدة، مما استبعد أي اتصال عن طريق البر أو البحر أو الجو. كما لم يكن من الممكن أن نذهب من أي دولة عربية مجاورة، لأن جميعها كانت ملزمة بقرار الجامعة العربية. وكانت أقرب دولة غير عربية إلى إسرائيل هي قبرص، مما جعلها الوجهة الواضحة للمحطة الأولى من الرحلة.

أدى التوقف المقرر في مطار بيروت إلى ظهور أول تعقيد منذ مغادرتنا وطننا. كما

بينما كان الحمالون يفرغون أمتعة الركاب الذين غادروا الطائرة في بيروت، لاحظت والدتي حزمتها الكبيرة مع سجادها الفارسي الستة. بدأت على الفور بالصراخ بأن هذه هي أمتعتها وأصرت على إعادتها إلى الطائرة. في البداية، قيل لها إنها مخطئة، وكدليل على ذلك تم إظهار أن الملصق الذي يحمل اسمها أصبح الآن مرتبطًا بطرد غير ذي أهمية. من الواضح أن تبديل الملصقات كان جزءًا من عملية احتيال، لكن والدتي لم تنخدع بها. وأصرت على إعادة ربط الملصق بالحزمة وإعادة الحزمة إلى الطائرة. يقظة والدتي أحبطت مؤامرة لسرقة سجادنا الثمين. وسأظل المالك الفخور لواحدة من الإرث العائلي الوحيد الستة الذي ورثته من وقتنا في بغداد.

كانت رحلة والدي إلى إسرائيل أطول بكثير وأكثر خطورة من رحلتنا. لقد انقضى حوالي ثمانية عشر شهراً بين توديعه في مطار بغداد في تموز (يوليو) 1950 ووصوله إلى إسرائيل. كانت هذه بلا شك الفترة الأكثر إرهاقا في حياته، لكنه لم يتحدث عنها أبدا. خلال هذه الفترة، تمكن من إرسال الأموال إلينا، لكنه لم يتمكن من التواصل عبر الهاتف أو البريد. التفاصيل القليلة التي لدي عن محنته تأتي من والدتي. في تسليمها، كان زوجها سجينًا في العراق: لم يتمكن من المغادرة على متن رحلة جوية منتظمة أو على الجسر الجوي الذي نظمته الصهيونية لأنه لم يكن لديه تأشيرة خروج ولا يمكنه الحصول عليها. وكان السبيل الوحيد للهروب هو عبور الحدود بشكل غير قانوني إلى إيران. وكان هذا ينطوي على مخاطرة كبيرة: فقد مات بعض اليهود الذين سلكوا هذا الطريق في الطريق، وتعرض بعضهم للسرقة وقتل البعض الآخر. لكن لم يكن لدى والدي خيار آخر، لذلك كان هذا هو الطريق الذي سلكه في النهاية. وقد ساعده المهربون الأكراد مع عدد قليل من اليهود الآخرين الذين شاركوه في محنته في نقطة شمالية من الحدود مع إيران. كانت الرحلة صعبة للغاية، مع هزيلة

حصص الإعاشة، وترتيبات النوم المؤقتة، والخوف الدائم من اكتشافهم. ولتجنب رؤيتهم، شقت المجموعة طريقها ليلا، سيرا على الأقدام جزئيا، وجزئيا على ظهر حمار. وفي أكثر من مناسبة، اعتقد والدي أنه لن ينجح. ولكن بمجرد وصولهم إلى الجانب الإيراني من الحدود، انخفض مستوى التوتر بشكل كبير. رحبت إيران باللاجئين اليهود العراقيين، وكانت هناك إجراءات مطبقة لتمكينهم من المضي قدمًا إلى وجهتهم النهائية. وكان المرور من الحدود إلى طهران سهلاً نسبياً. وفي طهران، أقام والدي مع صهره ألفريد لمدة شهر تقريبًا. كان في حاجة ماسة إلى فترة من الراحة والتعافي. ومن طهران شق طريقه إلى إسرائيل.

قضيت أنا وجدتي وأمي وشقيقتي شهرين في نيقوسيا، وأقمنا في فندق كبير. كنت في الرابعة من عمري ولا أحتفظ إلا بذكريات قاتمة عن هذه الفترة. إحدى الذكريات الحية هي عن نادل يُدعى أنجيلي كان منتبهًا للغاية ومتسامحًا تجاهي وتجاه أخواتي. وهذا شجعنا على البدء في أخذ الحريات. كان هناك جرس في غرفة الطعام: التقطناه من مكانه وتجولنا حول الفندق، طرقنا عليه وصرخنا مرارًا وتكرارًا "هاتا أنجيلي!" "هذه أنجيلي!" ذكرى أخرى هي رحلة لزيارة الأصدقاء في فاماغوستا، وهي مدينة قبرصية أخرى. لا أتذكر هذه الرحلة بقدر ما أتذكر المقدمة الصاخبة لها. لقد وجدنا اسم فاماغوستا مضحكًا، لذلك التقطنا الجرس مرة أخرى وأعلننا مرارًا وتكرارًا باللغة العربية بأعلى أصواتنا "نحن ذاهبون إلى فاماغوستا، نحن ذاهبون إلى فاماغوستا!"

الأشخاص الذين ذهبنا لزيارتهم كانوا أصدقاء عراقيين اشتروا فيلا في فاماغوستا واستقروا هناك. وكان للفيلا حديقة كبيرة وبها بئر. كان لدى والدتي بعض العملات الذهبية الإنجليزية في حقيبتها. حصلت ليديا على إحدى العملات المعدنية وهددت بإلقائها في البئر. نظرت

عازمة للغاية ولكن في النهاية نجحت والدتي في استعادة العملة. وفقًا لوالدتي، كان هذا مثالًا مبكرًا على مدى صعوبة ليديا وعنادها. ولكن ربما كان ذلك مثالاً على عدم تسامح والدتي مع أي علامة على التحدي، أو حتى مجرد الاستقلال، من جانب ليديا. كشفت الحلقة أيضًا عن المعايير المزدوجة، على أساس الجنس، التي طبقتها والدتي عليّ وعلى أختي الكبرى: كنت صبيًا ولم يكن بإمكاني ارتكاب أي خطأ فيما يتعلق بوالدتي، في حين كانت ليديا فتاة وبالتالي خاضعة. لمجموعة مختلفة من القواعد. كان من المتوقع منها أن تكون رزينة وخاضعة، وأن تتبع الأوامر وألا تتصرف بمبادرة منها.

بالنسبة لوالدتي، لم تكن قبرص خالية من الضغوطات والضغوط
سلالات. كانت هذه هي المرة الأولى التي يتعين عليها فيها رعاية الثلاثة
الأطفال الصغار دون مساعدة المربيات والخدم.
كانت والدتها مساعدة ولكنها ليست بديلاً مناسبًا لـ
مربية محترفة بدوام كامل. وكان مصدر آخر للتوتر
الشحنة الإضافية التي أرسلها لها عمها في قبرص
شاؤول. وكان العم الماكر قد رشوة الحمال ليعطيه
إعادة التصريح الذي منحه رئيس الجمارك الكردي
والدتي. ثم استخدم شاؤول هذا التصريح لإرسال ستة فارسيين
السجاد الخاص به وأبلغ والدتي بالخطة
هاتف. ثم كرر الحيلة وأرسل دفعة أخرى من
ستة سجاد قبل أن تحذره والدتي عبر الهاتف من ذلك،
وإذا أرسل المزيد من السجاد، فسوف ترميه في البحر.
يبدو أن التهديد نجح لأن تلك كانت نهاية الأمر
الشحنات.

ومن نيقوسيا أبحرنا بالقارب إلى حيفا. كانت معنا حقائب السفر، وصناديق الشاي، وسجاداتنا الفارسية الستة، بالإضافة إلى سجادات العم شاؤول الاثني عشر. لقد وصل أحد الفصول المضطربة في تاريخ عائلتنا إلى نهايته. وكان آخر على وشك البدء. كان أسلوب مغادرتنا للعراق مختلفًا عن أسلوب مغادرتنا

غالبية اليهود البالغ عددهم 120 ألفًا الذين غادروا في نفس الوقت. لقد غادرنا بشكل مستقل وتحت قوتنا. تم نقل الأغلبية من العراق إلى إسرائيل في عملية عزرا ونحميا. ومع ذلك، كنا جميعًا جزءًا من قصة أكبر: النهاية المأساوية ليهود بابل. كنا نغادر بلداً تمتعنا فيه عموماً بحياة جيدة، ونذهب إلى دولة جديدة وفقيرة بدا مستقبلها غامضاً في أحسن الأحوال.

لقد عاش قريبي البعيد إسحاق بار موشيه هذه اللحظة بشكل مؤثر أكثر من معظم الناس. في كتابه السيرة الذاتية "الخروج من العراق" تحدث عن حزن الخروج اليهودي من العراق:

> العلاقات التي تشكلت على مدى مئات السنين تم محوها في ساعات قليلة. مجتمع بأكمله ينفصل عن الماضي ويتحرك بسرعة نحو المستقبل الذي يقف عند البوابة. تاريخ يزيد عن ألفي عام يُصفى في أقل من ألفي ساعة... هنا ينهار كل شيء... الماضي يهتز وينهار... لا يوجد شاعر في العالم يستطيع التعبير عن تجربتنا... اليهود يمشون مثل السائرين أثناء النوم.

وتساءل بار موشيه: هل عرفت الحقائب الجلدية أن بداخلها لا تحمل أشياء يومية فحسب، بل تاريخ مجتمعنا القديم؟[1]



آفي في رمات غان في الشكل الأول (الصف العلوي، الثاني من اليسار)

تسعة

أرض الميعاد

في سبتمبر 1950، جدتي ('نانا')، والدتي،
وصلت أنا وليديا وفيلما بالقارب إلى ميناء حيفا.
كان عمر إسرائيل عامين فقط عندما هبطنا على شاطئها.
أي نوع من البلاد كان؟ إحدى الإجابات الواضحة هي أنه
كان بلد المهاجرين الجدد، من اليهود من مختلف
أجزاء من العالم، ثقافات مختلفة ومتعددة
اللغات. في نهاية حرب 1948، كان عدد سكانها
وكان عدد الدولة الناشئة 650 ألفاً فقط، منهم 150 ألفاً من العرب.
لذلك كانت الهجرة أولوية قصوى بالنسبة لقادة إسرائيل. ل
كان دافيد بن غوريون، أول رئيس وزراء
مسألة البقاء. بحلول منتصف عام 1951، كان عدد السكان
قد تضاعف تقريبا. في البداية جاء اليهود من أوروبا،
وبعضهم من الناجين من الهولوكوست. لقد تلقوا
معاملة تفضيلية، على الأقل فيما يتعلق بالسكن
المعنية: أعطوا بيوت العرب الذين لديهم
فروا أو طردوا أثناء الحرب ولم يسمح لهم بذلك
خلف. في تحدٍ لقرار الأمم المتحدة رقم 194 الصادر في ديسمبر 1948،
ورفضت إسرائيل تسليم 750 ألف لاجئ فلسطيني
إما حق العودة أو التعويض. ولكن بحلول عام 1950
ولم يعد هناك المزيد من المنازل العربية المخصصة.
لقد كانت الهجرة إلى عائلتي عملية مؤلمة. في المقام الأول، كانت عودتنا غير
طوعية. إن التفاعل بين القوتين الصهيونية والقومية العربية - أجبرنا على
مغادرة وطننا وغير حياتنا فيما بعد

تعرّف. علياء تعني حرفيا الصعود أو الصعود. لكن الهجرة كانت تعني النسب بالنسبة لنا، yerida بالعبرية. لم يقتصر الأمر على نزولنا إلى أسفل السلم الاجتماعي والاقتصادي، بل فقدنا أيضًا ثقتنا بأنفسنا ومكانتنا الاجتماعية وإحساسنا الفخور بهويتنا كيهود عراقيين. يصور التأريخ الصهيوني الهجرة من الدول العربية على أنها انتقال من الشرق إلى الغرب. بالنسبة لأمي، كان ذلك بمثابة انتقال من البيئة البغدادية الناطقة بالإنجليزية والفرنكوفونية إلى عالم أشكنازي اشتراكي لم تفهم قواعده وقوانينه. لا شك أننا عانينا أقل بكثير من غالبية المهاجرين العراقيين الذين انتهى بهم الأمر في الخيام والأكواخ. ومع ذلك، فإن هذه الخطوة أدت إلى التفكك والتهجير والاضطراب العاطفي والارتباك النفسي لجميع أفراد الأسرة. لقد تكيفت أنا وأمي وشقيقتي مع البيئة الجديدة بأفضل ما نستطيع. بالنسبة لجدتي، كان الوقت قد فات للتكيف. بالنسبة لوالدي، كانت العقبات التي تحول دون الاستيعاب لا يمكن التغلب عليها. لم يتعاف أبدًا من التهجير والحرمان وظل رجلاً مكسورًا لبقية حياته. وفي إسرائيل كان ظلاً للرجل الذي كان عليه في العراق. لقد تمسك هو والكبار في العائلة، إلى جانب بقية اليهود العراقيين، بصور وأصداء ماضيهم العراقي في رمات غان.

بالنسبة لدولة إسرائيل أيضًا، لم تكن مهمة استيعاب جميع المهاجرين الجدد مهمة سهلة. وبعد يهود أوروبا جاء يهود الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: العراق 120 ألفاً؛ اليمن 45,000؛ تركيا - 31000؛ إيران 21000؛ مصر 16.000؛ المغرب 30.000؛ تونس 13000؛ ليبيا – 31.000؛ الجزائر 1500. لم يُطلق عليهم اسم لاجئين بل مهاجرين. في الترجمة الصهيونية الرسمية، كان ذلك بمثابة "عالية الإنقاذ": لقد أنقذت الدولة الجديدة يهود الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بيئة معادية بشدة، ورحبت بهم بترحيب مفتوح.

وقاموا بمهمة بطولية تتمثل في استيعاب المهاجرين في ظل ظروف صعبة للغاية. وقيل إن كل هذا جزء من تحقيق الحلم الصهيوني المتمثل في "جمع المنفيين". إسرائيل، في هذه الرواية الصهيونية المهيمنة، كانت لا تزال "أرض الميعاد" على الرغم من مشاكلها المبكرة.

التجربة الفعلية للأغلبية الساحقة من

لقد فشل المهاجرون العراقيون في الوصول إلى الصهيونية
خرافة. في المقام الأول، كانوا يشتبهون في أن إسرائيل فعلت ذلك
وعملوا جاهدين على اقتلاعهم من وطنهم العربي
وهذا غذى استياءهم منذ البداية. ثانيا هؤلاء
وكان الوافدون الجدد ضحايا هذا التصور السائد على نطاق واسع
أن إسرائيل كانت تقدم لهم معروفًا باستقبالهم منها
البرد. الدعاية الإسرائيلية خلال العامين الماضيين
وقد صور يهود العراق على أنهم يواجهون التهديد
الإبادة الجسدية على يد النظام الفاشي. هذا
كان الهدف من التأطير هو خدمة الحملة الإسرائيلية ضد
العراق على الساحة الدولية. ولكن في الوقت نفسه أدى
الجمهور الإسرائيلي يعتقد أنه في حين أن أبواب
كان لا بد من إبقاء البلاد مفتوحة أمام هؤلاء المنبوذين التعساء
وسيكون ثمن استيعابهم باهظا. وبناء على ذلك، فإن
لم يتم استقبال العراقيين كعالمين فخورين بل كلاجئين
يدينون بدين كبير من الامتنان لمنقذيهم. هذا
وكانت الصورة تتماشى مع الموقف المتعالي الذي
وكانت الحركة الصهيونية تظهر طوال الوقت تجاه اليهود
العراق.[1] ثالثًا، اليهود الذين كان لهم في العراق ديانتهم
القيادة والمؤسسات وصلت إلى أبواب
أرض الميعاد مفلسة وعاجزة وبلا قيادة
الأفراد الذين كانوا تحت رحمة الامتصاص
سلطات.

ولكن الأمر الأكثر حسماً هو التجربة الفعلية للعراقيين لدى وصولهم إلى إسرائيل. وفي المطار، تم رشهم بمبيدات الـ دي.دي.تي لتطهيرهم كما لو كانوا كذلك

الحيوانات. لقد كانت هذه تجربة مهينة للغاية. ومن المطار تم نقلهم إلى معسكرات المعبروت المؤقتة. يتكون السكن في المعبروت من خيام أو أكواخ من الحديد المموج، مع مرافق بدائية للغسيل والطهي. وكانت الظروف المعيشية مزرية وغير صحية. وكان الماء شحيحاً. وكانت فرص العمل مقتصرة إلى حد كبير على يوم أو يومين في الأسبوع من واجبات المطبخ والبناء وغيرها من المهام الوضيعة مثل حفر الأعشاب الضارة على طول الطرق العامة. واضطر المصرفيون والمحامون والأطباء وغيرهم من المهنيين إلى التسول للحصول على مثل هذا العمل العرضي من أجل إطعام أسرهم. كانت حرية نزلاء المعسكرات المؤقتة محدودة للغاية. وكانت بعض المعسكرات محاطة بالأسلاك الشائكة ويحرسها رجال الشرطة. ولا يمكن تجاهل المفارقة المريرة لليهود خلف الأسلاك الشائكة.

تم تخصيص سكن للمهاجرين الذين لم يكن لديهم مؤهلات مهنية ولا موارد مالية خاصة بهم، أي الأغلبية، من قبل سلطات الاستيعاب في المستوطنات الزراعية والمدن التنموية في الأطراف. ونادرا ما تم استشارتهم، وكثيرا ما تم الكذب عليهم بشأن موقع منازلهم الجديدة. أراد معظم المهاجرين التواجد في المدن الكبرى في وسط البلاد أو بالقرب منها، ولكن غالبًا ما انتهى بهم الأمر في أماكن ريفية نائية في النقب القاحل وفي المناطق الحدودية. وقد قاوم البعض جسديًا إغراقهم في الوجهة الجديدة التي تم تحديدها لهم. أخبرني آفي جيل، المدير العام السابق لوزارة الخارجية الإسرائيلية، أن والده، سائق الحافلة، كان يعود أحيانًا إلى المنزل في وقت متأخر من الليل في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي وقميصه ملطخ بالدماء بعد مشاجرات مع المهاجرين الذين رفضوا النزول من الحافلة. . وبشكل عام، فإن "تبني المواطنة الإسرائيلية"، على حد تعبير أوريت باشكين، "كان بمثابة تحول مؤلم وعنيف وصادم".2

طغى موقف سلطات الهجرة والاستيطان تجاه القادمين الجدد على كل شيء آخر.
إنهم ببساطة لم يكن لديهم أي فهم لعادات أو ثقافة أو تطلعات اليهود العراقيين. لقد
اعتبروهم متخلفين وبدائيين وتوقعوا منهم أن يأخذوا مكانهم في أسفل التسلسل
الهرمي الاجتماعي وأن يكونوا ممتنين لكل ما قدموه لهم. جاء هؤلاء العمال من تسعة بلدان
عربية مختلفة، لكن بالنسبة لمديري معسكرات العبور كانوا جميعًا متماثلين.
تفاقمت التوترات بين اليهود الأشكناز واليهود السفارديم بسبب الفجوة
الثقافية بين الشرق والغرب. كان يُنظر إلى الثقافة اليهودية العربية
بازدراء على أنها أدنى مرتبة بالتأكيد.

علاوة على ذلك، كانت المؤسسة الإسرائيلية عازمة على ذلك
قمع الثقافة العربية ومحو هوية العرب
اليهود الشرقيون عن طريق إجبارهم على التحول إلى الأشكناز الأوروبيين
وعاء الانصهار. لقد أشار دافيد بن غوريون إلى المهاجرين
من الشرق باسم "جحافل وحشية". مورد آخر لهذا
وكان الغطرسة هي وزير الخارجية أبا إيبان الذي صرح بذلك
"يجب أن يكون الهدف هو غرس الروح الغربية في نفوسهم، وليس ذلك
دعوهم يجروننا إلى شرق غير طبيعي. العدسة
الذي تم من خلاله مشاهدة المهاجرين الجدد كان
نفس العدسة الاستعمارية التي من خلالها اشكنازي
المؤسسة تنظر للفلسطينيين. ولم يكن الهدف
الترويج لمجتمع متعدد الثقافات في إسرائيل ولكن لنزع الشرعية عنه
الجذور الثقافية للشرقيين، للتأكيد على
الطابع الأوروبي لإسرائيل والحفاظ على أشكنازي
احتكار المراكز الثقافية والسياسية
قوة.
مشكلة التكيف مع المجتمع الجديد هي موضوع مركزي يمر عبر روايات
المهاجرين العراقيين إلى إسرائيل. وكان من أبرزهم صديقي سامي ميخائيل. ولد في
بغداد عام 1926، وانضم إلى الحزب الشيوعي عندما كان في السابعة عشرة من عمره،
وساعد في توزيعه

منشورات سرية تنتقد النفوذ النازي في العراق، وحُكم عليه بالإعدام عام 1948 وهرب إلى إيران. وفي إيران أجرى اتصالات مع حزب توده، الحزب الشيوعي المحلي، وجدد أنشطته ضد حكام العراق. وطالب العراق بتسليمه، فاضطر إلى العمل تحت الأرض مرة أخرى. وكان ينوي الذهاب إلى الاتحاد السوفييتي، لكن انتهى به الأمر في إسرائيل "بالصدفة". وفي حيفا، انضم إلى الحزب الشيوعي، وكتب في جريدته الصادرة باللغة العربية "الاتحاد"، وانخرط في حركات السلام مع الفلسطينيين. اكتسب شهرة وطنية باعتباره منتقداً لا هوادة فيه للمؤسسة الأشكنازية ومواقفها العنصرية تجاه العرب والمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل واليهود في العالم العربي. وكان من بين الإسرائيليين الأوائل الذين دعوا إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب إسرائيل. وفي عام 2001 تم انتخابه رئيساً لجمعية الحقوق المدنية في إسرائيل.

تعرفت على سامي مايكل في الفترة 2000-2001 عندما أمضى بعض الوقت في مركز أكسفورد للدراسات العبرية واليهودية في إطار برنامج "زمالة الكتاب العبريين الزائرين". كان هو وزوجته راشيل، وهي صحفية من أصل عراقي، يعيشان في أورانجيري في يارنتون مانور، وهو منزل فخم يعود إلى القرن السابع عشر في قرية يارنتون، على بعد عشرة كيلومترات شمال غرب أكسفورد. وفي هذه البيئة الإنجليزية الريفية المثالية، استمتعوا بفترة راحة من الحجج السياسية الصاخبة التي كانوا عالقين فيها دائماً في إسرائيل. قضيت العديد من الأمسيات في شركتهم. وجبات العشاء العراقية الحارة التي أعدوها، مثل كرات اللحم مع البامية على طبقة من الأرز، ذكّرتني بالطعام الذي كنا نتناوله في المنزل. كانت معظم محادثاتنا تدور حول المجتمع الإسرائيلي والسياسة والثقافة، والتي كان سامي يعرف عنها الكثير أكثر مني. لقد كان غاضباً من الظلم وعدم المساواة والعنصرية الصارخة التي يمارسها الإسرائيليون

المجتمع وأوضح نقاطه ببعض الحكايات الشخصية. سامي ذو بشرة داكنة. في أيامه الأولى في إسرائيل دخل إلى مكتبة وبدأ في التصفح. صرخ به صاحب المتجر ذو البشرة الفاتحة أمام الزبائن الآخرين: «نحن لا نحمل كتبًا مصورة!» وكانت الإهانة عميقة لكنها عززت أيضًا تصميم سامي على إثبات نفسه ككاتب عبري. ما شاركناه أنا وسامي وراشيل هو الشعور بأننا غرباء. على الرغم من أن سامي حقق شهرة في النهاية ككاتب وناشط سياسي في إسرائيل، إلا أنه لم يكن أبدًا جزءًا من المؤسسة. وبصرف النظر عن آرائه السياسية المتطرفة، كانت هناك مشكلة اللغة: فقد استغرق الأمر ربع قرن حتى يجد صوته باللغة العبرية.

كان سامي على وشك الخمسين عندما نشر روايته الأولى

لكن البعض أكثر، – بالعبرية كل الرجال متساوون

مستذكراً الجملة الشهيرة في رواية مزرعة الحيوانات لجورج أورويل.

كتاب سامي فضح نفاق السلطات الإسرائيلية

والمعاملة المهينة التي تعرضوا لها

المهاجرين الجدد في مخيمات العبور. أنشأ الكتاب

فكرة رش مبيد الـ دي.دي.تي كرمز لهم

الذل وجميع الرجال متساوون ولكن بعضهم أكثر

أصبحت عبارة مألوفة للإشارة إلى النضال من أجل

المساواة بين اليهود من الدول العربية. أثارت حيوية

مناقشة الفجوات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الإسرائيلي

وقد ساعد القيام بذلك على طرح المسألة العرقية على الساحة

الأجندة الوطنية. وفي رواياته ومسرحياته الأخرى مايكل

تعاملت مع تطلعات ونضالات كل من اليهود و

العرب دائما من التقدميين والمساواة و

منظور إنساني.

ومع ذلك، فإن رواية مايكل "فيكتوريا" التي صدرت عام 1995 لم تكن تتحدث عن المجتمع الإسرائيلي: بل كانت قصة عائلة يهودية من الطبقة العاملة في بغداد في بداية القرن العشرين، وقد وُصفت على نحو مناسب بأنها رواية عربية مكتوبة باللغة العربية. –

العبرية. في الفصل السادس، "بغدادي"، أسهبتُ في الحديث عن أسلوب الحياة
المترف الذي تعيشه عائلتي. كان مصدري الرئيسي هو والدتي التي بدت
بغداد بالنسبة لها، مع مرور الوقت، أشبه بـ "جنة عدن المفقودة". ومع ذلك، لم نكن
عائلة يهودية نموذجية: كنا عائلة ثرية ومتميزة من الطبقة المتوسطة العليا. عندما
كنت صبيا، لم تكن لدي أي فكرة عن حياة اليهود الفقراء من الطبقة العاملة. لقد
اكتسبت تلك الرؤية التي كنت في أمس الحاجة إليها من قراءة فيكتوريا.

تصف الرواية بالتفصيل المؤلم الواقع القاسي الذي تعيشه البلاد
حي يهودي: الأزقة القذرة، المزدحمة
الإسكان والصراع على السلطة والمؤامرات والفقر و
التجويع والإغراءات والخيانات وسفاح القربى و
بغاء. إنه يصور المجتمع الأبوي المتخلف في
التي كانت المرأة تعتمد عليها بشكل كامل، وتعتبر أقل شأنا،
إذلال وترك دون أمل. الدور الرئيسي للمرأة في هذا
كان على المجتمع أن يخدم الرجال وينتج ذرية ذكور.
حتى فيكتوريا، تناولت جميع روايات مايكل هذين الأمرين
الصراع بين اليهود والعرب أو الانقسام
بين يهود أوروبا والشرق الأوسط. في فيكتوريا هو
يذهب إلى أبعد من ذلك في التاريخ للاستفادة من تجربته الخاصة
كطفل لإلقاء الضوء على ديناميكيات الطبقة العاملة
الجالية اليهودية العراقية. على الرغم من أن هذا عمل خيالي،
يصر مايكل على دقته التاريخية. ما يقرض
التعقيد والمصداقية لجميع رواياته هو أنه هو نفسه
هو مزيج من جميع الهويات المختلفة التي يكتب عنها: أ
عربي يهودي وعراقي وشيوعي وإسرائيلي.

فيكتوريا هي تحفة أدبية عن امرأة كتبها رجل، وعن مجموعة من الشخصيات الأقل
من حولها، وعن مجتمع فريد لم يعد له وجود منذ فترة طويلة. بحساسية غير عادية،
يدخل المؤلف في جلد وعقل وروح شخصيته المركزية. بواقعية رصينة، ومن دون أي أثر
للحنين، يعيد بناء قصة لا تقل تعقيداً عن الرواية.

حياة اليهود من الطبقة العاملة في بغداد. من الصعب تخيل صورة أكثر صدقًا أو أصالة. ومع ذلك، واجه نشر فيكتوريا رد فعل عدائيًا صاخبًا من العراقيين الأثرياء في إسرائيل، الذين اشتكوا من أن الكتاب رسم صورة زائفة لحياة الأقلية اليهودية في العراق، وبذلك جلب العار على المجتمع بأكمله. انضمت والدتي إلى جوقة الانتقادات. وبهدالنا، قالت لي بشيء من الشدة: "لقد فضحتنا". وعندما سئلت عما إذا كانت قد قرأت الكتاب، أجابت بأنها قرأت الصفحات العشر الأولى ثم تركته. 'لماذا؟' سألتها فأجابت: "هذا ليس صحيحا!" وكانت تلك نهاية المحادثة.

أمطر النقاد الأدبيون الثناء على فيكتوريا وسرعان ما أصبحت من أكثر الكتب مبيعا، وترجمت إلى العديد من اللغات المختلفة، بما في ذلك اللغة العربية. وفي عام 1995 تم نشره باللغة الإنجليزية. نُشرت الطبعة العربية في القاهرة بمقدمة قدمت مايكل كمؤلف يهودي من أصل عراقي وتحدثت عن انتقاله من الكتابة باللغة العربية إلى الكتابة بالعبرية. وشددت على أنه على الرغم من أن مايكل عاش في إسرائيل وكتب باللغة العبرية، إلا أنه أظهر وعيا عميقا بجذوره الثقافية العربية. الرواية

وقد تم اعتباره مساهمة كبيرة في قضية التطبيع الثقافي بين العرب واليهود. لاحقًا في حياتي، وبعد فترة طويلة من استقراري في إنجلترا، وإضافة هويتي البريطانية إلى مجموعتي، جئت لأشارك بعض آراء سامي مايكل المتطرفة. وفي وقت متأخر، جئت أيضًا لأشاركه ارتباطه بهويته الأصلية، أي هوية العربي اليهودي. لكن هذه الآراء لم تكن متجذرة في تجربتي الشخصية أو تجربة عائلتي فيها

الوقت.

لم يكن لقاءنا الأول مع "أرض الميعاد" صادماً مثل لقاء غالبية المهاجرين العراقيين. لم يتم رشنا بمادة الـ دي.دي.تي عند وصولنا ولم يتم إرسالنا إلى مكان

معبرة. وعلى الرغم من أننا فقدنا معظم ممتلكاتنا بسبب هذه الخطوة، إلا أنه كان لدينا ما يكفي للعيش في إسرائيل، على الأقل في السنوات القليلة الأولى. علاوة على ذلك، كانت لدينا شبكة عائلية قدمت لنا الدعم الذي كنا في أمس الحاجة إليه. عندما نزلنا من القارب في ميناء حيفا، كان العم يعقوب، شقيق نانا، هناك للترحيب بنا. لقد جاء من رمات غان مع سائق وشاحنة بلا سقف. لقد حملنا جميع ممتلكاتنا - حقائب السفر، والصناديق، وصناديق الشاي، وحزم السجاد الفارسي على الظهر. أثناء القيادة جنوبًا على طول الطريق الساحلي، جلسنا أنا وأخواتي في الكابينة المجاورة للسائق؛ جلست والدتي وعمي جاكوب فوق الأمتعة في الخلف. كانت مزاجية مبتهجة: لقد وصلنا إلى "أرض الميعاد" وكان عمها - والدتي في حالة المفضل هناك لتحيتنا.

عاش العم يعقوب في رمات غان، أكبر مدينة تابعة في منطقة تل أبيب-يافا الحضرية. تأسست عام 1921 كمستوطنة زراعية جماعية، لكنها تحولت تدريجياً من الزراعة إلى الصناعة الخفيفة. وفي الأربعينيات من القرن العشرين، أصبحت ساحة معركة في حرب اللغات في البلاد: حيث تم تفجير مطبعة للغة اليديشية على يد متعصبين يتحدثون اللغة العبرية. وفي عام 1950 أصبحت مدينة وبحلول عام 1955 وصل عدد سكانها إلى 58000 نسمة. كان في رمات غان بعض المناطق السكنية الرائعة والمتنزهات والحدائق، بما في ذلك حديقة وطنية وحديقة حيوانات وأكبر ملعب لكرة القدم في البلاد. لكن ما أتذكره بشكل أساسي هو المساحة الحضرية الباهتة والمملة حيث يتم تشييد العديد من المباني السكنية بسرعة مذهلة في كل مكان لجعلها تبدو وكأنها موقع بناء مترامي الأطراف.

استقر عدد كبير من المهاجرين من العراق في رمات غان. واستوعبت اليهود من خيرية والساقية وكفر عنا، ومخيمات العبور المحيطة بها. وبسبب العدد الكبير من اليهود العراقيين الذين جاءوا للعيش هناك، كان يشار إلى رمات غان أحيانًا باسم رمات بغداد. أعطى هذا

المدينة ذات نكهة شرقية: العديد من المحلات التجارية،
المطاعم والمقاهي كان لها أصحاب وزبائن عراقيون
يتحدثون العربية في الغالب. والأهم من ذلك أنها جعلت ذلك ممكنا
لتطوير شبكات الدعم ذات التفكير المماثل. بالمال
تمكن العم يعقوب من الخروج بطريقة غير مشروعة من العراق، فاشترى
فيلا كبيرة مع غرفة جلوس كبيرة، ستة
غرف نوم وشرفة وحديقة وحديقة نباتية. هو
يمتلك أيضًا محل بقالة مجاور لمنزله. ل
كان تاجرًا بمكانته، يدير محل بقالة
تراجع كبير في العالم ولكن كان لديه
ميزة توفير دخل ثابت للأسرة. في
عاشت معه في المنزل زوجته فيوليت وابنته
إسبيرانس وأولاده الأربعة: مئير وألبرت ودودي وإيلي.
وكان لديهم أيضًا الخادمة المفعمة بالحيوية والنشاط، صبيحة، التي
وجاء معهم من بغداد. الاضطرار إلى
تتسع لنا جميعا بالتأكيد أسلوبهم ضيق ولكن
لم يشتكوا. ولا يمكن التغلب عليهم
قبول أي إيجار منا أو أي مساهمة في
تكاليف تشغيل الأسرة.

كان مستوى الوجبات أقل بكثير من مستوى منزلنا
في بغداد والفندق في نيقوسيا ولكن الأقدم منها
وكان من بيننا مهذبين جدًا ليقولوا ذلك. فيلما، ومع ذلك، من
كان عمره عامين فقط، وكان أقل تثبيطًا. عشاء واحد،
خدمتها الصبيحة بعد وقت قصير من وصولنا، وتتكون من سميكة
شرائح من الخبز الأسود مع السردين المعلب المهروس في الأعلى.
السردين كانت الزيتية ورائحة كريهة. دفع فيلما اللوحة
at Sabiha and said accusingly, ‘*Hatha akl? Hatha khara!*’ –
'هل هذا طعام؟ هذا هراء! بدلًا من الإساءة يا صبيحة
زمجر بالضحك، مكررًا كلمات فيلما مرة أخرى و
مرة أخرى.

كانت أوائل الخمسينيات في إسرائيل فترة تقشف، مع ارتفاع معدلات البطالة،
وجميع أنواع العملات الأجنبية وغيرها من القيود وتقنين الغذاء. تم إصدار
كوبونات للناس

للحصول على الضروريات الأساسية مثل السكر والحليب والزبدة والبيض واللحوم. كان العم جاكوب وعائلته مواطنين، لذا كانوا يحصلون على حصص إعاشة منتظمة. لقد حصلنا على وضع المقيمين المؤقتين، وبالتالي كان يحق لنا الحصول على حصص إعاشة مضاعفة: فقد حصلنا نحن الخمسة على عشرة كتب من الكوبونات. وقد مكننا هذا من تقديم مساهمة متواضعة في رفع معايير الطهي لجميع أفراد الأسرة الممتدة. أتذكر بشكل خاص ألواح الزبدة التي كانت تأتي في غلاف مكتوب عليه أ بأحرف حمراء "زبدة مستوردة من الولايات المتحدة الأمريكية"؛ باعت أمريكا فائض المنتجات الزراعية مثل الزبدة لإسرائيل وتم دفعها بالعملة المحلية، مما ساعد على تعزيز العملة الإسرائيلية وكذلك إنهاء التقنين في نهاية المطاف. وكانت هذه هدية من العم سام إلى الشعب المكافح في الدولة الفتية، وهي علامة مبكرة على المعاملة التفضيلية التي تمنحها الولايات المتحدة لإسرائيل.

وصلنا إلى إسرائيل بجوازات سفر بريطانية، لكن دون خطة واضحة للاستقرار هناك. في ذلك الوقت كان هناك ضغط قوي على جميع المهاجرين، من أوروبا وكذلك الأراضي العربية، ليصبحوا مواطنين في إسرائيل. معظم المهاجرين العراقيين وصلوا إلى إسرائيل بدون جواز سفر، فقط بجواز مرور، وتأشيرة ذهاب فقط. وتم إصدارهم على الفور بشهادة مهاجر وبطاقة هوية. لم يكن هناك اختبار للمواطنة مثل معرفة العبرية أو التربية المدنية الابتدائية؛ وتفتخر إسرائيل بكونها بوتقة تنصهر فيها مهمتها صياغة هوية وطنية جديدة لجميع المهاجرين مهما كان أصلهم.

تم ممارسة الضغط على الوافدين الجدد لتغيير أسمائهم اليهودية من الشتات إلى أسماء عبرية. القادة الصهاينة يضربون المثل. ديفيد جرين من بلونسك في بولندا أصبح ديفيد بن غوريون؛ موشيه شرتوك من روسيا أصبح موشيه شاريت؛ غولدي مايرسون، التي أتت من روسيا عبر أمريكا، أصبحت غولدا مئير؛ و

غولدبيرغ أصبح "هار زهاف" أي جبل الذهب. كان الحصول على الأسماء العبرية
جزءًا من عملية منهجية تهدف إلى محو كل آثار الشتات. وبعد وقت قصير من وصولنا،
استسلم بعض أفراد عائلتي لهذا الضغط. كانت والدتي تدعى مسعودة أو صيدا
باختصار. وفي إسرائيل، وبمحض إرادتها، غيرت اسمها إلى عايدة. ليديا أصبحت
داليا. بقي اسم فيلما دون تغيير: على الرغم من أنه كان اسمًا أجنبيًا، إلا أنه لم
يكن اسمًا عربيًا، وبالتالي يُسمح له بالوقوف. أصبحت إبراهيم بدلاً من
إبراهيم وآفي بدلاً من أبي للاختصار.

رغم أن والدتي غيرت اسمها إلى غير عربي
اسمها، رفضت التقدم بطلب للحصول على جواز سفر إسرائيلي. كان هذا
غير عادي للغاية في السنوات الأولى للدولة. جديد
حصل المهاجرون تلقائيًا على الجنسية الإسرائيلية أو في
وفي بعض الحالات، كانوا يحملون جنسية مزدوجة. وصلت والدتي مع أ
جواز السفر البريطاني ورفض بشدة العرض الإسرائيلي
واحد. وكمسألة سياسية، سهّلت السلطات الأمر
يأتي اليهود ويستقرون في إسرائيل ولكن من الصعب مغادرتها. لي
وصلت الأم إلى إسرائيل كسائح ولكن لأنها كانت كذلك
يهودية، حصلت على بطاقة هوية وحالة أ
مقيم مؤقت. ومن المثير للاهتمام، أنها تحت عنوان "الجنسية".
لم يكن هناك شيء اسمه إسرائيلي – بطاقة الهوية مكتوب عليها "يهودي"
جنسية. لم يستغرق الأمر وقتا طويلا بالنسبة لأمي الأولى
يتبخر التفاؤل وتنتشر خيبة الأمل
فكرت في الذهاب إلى إنجلترا بهدف
يستقر هناك. لاستخدام كلماتها الخاصة، كانت خائفة
لكونها "عالقة" في إسرائيل. وبعد عام أو نحو ذلك، عندما كان والدي
عندما وصلنا إلى إسرائيل، تم تسوية الأمر أخيرًا: لقد تمت تسويته
البقاء.

بقينا مع العم جاكوب لمدة ستة أشهر تقريبًا أثناء البحث عن مكان دائم
للعيش فيه. وتصادف أن نانا كانت تمتلك قطعة أرض في رمات غان. بعد وفاة زوجها
مئير، جدي لأمي، في عام 1945،

احتاجت "نانا" إلى تغيير الجو، فسافرت إلى
زيارة شقيقتها الصغرى غلا في ولاية فلسطين. غلا
عاش في رمات غان، التي كانت موطن العراقيين الأوائل
المهاجرين وكذلك مهاجري "العلية الكبرى" في وقت مبكر
الخمسينيات. وفي الساحة المركزية للمدينة كان هناك عراقي-
مقهى كان يرتاده الأثرياء العراقيون
يتجمعون. وكان أحدهم وكيل عقارات
أقنع نانا بشراء قطعة أرض كاستثمار.
ما لم تكن بعيدة النظر جدًا، فإنها لم تكن تستطيع ذلك في ذلك الوقت
لقد خمنت أنها في يوم من الأيام قد تبني منزلاً على هذا
قطعة أرض. ولكن هذا هو بالضبط ما حدث عندما كنا
وصل إلى إسرائيل.

كانت غلا وزوجها سليم أول أفراد عائلتنا الذين انتقلوا إلى فلسطين. وُلد
طفلاهما الأكبر سناً، رؤوفين وماتوك، في بغداد. الأصغران، شولا وأمنون، ولدا
في إسرائيل. اندمجت العائلة بأكملها جيدًا في المجتمع الإسرائيلي، وكما هو الحال غالبًا
مع المهاجرين الجدد، أصبحوا قوميين متحمسين. كان عمي إسحاق، الابن الأكبر لـ
نانا، نقيبًا في جهاز المخابرات بالجيش البريطاني. كان يقيم في القاهرة أثناء
الحرب العالمية الثانية وقام بزيارات عرضية إلى فلسطين، وكان يسافر بالزي
العسكري. هذا لم يجعله محبوبًا لدى أبناء عمومته المراهقين المتشددين. وفي ظل
انتداب عصبة الأمم، كانت فلسطين خاضعة للحكم البريطاني حتى عام 1948،
وكان مقر المفوض السامي في القدس. وقام رجال الشرطة البريطانيون، المشهورون
بشدتهم، بدوريات في الشوارع، وكان مشهد الجنود البريطانيين مألوفا. لم يكن
بعض اليهود ينظرون إلى بريطانيا على أنها حامية بل كقوة استعمارية، وكان زي الجيش
البريطاني رمزًا للحكم الأجنبي. يتذكر إسحاق أن أولاد غالا كانوا صفيقين
للغاية، وأنهم عانوا من صعوبة خدمته في الجيش البريطاني، وأنهم أكدوا له أنهم
سوف يركلون كل شيء.

البريطانيين خارج مقاطعتهم. بشكل عام، لم يكن أفراد عائلتنا مهتمين جدًا بالسياسة. كانت هذه واحدة من الحالات النادرة التي تتقاطع فيها السياسة مع الولاءات العائلية.

في 1945-1946 كانت الظروف الاقتصادية في فلسطين سيئة وكان هناك نقص في الغذاء. في رحلتها إلى فلسطين، أخذت "نانا" معها سلة كبيرة، تُسمى "شينبيل" باللغة العربية، بها دجاجتين مطبوختين على طبقة من الأرز، وفوقها عشرات البيض البني المسلوق. وعندما أوقفها موظفو الجمارك، قالت باللغة العربية إن ابنها إسحاق كان نقيباً في الجيش البريطاني، ووضعت بفخر ثلاثة أصابع على كتفها للإشارة إلى رتبته. لم يعجبوا. وطالبوا بمعرفة سبب حملها كل هذا الطعام معها. فأجابت بوجه مستقيم أن هذا هو إفطارها. لوحوا لها بالدخول، مازحين قائلين إنه ليس لديهم خيار آخر - إذا رفضوا، فقد تأكلهم في غداءها.

أصبحت قطعة أرض نانا مفيدة عندما وصلنا إلى رمات غان. أثناء إقامتنا مع العم جاكوب، أعطانا أحد المقاولين فكرة بناء منزل صغير على قطعة أرض نانا يحتوي على غرفة واحدة كبيرة ومطبخ وحمام وشرفة. قبلنا عرضه وبدأ بالبناء. ما لم يخبرنا به هو أننا نحتاج أولاً إلى التقدم بطلب للحصول على إذن التخطيط من مجلس المدينة. في مرحلة مبكرة، جاء مفتش من مجلس المدينة وقام بهدم الهيكل غير المكتمل. اصطحب صديق عراقي يدعى ألفريد باشي، وهو محامٍ، عايدة لرؤية رئيس البلدية، السيد أفراهام كرينيتزي، لتقديم شكوى بشأن الهدم. كان كرينيتسي أول رئيس لبلدية رمات غان وبقي في منصبه لمدة ثلاثة وأربعين عامًا. وأوضح أن هيكلنا المتواضع لم يكن استغلالًا جيدًا للمساحة: منزل صغير جدًا على قطعة أرض كبيرة. لكنه في النهاية سمح ببناء المنزل الصغير بشرط أن يكون كذلك

مجرد هيكل مؤقت، ليتم استبداله في نهاية المطاف بمبنى سكني. استأنف البناء العمل في الكوخ الصغير، وعندما أصبح جاهزًا، انتقلنا إليه. لقد كانت ضيقة جدًا، ولم يكن بها سوى غرفة واحدة، كما أنها تقع على مسافة دراماتيكية من الفيلا التي تركناها خلفنا في بغداد. عندما وصل والدي، عادت نانا إلى منزل العم جاكوب لإفساح المجال له. بالمال الذي حصل عليه لشراء منزلنا في بغداد، اشترى والداي شقة من غرفتي نوم في الطابق الرابع من مبنى كبير في 5 شارع ياهالوم، والذي تم تغيير اسمه إلى شارع كرينيتسي بعد مقتل رئيس البلدية في حادث سيارة.

كانت العمة غلا جزءًا مهمًا من شبكة العائلة التي ساعدتنا على الوقوف في البيئة الجديدة وغير المألوفة. كانت امرأة قصيرة القامة وممتلئة الجسم وذات قلب دافئ ووجه مبتسم وأسلوب ودود للغاية. وكانت تتحدث العبرية بطلاقة وبدون الأصوات الحلقية التي ميزت المهاجرين العراقيين الجدد. وعلى الرغم من أنها كانت فترة تقشف وكانوا فقراء نسبيًا، إلا أنها دعتنا لتناول العشاء في منزلها كل ليلة جمعة وقدمت لنا وجبة يهودية عراقية تقليدية مكونة من الدجاج والأرز. كما ساعدتنا أيضًا في ملء النماذج ومعركة البيروقراطية المحلية المشهورة بالتعسف والمحسوبية. هذا الجانب الخاص من الحياة في إسرائيل لم يكن بمثابة صدمة لوالدتي. في العراق، كانت مؤمنة جدًا وممارسًا بارعًا لفن الواسطة، واستخدام العلاقات لإنجاز الأمور. المعادل الإسرائيلي للواسطة هو فيتامين P. P يرمز إلى protektzia، والتي يمكن ترجمتها بشكل فضفاض على أنها معاملة تفضيلية أو ممارسة التأثير من خلال الاتصالات. هنا كانت والدتي سريعة التعلم. كان إقناع رئيس بلدية رمات غان بإلغاء قرار هدم منزلنا بمثابة أول نجاح لها في بيئة جديدة.

أحد الأشياء الأولى التي فعلتها العمة غلا هو العثور على روضة أطفال لي وتسجيل داليا للصف الأول في مدرسة ابتدائية حكومية تسمى ها جيفاه، التل. في روضة الأطفال كان لي أول لقاء لي مع اللغة العبرية. وفي بيتنا ببغداد وفي بيت العم يعقوب كنا نتكلم العربية فقط. يتقن الأطفال في هذا العمر اللغات بسهولة ولم أكن استثناءً. اعتقدت والدتي أنني وضعت لنفسي معايير عالية بشكل غير عادي من الكفاءة اللغوية لطفل يبلغ من العمر أربع سنوات ونصف. ووفقا لها، نادرا ما أتحدث على الإطلاق خلال السنة الأولى لنا في إسرائيل وبدأت الأسرة تقلق علي. فقط بعد أن بدأت الذهاب إلى المدرسة وشعرت بالثقة في قدرتي على التحدث باللغة بشكل صحيح، ورد أني تغلبت على منعي من التحدث باللغة.

في الحضانة، كان هناك مجموعة من الأنشطة المعتادة - الألعاب، الرسم والكتب مع الرسوم التوضيحية والألعاب والغناء و الرقص. كانت هناك أيضًا نزهة كانت الرسوم مقابلها عشرة ليرات. أعطتني والدتي المال لكنني لم أسلمه الأمر إلى المعلم. في نهاية المطاف أرسل المعلم لي الأم مذكرة مع تذكير. التفتت والدتي إلي وسألني لماذا لم أعط المال. أجبت أن الأطفال الآخرون الذين أعطوا المال للمعلم حصلوا عليه فقط إرجاع قطعة من الورق ولم يكن الأمر يستحق ذلك. والدتي وأوضح أن قطعة الورق كانت عبارة عن إيصال؛ عندها فقط هل قمت بتسليم المال.

كانت داليا تصطحبني من الروضة بعد انتهاء يومها الدراسي ونعود إلى المنزل معًا. كان من المطمئن أن يكون لديك أخت كبرى كرفيقة، خاصة وأن الطريق إلى المنزل يتطلب عبور طريق بين المدن مكون من ستة حارات يسمى طريق جابوتنسكي، المعروف باسم هاكفيش ها شاحور، الطريق الأسود، بسبب كثرة المرور. الحوادث المميتة التي حدثت هناك. اسم جابوتنسكي لم يكن يعني لي شيئًا، لكنه كان مميزًا

وبشكل بارز في أعمالي اللاحقة: كان زئيف جابوتنسكي الأب الروحي لليمين الإسرائيلي. لقد كان مهندس استراتيجية متشددة للتعامل مع عرب فلسطين "الجدار الحديدي".

في العام التالي، انتقلت داليا إلى الصف الثاني في مدرسة هجيفاه، ودخلت أنا إلى الصف الأول في نفس المدرسة. وأكدت شهادة صغيرة من روضة الأطفال، بحجم البطاقة البريدية، أنني مؤهل للانتقال إلى مدرسة ابتدائية. أثناء فترات الاستراحة كنت أشاهد داليا وهي تلعب مع زميلاتها في الصف كما كنت ألعب مع زملائي. لقد نظرت إليها لأنها كانت أكبر سناً وأكثر ثقة مني وشعرت بحضورها المطمئن. بعد المدرسة كنا عادة نسير معًا إلى منزلنا الذي كان قريبًا ولم يكن يتطلب عبور طريق جابوتنسكي المخيف. في طريقنا إلى المنزل كنا نشتري أحيانًا قطعًا مكسورة من بسكويتات الوفل بالشوكولاتة باستخدام مصروف جيبنا لأنها كانت أرخص من تلك ذات التغليف المناسب. المزيد من الضجة لأموالنا.

تتكون المدرسة من صف من الهياكل الخشبية المنفصلة والبسيطة، كلها في الطابق الأرضي. ذاكرتي عن التدريس ضبابية جدًا، لكني أتذكر بمودة معلمتي للصف الأول، هانا أوبنهايمر. كانت شابة، ربما تخرجت مباشرة من كلية تدريب المعلمين، جميلة ومتعاطفة للغاية. وجاء في تقريري للفصل الدراسي الأول، الموقع من قبلها، أنه بينما كان سلوكي "جيدًا"، فإن إنجازاتي الأكاديمية كانت "متوسطة" فقط. وكان تقرير الفترة الثانية هو نفسه. سمح لي تقرير الفصل الدراسي الثالث بالانتقال إلى الصف الثاني، لكنه أشار إلى أنني بحاجة إلى إحراز المزيد من التقدم في قراءتي.

وبحلول نهاية السنة الأولى، كنا قد انتقلنا إلى شقتنا الجديدة، وانتقلت أنا وداليا إلى مدرسة حكومية أكبر بكثير تسمى ياهالوم. مرة أخرى، ذكرياتي عن السنوات الأولى في مدرسة ياهالوم غامضة إلى حد ما، ولكن النهاية

تشير التقارير التي نجت من المصطلح إلى أنني كنت أعاني. قد تكون كلمة "الكفاح" خاطئة لأنها تعني بذل جهد من جهتي. في الواقع، لم أبذل أي جهد على الإطلاق: لم أظهر أي اهتمام بأي من المواد التي يتم تدريسها في المدرسة وقمت بتقديم الحد الأدنى من الواجبات المنزلية. في الفصل، لم أهتم كثيراً بما يقوله المعلمون وأمضيت معظم الوقت في أحلام اليقظة. كان لدى المعلمين عادة طرح الأسئلة، وكان من المتوقع منا نحن التلاميذ أن نرفع أيدينا للإجابة. لا أستطيع أن أتذكر مناسبة واحدة رفعت فيها يدي. سواء كان ذلك عن قصد أو عن طريق الصدفة، كنت أجلس دائماً في الجزء الخلفي من الفصل الدراسي، بعيداً عن المعلم، وأهتم بشؤوني الخاصة. لم أكن تخريبياً، بعيداً عن ذلك، ولكنني لم أكن بناءاً أيضاً. هذا الموقف الكئيب والمنعزل لم يجعلني محبوباً لدى المعلمين.

وتشهد جميع تقارير نهاية الفصل الدراسي الموجودة على ضعف الأداء. الفصل الأول من الصف الثاني: واجباتي المنزلية كانت غير كافية، وتقدمي لم يكن مرضياً، وكنت ضعيفاً بشكل خاص في اللغة العبرية والرياضيات، وكنت بحاجة إلى "مساعدة أساسية في جميع المواد". الفصلان الأول والثاني في الصف الثالث: لم أكن أحاول بالقدر الكافي؛ واجباتي المنزلية تتطلب المراقبة؛ وكنت بحاجة إلى زيادة معرفتي وإحراز تقدم في دراستي في جميع المجالات.

وبينما استمر عدم اهتمامي بالواجبات المدرسية، طورت اهتماماً شديداً بقراءة الكتب التي لا علاقة لها بالمدرسة. تتذكر والدتي أنني أصبحت قارئة نهمة لكتب الأطفال وقصص المغامرات: كلما زرنا نانا، كنت أجلس في الحديقة وفي حضني كتاب. قارنت والدتي حبي للقراءة مع عدم اهتمامي الشديد بأداء واجباتي المدرسية أو في أي شيء يتعلق بالمدرسة. كان منزل نانا يشغل زاوية صغيرة فقط من قطعة أرض كبيرة: أما الباقي

كانت تحتوي على رقعة نباتية وبستان من أشجار الفاكهة (البرتقال والليمون المر والرمان والتين والخوخ الأصفر والجوافة الوردية واللوكوات، المعروف أيضًا باسم البرقوق الياباني). لا أذكر شخصيًا أنني كنت أقرأ في الحديقة، لكني أذكر كم استمتعت بالتجول في البستان وتسلق الأشجار والتهام الفاكهة الناضجة، خاصة التين والجوافة.

أحيانًا كنت أذهب لزيارة نانا بمفردي بعد المدرسة.
وكانت دائما سعيدة لرؤيتي. لقد كنت المفضل لها
لأنني كنت صبيا. ولكن، كما هو الحال مع والدتي عندما كانت
عندما كانت نانا طفلة، لم تعطها أي تعبير جسدي
المشاعر مع العناق والقبلات. طريقتها الرئيسية في العرض
كانت المودة عن طريق إغرائي بالطعام. لفظي
كان التواصل بيننا في حده الأدنى: بالكاد تستطيع ذلك
أتكلم أي عبرية وكنت مترددا في التحدث باللغة العربية.
بمجرد وصولي، كانت تجعلني أجلس على طاولة و
أبدأ بتكديس أنواع مختلفة من الطعام على طبقي: المحشو بالجبن
المعجنات وبسكويت الشوكولاتة والكعك والمكسرات والتمر والموز.
بعض الطعام كان قديمًا جدًا وكان الموز كذلك
بني. ذكرتني داليا بأن نانا كانت تخزن الطعام من أجله
فقل لها: هذا لأبي، وهذا لأبي. صغير
وأتساءل أن داليا شعرت أنها لم تحصل على نصيبها العادل.
أهم ما أتذكره هو أن نانا قالت لي: "رائع، رائع!"
اشو مكاتكول؟ "كل، كل!" لماذا لا تأكل؟
كان الجواب، الذي كنت مهذبًا جدًا في النطق به، هو ذلك
الكثير من الطعام الذي حاولت فرضه علي كان أفضل
أيام. لا شك أنني تلقيت معاملة تفضيلية، لكنها كانت كذلك
معاملة تفضيلية كان بإمكاني الاستغناء عنها. ال
أما البستان فكانت قصة مختلفة: لقد كان جنة.

في الصف الخامس كان لدي معلم جديد رفض التسامح مع عدم التزامي. كانت سارة جرينبيرج، إحدى الناجيات من المحرقة، متوترة للغاية وميلودرامية في أسلوبها ولكنها ملتزمة بشدة بالتعليم والتثقيف الفعال.

التواصل. كانت لديها توقعات عالية منا جميعًا و
ربما شعرنا أننا لم ندرك كم كنا محظوظين بذلك
أن تكون قادرًا على عيش حياة طبيعية، خالية من الاضطهاد. هي
أعتقد بالتأكيد أنني فشلت في فهم التعليمية
الفرص التي، كما رأت، قد أتيحت لي
على طبق من فضة. وهذا ما أغضبها، فقالت ذلك.
لم يحضر والدي أبدًا اجتماعات الآباء والمعلمين بسبب ذلك
لغته العبرية لم تكن جيدة بما فيه الكفاية ولكن والدتي كانت حاضرة
دون فشل وأخذهم على محمل الجد.
في هذه الاجتماعات، كانت والدتي تتعرض بانتظام
سلسلة من الشكاوى عني: كنت كسولاً، أ
انطوائي، منعزل، بلغم بدرجة نادرة، وأنا
لم يبذل أي جهد على الإطلاق للمساهمة. النقد
وصلت إلى ذروتها بعلامة تعجب: "هاديشوت".
شيلو ميفوتسيتيت أوتي! - "لامبالاته تجعلني أنفجر!"
لم يُسمح لي أبدًا بالعيش أسفل هذا التعليق. لسنوات
ولعقود قادمة، كانت أمي تكرر ذلك لي،
تقليد صوت السيدة جرينبيرج عالي النبرة و
بطريقة ميلودرامية. التعليق يحمل التكرار
لأنه وصل إلى لب الموضوع - لقد استوعبته
المكانة المتدنية التي اعتقدت أن المجتمع قد خصصها لها
أنا وأنا تصرفت وفقا لذلك. لا تنطبق على أنفسهم
الواجبات المدرسية وعدم الاهتمام بالتفوق من العادات
العديد من الأطفال لديهم. حالتي كانت مختلفة. كونه عراقيا
أعطاني إحساسًا مستمرًا بالغربة، سواء من الداخل
وخارج الفصل الدراسي. فالغربة تولد السلبية
والتردد في لعب دور في أي مسعى جماعي.
أرادت السيدة جرينبيرج أن تجعلني أعيد الصف الخامس،
لكن والدتي أقنعتها بإعطائي فرصة أخرى.
وفي نهاية الصف السادس تكرر نفس السيناريو
نفسها: اعتقدت السيدة جرينبرج أنني يجب أن أكرر العام
وأقنعتها أمي أن تعطيني واحدة أخرى
فرصة.

كانت إحدى الاستراتيجيات التي استخدمتها والدتي هي الوعد بتعيين مدرسين خصوصيين لي لمساعدتي في اللحاق ببقية الفصل. وقد قامت بتعيين مدرسين خصوصيين على الرغم من عدم قدرتنا على تحمل تكاليف ذلك، فقد أنفق والداي مبلغًا لا بأس به من المال على الرسوم الدراسية. كان بعض المعلمين متخصصين في موضوع معين والبعض الآخر لم يكن كذلك. بعضهم جاء إلى منزلنا، والبعض الآخر أخذ الدروس الخصوصية في منازلهم. تم دفع كل منهم بالساعة. إذا جاءوا إلى منزلنا، فسيأخذونني أنا وداليا معًا، مما يسمح لآبائنا بالاستفادة من وفورات الحجم. إذا كان المعلمون يفضلون عقد الدروس في منازلهم، كنت أذهب وحدي. وكان من بين أساتذتنا إسحاق عازوري، وهو خبير اقتصادي، وهو ابن شقيق محاسب والدي في بغداد، الذي علمنا الرياضيات. عزرا، خريج مدرسة ثانوية طويل القامة ومشرق للغاية، علمنا مجموعة من المواد؛ ونيازي، خريج كامبريدج الذي علمنا اللغة الإنجليزية. الثلاثة كانوا من أصل عراقي، وبالتالي قريبون منا في الثقافة والعادات.

على النقيض من ذلك، كان أحد المعلمين أشكنازيًا في جوهره. كانت معلمة شابة تدعى أورا. كانت طويلة، نحيفة مثل أشعل النار، ذات شعر أشقر طويل وعينين زرقاوين. كانت تعيش مع والديها وكنت أذهب إلى شقتهم لتلقي دروس خصوصية في مجموعة من المواضيع. كانت الشقة نظيفة للغاية ومرتبة بذوق مع أثاث من خشب الماهوجني وسجاد حريري وثريات وأرفف كتب مبطنة بالكتب من الأرض إلى السقف. كان أورا لطيف الكلام وحسن الأخلاق. ساد جو من الهدوء والسكينة في الشقة. لقد سمح لي الذهاب إلى هناك بإلقاء نظرة خاطفة على ثقافة أخرى وعالم آخر وعالم كنت أحسده سراً.

من الوصف أعلاه يجب أن يكون واضحًا أنني كصبي صغير في إسرائيل لم أشعر بأنني في بيتي في بيئة أشكنازية. لقد احترمت هذه البيئة، لكنني لم أكن جزءًا منها. لأكون صريحًا، شعرت بأنني في غير مكاني بسبب وجودي

سفاردي، شرقي، يهودي من المشرق، مزراحي. لم يكن مصطلح مزراحي شائع الاستخدام في ذلك الوقت؛ وقد استغرق الأمر عقدين آخرين حتى أصبح هذا الاسم هو التسمية الرئيسية لجميع المهاجرين من العالم العربي، بما في ذلك شمال أفريقيا. كان المصطلح الأكثر استخداماً في ذلك الوقت هو yots'ei edot ha-mizrah، أحفاد المجتمعات الشرقية، وmizrah هي الكلمة العبرية للشرق. هكذا وصفني المجتمع الإسرائيلي، والأهم من ذلك، هكذا كنت أرى نفسي.

في بعض الأحيان، يهيمن جانب واحد من هوية الفرد على جميع الجوانب الأخرى ويطغى عليها. في حالتي، كوني عراقيًا كان هو الشعور السائد، الدائم الحضور، والمقيد، وحتى الخانق لذاتي. طوال فترة إقامتي في إسرائيل، كنت أحمل شريحة على كتفي لأنني عراقي. لم أتعرض للتمييز المباشر ولم أواجه عنصرية علنية إلا في حالات نادرة. لكنني لم أتمكن من التخلص من الشعور الذاتي بأنني لم أكن جيداً مثل الأطفال الأشكناز في صفي. كان هذا الشعور عائقًا أمام تحقيق إمكاناتي. لم تُحدِث المعاملة التفضيلية التي تلقيتها في المنزل بسبب جنسي أي فرق. وكنت أشعر بالخجل بشكل خاص من التحدث باللغة العربية في الأماكن العامة، لأن اللغة العربية في إسرائيل كانت تعتبر لغة قبيحة، ولغة بدائية، والأسوأ من ذلك كله، لغة العدو. دون وعي، استوعبت هذه التحيزات الفظيعة. وهذا يساعد على تفسير السبب الذي جعلني، في عامي الأول في إسرائيل، بالكاد أتحدث على الإطلاق حتى تمكنت من التحدث بالعبرية بشكل صحيح. وهذا يفسر بالتأكيد سبب شعوري بالحرج الشديد عندما تحدث معي والدي باللغة العربية

أمام أصدقائي.

أما والدتي فلم تحرجني بهذه الطريقة لأنها كانت تحرص على عدم مخاطبتي باللغة العربية خارج منزلنا. ربما تكون قد شعرت أيضًا أن وعيي الذاتي كعراقي يعيقني

الدراسة في المدرسة. ذات مرة، بعد اجتماع مع السيدة جرينبيرج، وبعد سماع سلسلة الشكاوى المعتادة، حاولت الوصول إلى السبب وراء عدم تحسن أدائي في المدرسة. نظرت في عيني وسألتني مباشرة: هل تشعر بالنقص لأنك عراقي؟ شعرت بعدم الارتياح الشديد، ونظرت بعيدًا وتمنيت لو أنها لم تسألني هذا السؤال. ردًا على ذلك، قمت ببعض الأصوات غير الواضحة، ورفضت هذه الفكرة تمامًا. لكن في أعماقي كنت أعرف أن هذا صحيح: لم أكن مرتاحًا لأنني كنت عراقيًا وأردت فقط أن أترك في سلام دون أن يحتني الكبار على نفسي أو يتطفلون عليها.

الشخص الوحيد الذي لم أجده متطفلاً كان طبيبًا ومن المفارقات أن نفسيًا. لا بد أن المدرسة أحالتني إليه لأنهم كانوا قلقين علي، لكن لم يخبرني أحد بالطبيعة الدقيقة لاهتمامهم أو الغرض من الإحالة. في تلك الأيام لم يكن هناك مستشارون مدرسيون مسؤولون حصريًا عن التعامل مع الصحة العقلية للتلاميذ. إذا أساء الطفل التصرف باستمرار في الفصل، يتم إرساله لرؤية مدير المدرسة أو نائبه. وكان الغرض من التعيين هو العقاب والتحذير، وليس تقديم الدعم النفسي. وكان من النادر إحالة التلميذ إلى خبير من خارج المدرسة ولكن هذا ما حدث معي. في أحد الأيام، عندما كنت في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمري، أبلغني مدرس النموذج بموعد تم تحديده لي في عيادة لا أتذكر اسمها. كنت قلقة بعض الشيء، فحضرت إلى العيادة في الوقت المحدد. كان الطبيب النفسي الذي قابلني رجلاً في منتصف العمر يرتدي بدلة وربطة عنق، وكان ينضح باللطف والتعاطف. لقد سألني العديد من الأسئلة وحصل على إجابات صادقة. كما دعاني للعب الشطرنج معه. وفي نهاية الساعة شكرني على وقتي وعدت إلى المدرسة. لا شك أن الطبيب النفسي قدم تقريرًا إلى المدرسة بعد ذلك

الجلسة، ولكن لم أسمع كلمة أخرى حول هذا الموضوع. من جهتي، كنت سأكون سعيدًا بالعودة إلى العيادة، لأنني أقدر تصرفات الطبيب النفسي الحميدة وكذلك أسلوبه الهادئ والمهذب.

استمرت الحياة في المنزل كالمعتاد مع القليل جدًا
الإثارة وعمليا لا يوجد أي تحفيز فكري. ملكنا
وتضاءلت الظروف المادية كثيرا مقارنة
مع بغداد ولكن ذلك لم يزعجني. الشقة نحن
اشترى كان متواضعا جدا، مع المرافق الأساسية ولا
الكماليات. كان به قاعة مدخل وغرفة جلوس واثنين
غرف نوم ومطبخ ومرحاض وحمامين جدا
شرفات صغيرة. في القاعة كان هناك طاولة حيث كان لدينا
وجبات عائلتنا. في غرفة الجلوس كان هناك كبير
سجادة فارسية على الأرض، سرير مغطى بسجادة أخرى
والوسائد التي كانت بمثابة أريكة، وبعض الكراسي، كبيرة
مشغل راديو / تسجيل وطاولة طعام وكراسي أكثر ذكاءً
حيث قمنا أنا وداليا بواجباتنا المدرسية وكان لدينا خصوصيتنا الخاصة
الدروس. غرفة نوم واحدة مملوكة لوالدينا: كان بها
سرير مزدوج وخزانة ملابس قديمة الطراز ومنقولة
غسالة بثلاثة أرجل على عجلات تعيش في
ركن. وكان لا بد من مشاركة أخواتي في غرفة النوم الأخرى
وأنا مع جدتنا لأبنا لولو "يوما".
لم يكن هناك سوى مساحة لخزانة واحدة وثلاثة معدنية
سرير في الغرفة. كان السرير الرابع منخفضًا وعلى عجلات
يمكن الاحتفاظ بها تحت أحد الأسرّة الأخرى وإخراجها
في منتصف الغرفة ليلاً. لم يكن هناك
أرفف الكتب في المنزل ولا كتب باستثناء
الكتب المدرسية وكتب الأطفال.

كانت يوما في أواخر الستينيات أو أوائل السبعينيات من عمرها عندما انضمت إلينا في إسرائيل. لقد انتقلت من العراق إلى إسرائيل مع ابنها الأوسط عزرا وعائلته في "العالية الكبرى" وعاشت معهم في المعبرة حتى انضم إلينا والدي واشترينا شقة في رمات غان. كان يوما خفيفا وضعيفا

امرأة ذات شعر أبيض طويل جدًا، مربوطة في كعكة. كان الانتقال إلى إسرائيل بمثابة انفصال مؤلم عن منزلها. وفي العراق كان لديها شبكة واسعة من العائلة والأصدقاء. وفي إسرائيل كانت معزولة تماماً تقريباً. كانت أمية وغير قادرة على التحدث بالعبرية، ونادرا ما غادرت الشقة. مثل جدتنا الأخرى، كانت تفتقد البلد القديم بشدة، والذي كانت تمجده بانتظام بجنة مال الله. وعلى الرغم من أنني لم أكن على علم بذلك في ذلك الوقت، إلا أن يوما أصبح يمشي أثناء النوم بعد انتقاله إلى إسرائيل. وفي ثلاث أو أربع مناسبات، خرجت إلى الشارع مرتدية ثوب نومها، وكان على والدي أن يذهبا للبحث عنها. أنا وأخواتي أحببت صحبتها. كان لديها مخزن من الحكايات الشعبية العربية التي استمتعت بسردها ولم نكل من سماعها. ولم تكن اللغة العربية، القادمة منها في أمان بيتنا، لغة العدو بل لغتنا الخاصة.

أعجبتني بشكل خاص قصة رابونزيل، الأميرة التي كانت محبوسة في برج وأنزلت شعرها حتى يتمكن أميرها من الصعود. في الحكاية الشعبية العربية، كانت رابونزيل تسمى أنكا بنت الريح - "أنكا، ابنة الريح". مثل العديد من العراقيين من جيلها، كانت يوما تؤمن بالخرافات. على سبيل المثال، كانت تؤمن بالعين الشريرة. عندما كان لدينا سمك في المنزل، كانت تقتلع أعينهم، وتغلفهم بالصحيفة، وتطلب مني أن أدوس عليهم وأردد خلفها: "نفقصت عين الرع!" - سحق العين الشريرة! كانت يوما تقضي ساعات في تكسير بذور عباد الشمس: كانت تضع الحبات في ثلاث حزم صغيرة متساوية وتعطيها لكل واحد منا على حدة، وتقول لنا "هاي هيستاك، هذا هو نصيبك". في بعض الأحيان كان هناك فشل في التواصل بسبب عدم قدرتنا على تقدير الفروق الدقيقة في اللغة العربية. ذات مرة، طلبت مني يوما، وهي تجلس على مقعد منخفض على أرضية المطبخ، أن أعطيها ما فهمت أنه حبتان من العنب، ففعلت ما طلبته. وفي اللغة العربية هناك الثنائي الذي استخدمته

لتقديم طلبها. لقد انتقدتني على الفور لأنني أخذتها - inbaytain
حرفيًا وأعطتها حبتين فقط من العنب.

كان تقسيم العمل هو أن تقوم والدتي بالتسوق بينما تقوم يوما بالطهي. قام يوما بإعداد الطعام على لوح تقطيع سميك وطهيه على موقد الكيروسين. من خلال هذه المرافق البدائية، أنتجت أشهى الوجبات: كان الدجاج والأرز مع البازلاء أو الفاصوليا هو النظام الغذائي الأساسي، لكن ذخيرتها تضمنت كرات اللحم في صلصة الطماطم، ولحم الضأن والباذنجان، والخضروات المحشوة، وكروكيت البطاطس مع اللحم المفروم المقلي، والأطباق الحلوة والحامضة. وكانت الوجبة الرئيسية في اليوم هي الغداء. كانت يوما، على عكس أفراد الأسرة المقربين الآخرين، يهودية ملتزمة، لذلك لم تطبخ في يوم السبت، يوم الراحة. وبدلا من ذلك، اعتادت تحضير الطبق اليهودي التقليدي المكون من الدجاج والأرز والذي يسمى "البنجر"، ووضعه على نار خفيفة للغاية ليطهى طوال الليل في وعاء كبير. فوق الدجاج والأرز، وضع يوما بيضًا كان قد تحول في الصباح إلى اللون البني من الخارج وأصبح طريًا من الداخل. كان البيض هو الأساس لوجبة الإفطار الخاصة يوم السبت. يتكون هذا، بالإضافة إلى البيض البني، من شرائح الباذنجان المقلي والبصل المبشور والبقدونس والسلطة المفرومة جيدًا والحمص والمايونيز ومخلل المانجو الحار جدًا الذي يسمى أمبا. تم هرس جميع المكونات معًا وتناولها مع خبز مسطح ومستدير. في المطاعم، يتم تقديم هذا الخليط في خبز البيتا، مثل الفلافل، ويسمى الصبيح.

كنا نحصل على الحليب الطازج الذي تصله إلى شقتنا كل يومين سيدة حليب تعيش بالقرب منا في منزل بسيط مكون من طابق واحد. كان لديها قطعة أرض صغيرة وحظيرة دجاج. في وقت مبكر من كل صباح، قبل حرارة النهار، كانت تنطلق في جولة الحليب في عربة ضيقة يجرها حصان، وهي تحمل ثلاث جرار كبيرة وثقيلة. لتوصيل الحليب إلى عملائها في بنايتنا، كان لديها حاوية

كانت تحمل على ظهرها إبريقًا من الألومنيوم كانت تقيسه وتسكب منه ما كان
على الأرجح لترًا أو لترًا ونصف من الحليب. في بعض الأحيان، كانت يوما
تعطي الحلابة قطعًا من الخبز المتبقي لإطعام دجاجها. بالنسبة ليوما، كما هو
الحال بالنسبة لغيره من البسطاء في العالم العربي، كان الخبز رمزًا للحياة، وهي إحدى
الكلمات العربية العديدة التي تعني الخبز، والأكثر شيوعًا في مصر هي "إيش"،
والتي تعني حرفيًا الحياة. يوما لم يرمي الخبز أبدا. إذا أسقطت هي أو أي شخص
آخر قطعة خبز على الأرض، كانت تلتقطها وتقبلها، وتنقر بها على جبهتها
كدليل على الاحترام. لم تتمكن يوما وبائعة الحليب من التواصل لأن يوما لم
تكن تتحدث العبرية، لكنهما لم يحتاجا إلى كلمات لإجراء المعاملة الأساسية:
تسليم الحليب وجمع الخبز القديم. وحتى بدون وجود لغة مشتركة، بدا أن
المرأتين تحبان بعضهما البعض. في بعض الأحيان، تم استدعائي أنا وأخواتي
للعمل كمترجمين فوريين.

لا أستطيع أن أتذكر بالضبط متى ماتت يوما لكنني كنت كذلك
ربما حوالي عشر سنوات. وفي أحد الأيام عدت من
المدرسة واصطدمت بفيلما في أسفل الدرج.
لقد قالت لي كلمتين فقط بالعبرية: "يوما ميتا" -
ماتت يوما. أتذكر بوضوح المكان المحدد و
التعبير على وجه فيلما - فارغ ظاهريًا ولكنه معبر
شعور بالفخر لأنها، الأصغر، لديها بعض الشيء
أخبار بالغة الأهمية لمشاركتها مع أخيها الأكبر. أنا أيضاً
تذكر أنني لم أقم بأي رد من أي نوع: كنت كذلك
أكافح في ذهني لمعالجة ما كان لدي للتو
سمع. لم أكن في حالة ذهول. أنا فقط لا أعرف ماذا
يفكر. كان هذا أول لقاء لي مع الموت. لم يكن كذلك
مخيفة بقدر ما هي غريبة ومربكة. أخواتي
ولم أذهب إلى الجنازة. تصرف آباؤنا كما لو
لم يحدث شيء، مما لا شك فيه لتقليل آلامنا.
سواء كانت على صواب أم على خطأ، فإن محاولتهم لحمايتنا من

كان الحزن الطبيعي لفقدان الجد ناجحًا إلى حد كبير. وفي أحد الأيام اختفى يوما، واستمرت الحياة كالمعتاد.

عندما كانت يوما على قيد الحياة، كانت والدتي تقوم بالتسوق، وبعد وفاة يوما، قامت بالطهي أيضًا. وسرعان ما برزت كطاهية ممتازة في حد ذاتها. لم تكن هناك محلات السوبر ماركت في تلك الأيام. لقد قمنا بالجزء الأكبر من التسوق في متجرين. كان أحدهما محل بقالة مملوكًا لوالدي صديق لنا يُدعى روحاما. لقد تشاجرت معهم داليا بسبب أمر تافه ورفضت أن تطأ متجرهم، لذلك كان من واجبي القيام بالتسوق الإضافي الذي نحتاجه بالإضافة إلى مشتريات والدتي بالجملة. جميع مشترياتنا كانت عن طريق الائتمان. كان لدى والدا روحاما دفتر تدريبات أسود وسجلا فيه تاريخ وإجمالي كل مشترياتنا. لم تكن لدينا ميزانية ولا حصص مفروضة على أنفسنا، لذا تزايدت ديوننا لهم بسرعة كبيرة. وفي نهاية كل شهر كنا نستقر. وبعد نفاد أموالنا، أصبح من الصعب على نحو متزايد دفع فواتيرنا، لذا لجأت والدتي إلى والدتها لإنقاذها. كانت "نانا" ميسورة الحال ولكن قبضتها مشدودة، لذلك كان لا بد من ممارسة قدر معين من الضغط. لم تكن والدتي تعلو على أمرها لتوضح لـ نانا أنها أجبرتها على الزواج رغماً عنها، وأنها يجب أن تتحمل مسؤولية العواقب. عادة ما فعلت الحيلة. في إحدى المناسبات، عندما ضغط والدا روحاما من أجل الدفع ورفضت نانا المساعدة، قاموا بقطع تسهيلاتنا الائتمانية. لقد باعت والدتي، التي كانت واسعة الحيلة، عملة ذهبية لصائغ، وقامت بتسوية الديون وأعادت فتح خط الائتمان. لم نشعر بالجوع أبدًا. لكن تجربة التقشف تركتني مع بقايا من القلق الذي، بعد مرور سبعين عاما، لا يزال يجد تعبيره في الميل إلى الإفراط في التسوق.

وكان المصدر الرئيسي الآخر للإمدادات هو متجر الفواكه والخضروات. غالبًا ما كنت أذهب إلى كلا المتجرين مع والدتي

لمساعدتها في حمل الحمولة الثقيلة إلى المنزل، وتنتهي بأربع مجموعات من السلالم. كان بائع الخضار رجلاً قصير القامة وممتلئ الجسم من أوروبا الشرقية ويتحدث اللغة اليديشية مع عملائه الأشكناز. في الربيع والصيف، كان يرتدي السراويل القصيرة والقمصان قصيرة الأكمام. التقطت والدتي بعضًا من اللغة اليديشية واستمتعت بتقديم طلباتها وإعطاء الكميات المطلوبة باللغة اليديشية. بدا أن هذا يسلي بائع الخضار، لكنه بالتأكيد لم يسليني. كان سبب انزعاجي هو أن بائع الخضار كان يحمل رقمًا على ذراعه مكتوبًا بالحبر الأزرق الذي لا يمحى، وهو علامة تشير إلى أحد الناجين من المحرقة، كما تعلمت في المدرسة. في مرحلة ما، أدركت أن النقش نشأ في معسكر اعتقال نازي وعرفت أنه يمثل رقم هوية ولكن الحقيقة وراءه كانت لا تزال خارج نطاق فهمي. وعلى مستوى آخر، كنت مترددًا في مواجهة الحقيقة المروعة وراء هذا الرقم. في كل مرة كنت أرى الرقم، كانت تثير أفكارًا مظلمة حول القسوة والبهيمية، حول أعماق الانحطاط التي لا تصدق التي يمكن أن ينحدر إليها البشر. كانت هذه أفكارًا غير مكتملة ومرعبة ومؤلمة ولم أشاركها مع أحد.

لم يكن لدينا الكثير من الزوار لشقتنا. وكان أحدهم عمي شاك، الأخ الأصغر لأبي. كان يُدعى شاك العامي، أي شاك الأعمى، لأنه كان يمتلك عيونًا صغيرة جدًا. كان يعتبر بشكل عام بطيئًا بعض الشيء. وفي العراق لم يكن ناجحاً مثل والدي. وربما كان والدي يخجل منه. ولم يتزوج شاك قط، وعاش بمفرده في بيتح تكفا وعمل كعامل بناء. وكان يزورنا بين الحين والآخر على الرغم من أن علاقاته مع أخيه الأكبر كانت متوترة بعض الشيء. كانت والدتي ترحب دائمًا بشاك عندما يأتي إلى منزلنا، لكنها كانت متحفظة إلى حد ما بينما كان هو، من جانبه، يخاطبها دائمًا باسم سيدتي.

الوضع الاجتماعي الذي فصل والدي عن – بدلاً من اسمها الأول، يبدو أن الاختلاف في شاك في بغداد استمر بعد الانتقال إلى إسرائيل. بعد أن يتم تقديم وجبة كبيرة، كان شاك يقضي بعض الوقت معي ومع أخواتي في غرفتنا، ويتحدث معنا بالعبرية.

لقد استمتعنا بصحبة عمنا لأنه كان راويًا جيدًا، لكنه كان ذو شخصية غريبة، ورغم أننا حاولنا جاهدين، لم نتمكن من تمييزه. لقد حصل على تعليم جيد، لكنه لم يوصله إلى أي مكان. ومن الواضح أنه كان خائفًا من أن ننظر إليه بازدراء، فقال لنا مرارًا وتكرارًا: "يجب ألا تعتقدوا أن لديكم عمًا بدائيًا". وكدليل على تعليمه كان يلقي قصيدة باللغة الفرنسية. وبعد مرور ستين عامًا، تمكنت باستخدام محرك بحث من تعقب القصيدة. لقد كانت رواية "Après la Bataille" ("بعد المعركة") لفيكتور هوغو. وهي قصيدة عن الفروسية، كتبها تكريما لوالده جوزيف هوغو، الذي كان جنرالا في جيش نابليون.

الأخ الأوسط لأبي كان يُدعى عزرا. عندما وقع في حب ابنة عمه الأولى هتون، ابنة أخت يوما، وجد نفسه عن غير قصد في وسط ملحمة عائلية من النوع الموصوف في رواية سامي مايكل فيكتوريا. لم توافق يوما على الزواج، واختلفت مع أختها ورفضت بشكل متفاخر حضور حفل الزفاف. يوما، بحسب والدتي، كان يميل إلى الخلاف مع الناس، أحيانا بسبب أمور تافهة. كانت قادرة على اختراع أعذار غريبة، إذا استخدمنا التعبير العربي، "من تحت أقدام الدجاجة". وكان لعزرا وهاتون ولدان، هما إبراهيم وإسحاق. كان إبراهيم في مثل عمري، وإسحاق أصغر منه بسنة. في عام 1950، سافرت العائلة بأكملها إلى إسرائيل مع يوما كجزء من عملية عزرا ونحميا. لقد تلقوا رذاذ الـ دي.دي.تي القياسي عند وصولهم وتم إرسالهم إلى معبرة بالقرب من هرتسليا. بمجرد إخطاره بالاسم

من المعابرة ذهبنا لزيارتهم هناك. ما وجدناه كان مخيمًا صاخبًا ومتهالكًا وفوضويًا للغاية للاجئين، حيث كان أقاربنا يقيمون في كوخ من الحديد المموج. لقد قضينا أنا وأبناء عمومتي وقتًا ممتعًا في الجري ولعب الألعاب. كانت السماء تمطر، وكان الطين في كل مكان، وبذلنا قصارى جهدنا لتفادي البرك. مع عشوائية ذكريات الطفولة، أعتقد أنني قمت بقص شعري في المعبرة. وبعد حوالي عام، حصل العم عزرا على وظيفة في مصنع للأسلحة، وانتقلت العائلة إلى منزل متواضع. بقينا على اتصال مع أبناء عمومتنا، وقمنا بزيارتهم أحيانًا في عطلات نهاية الأسبوع.

كما وصلت أخت والدي راجينا إلى إسرائيل في الكبير
عالية من العراق عام 1950 لكنها اتبعت طريقة مختلفة
مسار. وكانت هي وزوجها إلياهو حمامة
أمي. وكان يدير محلاً للمكسرات والبهارات في الحنوني
سوق في بغداد. وقد وصل ثلاثة من أطفالهم
إسرائيل قبلهم: عزرا الذي قُتل في أول حرب عربية-
الحرب الإسرائيلية؛ أبراهام الذي غادر العراق بطريقة غير شرعية معه
زملاء في الحركة السرية الصهيونية؛ وفؤاد الذي
وقام بالرحلة الخطرة من العراق إلى إسرائيل بمفرده
في سن الثانية عشرة. وصل الوالدان إلى إسرائيل مع أطفالهما
ابن اسحق وثلاث بنات رينا وليبين و
جاكلين، في عام 1950. في أوائل عام 1948، قبل الحرب، كان 80 في المائة
في المائة من السكان اليهود يعيشون في المدن الكبرى. في
خلال الحرب وسعت إسرائيل حدودها وطردتها
مئات الآلاف من العرب ورفض السماح لهم بذلك
للعودة إلى منازلهم. كان هناك ضغط قوي من
فوق أن يسكن البلاد كلها و الكثير من الخطابة
حول جعل الصحراء تزدهر. وكانت خطط الحكومة
تم إعدادها لبناء مستوطنات زراعية جماعية في
النقب والمدن التنموية في محيطها
البلاد، وتوطين المهاجرين الجدد من
الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. كانت هذه فكرة جذرية: ل

جعل الناس يستقرون ليس حيث يريدون ولكن حيث أمرتهم الدولة بذلك. قررت مؤسسة الدفاع تحديد موقع المعبروت والمستوطنات الجماعية ومدن التطوير، وكان المبدأ التوجيهي هو إعادة توزيع السكان من المدن الكبرى إلى بقية أنحاء البلاد.

وبعد إقامة قصيرة في المعابرة، تم إرسال عائلة حمامة، دون أن يكون لها أي رأي في الأمر، إلى موشاف، وهي مستوطنة جماعية في النقب، شمال شرق قطاع غزة، تأسست عام 1950 مع مهاجرين جدد آخرين من العراق. الذي ليس لديه خبرة في الزراعة. وكانت تسمى كوخاف، أي النجمة، مستعينة بالاسم السابق للقرية الفلسطينية التي نزحت منها، كوكبا. في كوخاف حصلت عائلة حمامة على منزلين وقطعة أرض وآلات زراعية ودورة للمبتدئين في الزراعة وتركوا لمواصلة العمل. لقد كان عملاً شاقاً في الحرارة الشديدة، مع عوائد متواضعة. حرفيًا، كان عليهم أن يكسبوا لقمة عيشهم بعرق جبينهم. ومع ذلك، فقد استمروا في القتال لعدة سنوات.

إحدى أسعد ذكريات طفولتي هي الإقامة في كوخاف خلال العطلة الصيفية. كانت العطلات المناسبة تتجاوز إمكانياتنا. على الرغم من أننا نزلنا على أقاربنا دون سابق إنذار، حيث لم يكن لدينا ولا هم هواتف، فقد اتخذوا الترتيبات بسرعة لاستيعابنا، ولم يدخروا أي جهد لجعل إقامتنا مريحة وممتعة قدر الإمكان. كان التناقض بين بيئتنا الحضرية المزدحمة وأسلوب حياتهم الريفي، مع الحقول المفتوحة والهواء النقي والمنتجات الطازجة، ملفتًا للنظر للغاية. وبدلاً من تجربة قسوة المناظر الطبيعية، كانت هذه بالنسبة لي صورة للنعيم الريفي. عرضت أنا وأخواتي مساعدة أبناء عمومتنا الأكبر سنًا في أعمال المزرعة، وقد استجابوا بلطف من خلال إعطائنا بعض المهام السهلة لتجعلنا نشعر بأننا نكسب رزقنا.

لقد كانت بساطة الحياة في المزرعة هي ما كان يجذبنا للغاية، لكن أبناء عمومتنا عاشوا الواقع القاسي.

بعد خمس أو ست سنوات، عندما كانت الأمور لا تزال صعبة، قررت عائلة حمامة حزم أمتعتها والذهاب للعيش في مدينة كبيرة. ولم يكونوا الوحيدين. وجد العديد من العوليم صعوبة في التكيف مع الحياة الجديدة التي تم اختيارها لهم وبدأوا في الانجراف إلى المدن. وقد شكل هذا مشكلة خطيرة للسلطات. ولجأوا إلى تدابير وعقوبات مختلفة لردع الناس عن هجر المناطق المحيطية والانتقال إلى المركز. تم الاحتفاظ بكتب بأسماء الذين غادروا دون إذن وتم إرسال القوائم إلى مكاتب العمل لحرمان الهاربين من العمل والسكن. وطلب من الشرطة إقامة نقاط تفتيش وعدم السماح لهم بالمرور. إن مثل هذه التدابير الصارمة كذبت ادعاء إسرائيل بأنها مجتمع حر يقوم على المساواة.

في حالة الحمامات، تم الخروج من الموشاف بشكل تدريجي ودون الدخول في مشاكل مع السلطات. رينا، الابنة الكبرى، عاشت في تل أبيب. تزوجت من ابن عمها خثوري حمامة الذي أصبح مستوردًا رئيسيًا للأرز إلى إسرائيل. كان هناك العديد من اليهود العراقيين في إسرائيل الذين كان نظامهم الغذائي الأساسي هو الأرز، لذلك ازدهرت أعماله. انتقل يتسحاق وفؤاد، بمساعدة شبكة العائلة، من الموشاف إلى بلدة صغيرة تسمى برديس كاتس وافتتحا متجرًا. ثم انضم إليهم باقي أفراد الأسرة. كانوا يبيعون في متجرهم الحبوب والمكسرات والفواكه المجففة والتوابل. عادت العائلة بأكملها إلى ما كانت عليه في بغداد: أصحاب المتاجر الحضرية.

لم يكن أبراهام حمامة ضمن مشروع الهندسة الاجتماعية الصهيوني الذي كان يهدف إلى تحويل عائلته من أصحاب متاجر إلى مزارعين. وكما ذكرنا سابقًا، كان عضوًا نشطًا في الحركة السرية الصهيونية في بغداد. وبعد وقت قصير من وصوله إلى إسرائيل، وصل هو وتسيبورا

تزوج ووجد عملاً في دائرة الجمارك والضرائب غير المباشرة. أثناء عمله، درس أيضًا للحصول على درجة البكالوريوس في الدراسات العربية والشرق أوسطية في الجامعة العبرية في القدس. واصل دراسته للحصول على درجة الماجستير في دراسات الشرق الأوسط والأدب العربي. وليس من غير المعقول أن يعتقد أن مؤهلاته الأكاديمية ستعزز فرص ترقيته في العمل. لكن الموساد، وكالة الاستخبارات الخارجية الإسرائيلية، كان لديه خطط وظيفية أخرى له: لقد جندوه كجاسوس. وليس من الصعب تخمين سبب إصرارهم على تأمين خدماته: فقد كان يعيش في دولة عربية؛ كان متحدثًا للغة العربية. وكان ضليعاً في تاريخ المنطقة وثقافتها؛ وكان يبدو وكأنه عربي. رفض أبراهام في البداية أساليب الموساد، لكن طريقه إلى الترقية كان مسدودًا وتم استخدام تكتيكات قسرية أخرى حتى استسلم.

منذ تلك اللحظة فصاعدًا، لم يكن إبراهيم موجودًا في إسرائيل إلا نادرًا. كانت قصة الغلاف أنه كان يدرس في باريس. وكانت أنشطته الفعلية مخفية خلف حجاب كثيف من السرية، كما هو الحال مع جميع الجواسيس. القليل الذي أعرفه يأتي من محادثة مع شقيقه الأصغر، الذي واصلنا مناداته بفؤاد على الرغم من أنه غير اسمه إلى هرتزل عند وصوله إلى إسرائيل. وبحسب فؤاد، فإن أول مهمة لأبراهام في الخارج كانت في العراق حيث أمضى سنوات عديدة. وفي مناسبات نادرة التقى أبراهام وتسيبورا سرا في باريس. وفي بقية الوقت كانوا يتواصلون عبر رسائل تمر عبر قنوات الموساد. في أوائل الستينيات، تم إرسال أبراهام إلى القاهرة، ومن المثير للدهشة أنه تمكن من الالتحاق بجامعة الأزهر، المركز الشهير للتعليم الإسلامي وأعرق جامعة في الإسلام السني. وفي عهد ناصر، تمت إضافة مجموعة واسعة من الكليات العلمانية. للدخول، تظاهر أبراهام بأنه طالب ناضج

من العراق. وبحلول الوقت الذي غادر فيه، كان يعرف القرآن قلبًا وقالبًا.

كان من بين زملاء أبراهام في جامعة الأزهر مجموعة من ضباط القوات الجوية المصرية الشباب، وقد أقام علاقات جيدة معهم. ومن خلال الاستماع إلى محادثاتهم، حصل على بعض المعلومات المفيدة حول تدريب الطيارين، وصيانة الطائرات، والروتين الدقيق للقواعد الجوية وإجراءات الطوارئ. ويبدو أن هذه المعلومات كانت لا تقدر بثمن بالنسبة للقوات الجوية الإسرائيلية في التخطيط لهجومها المفاجئ على القواعد الجوية المصرية في 5 يونيو 1967، وهو اليوم الأول من حرب الأيام الستة. أدى هذا الهجوم إلى تدمير معظم القوات الجوية المصرية على الأرض ومنح إسرائيل السيطرة الجوية التي احتفظت بها حتى نهاية القتال. قبل اندلاع الحرب مباشرة، ترك أبراهام منصبه في القاهرة على عجل وعاد إلى منزله. كان يعلم أنه أصبح موضع شك؛ لقد شعر بأن الخناق يضيق وهرب في الوقت المناسب. وبعد هروبه حكمت عليه محكمة عسكرية في القاهرة غيابياً بالإعدام. كان إيلي أمير، الروائي العراقي المولد، أحد أصدقاء أبراهام القلائل. أراد أمير أن يكتب كتابًا عن أبراهام حمامة ومسيرته كجاسوس، لكن الرقيب العسكري أخبره أنه سيتعين عليه الانتظار أربعين عامًا.

ومن الغريب أن والدتي جذبت أيضًا انتباه أحد مكتشفي المواهب في الموساد. ولم يمض وقت طويل بعد وصولنا إلى إسرائيل. تلقت رسالة لم تذكر الموساد بالاسم، بل دعتها ببساطة لإجراء مقابلة في عنوان في تل أبيب دون الإشارة إلى الغرض من الاجتماع. وصلت إلى هذا العنوان في الساعة المحددة واستقبلها رجل طويل القامة، ذو سلطة، يجلس خلف مكتب كبير. كان لدى الرجل معلومات عنها أكثر بكثير من الأساسيات الموجودة في جواز سفرها. لقد كان بخير

تم إبلاغها بمؤهلاتها التعليمية وخلفيتها العائلية وحالتها الاجتماعية وعلاقاتها السياسية قبل وصولها إلى إسرائيل. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى أدركت أن الغرض من الاجتماع هو تقييم مدى ملاءمتها وإقناعها بأن تصبح جاسوسة. أخبرها الرجل أنها مجرد المرأة التي يبحثون عنها: إنها شابة وجميلة، وأنها جاءت من دولة عربية، ولديها جواز سفر بريطاني، وتتحدث أربع لغات، ويمكنها العمل بشكل طبيعي جدًا في بيئة عربية. وأضاف أنها ستقضي وقتًا ممتعًا مع السفر إلى الخارج والسحر والمغامرات. ورفضت والدتي العرض بشيء من الشدة، مشيرة إلى أنها امرأة متزوجة ولديها ثلاثة أطفال صغار تعتني بهم. وأضافت أنها عراقية مئة في المئة وأن العراقيين شرفون، وأن على المرأة العراقية أن تحمي شرف زوجها ولا تحتاج إلى أي مغامرات. وعندما وقفت لتذهب، جاء الرجل من خلف مكتبه الكبير، واحتضنها وحاول تقبيلها. لقد ركلته بقوة، فسقط إلى الخلف ولاحظت أن ساقه خشبية. وهذا يفسر الأصوات المتناثرة التي أحدثها عندما انهار في كومة. لقد هربت، مما حطم بلا شك رغبته في المغامرات الجنسية وأمله في تجنيد إسرائيلية ماتا هاري.

كان ما ذكرته والدتي في هذه الحادثة هو أنه لو حدث ذلك في حقبة لاحقة، لكانت قد اشتكت، وكانت تريد أن ترى المعتدي عليها يذهب إلى السجن. وأعربت عن سرورها الشديد لأنه تم سن القوانين فيما بعد لحماية المرأة من المتحرشين الجنسيين. ولكن في وقتها كان الرجال دائمًا يفلتون من العقاب. كان هناك فرهود - فوضى مع عدم وجود قواعد وأنظمة لمنع إساءة استخدام السلطة. كان من الشائع جدًا أن يسيء الرجال الذين يشغلون مناصب السلطة استخدام سلطتهم من خلال التحرش الجنسي بمرؤوساتهم أو من خلال التماس خدمات جنسية من المتقدمين.

للوظائف. وكررت في يومها بكآبة، النساء لم يشتكين؛ لقد تحملوا الأمر للتو.

وبينما أكتب عن والدتي، عليّ أن أذكر نفسي دائمًا بأنها كانت تبلغ من العمر ستة وعشرين عامًا فقط في عام 1950، وأنه لا يوجد شيء في حياتها السابقة كان يمكن أن يعدها للتجارب والمحن التي كانت تنتظرها في أرض الموعد. لقد صورتها الأساطير التوراتية على أنها أرض تتدفق لبنًا وعسلًا: لكن الواقع مختلف تمامًا. وفجأة، وجدت الشابة نفسها بمفردها في بلد أجنبي وبيئة غريبة، بدون زوج، مع ثلاثة أطفال تحت سن العاشرة ترعاهم، ومستقبل غامض تمامًا. بعد أن عاشت حياة خالية من الهموم، اضطرت فجأة إلى تحمل مسؤوليات ثقيلة. لقد افتقدت أسلوب الحياة الذي كنا نعيشه في بغداد، ومن الغريب أنها افتقدت أيضًا احتفالات عيد الميلاد. وكانت تتم دعوتها وجميع حاملي جوازات السفر البريطانية مرة واحدة في العام لحضور حفل عيد الميلاد الفاخر في السفارة البريطانية في بغداد. لم يكن لدي أدنى فكرة عما يعنيه عيد الميلاد في إسرائيل، كان يوم عيد الميلاد يوم عمل عادي. وكان العديد من الدبلوماسيين الأجانب يقيمون في رمات غان، على بعد مسافة قصيرة من السفارات في تل أبيب. في أحد الأيام، في طريق عودتي من المدرسة، رأيت منظرًا غريبًا في غرفة الجلوس في مقر إقامة دبلوماسي: شجرة بها مصابيح صغيرة وزخارف غريبة. وعندما عدت إلى المنزل وأخبرت والدتي بما رأيته، صرخت قائلة: "إنها شجرة عيد الميلاد!" وانفجر في البكاء.

بعد أن اندفعت والدتي إلى هذا العالم الغريب، تعاملت بشكل جيد مع التحديات الجديدة، لكن الأمر لم يكن سهلاً. ظاهريًا، بدت ثابتة وواثقة من نفسها، بينما في الواقع، كما كشفت لي لاحقًا، كانت مكتئبة ومتأرجحة على وشك الانهيار العصبي. جاء صديقان لمساعدتها في ساعة عملها

الحاجة: مئير وسلمى ديفيد. كان الدكتور مئير، كما كنا نناديه دائمًا، قريبًا بعيدًا وطبيب الأسرة. تلقى تعليمه الطبي في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم في لندن. وفي لندن التقى بسلمى، الابنة اللطيفة والجميلة لليهود الألمان الذين هاجروا إلى فلسطين، وتزوجها وأعادها إلى بغداد حيث كان يمارس الطب. لقد عالج الدكتور مئير أربعة أجيال من عائلتي: أجدادي، وأجدادي، ووالداي، وأخواتي وأنا. بدأت سلمى بتعليم والدتي اللغة العبرية في بغداد استعدادًا للانتقال إلى إسرائيل، وفي إسرائيل، واصلت سلمى وزوجها الاعتناء بها جيدًا، حيث أخذوها معهم إلى الشاطئ والنزهات والحفلات مع أصدقائهم.

عندما وصل والدي إلى إسرائيل، سرعان ما تلاشت الراحة الأولية وفرحة لم الشمل في مواجهة الصعوبات في التكيف مع منزله الجديد، وهي صعوبات كانت أكبر بما لا يقاس من تلك التي واجهتها والدتي. كان يبلغ من العمر خمسين عامًا، ولم يكن يتحدث العبرية، وفقد عمله وكان مشوشًا إلى حد كبير. لاحظت والدتي أنه تقدم في السن بشكل كبير خلال الرحلة الطويلة والشاقة من بغداد إلى رمات غان. بعد وقت قصير من اللقاء السعيد، بدأوا في الابتعاد عن بعضهم البعض والتحرك في دوائر اجتماعية مختلفة. كان لديها دائرتها الخاصة من العراقيين من الطبقة العليا الذين كانت تلعب معهم الورق كل ليلة جمعة بينما كان لديه دائرة أصغر من الرجال العراقيين ذوي التفكير المماثل والذين لم يحالفهم الحظ أيضًا. وكانوا يجتمعون في مقهى في الهواء الطلق، ويقضون وقتًا بعيدًا، يحتسون القهوة التركية ويدخنون ويدردشون.

كان من الشائع بين الرجال في منتصف العمر في دائرة والدي أن يتباهوا بأمجادهم الماضية، بثروتهم ومكانتهم الاجتماعية في العراق. مثل عربي يشبه هذا النوع من الرجل بالجمل: إذا جاع يربى

الطعام من داخل سنامه. كان والدي مختلفا. لم يتحدث أبدًا عن الماضي، على الأقل ليس في حضوري. كما أنه لم ينغمس في الشفقة على نفسه. بل على العكس من ذلك، كان فخوراً ورزيناً وصامتاً. وواصل ارتداء ملابسه كما كان يفعل دائمًا: ببدلات من ثلاث قطع صنعها خصيصًا في بغداد من أقمشة بريطانية فاخرة، مع قميص أبيض وربطة عنق متطابقة. لكن في أعماقه، كان رجلاً مكسورًا. لقد كان في غير مكانه تمامًا في البيئة الجديدة، ولم يكن قادرًا على التكيف. على الرغم من صغر سني، كنت أدرك جيدًا المأساة التي كانت تتكشف أمام عيني. شعرت بالتعاطف مع والدي، ممزوجًا بإحساس غير مفهوم بالذنب بسبب التدهور الكبير في حظوظه.

ولمنحه الفضل، بذل والدي جهدًا لكسب لقمة العيش في الأرض الجديدة. شرع في مشروعين تجاريين، لكن كلاهما انتهى بالفشل الذريع. كان المشروع الأول مع رجل يُدعى كابلنسكي، والذي كان محتالًا بكل المقاييس. كان كابلنسكي صاحب مقهى شهير في تل أبيب، مقهى بستان، لكنه كان غارقًا في الديون. التقى به والدي بالصدفة خلال سنته الأولى في إسرائيل. قدم كابلنسكي نفسه على أنه تاجر ثري يحمل تصريحًا باستيراد المواد الغذائية من أمريكا. لقد كانت فترة تقشف ونقص في الغذاء في إسرائيل. قال كابلينسكي إنه يحتاج إلى رأس المال لإنشاء شركة لاستيراد المواد الغذائية ووعد والدي بعوائد عالية على استثماره. جزء من الأموال التي تمكن والدي من إخراجها من العراق تم تسليمه إليه في إسرائيل، وجزء منها كان في عهدة صهره صالح في نيويورك. وسافر كابلنسكي إلى نيويورك على أمل أن يضع يديه على بعض هذه الأموال ليقابل برفض صارم من صالح. أخبر صالح والدي أنه من الواضح أن كابلنسكي كان محتالًا لأنه كان يرتدي حذاءًا بقيمة خمسة دولارات ويدخن سيجارًا بقيمة عشرة دولارات. وعلى الرغم من هذا التحذير، والدي الذي كان هو نفسه

كان صادقًا وموثوقًا بطبيعته، ودخل في شراكة مع كابلينسكي واستثمر مبلغًا كبيرًا من المال. إحدى الأوراق العائلية القليلة التي أملكها هي العقد الذي وقعه والدي مع شركة هيركا للصناعة والتجارة الكائنة في 8 شارع فين في تل أبيب. العقد مكتوب باللغة الإنجليزية، والتي لم يكن والدي يتحدثها، ومؤرخ في 21 أكتوبر 1951، وينص العقد على أن الشركة ستقوم باستيراد الطرود الغذائية الفردية من شركة رالان التجارية في نيويورك وأن الأرباح سيتم تقسيمها بنسبة 40:60 لصالح السيد جوزيف شلايم. كانت الدفعة الأولى تتكون من ثلاثمائة طرد من السكر وصلصة التفاح ومعكرونة الدجاج. لكن الشركاء اختلفوا قبل وصول أي طرود غذائية وخسر والدي كل الأموال التي استثمرها.

المشروع التجاري الثاني كان مع روبن نصر الله، أحد معارفه من بغداد والذي أصبح صديقا في إسرائيل. كانت لديه فكرة فتح متجر بيع بالجملة ودخل والدي في شراكة معه. استأجروا محلاً كبيراً في تل أبيب في شارع تتركز فيه متاجر الجملة. وكان عملاؤهم من أصحاب متاجر التجزئة العراقيين الذين كان معظم عملائهم من اليهود العراقيين. تم عرض مجموعة كبيرة من العناصر في المتجر: السكر والأرز والعدس والشاي والقهوة والشوكولاتة والحلاوة الطحينية والمكسرات والفواكه المجففة والتوابل وجميع أنواع الحلويات الشرق أوسطية. عندما كنت طفلاً صغيراً، تأثرت بحجم الأشياء مقارنة بمحل بقالة عادي. كانت هناك أكياس طعام في خطين مستقيمين على الأرض، وألواح كبيرة من الحلاوة الطحينية وكميات كبيرة من كل شيء. ازدهر العمل وكان الشركاء على ما يرام: كان روبن هو المشتري وقام بالمهمة الثقيلة؛ كان والدي أمين الصندوق والمحاسب. لقد كانت بداية واعدة في ما كان من الواضح أنه سوق متوسع.

واستمر العمل في الازدهار لبضع سنوات، ثم وقعت الكارثة: أصيب والدي بنوبة قلبية. نقلته سيارة إسعاف إلى المستشفى في تل هشومير حيث مكث لمدة أسبوعين. كان هذا مستشفى كوبات خوليم للخدمات الصحية الوطنية، وكان مجانيًا، لكننا لم ننضم إلى الخدمة الصحية الوطنية لأنه كان لدينا الدكتور مائير كطبيب الأسرة لدينا وكان يقدم خدماته في إسرائيل مجانًا. ومن تل هشومير تم نقل والدي إلى مستشفى خاص اسمه أسوتا في تل أبيب. هناك تم تشخيص إصابته بالذبحة الصدرية، وهو الألم الناجم عن انخفاض تدفق الدم إلى عضلات القلب. زرته أنا وأخواتي عدة مرات في المستشفى. بالنسبة لي، كانت هذه زيارتي الأولى للمستشفى، وقد أذهلتني النظافة الفائقة والزي الأبيض النشوي للطاقم الطبي وجو الاحتراف الذي ساد المكان. لكن كل هذا لم يكن كافيا لتهدئة قلقي بشأن مصير والدي.

وبعد وقت قصير من عودة والدي إلى المنزل، أصيب بنوبة قلبية ثانية واضطر إلى نقله مرة أخرى إلى المستشفى الخاص. هذه المرة أجرى عملية قلب مفتوح واضطر إلى البقاء لفترة أطول بكثير للمراقبة والتعافي. كان لديه ثقة كاملة بالأطباء، وكان مغرمًا بشكل خاص بالممرضة التي تعتني به واسمها تيلما. وبينما كانت الخدمة ممتازة، كانت التكلفة مذهلة واستنزافًا خطيرًا لمواردنا الضئيلة. بالنسبة لوالدي، كان للنوبتين القلبيتين آثار دائمة: فقد أضعفته جسديًا ونفسيًا، مما أدى إلى تآكل ما تبقى له من ثقته بنفسه القديمة.

وجاءت الكارثة المالية في أعقاب الانتكاسة الطبية. ادعى روبن نصر الله أنه لا يستطيع إدارة العمل مع والدي في حالته الضعيفة وقرر من جانب واحد حل الشراكة. بدون

بعد استشارتنا، وجد شريكًا آخر وعرض عليه حصة والدي في العمل. لقد عرض على والدي 9000 ليرة مقابل حصته على الرغم من أن والدي استثمر 10000 ليرة في تأسيس الشركة، وقد قدم العرض بطريقة مسيئة، على أساس خذها أو اتركها. والدتي، التي شاركت في المفاوضات الحادة، لم يسبق لها أن رأت زوجها غاضبًا إلى هذا الحد لدرجة أنه خلع حذائه وألقاه على روبن.

خرج والدي من المستشفى وخسر عمله في عام 1954. وكان يبلغ من العمر ثلاثة وخمسين عامًا وظل عاطلاً عن العمل حتى وفاته في 3 ديسمبر/كانون الأول 1970. ولم يتم الاعتراف بذلك علنًا ولكنه كان الواقع. لقد حاول والدي التوسط في صفقات الأراضي. كان صديقه العراقي، يعقوب سوفير، وكيل عقارات وله مكتب في الطابق الأرضي من المبنى السكني الذي نسكنه. قضى والدي وقتًا طويلاً هناك، وكذلك في المقهى المفتوح، يتحدث إلى الناس، ويحاول التوفيق بين البائع والمشتري على أمل الحصول على عمولة. لكن كل جهوده ذهبت سدى. تغير سلوكه أيضًا: بدا أكبر سنًا، ومشى أبطأ، وصمت، وانقلب على نفسه.

في أحد أيام الصيف الحارة، ذهبت مع والدي إلى جالي جيل، حرفيًا أمواج الفرح، حمام السباحة في رمات غان. في غرفة تغيير الملابس لم تكن هناك خزائن بها مفاتيح، فقط شماعات معاطف ملحقة بها أكياس قماشية يمكنك ترك ملابسك فيها. كان لدى والدي ساعة ذهبية سويسرية كبيرة مسطحة ذات حزام جلدي، وقد نجت من الرحلة الصعبة من بغداد. وضعه في جيب بنطاله، وطوي البنطال، ووضعه في الحقيبة، وسلم الحقيبة إلى موظف خزانة المعاطف، الذي أعطاه قرصًا به رقم. فعلت نفس الشيء. لقد قضينا وقتًا مريحًا والسباحة والحمامات الشمسية. ثم قمنا بتغيير ملابسنا وبدأنا بالخروج من حمام السباحة عند والدي

لاحظ أنه لم يكن لديه ساعته. عدنا إلى غرفة تغيير الملابس وأخبرنا الموظف أننا فقدنا ساعة، لكنه كان مرتجلًا ومتجاهلًا، مدعيًا أنه لم ير أي ساعة. بدا واضحًا إلى حد ما أن الرجل قد سرقها، لكن والدي لم يتحداه، ولم يحتج، ولم يطلب مقابلة المدير. لقد تمتم للتو، واستدار على كعبيه وابتعد. وفي طريق عودته إلى المنزل كان يبدو منزعجًا بشكل واضح ولكنه متجهم وصامت. شعرت بالأسف الشديد تجاهه ولكني تساءلت أيضًا عن سبب ضعفه الشديد. وخطر لي أنه لم يكن أكثر حزما لأنه شعر بأنه غريب، وأن هذا ليس بلده، وأنه ليس من حقه أن يشتكي أو يرفع صوته. لكنني احتفظت بأفكاري لنفسي وواصلت السير في صمت، تمامًا مثل والدي.

كان لانهيار عمل الأب تداعيات على الوضع المالي لعائلتنا وديناميكيات الأسرة. ومع عدم وصول الأموال، كان علينا أن نعيش على ما تبقى من رأس المال الذي أحضرناه معنا من العراق، والذي تقلص بشكل كبير بسبب فواتير المستشفى. كان من الواضح أن رأس مالنا سينفد عاجلاً أم آجلاً. وبما أن والدي لم يتمكن من العثور على عمل، تعرضت والدتي لضغوط لتتولى مهمة معيل الأسرة. الدكتور مئير دافيد، طبيب الأسرة المخلص لدينا، دخل السياسة المحلية من خلال الانضمام إلى الصهيونيين العامين وانتهى به الأمر كنائب لرئيس بلدية رمات غان. كان هذا حزبًا سياسيًا وسطيًا دافع عن اقتصاد عدم التدخل، وكان من بين مؤيديه العديد من العراقيين من الطبقة المتوسطة. انضمت والدتي إلى الحزب وعملت معهم كمتطوعة. وقد جعلها هذا على اتصال بأعضاء آخرين في الحزب الذين عملوا في دار البلدية. ثم أعطاها الدكتور مئير فكرة التقدم للحصول على عمل مدفوع الأجر.

في عام 1955، بدأت والدتي العمل كموظفة هاتف في دار البلدية. وكان لهذا ميزة يوم عمل قصير

خمس ساعات فقط، ابتداء من الساعة الثامنة صباحا، مقارنة بثماني ساعات للمشاركات الأخرى. وعلى الرغم من أن هذا كان عملاً متواضعًا، إلا أن والدتي كانت فخورة به واستفادت منه إلى أقصى حد. لقد جلبت إلى الوظيفة الجديدة الصبر والمرونة والأخلاق الحميدة والمهارات الاجتماعية من الدرجة البلاتينية والاستعداد للمساعدة. وهذا ما جعلها تحظى بشعبية كبيرة وكسبت أصدقاءها على كل المستويات، بدءًا من العمدة وصولاً إلى الأولاد السعاة. تعرفت خلال عملها على العديد من موظفي دار البلدية وصلاحياتهم ومهامهم ومسؤولياتهم. وقد مكنها ذلك من ممارسة نفوذ وممارسة رعاية لا تتناسب مع موقعها الفعلي. اعتاد أصدقاؤها العراقيون أن يأتوا إليها للمساعدة في جميع أنواع المشاكل المتعلقة بضرائب المجلس، وفواتير الخدمات، وغرامات مواقف السيارات، وأذونات التخطيط، وما إلى ذلك. وكما هتفت امرأة عراقية برهبة: "كلمتك كالسيف!"

إحدى الصديقات المقربات لوالدتي في العمل كانت مريم ياكيم، ابنة رئيس البلدية ورئيسة قسم رعاية الأطفال. وكانت أيضًا رئيسة لجنة التوأمة مع فيلق المظليين التابع لجيش الدفاع الإسرائيلي. كان لدى المدن الكبرى في إسرائيل ترتيبات توأمة مع أحد فروع جيش الدفاع الإسرائيلي وكان توأم رمات غان هو لواء المظليين. دعت السيدة ياكيم والدتي للعمل كعضو في اللجنة. وكانت هذه اللجنة نشطة للغاية في جمع الأموال وتنظيم الفعاليات وإقامة الحفلات للمظليين. أتذكر هذه الحفلات باعتبارها احتفالات ممتعة للغاية، في حديقة منزل العمدة، مع الطعام والشراب الذي كان يعتبر فخمًا بمعايير ذلك الوقت.

من بين جميع الضباط الذين جاءوا إلى هذه الحفلات، برز واحد لأنه كان رجل استعراض. كان اسمه آريل شارون. كان ضابطًا شابًا برتبة مقدم، ممتلئ الجسم، ذو شعر أشقر وعينين زرقاوين ثاقبتين تنضح بالثقة بالنفس. في إحدى النزهات توقفنا عند جسر على طول

نهر الأردن. صرخ علينا جندي أردني من الجانب الآخر من الجسر بشيء ما. وصاح شارون بالعربية: "أوسكوت يا أسود!" اصمت أيها الأسود! من الواضح أن والدتي تأثرت بهذه الطريقة الإسرائيلية الرجولية في معاملة العرب لأنها استمرت في تكرار الكلمات المسيئة بعد ذلك. وأصبح شارون لواء، وزعيماً لحزب الليكود اليميني، وفي نهاية المطاف رئيساً للوزراء. لقد كان متورطا في الجدل طوال حياته المهنية بسبب كذبه ووحشيته تجاه المدنيين العرب. باعتباري دارساً للصراع العربي الإسرائيلي، كنت سأصدر حكماً شديد القسوة على شارون، ولكن عندما كنت مراهقاً كان لدي انطباع أكثر دفئاً عنه. وبعد فترة طويلة، فكرت في المفارقة المتمثلة في أنه حتى مجرمي الحرب يمكن أن يكونوا صحبة ممتعة تماماً.

عندما بلغت الثالثة عشرة من عمري، حصلت على بار ميتزفه. وفقا للقانون اليهودي، في سن الثالثة عشرة، يصبح الأولاد أعضاء كاملي العضوية في المجتمع، وبالتالي، مسؤولين عن أفعالهم. ويجب عليهم صيام يوم الكفارة، ويجوز أن يُحسبوا ضمن منيان، وهو نصاب صلاة لا يقل عن عشرة رجال. يتكون بار ميتزفه من طقوس دينية واحتفالات علمانية. كان والدي يعتني بالأولى وأمي الثانية. أعطاني والدي العناصر الأساسية الثلاثة التي يتم ارتداؤها أثناء الصلاة اليهودية: الكيبا أو القلنسوة؛ طليت أو شال صلاة؛ والتيفيلين أو الفصيلة. يتكون تيفيلين من صندوقين من الجلد الأسود وأشرطة لتثبيتهما على الذراع اليسرى وعلى خط الشعر على الجبهة. كنا عائلة علمانية وليست يهودية أرثوذكسية ولم أكن متديناً على الإطلاق، لذلك اخترت أن أبقي هذا الجانب من مرحلة البلوغ عند الحد الأدنى. تدربت على ارتداء التيفيلين وذهبت إلى الكنيس السرفاردي مع والدي يوم السبت بعد عيد ميلادي الثالث عشر، ولكن بدلاً من الصعود إلى المنصة لقراءة جزء من الشريعة (التوراة)،

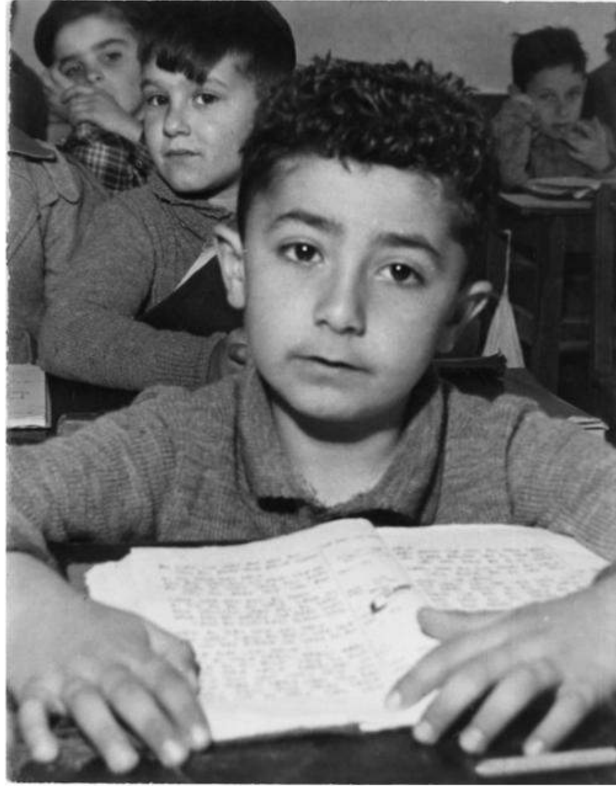
لم أتلو البركة إلا بعد قراءة الحاخام والكبار.

لقد دفعت والدتي القارب للخارج حقًا عندما يتعلق الأمر بالاحتفالات. يتضمن بار ميتزفه عادةً حفلًا سعيدًا ميتزفه، وهو وجبة احتفالية للعائلة والأصدقاء. استأجرت والدتي قاعة ودعت جميع أقاربنا وأصدقائنا. نظرًا لكونها واعية بمكانتها، ناهيك عن كونها متعجرفة، فقد قامت بترتيب طاولة علوية للضيوف المميزين. ومن بين هؤلاء رئيس البلدية أفراهام كرينيتسي، وابنته مريم ياكيم، والدكتور مئير ديفيد، وشالوم زيزمان، زعيم آخر لحزب الصهيونيين العامين ونائب رئيس البلدية. على الرغم من أنه كان وقت التقشف، كان هناك الكثير من الطعام في الحفل: خبز البيتا المليء بالدجاج والسلطات والحمص والطحينة والمعجنات المليئة بلحم الضأن والحلويات والفواكه الشرق أوسطية. وكان هناك أيضًا مجموعة من المشروبات الروحية والمشروبات الغازية. ترأست والدتي بثقة بالنفس. كان شقيقها إسحاق قد أرسل لها فستانًا مخمليًا أخضر اللون من إنجلترا. وارتدته مع حزام من الشيفون الأحمر. وبحسب ما ورد قال السيد كرينيتزي لابنته "أنظري إلى عايدة، كم هي جميلة!" لم تتعب والدتي أبدًا من تكرار هذه الملاحظة حتى في التسعينات من عمرها.

الهدية المثيرة للغاية التي تلقيتها في حفل بار ميتزفه كانت عبارة عن دراجة من طراز رالي أرسلها لي عمي إسحاق من إنجلترا. لقد جاءت في صندوق خشبي، وما زلت أتذكر التشويق الناتج عن فتح الألواح الخشبية واكتشاف دراجة جديدة لامعة. بعد سنوات عديدة، أخبرني العم إسحاق أنه لم يدفع فلسا واحدا لهذه الهدية الأميرية. طلب منه صديق يهودي ثري، بقي في العراق بعد النزوح الجماعي عام 1950، شراء دراجتين إنجليزيتين فاخرتين لأبنائه المراهقين. كان إسحاق قد ذهب إلى متجر واشترى ثلاث دراجات متطابقة، اثنتان لصديقه العراقي وواحدة لي، وتم تزوير الفاتورة حتى انتهى الصديق بدفع ثمن الدراجات الثلاث. لم يكن لدي أي فكرة في ذلك الوقت عن الأصول الغامضة للهدية، و،

لو كنت أعرف، ربما لم يكن من الممكن أن يحدث أي فرق. لقد شعرت بسعادة غامرة لامتلاك هذه الدراجة الرائعة، وسرعان ما تعلمت ركوبها، واستخدامها كل يوم وأصبحت متعلقًا بها بشدة.

مع تزايد الكفاءة كفارس جاءت الرغبة في القيام بالأعمال المثيرة. كانت إحدى الأشياء المفضلة لدي هي ركوب الدراجة وظهري في اتجاه اتجاه السفر؛ وكان آخر هو الوقوف على المقعد مع رفع ساق واحدة في الهواء، مثل راقصة الباليه الأولى. لقد تعلم العديد من أصدقائي في الحي ركوب هذه الدراجة وكنت سعيدًا بالسماح لهم بأخذها في جولة؛ لأنني كنت المالك، شعرت بقطع فوق البقية. وبمرور الوقت، أصبحت ماهرًا جدًا في إجراء الإصلاحات البسيطة وإصلاح الثقوب، وهي مهارة ظلت معي طوال حياتي. في أكسفورد، كان لديّ سيارة رالي خضراء عتيقة تعود إلى عام 1950 وكنت مرتبطًا بها بالمثل، لكن كان علي أن أتخلى عنها عندما لم يعد من الممكن إصلاحها. لم تمنحني أي دراجة أخرى نفس القدر من المتعة مثل هاتين الدراجتين الأخضرتين، إحداهما في أوائل مراهقتي، والأخرى في نهاية مسيرتي كدراج.



آفي في الصف في الصف السابع أو الثامن

عشرة

على غير هدى

في السنتين الأخيرتين لي في المدرسة الابتدائية، في السابعة و
في الصف الثامن، كنت متأثراً بشكل متزايد بما هو عليه اليوم
يمكن وصفه بأنه قلق وجودي. ما شهدته
وعلى نطاق صغير، كان ذلك ما عاشه اليهود العراقيون في كل مكان
إسرائيل: عدم احترام لأصلنا العراقي؛ جهل
تاريخنا؛ ازدراء ثقافتنا. تشويه سمعتنا
لغة؛ والهندسة الاجتماعية لجعلنا مناسبين لل
القالب الأوروبي الصهيوني الإسرائيلي الجديد كان هناك المهيمنة
الرواية القومية الأشكنازية التي تناقض حياتنا
أقلية مذلة في المنفى مع الحاضر المشرق
الحرية اليهودية والاستقلال في أرض الميعاد. أ
كانت العملية المنهجية تعمل على نزع الشرعية عن مجتمعنا
تراثنا ومحو جذورنا الثقافية. الأهداف غير المعلنة
وكانت السياسة الرسمية للمدارس تهدف إلى تقويض مجتمعنا العربي.
الهوية اليهودية وتحويلنا إلى مواطنين مخلصين جديدين
الدولة القومية الإسرائيلية.

لقد تأثر صراع الثقافات بعلاقتي مع مدرسنا الجديد. من الواضح أنها لم تحبني،
وكان الشعور متبادلاً. كان اسمها ميريام لينتز. لقد جاءت من ألمانيا وتتحدث
العبرية بلكنة ألمانية. عاشت بالقرب منا مع ابنها الوحيد الذي كانت تذكره كثيراً
في الفصل والذي كانت مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً. لم يكن هناك أي ذكر
للسيد لينتز. لم تكن السيدة لينتز "أرنباً سعيداً". بدت شديدة، ولم
تضحك أبداً

ونادرا ما ابتسم. لكن ما لم يعجبني فيها لم يكن مظهرها الصارم، بل تحيزها الواضح ضد أولئك منا في صفها الذين يأتون من الدول العربية.

لم تحاول السيدة لينتز إخفاء عدائها تجاهي. ربما كان ذلك لأنني كنت طالبًا سيئًا: لم يكن لدي دافع؛ كنت بسيطًا عندما يتعلق الأمر بالواجبات المنزلية؛ وكان أدائي في جميع المجالات أقل بكثير من المتوسط. سجلت شهادتي المدرسية في نهاية الصف السابع أن سلوكي كان "جيدًا جدًا"؛ علامتي في الرياضيات كانت "جيدة"؛ وكانت درجاتي في اللغة العبرية والكتاب المقدس والتاريخ والأحياء والجغرافيا "مرضية تقريبًا". وكانت علامتي في اللغة الإنجليزية "غير مرضية". لم أكن ملهمًا ولم أبذل أي جهد خاص في أي موضوع، لكنني وجدت اللغة الإنجليزية صعبة بشكل خاص وبدأت أتخلف بشدة في الفصل. إن حقيقة أن طفلاً من أم ناطقة باللغة الإنجليزية انتهى به الأمر بالفشل في اللغة الإنجليزية في إسرائيل يبدو أمرًا رائعًا عند النظر إلى الماضي. لم يكن لدى السيدة لينتز أي شكوى بشأن سلوكي العام، ومن هنا جاءت علامة "جيد جدًا". ولو أنها اشتكت من كسلي وقلة التزامي، لكان لها ما يبررها تماما. لكن إحساسي كان أن هناك عاملاً آخر يلعب دورًا.

ما يقرب من ربع الأطفال في الفصل جاءوا من العراق أو دول عربية أخرى. لقد كنا معروفين بشكل جماعي باسم السفارديم أو الشرقيين أو المزراحيم، وسأستخدم هذه المصطلحات كما لو كانت قابلة للتبديل، على الرغم من أنها ليست كذلك، بالمعنى الدقيق للكلمة. كانت السيدة لينتز من أوروبا وشعرنا بعدم التعاطف في الطريقة التي تعاملتنا بها. لقد فضلت الأطفال الأشكناز في الفصل، وخاصة أولئك الذين يأتون من عائلات الطبقة المتوسطة العليا. كان هناك عنصر من التكبر الطبقي ممزوجًا بالكراهية بين الأعراق في موقفها تجاهنا. في أحد أيام الفصل الدراسي، مساء يوم الجمعة، اعتدنا أن نعقد اجتماعًا للفصل بأكمله

ومعلم النموذج في منزل أحد الأطفال. كان على الوالدين أن يتطوعوا لاستضافتنا، ولكي يفعلوا ذلك كان عليهم أن يمتلكوا منزلاً أو شقة كبيرة. وكانوا عادةً أيضًا أعضاء ناجحين في النخبة الاقتصادية أو الثقافية. اعتادت السيدة لينتز على التقرب من الوالدين وتقديمهم لبقيتنا كمواطنين نموذجيين. في هذا التقاطع الدقيق بين الطبقة والثقافة، كان أولئك منا الذين جاءوا من خلفيات أقل ثراء أو تعليما أقل يشعرون كما لو كنا أبناء عمومة فقراء أو أسوأ من ذلك أقل شأنا.

إحدى الحلقات التي بدت وكأنها توحي بالتحيز ضد العراقيين من جانب السيدة لينتز كانت تتعلق بي بشكل مباشر. كانت ترتدي ملابس رصينة للغاية: لم تضع أي مكياج أو مجوهرات من أي نوع. وعلى النقيض من ذلك، اتجهت النساء في الأراضي العربية إلى ارتداء المجوهرات، وخاصة المجوهرات الذهبية، بمختلف أنواعها: القلائد، والبروشات، والأساور، والخواتم. كانت أيضًا عادة عربية يهودية تقديم هدايا من الذهب والفضة لـ b'nei mitzvah. لقد تلقيت بمناسبة بار ميتزفه قلادة ذهبية عليها نجمة داود وخاتم ذهبي مكتوب عليه الأحرف الأولى من اسمي باللغة الإنجليزية، AS. ببراءة، كنت أرتدي السلسلة والخاتم في المدرسة، دون أن أدرك دلالاتهما الثقافية والأيديولوجية.

كانت الصهيونية أيديولوجية صارمة رفضت تراث الشتات وتهدف إلى بناء إسبرطة يهودية في الشرق الأوسط. المجوهرات، خاصة عندما يرتديها الرجال، لا تتناسب بشكل مريح مع هذه الأيديولوجية الصارمة. السيدة لينتز، وهي صهيونية ملتزمة، قالت ذلك للفصل. وفي كلمتها أمام الفصل بأكمله، أدلت ببعض الملاحظات المهينة حول الشرقيين وعاداتهم المنحطة في ارتداء المجوهرات. ثم التفتت إلي وأمرتني بنزع القلادة والخاتم. تفاجأت، فنزعت الخاتم من إصبعي ولكني وجدت صعوبة في فتح مشبك القلادة. جارتي جاءت لمساعدتي وبعد دقيقة متوترة أو

اثنين نجحت في إزالة الكائن الهجومي الثاني. طوال هذا الوقت، كانت السيدة لينتز تقف أمامي، وتحدق في وجهي بنظرة اشمئزاز. لقد كانت تجربة مهينة للغاية، وزاد الأمر سوءًا أنني لم أفهم تمامًا ما كانت تتحدث عنه. كان هذا بمثابة رشي بمادة الـ دي.دي.تي، لكنني بقيت صامتاً.

وكان لقاء آخر أكثر إيلاما. يوم واحد،
عندما كانت السيدة لينتز تكتب شيئًا ما على السبورة
وأدارت ظهرها للفصل، تقيأ أحدهم أ
قطعة من الورق مجعدة سقطت على الأرض. السمع
الضجة، استدارت السيدة لينتز، والتقطت
قطعة من الورق وتدقيق في محتواها. تبدو جدا
صارمة، طالبت بمعرفة من كتبها. لا احد
مملوكة. سألت مرة أخرى، ومرة أخرى لم ترفع أي يد.
سألت مرة ثالثة ومرة أخرى لم يعترف أحد بالذنب. هي
ثم كشف أن الورقة تحتوي على بذاءات
وأعلنت عزمها على معرفة الجاني.
قامت بتبديل الأدوار من المعلم إلى المخبر، وطلبت من ستة منهم
لنا في المنطقة التي هبطت فيها الكرة الورقية لتصعد إليها
معها كتاب تمارين يحتوي على عينة من أعمالنا
الكتابة اليدوية. وبعد فحص سريع، أعلنت ذلك
كنت الجاني. لا أستطيع أن أتذكر ما إذا كنت قد احتججت أم لا
براءتي. ربما لم أفعل ذلك لأنني كنت مذهولاً
و عاجز عن الكلام. لكن ما أتذكره بوضوح هو أنني
أضع رأسي على ذراعي المطويتين على المكتب وبكيت
بصمت. طعنني ظلم التهمة في
قلب. لقد اعتقدت أنه من الجبن أن لا يفعل مرتكب الجريمة ذلك
لقد استسلمت، لكن غضبي العميق كان موجهًا إلى المعلم
الذي اعتقدت أنه تعمد اتهامي بارتكاب جريمة
لم يرتكب.

وفي الصف الثامن، وهو العام الأخير من المدرسة الابتدائية، لم يتغير شيء.
استمرت معلمة التربية والتعليم في موقفها السلبي تجاه الأطفال الشرقيين
بشكل عام

وتجاهي بشكل خاص، بينما ظللت أشعر بالغربة والتخلف عن بقية الفصل. كان الأداء المسجل في الشهادة المدرسية للفصل الدراسي الأول من الصف الثامن مطابقًا تقريبًا للعام السابق: "جيد" في مادة الرياضيات؛ "مرضية بالكاد" بالنسبة لمعظم المواضيع؛ و "غير مرضية" للغة الإنجليزية. ومع ذلك، قرب نهاية العام الدراسي، حدث شيء غير متوقع ومهم: لقد اجتزت اختبار سيكر، وهو الامتحان الوطني الذي يحدد المسار اللاحق للطالب، أو بشكل أكثر تحديدًا، ما إذا كان يمكن للمرء االلتحاق بمدرسة ثانوية أكاديمية أو مدرسة مهنية أو الوظيفة. سوق. كان هذا نظام اختيار على مستوى الدولة يقسم الأطفال في سن الرابعة عشرة إلى ثلاثة مستويات من القدرة وثلاثة تيارات. كان الغرض من برنامج البحث ذو شقين: تحديد الأشخاص المناسبين للتعليم الأكاديمي بعد المرحلة الابتدائية، وتزويدهم بمنح دراسية لتغطية رسومهم. وكان التعليم الابتدائي فقط مجانيا في ذلك الوقت.

علامة النجاح للسكر لأطفال آسيا و
وكانت الأصول الأفريقية أقل قليلاً من تلك الخاصة بالأطفال الأشكناز. الامتحان تم تحديده من قبل وزارة التربية والتعليم. لقد عكست نتيجة نقاش بين مدرستين فكريتين: أولئك الذين اعتقدوا أن القدرة الفكرية فطرية وأولئك الذين اعتقدوا أن الظروف المادية والبيئية تؤثر على الأداء التعليمي. وقالت المجموعة الثانية إن مثل هذه الظروف كانت في غاية الأهمية وأن النسبة العالية من الرسوب بين الأطفال الآسيويين والأفارقة في المدارس الابتدائية ترجع إلى عوامل مثل الفقر والاكتظاظ والآباء غير المتعلمين. وبناء على ذلك، تم وضع نظام محدود للغاية من التمييز العكسي تحت عنوان Norma Bet أو Norm B.

يتكون امتحان سيكر من ثمانية وسبعين سؤالا. واشتكى أولئك الذين كانوا في الطرف المتلقي من ذلك

صعبة بشكل غير عادي، ولكن الخبراء يعتقدون أنها مؤلفة بذكاء. والخبر السار بالنسبة لي هو أنني اجتزت الامتحان. لقد كان ذلك بمثابة دفعة كبيرة لاحترامي لذاتي. من الواضح أن السيدة لينتز، عدوتي، استاءت من نجاحي. وناقشت النتائج بشكل عام أمام الفصل بأكمله. ولكن في نهاية الجلسة، أتت إلي وقالت: "أتمنى أن تدرك أنك تجاوزت السكير فقط بسبب التنازلات التي قدمتها لأطفال المزراحيين". لم أقم بأي رد، لكني أتذكر أنني قلت لنفسي: "لماذا تقول لي هذا؟" إذا نظرنا إلى الماضي، أعتقد أن هذه كانت طريقة مروعة لتصرف المعلمة تجاه طفل صغير تحت رعايتها. في المقام الأول، كان هذا امتحانًا وطنيًا ولم يكن لديها أي وسيلة لمعرفة ما إذا كنت قد اجتزت فقط بسبب المخصصات المقدمة لأطفال المزراحيين. ثانيًا، حتى لو كانت على يقين من أن هذا هو الحال بالفعل، فلم تكن هناك حاجة لها لإثبات ذلك. كل ما كان عليها فعله هو أن تهنئني على نجاحي وتتمنى لي حظًا سعيدًا. إن الخط الفعلي الذي اتخذته لم يؤد إلا إلى تأجيج غضبي وتعزيز شكوكي في أنها كانت متحيزة.

ما لم أكن أعرفه في ذلك الوقت هو أن العديد من الخبراء يعتبرون النظام التعليمي الإسرائيلي برمته، بما في ذلك امتحان تحديد الجنسية، غير عادل للمزراحيين ويثير الانقسام الاجتماعي. وكان وزير التعليم في منتصف الخمسينيات هو زلمان آران، وهو عضو بارز في حزب العمل الحاكم، أو ماباي كما كان يسمى في تلك الأيام. رأى آران نفسه على أنه ابن لنخبة أشكنازي متفوقة ونظر إلى اليهود الآسيويين وشمال إفريقيا بازدراء باعتبارهم عرقًا أدنى بطبيعته. كان يعتقد أن أداءهم الضعيف في المدرسة يعكس انخفاض الذكاء المحلي وليس العوامل الاجتماعية والاقتصادية الخارجية. لم يكن هدفه سد الفجوة التعليمية، بل توجيه أكبر عدد ممكن من المزراحيين نحو المدارس المهنية وسوق العمل. لقد أراد بروليتاريا كبيرة لدعم البلاد

التنمية الصناعية والزراعية. وعلى الرغم من أنه لم يستخدم العبارة التوراتية، إلا أن
الدور الذي تصوره لليهود الآسيويين والأفارقة في المجتمع الإسرائيلي كان
"قاطعي الحطب وساحبي المياه". وكان تأثير سياسته هو كبح جماح المزراحيين من خلال
تقييد وصولهم إلى التعليم العالي و"الياقات البيضاء" والمهن ذات الأجر الجيد
التي تصاحب ذلك.

في 1959-1960، كان الأطفال الشرقيون يشكلون 50% من سكانهم
الفئة العمرية في البلاد بشكل عام، ولكن 18.8 في المائة فقط من
جماعتهم في المدارس الثانوية الأكاديمية. رأى اران
لا حرج في ذلك. في مارس 1964، أبلغ المجلس
من أمناء الجامعة العبرية أن 'أبناء
لم يكن العلماء من الدول الإسلامية مجهزين بكل شيء
كان من الضروري القيام بدورها الكامل في مرحلة ما بعد
التعليم الابتدائي والعالي." وأفاد بأن هذا
تشكل المجموعة 60% من إجمالي عدد رياض الأطفال،
50% من المدارس الابتدائية، و25% من المدارس الثانوية الأكاديمية
المدارس و12% من التعليم العالي. مرة أخرى، هذه الإحصائيات
لم تكن مدعاة للقلق لوزير التربية والتعليم
ولكن انعكاس للنظام الطبيعي للأشياء. المحدودة
لم يكن مقياس التمييز العكسي في الباحث
فكرة آران، وعلى أية حال، لم تحقق الكثير
اختلاف. ولا تزال الغالبية العظمى من المزراحيين تفشل في تحقيق ذلك
سيكر. بعض المعلمين لم يدخلوا أطفالهم المزراحيين
لهذا الامتحان على الإطلاق لأنهم اعتقدوا أنه ليس لديهم
فرصة النجاح.[1] لقد كنت واحداً من القلائل المحظوظين. لكن
من دواعي سروري المستمدة من هذا الأكاديمي الوحيد
كان التمييز في السنوات العشر الأولى لي في المدرسة أمرًا لا يمكن إصلاحه
شابها تعليق السيدة لينتز اللاذع.

بعد أن رسمت مثل هذه الصورة الكئيبة بشكل شامل للسيدة لينتز، أشعر بأن
من واجبي أن أضيف أن هناك وجهة نظر معاصرة مختلفة تمامًا عنها. هذا الرأي يأتي من
أرليت شعيا، وهي فتاة عراقية كانت زميلتي في المدرسة

السنوات الست الأخيرة من المدرسة الابتدائية. بعد كتابة هذا الفصل، عثرت على رسالة كتبتها لي في 14 آب (أغسطس) 2005 تتضمن تعليقات على مقابلة طويلة أجريتها معي، نُشرت في صحيفة هآرتس الليبرالية اليومية. وكان عنوان المقال "يدنا ممدودة للحرب". كان المؤلف صحفيًا يساريًا يُدعى ميرون رابوبورت، وكانت مناسبة المقابلة هي نشر الطبعة العبرية من كتابي "الجدار الحديدي: إسرائيل والعالم العربي". كان رابوبورت مفتونًا بخلفيتي كيهودي عربي، وبالتالي، كان ما يقرب من نصف المقال عبارة عن ذكريات شخصية عن حياتي المبكرة في إسرائيل، بما في ذلك قصة السيدة لينتز والسكير.

لقد تفاجأت أرليت شعيا وسعدت بقراءة الكتاب
مقال عني وعن كتابي وحاول الاتصال بي عن طريق
هاتف. لم يكن هناك سوى شلايم واحد في رمات غان
دليل الهاتف، لكن عندما اتصلت أخبروها بذلك
لم يعرفوني. لذلك كتبت لي رسالة طويلة و
طلب من ميرون رابوبورت إعادة توجيهه. في الرسالة أرليت
ذكرت أنها وجدت أطروحتي حول إسرائيل
التعنت على حد سواء مثيرة للاهتمام ولها ما يبررها ولكن لا
جديدة تماما. لقد كانت هي نفسها تتبنى هذا الرأي دائمًا بسبب
لقد عرّضها لها شقيقها الأكبر الشيوعي
تفسيرات بديلة لسلوك إسرائيل في نفس الوقت
وأشارت إلى أنه مع مرور الوقت، هناك حاجة إلى الشجاعة لقول هذه الأشياء
علانية وتحدي الأطروحات الكاذبة التي يروج لها
إنشاء. لقد هنأتني على شجاعتي
أسير ضد التيار وعلى مساري المثير للإعجاب
منذ أيامنا في المدرسة الابتدائية
بقية الرسالة تتعلق بالسيدة لينتز. تفاجأت أرليت بما قلته لميرون رابوبورت
عن عدائها تجاه الأطفال العراقيين. وكتبت أنها أيضاً عراقية، لكنها لم تشعر قط بأي عداء. على العكس من ذلك، في تجربة أرليت كانت السيدة لينتز كذلك

متعاطف وداعم. في إحدى المناسبات، أطلقت فتاتان، ربما كانتا تشعران بالغيرة من أرليت، لقب "عراقية مسرحية" على أنها عراقية كريهة الرائحة. لقد سمعتهم السيدة لينتز، فغضبت بشدة ووبختهم بعبارات لا لبس فيها. لقد تأثرت السيدة لينتز بهذا الحادث الانفرادي لدرجة أنها خصصت فصلًا كاملاً في التربية المدنية لهذا الموضوع، مؤكدة مرارًا وتكرارًا على أن القوالب النمطية العنصرية كانت ممارسة فاشية ونازية لا مكان لها في دولة إسرائيل. على هذه الخلفية، تساءلت أرليت عما إذا كانت السيدة لينتز معادية لي ليس لأنني عراقية ولكن لأنني، باعترافي الشخصي، كنت غير متعاونة وغير قادرة على التواصل بشكل فريد.

على الرغم من مرور الوقت، أتذكر أرليت بوضوح شديد. في الصف الثامن جلست على بعد صفين مني. كانت الأولى على الفصل في معظم المواد وكانت بارعة في الرياضيات. لقد كانت واثقة من نفسها بشكل لافت للنظر وحازمة بشكل غير عادي. لقد ساهمت بشكل متكرر ومعرفي في مناقشات الفصل. بمجرد انتهاء المعلم من طرح سؤال على الفصل، كانت أرليت ترفع يدها عالياً في الهواء. كانت أرليت أيضًا من أبرز الشخصيات في مجتمع الدراما. عندما تمت دعوة صفنا لتقديم مسرحية عن هانا سزينيس، البطلة القومية الصهيونية، أمام المدرسة بأكملها، مُنحت أرليت الدور الرئيسي. باختصار، في كل شيء، باستثناء أصلنا العراقي المشترك، كانت أرليت عكسي. لقد أعجبت بها سرًا، وكنت فخورًا بها جدًا. كانت هنا فتاة عراقية صمدت أكثر من كل الأطفال الأشكناز في الفصل. ومع ذلك، لم أقم بتكوين صداقات مع أرليت قط، ونادرًا ما تحدثت معها. لقد كنت خجولًا جدًا ومقيد اللسان. أما بالنسبة للتضامن المبني على الارتباط العراقي، فهذا شيء شعرت به في أعماقي ولكنني لم أستطع أن أخرجه إلى العلن.

بعد إعادة قراءة رسالة أرليت، اتصلت بها على الهاتف الثابت في منزلها في رحوفوت. وقد أعطت في رسالتها رقم هاتفها واسمها المتزوج منتزر. تلا ذلك محادثة طويلة ساعدتني على فهم أفضل لبعض القضايا التي تصارعت معها ولكن لم أتمكن من فهمها إلا بشكل خافت خلال هذه المرحلة الصعبة من حياتي. كانت أرليت نفسها تتمتع بمهنة ناجحة كممثلة ومخرجة مسرحية وعالمة نفس إكلينيكية وشاعرة. لقد تذكرتني من المدرسة باعتبارها "حالة متطرفة" من الهدوء. لم أكن صامتًا في الفصل فحسب، بل حتى أثناء فترات الراحة لم أقل أي شيء تقريبًا. كان من الواضح أنني كنت كسولة ومهملة عندما يتعلق الأمر بالواجبات المنزلية، ولكن لأنني كنت قليل الكلام، اعتقدت هي والأطفال الآخرون أنني ربما كنت خافتًا بعض الشيء. ولاحظت أن الأطفال، بعد كل شيء، لا يرون إلا ما هو على السطح؛ نادرا ما يحفرون تحت الصدفة.

الصفة الأخرى التي تذكرتني بها أرليت هي أنني كنت حساسًا وحساسًا ومهذبًا. وعزت ذلك لكوني طفلاً شرقيًا. ولاحظت أن العراقيين يعلقون أهمية كبيرة على التعامل بلطف مع الآخرين. ولكن من الواضح أنه كان هناك ما هو أكثر بالنسبة لي مما تراه العين. كيف كانت واثقة جدًا ومهذبة؟ سألت. والمثير للدهشة أن رد أرليت تمحور أيضًا حول خلفيتها العراقية. وكانت تبلغ من العمر ست سنوات عندما وصلت إلى إسرائيل. كان لديها ستة أشقاء أكبر منها بكثير. وتراوحت أعمارهم بين الثامنة عشرة والرابعة والعشرين عند وصولهم. كان إخوتها من خريجي الجامعات. وكان أحدهم عضواً في الحزب الشيوعي ومنتقداً صريحاً للمؤسسة الإسرائيلية. وفي الداخل، بشكل عام، كان هناك مستوى عال من الوعي السياسي والنقاش. قام إخوتها بتعليمها وتمكينها، مما ألغى أي شعور بالدونية كان من الممكن أن يكون لديها بسبب كونها عراقية.

ملاحظات أرليت حول مناخ الرأي في
لقد أذهلتني إسرائيل في الخمسينيات من القرن الماضي. كان هناك
وقالت إن العنصرية تجاه جميع المهاجرين الجدد. هذا
تجلى في اللجوء على نطاق واسع إلى الوطنية
الصور النمطية. الرومانيون، على سبيل المثال، شوهدوا بشكل شائع
كأمة من اللصوص وكانت هناك نكت لا نهاية لها
على هذه الصورة النمطية. وفي هذا المناخ العدائي، لم يكن الأمر كذلك
من غير المعتاد بالنسبة للمهاجرين الجدد أن يطوروا إحساساً
الدونية مقارنة بالصبرات، الإسرائيلي المولد.
لكن التحيز كان واضحا بشكل خاص في
حالة المزراحيين . لقد حظوا بتقدير واسع النطاق من قبل
الأشكناز مختلفون، مثل الأجانب، مثل وجود منخفض
حاصل الذكاء، باعتباره متخلفًا وبدائيًا. حتى
شارك بعض المعلمين هذه الآراء. للتأكيد على
اعترفت أرليت بانتشار التحيز ضد المزراحيين
حتى أنها كانت ملوثة. لم تكن تريد
أن تتزوج من عراقي عندما تكبر وتنظر إليه بازدراء
أخواتها لأنهن تحدثن العبرية مع عراقي
لهجة. اليوم تشعر بإحساس حاد بالخجل من ذلك
الأحكام المسبقة التي استوعبتها عندما كانت طفلة.

قادتني المحادثة مع أرليت إلى التفكير بشكل أعمق في جذور فشلي في المدرسة.
عندما فكرت في الأمر، بدا لي أن السبب الرئيسي لعدم قدرتي على تحقيق أداء جيد في المدرسة هو هويتي العراقية والشعور المستمر بالدونية الذي ولدته في داخلي.

وكان الفقر الفكري في بيئتي المنزلية عاملاً مساهماً آخر. كانت بيئة منزل أرليت محفزة فكريًا وعززت الوعي السياسي وألهمت استقلال الروح. لم يكن لدي أي من هذه المزايا. لم يكن لدينا كتب في المنزل، ولم يكن لدينا خريجون جامعيون، ولم يكن لدينا أي تشجيع للتفكير بشكل أكثر نقداً، ناهيك عن تحدي المقدمات والأحكام المسبقة للمجتمع من حولنا.

كانت أختي داليا تسبقني بسنة في مدرسة ياهالوم الابتدائية. لقد اجتازت هي أيضًا امتحان القبول بالمدرسة الثانوية، وفي حالتها أيضًا كانت النتيجة بمثابة مفاجأة لرؤسائها. كانت هادئة جدًا في الفصل، وبقيت بعيدة عن الأضواء ولم تميز نفسها في أي موضوع. نظرًا لسجلها السابق، كان من المتوقع أن تفشل في امتحان البحث عن الجنسية. وبحسب روايتها، طُلب من معلمة النموذج توضيح التناقض بين درجاتها المنخفضة في الفصل والدرجات العالية التي حصلت عليها في السيكر. أدى عدم قدرته على القيام بذلك إلى الشك في أنها خدعت. طُلب منها إعادة الامتحان وحصلت مرة أخرى على درجات عالية. وكان تفسيرها لهذا التناقض هو أن البحث كان بمثابة اختبار ذكاء، وليس اختبارًا للمعرفة الأكاديمية. لقد أدى النجاح في لعبة البحث عن شيء ما إلى تعزيز احترامها لذاتها، لكنه لم يكن كافيًا لدفعها إلى المدرسة الثانوية الأكاديمية. وبدلاً من ذلك، التحقت بدورة دراسية لمدة عامين في كلية ORT، وهي جزء من شبكة من المدارس المهنية، حيث تدربت لتصبح مصففة شعر. لقد استقرت على هذا المسار الوظيفي لأنها لم تتلق أي تشجيع من المدرسة أو من والدينا لمتابعة الدراسات الأكاديمية. في مجتمعنا، كان التعليم الجيد أمرًا مرغوبًا للغاية بالنسبة للأولاد ولكنه أقل أهمية بكثير بالنسبة للفتيات. كان من المتوقع أن تكون الفتيات لطيفات ومرنات ومهذبات. لقد حثوا على الزواج المبكر، والاعتناء بالمنزل وتربية الأطفال. أما أختي الأخرى، فيلما، التي كانت أصغر مني بثلاث سنوات تقريبًا، فلم تحصل على أي تشجيع أيضًا. في سن الرابعة عشرة التحقت بدورة سكرتارية لمدة عامين ثم بدأت العمل كموظفة استقبال في عيادة الطبيب.

كانت شقيقتي مختلفتين جدًا في المزاج. كانت فيلما ممتلئة ومبهجة، وودودة ومنفتحة، وكانت تتعامل مع الحياة كما هي دون أن تقلق كثيرًا بشأنها.

هويتها أو مستقبلها. هل كانت على علم بالمعاملة التفضيلية التي تلقيتها؟
أعتقد ذلك. في رمات غان، كما في بغداد، عملت والدتنا على النظرية القائلة بأن المكسرات تحفز نمو الدماغ. لذلك كانت تشتري لي كل يوم جمعة كيسًا من المكسرات المطحونة المحمصة وتخفيه في أعلى خزانة الملابس. إذا حاولت فيلما الوصول إليهم، كانت والدتنا تقول لها: "هذه المكسرات ليست لك". إنهم جنون أخيك.
كان استعراض فيلما الاستعادي لدوافع والدتنا سخيًا بشكل مميز: فقد اعتقدت أن والدتنا أبعدتها عن المكسرات لأنها لم تكن تريد أن يزداد وزنها. كانت داليا مراهقة أكثر تعقيدًا واضطرابًا. منذ سن الثامنة فصاعدًا، كان من المتوقع منها أن تغسل أرضيات شقتنا في رمات غان كل يوم جمعة استعدادًا ليوم السبت، وكان هذا مصدرًا للاستياء. شعرت بعدم التقدير وعدم الحب في المنزل. ربما كانت تعاني في المدرسة من عقدة النقص بسبب كونها عراقية، رغم أنها، مثلي، لم تكن لتعترف بذلك. كان عليها وفيلما أن يتحملا كوني الطفلة المفضلة، لكن بالنسبة لداليا كان هذا يمثل مشكلة أكبر من مشكلة فيلما. كانت داليا تتشاجر معي، وفي إحدى المرات، أثناء إجازتنا مع أبناء عمومتنا في مستوطنتهم الزراعية في النقب، كسرت بالسوط وضربتني بشدة، مما أدى إلى بكائي. كان فيلما سلبيًا ومرنًا، بينما كانت داليا مشاكسة ومتمردة.

كانت علاقة فيلما جيدة مع والدنا وكان مغرمًا بها جدًا. ولأنه لم يتمكن من العثور على عمل، كان لديه وقت فراغ. خلال العطلة الصيفية كان يأخذها أحيانًا إلى الشاطئ في تل أبيب. كانوا يشترون الفاكهة في الطريق، ويستأجرون كراسي الاستلقاء، ويسبحون في البحر ويأخذون حمامًا شمسيًا. لا تتذكر فيلما أي خلافات أو أي مشاكل كان من الممكن أن تؤدي إلى توتر علاقتها مع والدنا. اعتقدت أنه قام بنصيبه في الاعتناء بنا، وأنه كان

نوع من زوج المنزل بينما أصبحت والدتنا هي المعيلة. ولم يكن هذا النوع من تبادل الأدوار شائعًا في تلك الأيام كما هو اليوم. إن البقاء في المنزل عندما تخرج زوجته للعمل لم يؤثر على احترامه لذاته.

من خلال داليا، الضغط الاجتماعي لننأى بأنفسنا عنه
جذورنا العربية، وأن نترك وراءنا عاداتنا
لقد تم ممارسة الشتات على عائلتنا. داليا رفضت ذلك
التحدث باللغة العربية حتى في منطقة الراحة في منزل العائلة
لأنها اعتبرتها لغة المحتقرين
الشتات. وزاد رفضها العنيد من التوترات
بينها وبين والدنا. لقد كان مدمنًا للأخبار وهو
كما أحب الاستماع إلى الموسيقى العربية. وكان يستمع إلى
نشرات الأخبار باللغة العربية عدة مرات يوميا. عندما كان
وحين يأتي الخبر يصيح: يا الأخبار.. يا ال
الأخبار والاندفاع لتشغيل الراديو. نحن، الأطفال،
اعتادوا أن ينظروا إلى بعضهم البعض ويكرروا الكلمات باللغة العربية
كأنه أمر غريب: يا الأخبار! المفضل لديه
كانت المطربة أم كلثوم، المطربة المصرية الأسطورية.
في أحد الأيام، أنتجت التفضيلات اللغوية المتضاربة أ
انفجار حقيقي. كان لدينا أيضًا راديو زينيث من الطراز القديم
راديو ومشغل تسجيل. أرادت داليا أن تسمع دراما
بالعبرية بينما أراد أبونا أن يستمع إلى الأخبار
باللغة العربية. كان لديهم خلاف متعدد اللغات، وحصلت داليا للغاية
غاضبة، وتوقفت عن التحدث مع والدنا لفترة طويلة،
وقتا طويلا في المستقبل. مثل يوما، لقد طورت عادة
السقوط مع الناس. المأزق بين داليا ولدينا
كان الأب محرجًا بالنسبة لبقيتنا. ومع ذلك، عندما هي
قالت لزوجتي إنها زارتنا في أكسفورد في أوائل السبعينيات من عمرها
أن والدنا كان الشخص الوحيد الذي أحبه حقًا
ها. ولم يحدث ذلك إلا في السنوات القليلة الأخيرة من حياتها
تغير موقف الأم تجاه داليا بشكل ملحوظ بالنسبة لها
أحسن. الطريقة المتفانية التي اهتمت بها داليا بكل شيء

أخيرًا أكسبتها الاحتياجات المادية والطبية احترام وتقدير والدتنا.

البيئة المنزلية غير المستقرة أثرت حتماً على أدائي في المدرسة، لكن ذلك كان عاملاً واحداً فقط. وكانت العوامل الرئيسية هي الافتقار إلى الحافز الداخلي وتدني احترام الذات. لقد زاد النجاح في لعبة سيكر من تقديري لذاتي إلى حد ما، لكنه لم يضمن لي مكانًا في المدرسة الثانوية. وكان التعليم الحكومي في إسرائيل في تلك الأيام إلزامياً ومجانياً حتى سن الرابعة عشرة. لم يكن التعليم الثانوي إلزاميا وكانت معظم المدارس الثانوية في أيدي القطاع الخاص. وهذا يعني أنه يتعين على المرء أن يتقدم بطلب للقبول، وإذا تم قبوله، فإن الحكومة ستدفع الرسوم. لم يكن من المحتمل أن يتم قبولي في أي مدرسة ثانوية في رمات غان بسبب درجاتي المنخفضة.

إحدى هذه المدارس، المرموقة إلى حد ما، كانت تسمى جيمناسيا دفير. أعجبتني هذه المدرسة، لكن لم تتح لي الفرصة للوصول إليها تحت طاقتي الخاصة. من المحرج أعترف أنني لم أحصل على مكان هناك إلا من خلال المحسوبية. تدخل والدتي أن الحازم ضمن دخولي. ذهبت لمقابلة عمدة المدينة، أفراهام كرينيتزي، وطلبت مساعدته في حل مشكلة الابن الرائع الذي حصل على درجات مدرسية منخفضة بشكل غير مبرر. اتصل عمدة المدينة بالسيد هاليفي، صاحب جيمناسيا دفير، وطلب مني الحصول على مكان. أجاب المالك أنهم لا يستطيعون قبولي لأنهم رفضوا بالفعل المتقدمين الآخرين الحاصلين على درجات أفضل من درجاتي. ثم عرض عمدة المدينة "حلًا وسطًا": أن يتم قبولي تحت المراقبة لفترة واحدة ويتم طردي في نهاية الفصل الدراسي إذا لم يكن تقدمي مرضيًا. وعلى هذا الأساس المشكوك فيه أخلاقيًا حصلت على القبول.

كان نطاق المواد التي يتم تدريسها في جيمناسيا دفير أوسع مما هو عليه في المدرسة الحكومية، وكانت الفصول الدراسية أصغر ومستوى التدريس أعلى بكثير. مرحلة واحدة في بلدي

لقد انتهت الحياة وبدأت حياة جديدة. لقد كونت صداقات جديدة بين زملائي في الفصل. وفي حين أن معظم أصدقائي في الحي الذي نعيش فيه كانوا من أصل عراقي، فإن العديد من أصدقائي الجدد كانوا من الأشكناز. لم تعد الفجوة بين أطفال المزراحيين والأشكناز في المدرسة الجديدة واضحة كما كانت من قبل. كانت روح المدرسة ليبرالية وتقدمية وتم التعامل مع جميع التلاميذ، بنين وبنات، على قدم المساواة. على الرغم من هذا الجو الشامل، كنت لا أزال أشعر بالخجل من كوني غريبًا. وجود أصدقاء أشكنازي ساعد، بدرجة محدودة، في تخفيف هذا الشعور. كل أصدقائي كانوا أولاداً؛ لقد كنت خجولًا جداً من التحدث مع الفتيات.

كان هناك العديد من أصدقاء المدرسة الجيدين. كان أقرب أصدقائي هو جيل سادان، وهو زميل ذكي وفصيح، متفوق في المدرسة وأظهر علامات مبكرة على الكفاءة في الصحافة من خلال نشر مقالات في مجلة شبابية وطنية. كان يعيش بالقرب منا، وكثيرًا ما كنا نذهب إلى منازل بعضنا البعض ونتعاون في أداء واجباتنا المدرسية، وكان جيل في المقدمة دائمًا. صديق آخر كان جيكي القلعي. على عكس الأصدقاء العراقيين الذين عاشوا في شقق في بنايتنا الضخمة، عاش جيكي في فيلا بحديقة كبيرة أصبحت ساحة لعبنا. لقد تأثرت عندما كان جيكي في أحد الأيام عائداً إلى المنزل بعد المدرسة، ووضع ذراعه حولي وأخبرني أنني أفضل صديق له. إن ترتيب الأصدقاء حسب الترتيب ليس بالأمر غير المعتاد بين المراهقين، في ذلك الوقت أو الآن، لكن ملاحظة جيكي العرضية كانت تعني الكثير بالنسبة لي.

صديق أشكنازي آخر من جيمناسيا دفير أتذكره بمودة خاصة هو بيني أمباخ، الذي غير لقبه لاحقًا إلى أربيل. جلست في الزاوية في أقصى الفصل الدراسي وجلس هو على المكتب أمامي. وبجانبه جلس أمنون برزيلاي الذي أصبح فيما بعد صحفيا بارزا في صحيفة هآرتس. ينحدر بيني من عائلة ثرية ويعيش في فيلا ليست بعيدة عن المدرسة. كان والده يمتلك شركة إيليت، الشوكولاتة الشهيرة

مصنع. كنت جامع طوابع وكان بيني يعطيني طوابع
مظاريف منتفخة بالطوابع التي حصل عليها من المصنع.
لقد كان ذكيًا بشكل استثنائي، طالبًا متألقًا، ولكنه أيضًا لطيف
والفرد الكريم بطريقة ودية وجيدة
روح الدعابة. إذا كان لدي أي أسئلة حول أي موضوع، أنا
سيسأله، وكان يعرف الإجابة دائمًا. هو
لقد ساعدني كثيرًا في واجباتي المدرسية، وكان دائمًا صبورًا،
أبدا عاضد. كان بيني زميلًا ساحرًا و
أفضل الأصدقاء. أصبح فيما بعد أستاذا في وقت مبكر
التاريخ الحديث في جامعة تل أبيب. ويؤسفني أنني فعلت
لا البقاء على اتصال معه، وخاصة وأنا أيضا في نهاية المطاف
أصبح مؤرخا.

على الرغم من أنني أحببت المدرسة الجديدة أكثر من القديمة،
ما زلت لم أعمل بجد، واصلت أحلام اليقظة في
الجزء الخلفي من الفصول الدراسية وكانت إنجازاتي الأكاديمية
أقل بكثير من المتوسط. أحلام اليقظة حول النجاح الدنيوي
وكانت المآثر البطولية شيئًا انغمست فيه كثيرًا في حياتي
الطفولة لأنني، كصبي خجول، وجدت صعوبة في مواجهتها
حتى العالم الحقيقي. في حلم واحد ظهرت_كـ
قائد فوج دبابات في جيش الدفاع الإسرائيلي، ويقوده في أ
عمود في النقب ويثير زوبعة الصحراء
الرمال ونحن مشحونة إلى الأمام. كانت أحلام اليقظة غير ضارة
بما فيه الكفاية، لكنه لم يفعل شيئا لتحسين مستواي الأكاديمي
أداء. يظهر تقرير نهاية العام أنني فعلت ذلك
أفضل قليلاً في العلوم الإنسانية منه في الطبيعة
علوم. على مقياس من 1 إلى 10 كان متوسط درجاتي 6.1
حيث 6، إذا لم أكن مخطئا، كانت علامة النجاح. لقد سجلت
7 للكتاب المقدس والعبرية والجغرافيا. 6 للغة الفرنسية، التاريخ،
الفيزياء والبيولوجيا والرياضيات. و4 للغة الانجليزية كانت اللغة الإنجليزية
أضعف موضوع لدي كما هو موضح في علامة الفشل التام. أنا
لقد تأخرت كثيرًا لدرجة أنني لم أتمكن من متابعة ما
كان المعلم يقول في الفصل. كان هناك الكثير من اصطياد
ما يصل إلى القيام به. لقد فشلت في تخليص نفسي من سباتي المعتاد

وفي النهاية دفعت الثمن. اللغة الإنجليزية ستكون السبب الرئيسي لسقوطي الأكاديمي.

كانت اللغة الفرنسية مادة جديدة في المنهج. لم أجدها بصعوبة اللغة الإنجليزية، وكانت المادة التي استمتعت بها أكثر من غيرها. كانت والدتي، التي درست كل شيء من خلال اللغة الفرنسية في مدرسة التحالف للبنات في بغداد، تستمتع كثيراً بقراءة القصص بصوت عالٍ من كتابي المدرسي وترجمتها لي بمزيج غريب من الإنجليزية والعربية والعبرية. إن وجود معلم يتمتع بشخصية كاريزمية أحدث فرقًا كبيرًا. كانت معلمتنا الفرنسية امرأة في منتصف العمر، مهاجرة جديدة من فرنسا، قصيرة القامة وممتلئة الجسم، ذات ذوق درامي وطاقة لا حدود لها. كانت لغتها العبرية محدودة ولكن هذا لم يكن مهمًا لأنها فضلت أن تقوم بكل تعليمها باللغة الفرنسية. لقد جعلتنا نغني الأغاني الفرنسية ولجأت إلى مجموعة من التقنيات الأخرى لإضفاء الحيوية على اللغة. لأول مرة في حياتي الصغيرة، أصبحت مشاركًا نشطًا في عملية التعلم.

واستمر تعزيز القيم الصهيونية، الذي بدأ في الصف الأول، وتكثف في المدرسة الثانوية. لكنها كانت عملية خفية. إن تكوين أمة وإحساس مشترك بالهوية الوطنية لليهود الذين أتوا من جميع أنحاء العالم، ويتحدثون لغات مختلفة، وبدا في بعض الأحيان أنه ليس لديهم سوى القليل من القواسم المشتركة، كان الهدف الأسمى لدولة إسرائيل. وكان التعليم أداة رئيسية لتحقيق هذا الهدف. وكان المنهج الدراسي برمته موجها نحو توليد الفخر بالانتماء للأمة الإسرائيلية والثقة في عدالة قضيتها. لقد كان التاريخ هو الموضوع الرئيسي، ولكن ليس الوحيد، الذي تم من خلاله دفع هذه الأجندة الأيديولوجية. كانت الطريقة التي يتم بها تدريس التاريخ في المدرسة مرتبطة بشكل وثيق بمشروع بناء الأمة أكثر من ارتباطها بالسعي النزيه إلى الحقيقة.

ولم أدرك ذلك إلا في وقت لاحق
الطبيعة المغرضة والانتقائية للتاريخ الذي تعلمته
في المدرسة. في المقام الأول، النطاق الجغرافي لهذا
كان التاريخ محصوراً إلى حد كبير في التجربة اليهودية في
أوروبا لم يكن هناك أي شيء تقريبًا عن تاريخها
اليهود في البلاد العربية والإسلامية. ضمنا،
تم اعتبار هؤلاء اليهود هامشيين بالنسبة للاكتساح الواسع النطاق
التاريخ اليهودي. التراث الثقافي الغني لليهود العرب
ولم يتم تجاهله فحسب؛ تم محوه. الانطباع
لذلك كان ذلك هو ما يقدمه النظام التعليمي
ولم تكن الثقافة اليهودية العربية ذات قيمة تذكر؛ ثقافتنا المتميزة
لقد تمت التضحية بالتراث في خدمة ذوبان إسرائيل
أيديولوجية الوعاء. وعلاوة على ذلك، فإن موضوع الاتصال الذي ركض
عبر التاريخ المدرسي كانت قصة المعاناة اليهودية - في
يتماشى مع "المفهوم الدمعي للتاريخ اليهودي".
تبنت الصهيونية بسعادة.

ومن الغريب أن الهولوكوست، المثال الأسمى لمعاناة اليهود ووقوعهم ضحية، لم يتم التركيز عليه في المدرسة، ولا خارج المدرسة في هذا الشأن. على الأقل كان هذا هو الحال حتى محاكمة أدولف أيخمان. كان أيخمان مسؤولًا نازيًا متوسط الرتبة ولعب دورًا محوريًا في تنفيذ "الحل النهائي". تم القبض عليه من قبل عملاء الموساد في الأرجنتين وتم تقديمه للمحاكمة في القدس في أبريل 1961. وقد أثارت المحاكمة اهتمامًا دوليًا وزادت من الوعي العام بأهوال الإبادة الجماعية النازية. كان عدد المراسلين الذين قاموا بتغطية المحاكمة أكبر من عددهم في محاكمات نورمبرغ لمجرمي الحرب الألمان في نهاية الحرب العالمية الثانية. في نورمبرج، اعتمد المدعون بشكل أساسي على المستندات المكتوبة؛ وفي القدس تم وضع الناجين في مركز الصدارة. يومًا بعد يوم، تحدث الناجون، لأول مرة في بعض الحالات، عن الفظائع التي تعرضوا لها

تحمل. ومن خلال تبادل تجاربهم، ساعدوا في خلق انفتاح جديد في المجتمع الإسرائيلي.

رأى رئيس الوزراء ديفيد بن غوريون في المحاكمة فرصة لتوحيد الأمة من خلال تثقيفها حول هذا الفصل الصادم من تاريخها. كما أراد أن يدرك الجميع أن "كل ما يدين به العالم للضحايا، فإنهم مدينون به الآن لإسرائيل". وقال كبير المدعين جدعون هاوزنر للمحكمة في كلمته الافتتاحية: "عندما أقف أمامكم، لا أقف وحدي. هنا، معي في هذه اللحظة، يقف ستة ملايين مدعٍ عام. أرسل الخطاب الرعشات في العمود الفقري لمستمعيه. أدلى أيخمان بشهادته من خلف حجرة زجاجية لحمايته من العنف الجسدي. وكان خط دفاعه الرئيسي هو أنه لم يضع السياسة بل نفذها فحسب. وقال: "كان قلبي خفيفاً ومبهجاً في عملي، لأن القرارات لم تكن لي". ورفض القضاة هذا الادعاء وحكموا عليه بالإعدام شنقاً. وتم حرق جثته، وتناثر الرماد في البحر، خارج المياه الإقليمية لإسرائيل. وكانت هذه هي المرة الوحيدة في تاريخها التي سنت فيها إسرائيل رسميا عقوبة الإعدام.

لقد تركت محاكمة أيخمان انطباعا كبيرا عندي عندما كنت طفلا في الخامسة عشرة من عمري. إذا كان هدف الأشخاص الذين قدموا أيخمان للمحاكمة هو تشويه ذكرى الإبادة الجماعية النازية في وعي البشرية، فقد كانوا ناجحين تماما في حالتي. لقد تم حفر درس الإبادة الجماعية في نفوسنا مرارًا وتكرارًا: لن يُساق اليهود أبدًا مرة أخرى مثل الأغنام إلى المذبحة. "أبدا مرة أخرى!" أبدا مرة أخرى! أبدا مرة أخرى! استمرت المحاكمة لمدة خمسة أشهر. وقد تم نقل أحداثها بصوت عالٍ وبشكل بارز، يوميًا، في الراديو والصحافة. ولا أزال أحمل في ذهني صورة الرجل الذي يرتدي البدلة الرمادية ويرتدي نظارة سميكة الإطار، ويجلس هناك بصمت ومن دون أي شعور داخل المقصورة الزجاجية، يستمع عبر سماعات الأذن إلى صوت

الترجمة الألمانية لإجراءات المحكمة. ما أذهلني مرارًا وتكرارًا هو مدى مظهره العادي.
في ذهني كنت أتوقع أن يكون مجرم حرب نازي كبير ضخمًا وأن يبدو مثل
وحش في هيئة بشرية. وهنا كان هذا الرجل الصغير، في منتصف العمر، أصلع
قليلاً وغير مثير للإعجاب على الإطلاق.

وبعد عقود من الزمن، ساعدتني قراءة كتاب حنة أرندت الصادر عام 1963 حول محاكمة
أيخمان في حل بعض الألغاز التي أزعجتني عندما كنت مراهقًا، ولا سيما الانفصال بين
الشخصية المخيبة للرجل في قفص الاتهام وضخامة الجرائم التي ارتكبها. المتهم.
العنوان الكامل للكتاب هو أيخمان في القدس: تقرير عن تفاهة الشر. انتقدت أرندت
الطريقة التي أجريت بها المحاكمة، واعتبرتها "محاكمة صورية" وليست محاولة صادقة
لمراجعة الأدلة وتحقيق العدالة. واتهمت هاوزنر باللجوء إلى الخطاب المبالغ فيه
لتعزيز أجندة بن غوريون السياسية ورفضت عرضه للناجين من المحرقة
باعتباره "ليس له تأثير واضح على القضية". قبل كل شيء، انتقدت أرندت
الطريقة التي صورت بها إسرائيل جرائم أيخمان باعتبارها جرائم ضد دولة قومية وليس
جرائم ضد الإنسانية. وفوق كل ذلك، رفضت الادعاء القائل بأن إسرائيل القوية
ضرورية لحماية يهود العالم.

قوبل كتاب أرندت بعاصفة من الاحتجاجات من مختلف الأوساط اليهودية. كان الكثير
من الاحتجاجات يتعلق بالعنوان الفرعي للكتاب - حول تفاهة الشر. واتهمت بالبرود
وعدم التعاطف مع ضحايا الإبادة الجماعية النازية. لقد تم تفسير محاولتها لشرح
كيف يصبح الناس العاديون فاعلين في الأنظمة الشمولية، أو بالأحرى أسيء فهمها،
على أنها اعتذار عن أفعالهم. صحيح أنها كتبت أن أيخمان كان «طبيعيًا للغاية
ومرعبًا». لكنها لم تبرئه من كونه أ

الرجل الذي اتبع الأوامر ببساطة واعتبرت أن عقوبة الإعدام التي فرضها عليه القضاة مبررة تماماً. كان السؤال الأعمق الذي شرعت في فحصه هو ما إذا كان الشر فطريًا أم أنه ببساطة نتيجة لميل الناس العاديين إلى السير مع التيار والامتثال للأوامر وإطاعتها دون التفكير في عواقب أفعالهم. أثناء المحاكمة، صدمها أيخمان باعتباره بيروقراطيًا مملًا وجد دورًا لنفسه في الحزب النازي ويفتقر إلى القدرة على تقييم الآثار الأخلاقية لأفعاله. قاد مثاله أرندت إلى استنتاج أن مجاراة الآخرين والرغبة في قول "نحن" كانت كافية لجعل جرائم الحرب ممكنة. وقالت إنه حتى أفظع الجرائم التي ترتكبها الأنظمة الشمولية، يمكن أن يكون لها أصول دنيوية. كان هذا هو المعنى الحقيقي لعبارة "تفاهة الشر". سواء كانت أرندت على حق أم على خطأ بشأن SS-Obersturmbannführer Adolf Eichmann، فمن المؤكد أنها أدركت حقيقة مهمة حول طبيعة الشر.

وفي إسرائيل ما بعد الحرب، تعرض الناجون من المحرقة لانتقادات قاسية وغير عادلة لأنهم لم يقاوموا، ولأنهم سمحوا لأنفسهم، كما تقول العبارة التوراتية، بأن يُقادوا مثل الأغنام إلى المذبحة. ردت القومية اليهودية ضد هذه السلبية وتمجد المقاومة المسلحة. بطولة المقاتلين في انتفاضة غيتو وارسو عام 1943، وهي المثال البارز للمقاومة اليهودية المسلحة للنازيين، استغلتها الدعاية الإسرائيلية لتصوير يهود الشتات الآخرين على أنهم سلبيون وضعفاء على النقيض من "اليهود الجدد" في إسرائيل. التاريخ اليهودي، كما كان يدرس في مدرستي، أغدق الثناء على الأفراد الذين قاوموا المضطهدين الأجانب وناضلوا من أجل استقلال اليهود. وكان أحدهم سيمون بار كوخبا، الذي قاد ثورة مقاطعة يهودا ضد الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني الميلادي. تم اعتبار بار كوخبا بطلاً قومياً

على الرغم من سحق الثورة التي قادها، إلا أن يهودا تعرضت للدمار وقُتل سكانها أو نُفيوا أو بيعوا كعبيد. والدرس الذي كان من المتوقع أن نستخلصه من تاريخ هذه الثورة هو أن الخوض في القتال أشرف من عدم القتال على الإطلاق.

بطل آخر من المرحلة الصهيونية من التاريخ اليهودي
كان جوزيف ترومبلدور. كان ترومبلدور يهوديًا فخورًا
تطوع في الجيش الروسي وأصبح ضابطا و
فقد ذراعه اليسرى بسبب شظية في الحرب الروسية اليابانية
1905. انتقل إلى فلسطين عام 1912 حيث مارس مهنة المحاماة
الاستيطان الزراعي الجماعي واليهود المسلحون
دفاع. في الحرب العالمية الأولى ساعد في التنظيم
متطوعون في الفيلق اليهودي داخل الجيش البريطاني و
لجلب المهاجرين اليهود إلى فلسطين. توفي ترومبلدور
الدفاع عن مستوطنة تل حاي في الجليل الشمالي
ضد المهاجمين العرب في عام 1920 وأصبح فيما بعد
الأيقونة الصهيونية ورمز الدفاع عن النفس. في المعيار
وفي الترجمة الصهيونية للقصة، كانت كلماته الأخيرة: "إنه كذلك".
من الجيد أن نموت من أجل بلادنا». ملصق لترامبلدور
زينت الجدار في الفصول الدراسية لدينا وتعلمنا أ
أغنية مدح لبطولته. لقد كانت رقيقة وجميلة
أغنية وغنيناها مرات عديدة لدرجة أنني عرفت الكلمات
حسنًا. لم أستطع الغناء طوال حياتي إلا في عيد ميلاد
حفلة لصديقي العراقي يوسف صوفر، انتصر والده
علي أن أغني هذه الأغنية أمام جميع الضيوف. كثير
وبعد سنوات علمت أن قصة ترومبلدور هي الأخيرة
تم تصنيع الكلمات وتبين أن آخر ما قدمه
كانت الكلمة yopfoyomat، وهي كلمة روسية بذيئة،
مترجمة بشكل تقريبي جدًا، تعني "موظر".

في هذا الوقت تقريبًا بدأت في تنمية اهتمامي بالسياسة. كيف أو لماذا تطور هذا الاهتمام ليس واضحًا تمامًا بالنسبة لي اليوم. لا أذكر أنني تحدثت في السياسة مع أصدقائي. ولا يمكن أن يأتي التحفيز من المنزل.

لم يكن والداي يقرأان الصحف ولم يكونا على دراية جيدة بالسياسة الداخلية أو الشؤون الخارجية. فبعد أن نشأوا في ظل ثقافة سياسية استبدادية، لم يعتادوا على الحرية السياسية ولم يفهموا إلا بشكل غامض معنى الديمقراطية. من المؤكد أن المشهد السياسي الإسرائيلي كان محيراً إلى حد ما. وقد أدى نظام التمثيل النسبي الخالص إلى تكاثر الأحزاب، حيث لم يكن لدى بعضها سوى عدد قليل من الممثلين في الكنيست المؤلف من 120 عضوا. وهكذا كان لدى إسرائيل نظام حزبي متطور، وربما مفرط التطور. وبما أنه لم يفز أي حزب على الإطلاق بالأغلبية المطلقة، فقد كانت جميع الحكومات حكومات ائتلافية بحكم الأمر. وكان حزب مباي، الذي يمثل الصهيونية العمالية، هو الحزب الحاكم، وكان حزب حيروت، وهو حزب قومي يميني، هو حزب المعارضة الرئيسي. كان حزب ماباي يقوده ديفيد بن غوريون، الصغير الحجم والمشاكس، في حين كان يقود حيروت مناحيم بيغن، وهو يهودي بولندي، تلميذ زئيف جابوتنسكي، والقائد السابق لمنظمة الإرغون، المنظمة العسكرية الوطنية قبل الاستقلال. سيطر على المشهد البرلماني إلى حد ما التنافس الشخصي والسياسي المرير بين هذين الزعيمين، لدرجة أنه كان يشبه في بعض الأحيان عرض "بانش وجودي".

كان والداي يدعمان حزب الصهاينة العامين، وهو حزب وسطي يتكون من التجار والصناعيين وملاك الأراضي والمهنيين ذوي الياقات البيضاء. انضمت والدتي إلى جماعة الصهاينة العامة وعملت معهم كمتطوعة في المساعدة في تنظيم الأحداث. لكن التزامها بالحزب لم يكن سوى فاتراً. كان عليها أن تفعل المزيد مع العلاقات الشخصية من الأيديولوجية السياسية. لقد قدمت دعمها عن طيب خاطر للدكتور إلياهو، وهو يهودي عراقي ثري يطمح إلى أن يصبح عضواً في الكنيست. لم تستطع حتى أن تتذكر ما إذا كان يضغط من أجل اعتماده كشخص

مرشح برلماني من قبل الصهيونيين العامين أو من خلال قائمة منفصلة لحزب السفارديم. كل ما تتذكره هو أنه عقد عدة اجتماعات في الفترة التي سبقت الحملة الانتخابية للترويج لترشيحه. قامت والدتي وابنة عمها إسبرانس، ابنة العم جاكوب، بتنظيم المرطبات. الدكتور الياهو لم يكن ناجحا. ولم يتم اعتماده كمرشح.
تتذكر والدتي قوله: «في السياسة هناك سلم يجب تسلقه». الأشكناز يدفعون بعضهم البعض إلى أعلى السلم. نحن، السفارديم، ندفع بعضنا البعض إلى الأسفل».

لم يكن ميلي الأولي نحو اليسار بل نحوه
حيروت. كنت صغيراً وأكافح من أجل فهم الأمر
المشهد السياسي المعقد من حولي. بقدر ما أستطيع
تذكر أن الدافع الأولي لانحرافتي نحو اليمين جاء
من جارنا عزرا منصور، يهودي عراقي من البصرة
الذين دفعتهم المعتقدات الصهيونية إلى الهجرة إليها
فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل. هو
وعاشت عائلته في الطرف الآخر من الهبوط على
الطابق الرابع من بنايتنا الكبيرة؛ كان لدينا أبواب أمامية
على بعد حوالي خمسة أمتار. جاءت زوجته مارجوت من
حلب ثاني أكبر مدينة في سوريا بعد دمشق
وأعطتني دروسًا خصوصية في اللغة الفرنسية على طاولة مطبخها.
لم تكن معلمة مدربة، لكنها ساعدتني كثيراً
أتعامل مع واجباتي المنزلية وبفضلها أديت
أفضل بكثير باللغة الفرنسية من الإنجليزية. مارجوت وبلدي
أوضحت الأم مفارقة ملحوظة قليلاً في الناشئة
المجتمع الإسرائيلي، أي أن النساء العربيات اليهوديات كن في كثير من الأحيان
أفضل تعليما وأكثر غربية من شرقهم
الأخوات الأشكناز الأوروبيات.
على جبهة الطهي، كان الفرق بين الشرق والغرب مذهلاً للغاية. يعتبر الطعام السوري على نطاق واسع هو الأفضل في الشرق الأوسط وكانت مارجوت طباخة ممتازة.
كانت الروائح الرائعة تفوح في بعض الأحيان من خلال

المطبخ عندما كانت تطبخ، وكنت دائمًا ممتنًا جدًا عندما دعتني لتذوق أطباقها. كانت مارجوت تتحدث العربية بلهجة سورية مختلفة تمامًا عن اللهجة العراقية اليهودية التي اعتدت عليها. لقد كانت امرأة لطيفة إلى درجة أنها ساعدت والدتي في ترتيب منزلنا الذي يعاني من الفوضى المزمنة. بعد وفاة يوما، لم تحافظ والدتي على عادة طبخ البنجر التي تتطلب جهدا كبيرا وتستغرق وقتا طويلا، كل يوم جمعة. اسم طبق السبت هذا يأتي من الطبايعة العربية، وهو ما يعني البقاء بين عشية وضحاها. كان بإمكاننا الاستغناء عن الدجاج المطهو ببطء مع الأرز الحار، لكننا ما زلنا نرغب في البيض البني لوجبة الإفطار التقليدية يوم السبت. جاءت مارجوت للإنقاذ من خلال السماح لنا بوضع بيضنا المميز بالقلم الرصاص بجانب بيضها في وعاء البنجر.

عزرا لم يشارك زوجته الصفات الحميدة. لقد كان رجلاً قاسيًا وفظًا وله طابع استبدادي واضح في شخصيته. كان المبنى السكني الخاص بنا يضم حوالي ثلاثين شقة وأربعة سلالم مختلفة وسقفًا كبيرًا مسطحًا. كنا نعيش نحن وعائلة منصور في الطابق العلوي من المبنى المكون من أربعة طوابق. أحببت أنا وأصدقائي اللعب على السطح، واستمتعت بشكل خاص بأداء الأعمال المثيرة بدراجتي. لقد لعبنا أيضًا ألعاب الكرة والغميضة. كان عزرا يصرخ علينا ويطردنا، خاصة عندما نزعج قيلولته بعد الظهر. لم يكن رجلاً متعلمًا جيداً، فقد ترك المدرسة في الرابعة عشرة من عمره. كان يعمل في مجال إطارات الصور، واستأجر متجرًا في شارع بياليك، على بعد بضع مئات من الأمتار من المبنى السكني الذي نسكنه. لقد كان قومياً متحمساً ومؤيداً متحمساً لحيروت - وكان مناحيم بيغن هو إلهه. كان هناك منشور للفرع المحلي لحزب حيروت، وقد تأثرت كثيرًا برؤية اسم عزرا مدرجًا في القائمة إلى جانب ستة نشطاء آخرين في الحزب.

احتفظ عزرا في المنزل بمجموعة كبيرة من الكتب، كلها كتبها أعضاء ما يسمى أحيانًا "الوطني".

"المخيم" في إسرائيل. وبقدر ما أستطيع أن أتذكر، لم يكن لديه كتب أخرى. معظم
هذه الكتب كتبها صحفيون يمينيون، وقادة حيروت، والعديد منهم أعضاء سابقون
في منظمة الإرغون، أو عصابة شتيرن، الفصيل الأكثر تطرفًا في الحركة
الصهيونية التصحيحية واسمها الحقيقي ليهي، وهو الاختصار العبري
للمقاتلين. من أجل حرية إسرائيل. وصفت عصابة شتيرن نفسها بفخر في أدبياتها بأنها
منظمة إرهابية. ومن بين ضحاياها الأكثر شهرة اللورد موين، وزير الدولة البريطاني
لشؤون الشرق الأوسط، الذي اغتيل في القاهرة عام 1944، والكونت فولك برنادوت،
وسيط الأمم المتحدة في فلسطين، الذي اغتيل في القدس عام 1948. هذه الكتب من عزرا ووجدتها
رائعة وممتعة تمامًا. كان الخيط الذي يربط هذا الأدب هو النضال الوطني من أجل
الاستقلال. وكانت بعض الكتب تدور حول النضال ضد الاستعمار البريطاني،
والبعض الآخر يدور حول الصراع مع العرب المحليين. ومن خلال قراءتي لهذه الأدبيات،
استوعبت تدريجيًا المنظور الصهيوني التعديلي حول الصراع العربي اليهودي
وظهور دولة إسرائيل. ومن دون أن أدرك ذلك، كنت أتحرك ببطء نحو الجناح اليميني من
الطيف السياسي.

لقد لعب الاستياء ضد حزب ماباي الحاكم القوي، وزعمائه الأشكناز، دوراً
كبيراً في صحوتي السياسية. كان حزب ماباي يفتخر بكونه حزبًا عماليًا
اشتراكيًا وتقدميًا ويسعى إلى المساواة، لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لي.
لقد صدمني موقفها تجاه يهود الأراضي العربية باعتباره منافقًا بشكل خاص.
لقد ذكرت بالفعل زلمان آران وسياسته التعليمية التمييزية. والأهم من ذلك بكثير هو
ديفيد بن غوريون، زعيم حزب ماباي وأول رئيس وزراء لإسرائيل. يُنظر إليه على
نطاق واسع على أنه أب الأمة،

لقد حدد النغمة في الخمسة عشر عامًا الأولى من قيام الدولة. وفي خطاب ألقاه في الكنيست في تشرين الأول/أكتوبر 1960، أعلن بن غوريون أن اليهود في البلدان الإسلامية "عاشوا في مجتمع متخلف وفاسد وغير متعلم ويفتقر إلى الاستقلال واحترام الذات". ورأى أن المهاجرين الأكبر سناً من هذه البلدان لن يتغيروا جذرياً أبداً، ولكن يجب على المهاجرين الأصغر سناً أن يتشبعوا "بالصفات الأخلاقية والفكرية المتفوقة" لأولئك الذين أنشأوا دولة إسرائيل. وحذر قائلا: «إذا لم ننجح، لا سمح الله، فهناك خطر يتمثل في أن الجيل القادم قد يحول إسرائيل إلى دولة شرقية. '2

كنت في الخامسة عشرة من عمري في ذلك الوقت ومن غير المرجح أن يكون لدي كان على علم بهذا الكلام. أقتبسها الآن لأنها يجسد روح العصر، والروح والمزاج المميز لذلك فترة. فهو يمس جوهر المفهوم الصهيوني لإسرائيل كمعقل أوروبي في الشرق الأوسط. كان هذا كيف لقد تصور هرتزل الدولة اليهودية في كتابه الشهير مع هذا العنوان. وكان أيضًا الأساس الذي أصدرت عليه بريطانيا وعد بلفور. لقد كانت روح اليهود ولاية. وهذا ما كنا نحن المهاجرين الشباب منه الدول الإسلامية، كانت ضد. لقد فعل مرور الوقت لا يوجد الكثير لتعديل هذا المفهوم لإسرائيل ككائن تتعارض بشكل أساسي مع بيئتها. فيلا في "الغابة" هو الوصف المتعجرف الذي لا يطاق لإسرائيل بقلم إيهود باراك، زعيم حزب العمل ورئيس الوزراء في 1999-2001.

في 15 أغسطس 1961، أجريت الانتخابات العامة للكنيست الخامسة. وصوتت كل إسرائيل تقريبًا بنسبة إقبال بلغت 86.1%. وتنافس في الانتخابات أربعة عشر حزبا وحصل أحد عشر حزبا منها على تمثيل في الكنيست. الانتخابات الإسرائيلية هي دائما شؤون صاخبة وغير محظورة. كانت حملة 1961 طويلة ومضطربة ومريرة

متنازع عليها. لقد أجريت ثلاث انتخابات منذ وصولنا إلى إسرائيل، لكن هذه كانت
الحملة الأولى التي أثارت اهتمامي. لكن مشاركتي في السياسة كانت شأنا انفراديا.
نادراً ما كنت أناقش السياسة مع والدي أو إخوتي أو حتى أصدقائي. ولم يكن لدي أي
تفضيلات حزبية واضحة. لقد حضرت محادثات لمتحدثين من مختلف الأحزاب،
واستمعت، وتأملت ما سمعته، واحتفظت بأفكاري غير المكتملة لنفسي. لم يكن
ماباي يجذبني: لقد كان بعيداً، وغريباً،

غير متعاطف، وقبل كل شيء، متعجرف وراضي عن نفسه. هو - هي
اشتهر بتعصبه تجاه المزراحيين وعليهم
كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالوضع الراهن غير المرضي.
لقد كان الصهاينة العموميون عقلاء ومدنيين وعقلانيين ولكن
يفتقر إلى أي شغف أو أفكار مثيرة. لقد قاموا بتلبية احتياجاتهم
في المقام الأول إلى منتصف العمر والطبقة المتوسطة والمتوسطة
رجال ونساء الطريق؛ بالنسبة لشاب كان لديهم جدا
القليل لتقدمه. ذهبت أيضًا إلى اجتماعين لحزب جديد
التي حاولت حشد دعم اليهود السفارديم، لكنني
وجدت أن مستوى الخطاب السياسي منخفض بشكل محرج.
المتحدثون كانوا متواضعين، والجمهور إلى حد كبير
يتألف من يهود عراقيين كبار السن يشعرون بالملل. للتصويت
لأغراض، تم تحديد الحزب بالحرف شين. أ
استمر المغني برفقة عازف العود في ترديد النشيد
لحن توقيع الحفلة بمزيج من اللغة العربية و
العبرية: "هاثا الشين شيلانو، شهاثا الشين شيلانو"
«هذا ساقنا وهذا ساقنا». المنظمون
من الواضح أنه يعتقد أنه حتى لو لم يحصل الحاضرون على شيء
وإلا من الاجتماع، فإنهم على الأقل سيتذكرون أي منها
رسالة لوضعها في صندوق الاقتراع. ولم يكن الأمر مفاجئًا عندما
فشل هذا الحزب في الحصول على مقعد واحد في الكنيست.
السياسي الوحيد الذي أثار إعجابي خلال الحملة الانتخابية كان مناحيم بيغن،
زعيم حزب حيروت، ثاني أكبر حزب، والرئيس الرسمي لحزب حيروت.

المعارضة في الكنيست. كان بيغن سياسياً يمينياً دافع عن الرأسمالية الحرة في الداخل وسياسة خارجية متشددة في التعامل مع العرب. ولم يكن لسياسته الداخلية ولا لسياسته الخارجية أي جاذبية خاصة بالنسبة لي. ما جذبني هو الاحترام الذي أظهره على ما يبدو تجاه شريحة كبيرة من المجتمع الإسرائيلي التي تجنبتها مؤسسة حزب العمل. كان الساسة العماليون، من بن غوريون وما بعده، يتعاملون عادة مع الجماهير الشرقية بازدراء، حيث ينظرون إليهم على أنهم فج وبدائيون، "أفضل قليلاً من العرب". لقد أدرك بيغن أن الشرقيين كانوا أشخاصًا حساسين وفخورين، فاستغل مشاعرهم المؤلمة إلى أقصى حد. ولم يبذل أي جهد لجذب مصالحهم المادية، كما يفعل السياسيون عادة. وبدلاً من ذلك، كان يتعامل معهم على المستوى العاطفي باعتبارهم مواطنين فخورين ووطنيين ومتساويين. لقد أظهر نجاحه أنه يمكن إقناع الناس بالتضحية بمصلحتهم الذاتية من أجل إرضاء من النوع الرمزي.

إن سر جاذبية بيغن الشعبوية يكمن في مهاراته الخطابية أكثر من جوهر سياساته. لقد كان خطيبًا ساحرًا يعرف كيف يثير الجماهير. عندما كنت مراهقًا، واجهت بنفسي التأثير العاطفي والنفسي الهائل لخطاباته. كان ذلك عندما خاطب حشدًا في الهواء الطلق في الساحة المركزية في رمات غان خلال انتخابات عام 1961. وكانت الساحة تعج بالآلاف من الناس. وقف بيغن على الشرفة أمام مجموعة من الميكروفونات وألقى خطابًا قويًا وعاطفيًا وناريًا. ومن خلال خطاباته، أقام علاقة مباشرة مع الجمهور، الذي تخلل الخطاب جولات من التصفيق المدوّي. كان الجمهور سعيدًا ومتحمسًا ومبتهجًا. ووصل التجمع إلى ذروته بغناء النشيد الوطني "هاتيكفا".

بينما انبهرت بالمتحدث، شعرت بأنني خارج مكاني وسط هذا الحشد. عندما نظرت حولي، رأيت الكثير من الشباب اليهود الشرقيين ذوي البشرة السمراء، والعديد منهم يضعون سلاسل ذهبية ثقيلة حول أعناقهم، وهم يهتفون ويصفقون للقائد. كان هؤلاء الشباب هم من أطلق عليهم خصوم بيغن السياسيون اسم "تشاخشاخيم"، وهو مصطلح مهين للمزراحيين، وخاصة يهود شمال إفريقيا، ويعني الطبقة الدنيا أو الرعاع. أشعر بالخجل من الاعتراف بأنني نأت بنفسي عن الشخشاخيم. لقد كنت خجولًا وحساساً ومنطويًا، لكنني انضممت إلى بقية الجمهور في الصراخ "ابدأ لا شيلتون!" ابدأ لا شيلتون! ابدأ لا شيلتون!». "البدء في السلطة!" وكأننا ظننا أن التكرار الإيقاعي للشعار سيساعد في تحويله إلى واقع.

وكان الشعار الآخر الذي تردد صداه مرارا وتكرارا في الميدان هو "ابدأوا لا شيلتون، بن غوريون لا زيراترون!" "ابدأ بالسلطة، بن غوريون إلى السيرك!" (وبناء على نصيحة طبيبه الشخصي، اعتاد ديفيد بن غوريون أن يقف على رأسه، وكانت هناك صور كثيرة له وهو يفعل ذلك في الصحافة). وحينما أستعيد الماضي، فإن موقفي المتناقض تجاه الشباب من شمال أفريقيا المؤيدين لبيغن يبرز بوضوح. حالة كلاسيكية من التنافر المعرفي. كنت أنظر إليهم بازدراء، لكنني كنت يهوديًا عربيًا مثلهم. لقد أعطانا بيغن صوتاً، ووحدنا جميعاً ضد مؤسسة الأشكناز-ماباي، بغض النظر عن بلدنا الأصلي في العالم الإسلامي.

أصبح مناحيم بيغن رئيساً للوزراء بعد فوز حزب الليكود (الذي تكوّن من اندماج حيروت والصهاينة العموميين) في انتخابات عام 1977، وبذلك أنهى ثلاثة عقود من الهيمنة السياسية المتواصلة لحزب العمل. في رأيي الناضج، كان رئيس وزراء كارثيًا ألحق أضرارًا جسيمة بالبلد الذي أحبه. وهو يستحق بعض الفضل في معاهدة السلام مع مصر التي أكسبته جائزة نوبل للسلام، لكنه كان مسؤولاً أيضاً

بسبب الغزو المشؤوم والمشؤوم للبنان عام 1982، والتوسع الهائل في المستوطنات اليهودية على الأراضي الفلسطينية المحتلة، والذي قوض احتمالات التوصل إلى حل الدولتين للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. فلماذا انجذبت إلى هذا السياسي اليميني في شبابي؟ الإجابة الصادقة الوحيدة هي أنني في ذلك الوقت كنت غاضباً ومنعزلاً، ولم يكن لدي أي حكم نقدي، مما جعلني فريسة سهلة للديماجوجيين. كان بيغن شعبوياً ذكياً لعب بمهارة على وتر استيائي من المؤسسة الأشكنازية. في التجمع الذي حضرته، هاجم بلا رحمة الحكومة التي يقودها حزب مباي، وسياساتها الداخلية، ومحاباتها وتهاونها. ولم ينخرط، بقدر ما أستطيع أن أتذكر، في خطابه المعتاد الذي يهاجم العرب في هذه المناسبة، ولو أنه فعل ذلك، أظن أنه لن يكون له صدى معي.

تجربتي تساعدني على فهم النمط والمفارقة في السياسة الإسرائيلية، وعلى وجه التحديد، تصويت اليهود الشرقيين لصالح مناحيم بيغن وخلفائه. إن قيادة الليكود هي في الغالب أشكنازي، ولم تخدم سياساتها النيوليبرالية أبداً مصالح القطاعات المحرومة في المجتمع. ومع ذلك، تواصل الطوائف الشرقية، وخاصة المغاربة، التصويت بأعداد كبيرة لصالح الليكود. وبدون دعمهم، لن يتمكن الليكود من البقاء في السلطة. فلماذا يصوتون لحزب تتعارض سياساته مع مصالحهم؟ التفسير المعتاد هو أن اليهود الشرقيين جلبوا معهم إلى إسرائيل كراهية عميقة وعدم ثقة تجاه العرب، وبالتالي انجذبوا بشكل طبيعي نحو أحزاب اليمين القومية الصريحة التي تحتقر العرب. ومع ذلك، هذا ليس مقنعا تماما. ولا تدعمه تجربتي الخاصة ولا تجربة أقاربي. يبدو لي أن كراهية العرب تمت زراعتها عمداً في إسرائيل من قبل سياسيين عديمي المبادئ من أجل الوصول إلى السلطة.

وإطالة أمد سيطرتهم عليه. وكان مناحيم بيغن من أوائل السياسيين الإسرائيليين الذين لجأوا إلى هذا التكتيك القبيح، لكنه لم يكن الوحيد. كما أن التلاعب بالمشاعر المعادية للعرب لم يكن حكراً على اليمين الإسرائيلي.

ولم يكن لصحوتي السياسية أي تأثير واضح، للأفضل أو للأسوأ، على أدائي في المدرسة. في سنتي الثانية في جيمناسيا دفير، واصلت التخلف عن بقية الفصل. لم أكن بعد متحمساً للدراسة، ولم أبذل سوى الحد الأدنى من الجهد لأتمكن من تدبر أمري. إن مقارنة درجاتي في الفصلين الأول والثاني تظهر عدم وجود تقدم في أي مادة وتراجع في التاريخ والجغرافيا والفيزياء والأحياء. كانت علامتي في هذه المواد وفي جميع المواد الأخرى تقريبًا ستة من أصل عشرة أو درجة النجاح. كانت درجاتي في الرياضيات واللغة الإنجليزية أربعة من أصل عشرة، وهو فشل لا لبس فيه. كانت هاتان العلامتان الأخيرتان بمثابة تحذير واضح بأنه، إذا لم يحدث تحسن كبير، فلن يُسمح لي بالانتقال إلى الصف التالي الذي كان سيتعين علي فيه اجتياز اختبار خاص خلال العطلة الصيفية حتى أتمكن من الاستمرار. كانت هناك فرصة جيدة لاجتياز اختبار الرياضيات، ولكن كانت هناك فرصة ضئيلة لاجتياز اختبار اللغة الإنجليزية.

وفي هذا السياق المحبط خطرت ببال والدتي فكرة إرسالي للدراسة في إنجلترا. كانت غير مبالية بتعليم أخواتي، وكانت ملتزمة تمامًا بإعطائي كل فرصة للنجاح. ولم تكن مستعدة، كما قالت لي لاحقاً، للجلوس ورؤيتي في نهاية المطاف كصبي رسول، مثل الكثير من العراقيين في عمري. ونظراً لظروفنا المالية الصعبة، بدت فكرة إرسالي للدراسة في إنجلترا بعيدة المنال إلى أقصى الحدود. لكنها لم تكن جديدة تماما. وكانت الحجة التي استخدمت للتغلب على إحجام والدتي عن الزواج من والدي هي أنها ستتمكن من إرسال أطفالها إلى المدرسة في إنجلترا. الآن كان والدي عاطلاً عن العمل، وبينما لم يكن كذلك

عارض الفكرة، وشعر أنهم لا يستطيعون تحمل تكاليفها. لكن لم يكن هناك رادع لأمي. ومرة أخرى، كما حدث في كثير من الأحيان منذ وصولنا إلى إسرائيل، لجأت إلى والدتها للحصول على المساعدة المالية.

تمتلك نانا فيلا كبيرة في منطقة ثرية
الكرادة في بغداد، ولأنها كانت من الرعايا البريطانيين،
ولم تتم مصادرة ممتلكاتها من قبل الحكومة
بعد أن غادرت العراق عام 1950. وأنجب منها ابنها الأكبر إسحاق
حصل على الجنسية البريطانية عند التحاقه بالجيش البريطاني في
الحرب العالمية الثانية واستقر في إنجلترا في
نهاية الحرب. بعد عدة سنوات من مغادرتنا إلى إسرائيل، إسحاق
تمكنت بمساعدة اثنين من المحامين من الحصول على أحدهما في لندن
وواحد في بغداد لبيع البيت بـ 10000 دينار.
كان على نانا أن تقوم برحلة خاصة إلى لندن للتوقيع على الاتفاقية
الوثائق، والسفر على جواز سفرها البريطاني. كان إسحاق
أرسل لها تذكرة طيران عودة إلى لندن، كما هو
أبلغت والدتي في رسالة غير مؤرخة، بتكلفة 124 جنيهًا إسترلينيًا. نحن نفعل
لا أعرف ما إذا كان قد تم فتح حساب مصرفي جديد ل
إيداع الأموال. ولكن بما أن نانا لم تكن تعرف اللغة الإنجليزية وكانت كذلك
العودة إلى إسرائيل على أي حال، فمن الأرجح أن المال
تم إيداعه باسم إسحاق. بقدر ما كانت نانا
تشعر بالقلق، وقالت أنها لا تزال تملك هذا المال وكانت على استعداد لذلك
استخدامه لدفع تكاليف دراستي. وتبين فيما بعد أن إسحاق
وقد أنفق المال - أخوه صالح الذي كان يعيش في الجديدة
اختلف يورك معه عندما رفض إسحاق أن يعطيه إياه
حصة من بيع منزل الأسرة. والدتي لم تحصل
المتورطة في هذا النزاع. لكنها كتبت إلى إسحاق
قل أنها أرادت أن ترسلني إلى المدرسة في لندن وذلك
وكانت نانا على استعداد لدفع الفاتورة. بحلول هذا الوقت كان إسحاق
العيش في نيوكاسل أبون تاين. بعد أن تزوجت من الإنجليزية-
امرأة يهودية تدعى دوريس فريدمان، قامت بتصفيتها
فشل العمل في لندن وانتقلت إلى مسقط رأسها
في الشمال.

في البداية وافق إسحاق على الخطة. في 28 يونيو 1961، كتب إلى والدتي أنه تلقى رسالة من العم جاكوب يحثه فيها على إعطائي فرصة لمواصلة دراستي في إنجلترا. وافق إسحاق وطلب من والدتي المضي قدمًا في ترتيبات إرسالي إلى لندن. قال أنه سيقابلني في لندن ويأخذني إلى نيوكاسل. ثم أضاف: "إذا كان بإمكانك إرسال أبي على متن سفينة Orange Cargo إلى نيوكاسل أبون تاين، فسيكون الأمر أفضل بكثير، حيث توجد مثل هذه القوارب من إسرائيل". ولكن بعد شهر، وتحت ضغط من دوريس، غير إسحاق رأيه.

فكرة الذهاب للدراسة في إنجلترا أسرت مخيلتي على الفور وأصبحت مهووسًا بها. بدا وكأنه الحل الأمثل لجميع مشاكلي، نوع من الآلة السابقة. لم يكن لدي أي شيء يحدث لي في إسرائيل وأدركت ذلك. كنت أشعر بالملل في المدرسة، وحياتي في المنزل كانت مملة، ولم يكن لدي أي شعور بالارتباط بالوطن. كان يخيم عليّ الخوف من الرسوب في الامتحانات، والطرد من المدرسة، والاضطرار إلى الذهاب إلى سوق العمل دون أي مؤهلات. وفي ظل هذه الخلفية، بدا احتمال السفر إلى الخارج وبدء حياة جديدة جذابًا للغاية. لذا، بمجرد ظهور هذا الاحتمال، بدأت العمل بجد لتحسين لغتي الإنجليزية. لكن الطريقة التي اتبعتها في ذلك لم تكن ذكية بشكل خاص. في كل مرة أجد فيها كلمة إنجليزية لا أعرفها، كنت أكتبها في كتاب تمرين صغير مع الترجمة العبرية بجانبها. وقد أدى ذلك إلى توسيع مفرداتي، لكنه لم يعزز معرفتي بالقواعد ولم يساعدني في بناء الجمل. وكانت هناك أيضًا بعض الخطوات العملية التي يجب اتخاذها للتخطيط للرحلة، مثل الحصول على جواز سفر والتقدم بطلب للحصول على تأشيرة بريطانية. لقد كنت مستعدًا ذهنيًا وعمليًا للرحلة عندما وصل خبر غير مرحب به من نيوكاسل.

في أحد الأيام، طرق ساعي البريد بابنا ليُسلّم برقية. لم تكن والدتي في المنزل، فقط أختي داليا وأبي وأنا. والدي لا يستطيع التحدث باللغة الإنجليزية. قرأت البرقية بصوت عالٍ. مكتوب عليها "ألغوا رحلة أبي". لم يكن لدي أنا وداليا أي فكرة عما يعنيه "الإلغاء". لكن والدي كان يعرف هذه الكلمة. قال بنوع من السلطة: "إلغاء يعني ضرب" الكلمة العربية التي تعني إلغاء. لذلك تمكنا فيما بيننا من فك تشفير البرقية. ربما كانت هذه الأخبار بمثابة ارتياح بالنسبة لوالدي، رغم أنه لم يُظهر ذلك. بالنسبة لي، كان الخبر بمثابة ضربة قاصمة، فانفجرت في البكاء. عندما عادت والدتي إلى المنزل، أظهرنا لها البرقية. أخبرتني ألا أقلق وأكدت لي تصميمها على المضي قدمًا في الخطة. حتى أنها بدأت تتحدث عن بيع شقتنا لتمويل دراستي في الخارج. إن القيام بذلك سيكون ظلمًا تمامًا لوالدي وأخواتي، لكنها كانت مصممة على إرسالي إلى إنجلترا، مهما حدث. في كتاب صديقي سامي ميخائيل "التجربة الإسرائيلية"، هناك فصل عني كمثال لصبي شرقي أبلى بلاء حسنا، على الرغم من الصعوبات التي كانت تعترضه في إسرائيل. عنوان الفصل هو "كانت والدتي مصممة على أن تنجحني".3

لعبت مريم ياكيم، ابنة رئيس بلدية رمات غان، أفراهام كرينيتسي، دورًا متواضعًا في تمكين والدتي من تحقيق خطتها. في سيرتها الذاتية المطبوعة بشكل خاص، "قصة حياتي"، يوجد قسم قصير عني يحتوي على صورة لنا نحن الاثنين. كانت السيدة ياكيم رئيسة قسم رعاية الأطفال في دار البلدية، حيث كانت والدتي تعمل كموظفة هاتف. كانت والدتي تذهب أحيانًا إلى مكتبها للدردشة أثناء استراحة القهوة. أخبرتها والدتي أن لديها أخًا في إنجلترا وأنه وعدها بمساعدتها، لكن زوجته اعترضت على الخطة. في حالة من اليأس، لجأت والدتي إلى صديقتها طلبًا للمساعدة. في ذلك الوقت كانت السيدة ياكيم تستضيف مجموعة من اليهود

تلاميذ المدارس من لندن بقيادة حاخام. طلبت منه النصيحة، فأعطاها اسم وعنوان مدير هيليل هاوس، وهو نزل للطلاب اليهود في لندن. في عيد ميلادها التسعين، أهديت للسيدة ياكيم كتابًا من تأليفي، وشكرتها على تشجيعها ودعمها. وبلمسة من الميلودراما، تصف في سيرتها الذاتية "القصة المذهلة" لصعودي من الصفر إلى منصب محاضر في إحدى الجامعات البريطانية المرموقة. وكتبت أن هذه القصة عززت قناعتها بأن كل طفل لديه القدرة على النجاح إذا أتيحت له الفرصة. اتضح لاحقًا أن كان بالفعل نزلاً Hillel House

للطلاب اليهود في لندن، ولكن ليس للأولاد في عمري.
كل ما يمكن أن يقدمه Hillel House كان مؤقتًا
الإقامة لمدة أسبوع أو أسبوعين، ولكن هذا كان كافيا
شجع والدتي على استئناف الاستعدادات لرحلتي
في الخارج. كتبت إلى المدير لإبلاغه أنني كذلك
في طريقي، معتبرة أنه من المسلم به أنني سأتمكن من البقاء
هناك عندما وصلت إلى لندن. وبالمثل، كتبت لي
عمه في نيوكاسل - ولكن فقط ليقدم له الأمر الواقع
أمر واقع. وبدلاً من الاحتجاج، أثنى على والدتي
لأخذ المبادرة ووضع المسؤولية عليها
له. وباستخدام تعبير عربي، قال إنه يفهمها
كان يقول: "إنه عليك الآن." أنت تتعامل معها! التالي
كانت الخطوة هي شراء تذكرة من شركة ZIM للشحن
رحلة بالقارب من حيفا إلى مرسيليا. لقد حزمت حقيبة واحدة
وحصل على 100 دولار نقدًا كحد أقصى للأجنبي
بدل العملة للإسرائيليين المسافرين إلى الخارج. في 7
سبتمبر 1961، رافقتني عائلتي بأكملها إلى
هيفا لوداع عاطفي وتوديع. لقد تركت
أرض الميعاد دون أن تلقي نظرة إلى الوراء.



آفي مع عمه إسحاق عوبديا في نيوكاسل

لندن

عندما أبحرت سفينة الرحلات البحرية ZIM بعيدًا عن ميناء حيفا، شعرت، لأول مرة
في حياتي، بشعور عميق بالتحرر. كنت الآن بمفردي، متحرراً من قيود
المدرسة وضغوط المجتمع الذي يهيمن عليه الأشكناز. شعرت أيضًا بالتحرر
من التعقيدات النفسية للأسرة، وهو أمر ليس غريبًا على المراهق. لقد كنت أشعر
بالدوار من الإثارة. لم يكن من الواضح على الإطلاق كيف ستتطور الرحلة، لكن في
الوقت الحالي، أسعدتني حريتي التي اكتسبتها حديثًا. –

استغرقت الرحلة من حيفا إلى مرسيليا ستة أيام، مع توقف لمدة نصف يوم
في كل من نابولي وجنوة. كانت الحياة على متن القارب بالنسبة لي قمة الرفاهية مع
ثلاث وجبات في اليوم، واستراحة لتناول القهوة في الصباح واستراحة لتناول
الشاي بعد الظهر، وطعام ممتاز بكميات غير محدودة وأشكال مختلفة من الترفيه:
الأفلام، والمغنيون، والممثلون الكوميديون، والمقاهي، الحانات والكراسي على سطح
السفينة للحمامات الشمسية. لقد كونت صديقًا في اليوم الأول، وهو طالب إكوادوري
ساحر يُدعى بيبي، وأصبحنا أنا وهو رفيقين لبقية الرحلة. أثناء توقفنا في
نابولي وجنوة، كنا نسلي أنفسنا بمقالب طفولية مثل تجربة الناس في الشارع
العبارة الإيطالية الوحيدة التي نعرفها، "Dove la posta؟" "أين مكتب البريد؟"
ومن ثم التظاهر بفهم الإجابات.

الجزء الذي لا يُنسى من الرحلة كان القطار الطويل
الرحلة من مرسيليا إلى باريس. بجانبي في الثامنة
مقصورة الشخص جلست بشكل أكثر جاذبية وأناقة
امرأة ترتدي ملابس ومكياج لا تشوبه شائبة. كانت
ربما في منتصف الأربعينيات من عمرها؛ كان لديها شعر أشقر قصير، أزرق
العيون والوجه الباسم والأخلاق الحميدة. سلوكها،
في نظري غير المتعلمة، كان ذلك من الطبقة العليا الغنية
امرأة. تحدثنا بالفرنسية، ولدهشتي و
الإشباع، فهمي للغة كان على وشك
جيدة بما يكفي لإجراء محادثة. الغريب
لقد قصفتني بالأسئلة حول نفسي وعائلتي وعائلتي
الخلفية وخططي. ربما وجدت قصتي
مثيرة للاهتمام على خلفية سكان ما بعد الحرب
الحركات: صبي يهودي من دولة عربية انتقل
مع عائلته إلى إسرائيل وكان الآن متجهًا إلى إنجلترا
خاصته. أو ربما كانت مجرد امرأة فرنسية لطيفة
الذي كان يحاول تكوين صداقة مع مراهق أجنبي كان
تسافر عبر بلدها. وفي كلتا الحالتين، يبدو أنها كذلك
تأخذ تألق بالنسبة لي. في أحد النواحي كان سلوكها
غريب بعض الشيء: ظلت تتناوب بين مخاطبتي
رسميًا باسم "السيد" وبمودة أكثر باسم "mon".
صغير. كان موقفي تجاهها أيضًا مرتبكًا بعض الشيء: أنا
كان في رهبة منها لأنها كانت أوروبية بشكل لافت للنظر
وبراقة، لكنني شعرت أيضًا بالإطراء الشديد لأنها
يبدو أنه مهتم حقًا بي. سألتني
حيث خططت للبقاء عندما وصلنا إلى باريس. قلت أنني
كنت أتمنى البقاء مع قريب إسرائيلي بعيد لي
الذي كان طالب دكتوراه في جامعة السوربون. قالت أنني
سيكون موضع ترحيب للبقاء معها في منزلها الكبير. في
في تلك الأيام لم يكن من غير المعتاد أن نوفر للمسافرين مكانًا لزيارته
يقضي. إذا نظرنا إلى الوراء، كنت أتمنى لو قبلت عرضها.
ومع ذلك، في ذلك الوقت، كنت خجولًا جدًا. لم أكن بعد
ستة عشر بريئًا تمامًا في الخارج.

في باريس، قطعت طريقي بالمترو إلى مقر إقامة الطلاب في المدينة الجامعية، حيث لقيت ترحيباً حاراً من إسحاق عازوري عندما تغلب على دهشته عندما وصلت إلى عتبة منزله دون أي إشعار مسبق. لم يكن لإسحق أب؛ وكان عمه محاسب والدي في بغداد. في رمات غان، أعطى إسحق دروسًا خاصة في الرياضيات لداليا ولي قبل أن يتابع دراساته العليا في الاقتصاد في باريس. وكان موضوع أطروحته للدكتوراه، إذا كنت أتذكر بشكل صحيح، هو الاستثمارات الأجنبية في إسرائيل. في الأسبوع التالي، نمت على أرضية إسحق، وتناولت الطعام في كافتيريا الطلاب وقضيت وقتًا رائعًا. خلال النهار قمت بجولة مكثفة للمعالم السياحية، برفقة إسحاق أحيانًا ولكن في الغالب بمفردي. ومن بين الأماكن التي زرتها كانت جميع المعالم السياحية المعتادة: برج إيفل، وقوس النصر، والشانزليزيه، والبانثيون، ومتحف اللوفر، وقصر فرساي. في المساء، أظهر لي إسحاق وخطيبته بيرلا، وهي إسرائيلية من عائلة مغربية من الطبقة العليا، الحياة الليلية في باريس. وكانت أبرز الأحداث هي التجول في حي الفنانين التاريخي في مونتمارتر وعرض أرضي مذهل في كازينو باريس. لقد عبرت الرسائل التي كتبتها إلى المنزل عن مدى سعادتي بالقدرة على التجول بحرية في جميع أنحاء المدينة الكبيرة. وبينما كنت أرغب في مشاركة كل هذا مع والدتي، كنت أعرف أيضًا كم سيكون مؤلمًا بالنسبة لها أن تظل عالقة في رمات غان الكئيبة. تم إرسال رسالة أخرى من إسحاق إلى والدي، وهي في الأساس تقرير عن سلوكي الجيد وطمأنة أنه ليس لديهم ما يدعو للقلق. كان الجزء المخصص لأمي باللغة الإنجليزية والجزء المخصص لأبي بالعبرية؛ لا أستطيع أن أتذكر سواء كان إسحاق يعرف اللغة العربية أم لا. مع والدة بيرلا، التي كانت تعيش في باريس، لم أتمكن من التواصل إلا باللغة الفرنسية. لحسن الحظ، أصبحت لغتي الفرنسية أكثر طلاقة الآن نتيجة للفضول،

محادثة مدتها سبع ساعات في رحلة القطار من مرسيليا إلى باريس.

أخذني القطار من باريس إلى محطة فيكتوريا في لندن، ومن هناك توجهت إلى هيليل هاوس، وهو نزل للطلاب اليهود في شارع إندسلي، بالقرب من ميدان يوستون. لم يكن هناك سوى شخص واحد في بيت هليل، وهو سكرتير مسن لم يكن يهوديًا. أخبرتني أن هذا هو يوم الغفران، وهو أقدس يوم في التقويم اليهودي، وأن جميع الرجال قد ذهبوا إلى الكنيس. في إسرائيل كنت أصوم يوم الغفران وأذهب إلى الكنيس مع والدي، لكن في الخارج لم أتمكن من متابعة الأيام المقدسة. ولمزيد من تفاقم جنوحي في السفر في هذا اليوم المقدس، أحضرت معي من فرنسا شطيرة لحم خنزير، وهي محظورة تمامًا في أي وقت بموجب قوانين الطعام اليهودية، ناهيك عن يوم الصيام. وغني عن القول أنني التزمت الصمت بشأن الشطيرة. قادني السكرتير إلى مهجع صغير به عشرة أسرة، وقد اطمأننت إلى أن اسمي مكتوب على أحد هذه الأسرّة. بعد أن غادر السكرتير، أكلت الشطيرة خلسة - واخترت ارتكاب خطيئة جديدة بدلاً من التكفير عن خطيئة العام الماضي. للأفضل أو للأسوأ، كان على اليهودية أن تلعب دورًا بارزًا في حياتي على مدى السنوات الثلاث التالية أكثر مما لعبته في أي وقت مضى سواء في بغداد أو في رمات غان.

كتب السيد هنري شو، مدير Hillel House، إلى والدتي ليخبرها أن Hillel House ليس نزلًا يمكن أن يقيم فيه شاب لأي فترة من الوقت. كان لديهم مسكنين صغيرين حيث يمكن لطلاب الجامعة قضاء بضع ليالٍ أثناء سفرهم عبر لندن؛ يمكنني البقاء هناك لبضعة أيام فقط حتى أجد سكنًا أفضل. وفيما يتعلق بالمدارس، قال السيد شو إنه سيتصل بمدرسة الحشمونائيم النحوية ويبلغ عن النتيجة. وكانت المشكلة أن جميع المدارس كانت مغلقة بسبب العطلة الصيفية،

مما يجعل من الصعب الاتصال بهم. وفي رسالة ثانية، كتبت قبل أسبوع من وصولي، انتقد السيد شو والدتي علانية. وكتب: "يجب أن أقول إنك تضعني في موقف صعب". "لا أعرف ما إذا كانت المدرسة ستقبل ابنك لأنني لا أملك أي فكرة عن درجاته التعليمية. ما قمت به هو إرسال ابنك إلى هذا البلد دون التأكد من أي نوع من الإعداد لقبوله في أي مدرسة على الإطلاق. وحينما ننظر إلى الوراء، نجد أن كلا الجانبين كان لديه وجهة نظر معينة. كان لدى السيد شو سبب وجيه للشكوى، لكن والدتي لم يكن لديها أي وسيلة للعثور على مدرسة مناسبة لي في لندن؛ لقد اعتمدت على أخيها إسحاق لرعايتي بعد وصولي. وفي تلك المرحلة لم يكن يمكن رؤيته في أي مكان.

في اليوم التالي لعيد الغفران، عاد السيد شو إلى مكتبه وعقدنا اجتماعنا الأول. لم يكن هناك ذكر لكوني قاصراً لتأسيسه ولا لفرضي عليه. على العكس من ذلك، كان ودوداً ومرحباً. من الواضح أنه لم يحملني مسؤولية الجنح المفترضة التي ارتكبتها والدتي. وأخبرني أيضاً أنه رتب لي مقابلة مع صديقه الدكتور كونواي، مدير المدرسة اليهودية الحرة، بعد ظهر ذلك اليوم وأن سكرتيرته ستأخذني إلى هناك. كتب إلى والدتي: لقد وصل ابنك أبي إلى هنا مساء يوم الغفران، وعلى الرغم من أنني كنت منزعجاً لأنك أرسلته إلى لندن قبل اتخاذ الترتيبات، يجب أن أخبرك أنه يبدو شاباً مبهجاً جداً، وفي وقت لاحق اليوم وسيجري مقابلة مع مدير المدرسة اليهودية الحرة. ولا شك أنه سيخبرك بكل شيء عن ذلك في رسالته التالية. كانت مدرسة الحشمونائيم النحوية مدرسة ذات معايير تعليمية عالية للأطفال اليهود الأذكياء الذين اجتازوا امتحان "أحد عشر بلس". كانت JFS مدرسة شاملة مختلطة للأطفال اليهود، وقد رسب ثلثاهم في امتحان الثانوية العامة

أحد عشر زائد. لكن التسلسل الهرمي والتعقيدات في النظام التعليمي البريطاني استعصت علي في ذلك الوقت. لقد كنت ممتنًا لأنني تعرفت على مدير المدرسة بعد فترة وجيزة من وصولي إلى لندن، وكما توقع السيد شو، كتبت عن الاجتماع في رسالتي التالية إلى الوطن.

كان مدير المدرسة الدكتور إدوارد كونواي. أنا
كان متوترًا بعض الشيء في حضوره، لكنه بذل قصارى جهده
ضعني في راحة. لقد سألني العديد من الأسئلة حول بلدي
خلفيتي، اهتماماتي، تحصيلي التعليمي فيها
إسرائيل والغرض من رحلتي إلى المملكة المتحدة. أنا
لم تكن لديه أوراق ولا شهادات مدرسية من إسرائيل، لكنه
بدا على استعداد لأخذي على محمل الثقة والرغبة في تسهيل الأمر
قبولي. في البداية، قال إنه بحاجة للحصول على
إذن من السلطات المختصة ولكن، في المقام الثاني
الأفكار، أخبرني أنني أستطيع أن أبدأ في اليوم التالي. كنت
للالتحاق بصف GCE (الشهادة العامة للتعليم).
من النموذج الخامس والذي كان من المقرر أن يأخذ المستوى العادي (O-)
المستوى) امتحانات نهاية العام الدراسي. إذا مررت
في هذه الامتحانات، سأذهب إلى الصف السادس بهدف
إجراء امتحانات المستوى المتقدم (A-Level) بعد اثنتين
سنوات أخرى من الدراسة. سأل الدكتور كونواي أين اقترحت
للعيش وكيف سأمول إقامتي في لندن. قلت
أنه في الوقت الحالي كنت سعيدًا بالبقاء في Hillel House
لكنه أضاف، بتفاؤل إلى حد ما، أن لي عمًا
نيوكاسل أبون تاين الذي كان سينزل إليه
لندن لمساعدتي في اتخاذ المزيد من الترتيبات الدائمة.
عدم وجود أي اتصال مباشر مع عمي جعلني
قلق. ولكن على قوة أنه أرسل لي أ
دراجة رالي، كنت أؤمن بأنه سيظهر في النهاية.

وبعد أسبوع، حضر عمي، الذي يبلغ من العمر الآن 51 عامًا، بالفعل. في إنجلترا، أطلق عليه بعض الناس اسم إيفور، لكن بالنسبة لي كان دائمًا العم إسحاق. كان يرتدي ملابس أنيقة للغاية: بدلة زرقاء داكنة مكونة من ثلاث قطع، وقميص أبيض مع أ

ياقة قاسية، وربطة عنق، وحذاء أسود مصقول جيدًا، أ
قبعة الرامي ومظلة سوداء. لم أقابل أحداً قط
من كان يرتدي مثل هذا من قبل، كان من الصعب إلى حد ما التفكير
منه كأحد أقربائه. افتتح الحديث بقوله
وأنه كان سعيدًا جدًا بوصولي، وأنني كنت ملكه الوحيد
أحد أقاربي في إنجلترا، أنه سيعتني بي مثل
ابني وأنه لا داعي للقلق بشأن المال. نحن بعد ذلك
خرجت لشراء الزي المدرسي والملابس والبيجامات،
ملابس داخلية وشيء لم أكن أعرفه تمامًا،
ثوب خلع الملابس. – لكنه أصر على أنه ضروري في إنجلترا
ذهبنا أيضًا إلى بيرتون، أول شارع رئيسي في البلاد
خياط، وطلب لونًا أزرق داكنًا، مصنوعًا حسب المقاس، بثلاثة
بدلة قطعة - أول بدلة لي على الإطلاق وآخر بدلة مصممة خصيصًا لي.

على الرغم من أن العم إسحاق قال لي ألا أقلق بشأن المال، إلا أنني لم أستطع منع نفسي من ذلك. من أصل 100 دولار التي انطلقت بها من إسرائيل، لم يبق لدي سوى 10 دولارات، وكنت خجولًا من طلب المال لتلبية احتياجاتي العاجلة. على مدى السنوات الثلاث التالية، كانت لدي مخاوف بشأن المال لم أتمكن من مناقشتها بصراحة مع عمي. هناك مثل عربي يقول إن الشيء الذي بدأ أعوجاً يبقى أعوجاً. ولم يكن من الواضح من المسؤول عن تمويل إقامتي في لندن. من الواضح أن والديّ كانا يفتقران إلى الوسائل اللازمة لدعمي في الخارج. لا شك أن والدتها وافقت، تحت ضغط من والدتي، على دفع تكاليف تعليمي. كانت نانا قد تلقت 10000 دينار مقابل منزلها في بغداد وتركت إسحاق مسؤولاً عن الأموال في لندن. لقد طلبت منه الآن تلبية جميع احتياجاتي من حسابها. ولكن تبين تدريجياً أن إسحاق قد سحب كل الأموال من هذا الحساب. تم تبادل كلمات غاضبة بين نانا وابنها الأكبر في رسائل مكتوبة باللغة العربية اليهودية، وهي اللغة العربية المكتوبة بأحرف عبرية، وهو النص الوحيد الذي تستطيع نانا كتابته.

–

لم يذكر لي العم إسحاق مطلقًا أموال نانا. كان الانطباع الذي خلقه هو أن كل قرش أعطاني إياه كان يخرج من جيبه الخاص. ومع أنني كنت أعرف الحقيقة، إلا أنني لم أتمكن من مواجهته بها؛ أعتقد أن القيام بذلك لن يؤدي إلا إلى استعداءه دون أن يخدم أي غرض مفيد. ومما زاد الطين بلة، تبين أن العم إسحاق كان بخيلًا للغاية؛ وسرعان ما بدأ يحسدني على الأموال التي كان عليه أن ينفقها علي. في مساء أول يوم له في لندن، اصطحبني إلى مطعم يقع على طريق فينشلي لتناول العشاء. جلسنا على طاولة في مواجهة بعضنا البعض وقبل أن تتاح للنادل فرصة القدوم إلينا بالقائمة، اقترح عمي أن ننتقل إلى طاولة أخرى. على الطاولة أمامه كان يقف فنجان قهوة فارغًا، وبجانبه عملة معدنية صغيرة من ستة بنسات، بقشيش تركه للنادل آخر شاغل. عندما نهضنا للتحرك، لاحظت أن عمي التقط العملة المعدنية خلسة ووضعها في جيبه. لقد شوهت هذه الحادثة نظرتي إلى شخصية عمي بشكل لا يمحى. في ذلك الوقت، كان الأمر أكثر صدمة بالنسبة لي أن يتصرف رجل يرتدي زي رجل إنجليزي بهذه الطريقة المتهالكة وغير المطابقة للمواصفات. من الواضح أنني استوعبت بعض الأفكار حول الشخصية الوطنية البريطانية قبل وصولي إلى بريطانيا.

في اليوم التالي جاء العم إسحاق إلى المدرسة للقاء مدير المدرسة. وصف الدكتور كونواي المدرسة بعبارات عامة ثم أوجز خططه لتعليمي. في نهاية المحادثة، طرحت مسألة الإقامة الدائمة بالنسبة لي. سأل عمي عما إذا كان مدير المدرسة على علم بوجود عائلة يهودية لطيفة قد يعيش معها ابن أخيه كضيف مدفوع الأجر. أجاب الدكتور كونواي أن زوجته لديها "رحمانوس"، وهي كلمة يديشية تعني الرحمة، وأنه قد يكون من الممكن بالنسبة لي أن أسكن معهم. تقبّل عمي هذه الفكرة على الفور، وفي المساء ذهبنا أنا وهو معًا لزيارة الدكتور والسيدة كونواي

في منزلهم في جولدرز جرين. كان الغرض غير المعلن من الاجتماع هو أن يقوم كونوايز بفحصي وتقييم مدى ملاءمتي كضيف في المنزل. وبدا أن الاجتماع سار بسلاسة، وفي اليوم التالي أبلغني الدكتور كونواي أنه وزوجته سيكونان سعيدين بالعيش معهم أثناء متابعة دراستي في مدرسته.

وفي اليوم المحدد، في منتصف أكتوبر 1961، انتقلت
من Hillel House إلى منزل Conways في Golders 193
الطريق الأخضر، الطريق الذي، عندما أقود سيارتي فيه الآن، لا يزال ثابتًا
يذكرني بكوني شابًا ووحيدًا في أجنبي كئيب
دولة. عاشت عائلة كونوايز في منطقة إدواردية شبه منفصلة
منزل مكون من أربع غرف نوم وغرفتي معيشة ومطبخ
غرفة طعام. لقد استقبلني الدكتور والسيدة بحرارة
كونواي وابنيهما تشارلز وديفيد. من
لحظة وصولي، عاملوني كعضو في
الأسرة، على الرغم من وجود العديد من المؤشرات الدقيقة
حالتي المختلفة. لم أكن أعرف ما فكروا بي
ولكن ظاهريًا كانوا جميعًا طيبين وودودين ومرحبين.
كان الدكتور كونواي ابنًا لمهاجرين من الشرق
أوروبا. ولد عام 1911 في بلدة ويلز
لانيلي، التي كان بها جالية يهودية صغيرة يبلغ عددها حوالي الأربعين
العائلات ، وتعلموا في المدرسة النحوية المحلية و
الكلية الجامعية، سوانسي. بعد الجامعة تغير
اسمه من إفرايم زلمان ها كوهين إلى إدوارد سيدني
وبدأ كونواي مسيرته التعليمية في ليفربول،
أصبح في النهاية مديرًا لمدرسة ليفربول اليهودية
مدرسة. من 1951 إلى 1958 شغل منصب مدير
دار الأيتام اليهودية في نوروود. تجربته هناك
كان بمثابة الأساس لأطروحة الدكتوراه التي كتبها عن
الرعاية المؤسسية للأطفال في مدرسة لندن
الاقتصاد تحت إشراف البارزين
عالم الاجتماع البروفيسور ريتشارد تيتموس. في عام 1958 دكتور كونواي
تم تعيينه مديرًا لـ JFS. هدفين رئيسيين له

كان من المفترض توفير تعليم عام عالي الجودة وجعل JFS معقلًا للمثل اليهودية.[1]

كان الدكتور كونواي رجلاً يتمتع بخبرة غنية وإنسانية عميقة. كان يحظى بتقدير كبير من قبل الجالية اليهودية في بريطانيا كمعلم ومروج للقيم اليهودية. أتصور أن خلفيته كابن لمهاجرين واهتمامه بالرعاية المؤسسية جعله يرغب في مساعدتي. لقد كان بمثابة الوصي الحميد وإن كان بعيداً على مدى السنوات الثلاث التالية. في المدرسة، كان يراقب تقدمي عن كثب ولكن بلباقة، لتجنب إعطاء الانطباع بأنني أتلقى معاملة تفضيلية. في المنزل، رأيته قليلًا جداً، ولكن عندما رأيته، كان لطيفًا ومراعيًا بلا كلل وساعدني على تحسين لغتي الإنجليزية. كان أحد الواجبات التي كان يؤديها بضمير حي هو الكتابة إلى والدتي بشكل منتظم، لطمأنتها بأن السيدة كونواي قد اعتنت بي جيدًا، وأن أبنائهم يعاملونني كأخ، وأنني كنت أبلي بلاءً حسنًا في المدرسة وأن كل شيء كان جيدًا. شارك المعلمون رأيه العالي بي. ومن المفارقات، أنه بالنظر إلى سجلي السابق، كانت الملاحظة الوحيدة المثيرة للقلق في رسائله هي أنني كنت أعمل بجد أكثر من اللازم.

من الواضح أن إحدى الصفات التي أعجبت بها الدكتور كونواي هي مثابرتي. وعندما قرأ في الجريدة اليهودية خبر تعييني قارئًا في العلاقات الدولية في كلية سانت أنتوني في أكسفورد، كتب ليهنئني. في رسالته المؤرخة في 22 أكتوبر/تشرين الأول 1987، كتب: "لا أعتقد أنني أستطيع أن أتذكر أيًا من آلاف التلاميذ الذين كنت تحت إشرافي منذ أن بدأت مسيرتي المهنية قبل خمسين عامًا والذين كانوا يتمتعون بدرجة من المثابرة والتصميم على النجاح". أشرت في ردي إلى أنني لم أعمل بجد كما فعلت خلال السنوات الثلاث التي قضيتها في مدرسته، وأن كل شيء بعد ذلك بدا سهلاً بالمقارنة.

كان الاسم الأول للسيدة كونواي هو ليلي، لكنني كنت أدعوها دائمًا بالسيدة كونواي. لم يكن لديها فائدة جيدة

التعليم، لكنه كان على دراية جيدة بالعادات والطقوس والقوانين الغذائية اليهودية
وكان يدير أسرة كوشر بشكل صارم. لم تكن لديها مهنة ولم تخرج للعمل، وكانت
تكرس نفسها بكل إخلاص لرعاية أطفالها ودعم زوجها البارز. كانت لطيفة معي
ومتفهمة ومفيدة في المهام الدنيوية مثل الكي. بعد أن تعرضت للتمييز العلني
لصالحي في المنزل، كانت تجربة مرحب بها بشكل مدهش أن أجد نفسي أعامل على
قدم المساواة مع الصبيين الآخرين في منزلي الجديد. كان تشارلز أكبر مني
بسنة ومن ديفيد بسنة

أصغر سنا. كلاهما كانا ذكيين للغاية، ومثيرين للإعجاب
التحصيل الأكاديمي. كان من المتوقع أن يكون مشرقا
الأولاد اليهود الذين اجتازوا Eleven Plus للذهاب إليهم
مدرسة الحشمونائيم النحوية؛ بدلا من تشارلز وديفيد
التحق بمدرسة سانت أولاف النحوية، وهي كنيسة إنجلترا
مدرسة ذات سمعة أكاديمية متميزة. ال
كانت المدرسة تقع جنوب النهر، بعيداً عن جولدرز
أخضر، لذلك كان الأولاد يقطعون رحلة طويلة كل يوم. هم أيضا
كان عليهم أن يأخذوا السندويشات معهم لأن مدرستهم
وجبات الغداء لم تكن موافق للشريعة اليهودية. ومع ذلك، كان هذا قاصراً
الإزعاج مقارنة بميزة التواجد فيه
واحدة من أفضل المدارس الحكومية أداءً في البلاد.
كان تشارلز في الصف السادس، يدرس للحصول على المستوى المتقدم؛
ديفيد، على الرغم من أنه كان في الرابعة عشرة فقط، كان بالفعل في الصف الخامس،
يدرس لمستويات O. نجاحهم الأكاديمي المذهل
لقد جعلني أشعر بالقلق من الفشل - وبالتالي شجعني على الاستمرار.
في الطابق الأول من المنزل كانت هناك أربع غرف نوم: واحدة للوالدين، وواحدة لكل
ابن، وواحدة انتقلت إليها. كانت هذه هي المرة الأولى التي أحصل فيها على غرفة خاصة
بي، وكان هذا بمثابة تغيير جذري، وتجربة حقيقية للخصوصية مقارنة بمشاركة
الغرفة مع شقيقتي ويوما. غرفتي كانت صغيرة وليست خاصة

مريحة، ولكن بها كل الأساسيات: مغسلة للغسيل، وسرير مفرد، وخزانة ملابس، وخزانة ذات أدراج، وخزانة كتب، وطاولة صغيرة وكرسي مستقيم. لم يكن لدي توقعات عالية. كانت طاولة اللعب الصغيرة المربعة التي كانت بمثابة مكتبي موجودة في زاوية الغرفة بجوار نافذة تواجه الحديقة الخلفية. ذاكرتي عن الحديقة الخلفية ضبابية لأنني نادراً ما وطأت قدمي هناك. ولم يكن لدي الوقت الكافي للتحديق في الحديقة الخلفية من نافذتي. وفي تناقض واضح مع الفترة التي أمضيتها في المدرسة في إسرائيل، لم أعد حالم اليقظة. لقد كنت في حالة تشغيل شديدة. قضيت معظم ساعات يقظتي في المنزل جالساً على هذا المكتب وأقوم بواجباتي المنزلية. على الرغم من أن هذه الغرفة كانت باردة وقاسية وكئيبة، إلا أنها كانت مناسبة للدراسة لأنها منحتني الخصوصية والاستقلالية وراحة البال. كان وقتي ملكي. لم يزعجني أحد قط ولم يطلب مني المساعدة في أي أعمال منزلية. إن العيش في منزل ناطق باللغة الإنجليزية سمح لي بتحقيق قفزات كبيرة في لغتي الإنجليزية، وهي لغة لم أكن أجيدها من قبل.

لم يسمح لنا الجو العام في المنزل فحسب، بل شجعنا بشكل إيجابي، بل وأجبرنا جميعاً على التركيز على دراساتنا. على الرغم من أننا ذهبنا إلى مدارس مختلفة، إلا أن الروتين اليومي في المنزل كان متشابهاً بالنسبة لنا جميعاً. كنا نتناول الإفطار في الصباح الباكر، ونذهب إلى المدرسة، ثم نعود إلى المنزل حوالي الساعة 5:30 مساءً، ونتناول عشاءً كبيراً تقدمه لنا السيدة كونواي، ونذهب إلى غرفنا ونواصل دراستنا. وفي وقت ما من المساء، كان كل واحد منا ينزل إلى المطبخ ليقوم بإعداد مشروب ساخن ووجبة خفيفة لنفسه، ثم يعود إلى غرفه لاستئناف العمل. الدكتور كونواي لم يتناول العشاء معنا. اعتاد أن يعود من العمل في وقت لاحق، وكانت السيدة كونواي تقدم له العشاء بشكل منفصل. في أمسيات الجمعة كان لدينا عشاء احتفالي عائلي. كانت السيدة كونواي تشعل الشموع وكان الدكتور كونواي يصنع الكيدوش مع الهالة

الخبز والنبيذ الحلو. بعد العشاء، سُمح لنا بالانضمام إلى الكبار في غرفة المعيشة المريحة لمشاهدة التلفزيون. كان هذا متعة. لم يُسمح لي ولا للأولاد في أي يوم آخر من أيام الأسبوع بمشاهدة التلفاز أو حتى الدخول إلى هذا المجال المقدس.

في صباح يوم السبت، كنا نرتدي أفضل بدلاتنا (في حالتي بدلتي الوحيدة) ونذهب مع الدكتور كونواي إلى الكنيس الأرثوذكسي في جولدرز جرين لحضور قداس السبت. كانت المشاركة في هذه الطقوس الدينية مملة ومرهقة، ولم أشعر في أي وقت من الأوقات بأي شعور بالابتهاج الروحي. وبعد بضع سنوات، نفد صبري وطلبت من الدكتور كونواي أن يعذرني، فوافق على الفور. وقال إنه يفهم أنني كنت سأذهب فقط احتراماً لنفسه ولأولاده. لذلك بدأت أقضي صباح يوم السبت في المكتبة العامة الواقعة على طريق جولدرز جرين بدلاً من ذلك.

كانت ليلة السبت هي الليلة الوحيدة التي سمح لنا فيها بالخروج. كلمة "مسموح بها" تعني القواعد والقيود. في حالتي على الأقل كانت ضمنية وليست صريحة؛ لم يصدر أحد أوامر بالضبط ولم تكن هناك أي قواعد محددة. لكنني التقطت العديد من الرسائل غير المباشرة حول ما يشكل السلوك الجيد وكانت غريزتي الطبيعية هي الامتثال. في معظم الأوقات شعرت بالوحدة والتعاسة. انتقلت من بلد دافئ مشمس إلى سماء بريطانيا الرصاصية بأمطارها سيئة السمعة ورياحها الباردة. في إسرائيل، كنت أقضي معظم فترات بعد الظهر والأمسيات ألعب في الهواء الطلق مع أصدقائي. في Golders Green لم تكن هناك حياة في الهواء الطلق من أي نوع. كان منزلنا في إسرائيل فوضويًا ولكنه مريح؛ كان منزل كونوايز مرتبًا للغاية ومقيدًا بالقواعد. لقد كان في الأساس مصنعًا للدراسة. كانت والدتي دافئة ومحبة. لم تكن السيدة كونواي أكثر من مجرد صاحبة منزل مهتمة. المظاهر الجسدية العفوية للعاطفة، والتي كانت جزءًا من الحياة اليومية في المنزل،

كانت غائبة إلى حد كبير في أسرة كونواي، حتى بين أفراد الأسرة.

تلقيت من والدتي مجموعة من النصائح غير المرغوب فيها حول كيفية التصرف في منزلي الجديد. لقد كانت مسرورة بهذا التحول السعيد للأحداث وممتنة للغاية لعائلة كونوايز لاستضافتي. وكتبت لي أنه لشرف وامتياز أن أعيش مع مثل هذه العائلة المحترمة والمتعلمة جيداً. وكانت نصيحتها لي هي أن أتبع مثال الدكتور كونواي في كل الأمور المتعلقة بالعادات اليهودية، مثل ارتداء التيفيلين. في أوقات الوجبات، كان علي أن أظهر أفضل آداب المائدة وأتناول فقط ما تقدمه لي السيدة كونواي. لقد تم حثي في جميع الأوقات على أن أكون مهذبًا وأنيقًا ومرتبًا، وأن أعرض المساعدة بأي طريقة قد تكون مفيدة لمضيفي. اختتمت والدتي حديثها بالقول إنه بما أنني تصرفت كأمير على أي حال، فإن النصائح التي قدمتها لي كانت زائدة عن الحاجة. وبالفعل كانوا كذلك. كان العيش مع مدير المدرسة أمراً مرهقًا بما فيه الكفاية دون الجرعة الإضافية من أوامر الوالدين.

في المدرسة الجديدة حظيت باستقبال حار. كانت JFS مدرسة ثانوية يهودية أرثوذكسية مختلطة التعليم، وتقع في كامدن تاون. كانت روح المدرسة يهودية أكثر وعيًا من المدارس التي التحقت بها في إسرائيل. كان جميع التلاميذ وأكثر من نصف المعلمين يهوديين وتغلغلت القيم اليهودية في المدرسة. وكان هدفها، على حد تعبير بيان مهمتها، هو "تخريج يهود متعلمين ومخلصين وفخورين، والذين سيكونون أعضاء مسؤولين ومساهمين في المجتمع". روجت المدرسة بنشاط للأيديولوجية الصهيونية وحافظت على روابط وثيقة مع إسرائيل. في كل صيف، يتم أخذ مجموعة كبيرة لزيارة إسرائيل. ولم يتم تدريس اللغة العبرية كلغة أجنبية حديثة فحسب، بل كأداة تربط التاريخ والتراث اليهودي بدولة إسرائيل. كل

في الصباح تتجمع المدرسة بأكملها في القاعة لإجراء محادثة قصيرة مع مدير المدرسة تليها صلاة عبرية.

لقد وجدت أن الانتقال من النظام التعليمي الإسرائيلي إلى النظام التعليمي البريطاني أمر صعب للغاية، ولكن طريقي كان سهلاً بفضل التعاطف والدعم الذي تلقيته في المراحل الأولى. كصبي جديد من إسرائيل جذبت قدراً كبيراً من الاهتمام والفضول. كان العديد من التلاميذ في زيارة مدرسية إلى إسرائيل، وأولئك الذين لم يتلقوا قصفني بالأسئلة حول هذا الموضوع. اكتشفت أن قدراً كبيراً من البريق والشهرة كان مرتبطاً بكوني إسرائيلياً. لكنني فشلت في استغلال هذه الفرصة لأنني بالكاد طورت أي نوع من الهوية كمواطن إسرائيلي. وفي الواقع، شعرت وكأنني إسرائيلية مخففة وليس إسرائيلية كاملة. ولم يُظهر أحد في المدرسة أدنى اهتمام بالعراق، بلدي الأصلي. كانت هذه لحظة حرجة اصطدمت فيها هوياتي المختلفة. لقد اصطدمت هويتي كيهودي عربي مع هويتي كإسرائيلية وتركتني في مأزق ما. في وطني، لم أشعر قط بأنني إسرائيلي حقيقي لأنني كنت إسرائيلياً من النوع الخطأ، من النوع الأدنى. والآن، في عيون الأطفال اليهود البريطانيين، كنت الممثل الحقيقي للنوع الجديد من اليهود الذين نشأوا في إسرائيل. تخيلت أن الرواية التي يريدون سماعها مني هي أنني نشأت في أحد الكيبوتسات، وأننا جعلنا الصحراء تزدهر، وأننا نتعرض باستمرار للمضايقات من قبل العرب السيئين، لكننا نعرف كيف ندافع عن أنفسنا وأننا كلهم على استعداد للوقوف والقتال. كان بإمكاني أن ألعب دوراً في هذه الصورة النمطية، لكنني لم أتمكن من إجبار نفسي على القيام بذلك، ليس لأنني طورت أي نوع من النقد لإسرائيل، ولكن لأنني غريزياً لم أتمكن من التعامل مع هذه الرواية. ومن المفارقات أنني كنت مركز الاهتمام في المدرسة ومعزولاً تماماً. كنت أتوق إلى التحدث مع شخص يستطيع ذلك

فهم تراثي، بدلاً من أن يفرضوا عليّ أوهامهم حول إسرائيل.

ومع ذلك، كان تركيزي الأساسي منصبًا على دراستي، وليس على إسرائيل، وهنا تلقيت دعمًا سخيًا من العديد من زملائي في الفصل. لقد أعطاني المعلمون أيضًا أكثر من نصيبي العادل من الاهتمام والمشورة والمساعدة والتشجيع. حقيقة أنني كنت أعيش مع مدير المدرسة لم تغب عن ذهن أحد من زملائي في الفصل الذين اقترحوا علي أحيانًا أن المعلمين الذين بذلوا قصارى جهدهم لمساعدتي فعلوا ذلك من أجل كسب ود مدير المدرسة. لكن هذا التفسير صدمني باعتباره ساخرًا للغاية ولا يمثل سوى جانب واحد من القصة. ما لم يقدره زملائي هو أن هناك عيوبًا ومزايا أيضًا للعيش مع مدير المدرسة. في المنزل، لم أستمتع بحرية إساءة التصرف، أو حتى التصرف كمراهق عادي؛ لقد كنت دائمًا حريصًا جدًا على فعل الشيء الصحيح وإرضاء مضيفي. وفي المدرسة شعرت بأنني مقيد بالمثل. عندما كان الأولاد الآخرون يقومون ببعض الأذى، امتنعت عن المشاركة لأنني لم أرغب في الوقوع في المشاكل. إذا أسأت التصرف، سيتم إبلاغ مدير المدرسة بذلك وسيكون ذلك محرجًا لكلينا. في تلك الأيام كان هناك عقاب جسدي في المدرسة. أدارها مدير المدرسة بضرب الأوغاد بالعصا. لو كان عليه أن يضربني، لكان الأمر محرجًا للغاية. لذلك كان علي أن أتأكد من أن الموقف لم ينشأ من خلال الالتزام بالطريق المستقيم والضيق. كان علي أن أقلق علي نفسي وعلى مدير المدرسة. لقد كان عبئًا نفسيًا ثقيلًا وكان فريدًا بالنسبة لي في المدرسة بأكملها. كانت هذه مشاعر لم أتمكن من التعبير عنها في ذلك الوقت؛ لقد أصبحت واضحة بالنسبة لي فقط في عملية كتابة هذا الكتاب.

بمجرد اتخاذ القرار بوضعي في الصف الخامس، كان علي أن أختار بسرعة المواد التي سأدرسها. لي

وكانت اللغة الإنجليزية في تلك المرحلة لا تزال سيئة للغاية. وفي يونيو من العام التالي، بعد تسعة أشهر من وصولي إلى بريطانيا، كان من المقرر أن أحصل على امتحان O-Levels الخاص بي، مثل بقية طلاب الصف. وهكذا استمر الضغط منذ اليوم الأول. المواضيع الخمسة التي استقريت عليها في النهاية هي اللغة الإنجليزية والفرنسية والتاريخ والرياضيات والتعليم الديني. كان باقي الطلاب قد قضوا خمس سنوات في اللغة الفرنسية في السابق بينما كان لدي عامين فقط، لذا كان علي أن أبذل جهدًا خاصًا للحاق بالركب. كان منهج التاريخ عبارة عن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي البريطاني في القرن التاسع عشر، والذي لم يكن لدي أدنى فكرة عنه. ولم يقدم السيد كار، مدرس التاريخ، الكثير من المساعدة. كان يرتدي بدلة سوداء وثوبًا، وكانت له نظرة حزينة مثل متعهد دفن الموتى. في بداية العام، أعطى كل واحد منا كتابًا دراسيًا بعنوان "التاريخ الاقتصادي لإنجلترا" من تأليف ميلتون بريجز وبيرسي جوردان. في بداية كل فترة تاريخية، كان السيد كار يعلن عن الصفحات التي يجب أن نقرأها في الكتاب المدرسي ويخبرنا أن نواصل القراءة. ثم كان يمشي صعودًا وهبوطًا في الممرات، للتأكد من أننا جميعًا نركز على الكتاب المدرسي الذي أمامنا. إذا تجرأ أي شخص على كسر الصمت بطرح سؤال على السيد كار، فإن إجابته المعتادة كانت: "الأمر كله في عائلة بريجز وجوردان". العديد من الأشياء المذكورة في الكتاب، مثل جيني الغامضة، كانت غير مفهومة تمامًا بالنسبة لي. هل كانت راقصة أم بهلوانية؟ وما علاقتها بالثورة الصناعية؟ وكان السادة بريجز وجوردان وكار غير متفهمين بنفس القدر.

ومع ذلك، كان التحدي الأكبر الذي واجهني هو اللغة الإنجليزية وقواعد اللغة الإنجليزية. وهنا كانت الفجوة الأكبر بيني وبين بقية الفصل. بفضل التفاني والعمل الجاد، تمكنت من تضييق الفجوة بحلول نهاية العام. لم أكن لأتمكن من القيام بذلك لولا التشجيع المستمر الذي تلقيته من السيد دينيس

فيلسنشتاين، الذي قام بتدريس اللغة الإنجليزية في المستوى O، والتاريخ في المستوى A وكان أيضًا نائب الرئيس. كان السيد فيلسنشتاين شابًا، ربما في منتصف أو أواخر الثلاثينيات من عمره. كان طويل القامة، ونحيفًا ووسيمًا، وكان يتمتع بحضور جسدي مثير للإعجاب وجو من السلطة الطبيعية. قبل توليه منصبه في JFS، كان أستاذًا للتاريخ في مدرسة سانت بول، إحدى أفضل المدارس الخاصة في البلاد. لقد كان مدرسًا متميزًا بكل المقاييس، وبالتأكيد أفضل معلم واجهته على الإطلاق.

لقد قدم لي السيد فيلسنشتاين النصيحة والدعم غير المحدود طوال فترة وجودي في JFS. بالإضافة إلى تعليمي اللغة الإنجليزية والتاريخ، فقد اهتم كثيرًا بصحتي العامة وتطوري الأكاديمي. كما أعطاني التشجيع الذي كنت في أمس الحاجة إليه وساعدني على تحقيق إمكاناتي. لقد كان أكثر من مجرد معلم: لقد كان مرشدًا ونموذجًا يحتذى به، وأحد الأشخاص الذين يمكنهم تغيير حياة الطفل. أحيانًا أتساءل لماذا ذهب السيد فيلسنشتاين إلى ما هو أبعد من نداء الواجب لمساعدتي في تحقيق النجاح في دراستي. إحدى الإجابات المحتملة هي أنني فتى إسرائيلي جاء إلى لندن بدون عائلته ويحتاج إلى توجيه رعوي إضافي. السبب الآخر هو أنه كان يعلم أن الدكتور كونواي قد غامر بي وقرر الاستثمار فيّ كمشروع مشترك. ربما رأى مدى صعوبة عملي، ومدى تصميمي على إحراز التقدم، وكانت غريزته الطبيعية كمعلم هي مساعدتي. ومهما كانت أسبابه، فإنني أدين له بالكثير من الامتنان.

بالإضافة إلى المواد الخمسة التي درستها للمستوى O، بدأت دراسة اللغة العبرية الكلاسيكية في المستوى A. قد يبدو هذا خيارًا غريبًا بالنسبة لصبي إسرائيلي جاء للدراسة في إنجلترا، وقد كان كذلك بالفعل. جاءت الفكرة من القس جوزيف هالبيرن، مدرس التربية الدينية لدينا. القس هالبيرن، كما كنا نناديه دائمًا،

كان رجلاً قصير القامة ذو لحية رمادية، وقبعة جمجمة سوداء كبيرة، وساق ممزقة، وتأتأة عصبية. ومن خلف ظهره، كان الأولاد يقومون بتقليد قاس لعرجه وتلعثمه. لكن لم يشك أحد في صدقه أو إخلاصه في التدريس أو سعة الاطلاع. تخرج من كلية لندن الجامعية مع مرتبة الشرف الأولى في اللغة العبرية والسامية ودرجة الماجستير بامتياز في الحاخامات، وكان مؤلفًا للعديد من الكتب عن التاريخ اليهودي القديم. كانت مهمته طوال حياته هي تثقيف الناس وتشجيعهم على قراءة الكتاب المقدس. بناءً على اقتراح القس هالبيرن، بدأت الدراسة معه للوصول إلى المستوى A في اللغة العبرية الكلاسيكية في معهد صغير في ويلسدن جرين والذي كان مديرًا له. كانت الفصول الدراسية التي تستغرق ساعتين تقام صباح يوم الأحد، ولم يكن هناك سوى صبي يهودي آخر، من مدرسة الحشمونائيم النحوية، في الفصل. وشمل المنهج التاريخ اليهودي، وبناء الجملة العبرية والترجمات من العبرية الكتابية إلى الإنجليزية. كان كوني متحدثًا باللغة العبرية ميزة هائلة، لكن كان لا يزال يتعين علي أن أعمل بجد للوصول إلى المستوى المطلوب. الذهاب إلى الكنيس يوم السبت ودروس اللغة العبرية الكلاسيكية يوم الأحد ترك لي وقت فراغ أقل في عطلات نهاية الأسبوع. في المجمل، لم تكن حياتي مليئة بالمرح.

وبينما كنت أتأقلم مع منزلي الجديد ومدرستي الجديدة وأسلوب حياتي الجديد، مرت عائلتي في إسرائيل بمرحلة صعبة، وكان لها تداعيات بالنسبة لي أيضًا. اكتشفت لاحقًا أن أحد الأسباب وراء تصميم والدتي على إرسالي إلى المدرسة في لندن هو توقعها بأن أكون طليعة الأسرة، مما يمكنها من اللحاق بإحدى شقيقاتي أو كلتيهما. لم يتم ذكر هذا الأمر كثيرًا في الفترة التي سبقت رحيلي، ولكن يبدو أن الفكرة ظلت ثابتة في ذهن والدتي. كانت أختي الكبرى داليا تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، وكان من المقرر أن تلتحق بالخدمة الوطنية في جيش الدفاع الإسرائيلي عندما وصلت

ثمانية عشر. كانت والدتنا تعارض بشدة التحاق داليا بالجيش لأن ذلك يتعارض مع خططها الخاصة. ولذلك قامت بالضغط على داليا لتعلن أنها يهودية ملتزمة من أجل الحصول على الإعفاء من الخدمة العسكرية. فعلت داليا ذلك على مضض، لكن مقابلتها مع حاخام جيش الدفاع الإسرائيلي لم تسر على ما يرام. لقد سألها عدة أسئلة حول العادات والطقوس اليهودية التي لم تكن قادرة على الإجابة عليها بشكل غير مفاجئ. ثم سألها إذا كانت قد سافرت في يوم السبت. وما زالت في حيرة من أمرها، وأعادت السؤال إليه وسألت: "هل سبق لك أن سافرت في يوم السبت؟" قال الحاخام: نعم، إلى أوشفيتز. انتهت المقابلة بهذه الملاحظة الباردة. وكانت النتيجة حرمان داليا من الإعفاء وتم تجنيدها حسب الأصول في جيش الدفاع الإسرائيلي.

وكانت هذه ضربة لأمنا. لقد ألقت باللوم بشكل غير عادل على داليا لعدم تقديم الإجابات الصحيحة وهددت بتركها وراءها والذهاب للعيش في لندن مع أختي الصغرى فيلما، التي كانت تبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا في ذلك الوقت. وكان من شأن هذه الخطوة أن تؤدي إلى مزيد من الانقسام في العائلة، حيث بقي والدي وداليا في إسرائيل. كما أن احتمال قدوم نصف أفراد عائلتي المفككة للعيش معي في لندن كان يثير رعبي أيضًا. لذلك كتبت رسالة من خمس صفحات إلى والدتي، محاولًا ثنيها عن ذلك. كانت الرسالة تفوح منها رائحة النفاق. بدأت بإخبارها عن مدى حبي لها، وكم أفتقدها، مدعيًا أنني لا أحمل سوى مصلحتها الفضلى. ولتجنب الحجة القائلة إنها جاءت لمساعدتي، أكدت أنني قد وقفت بالفعل على قدمي في المنزل والمدرسة. ثم قمت بعد ذلك بإدراج جميع الحجج التي يمكن أن أفكر بها ضد خطتها: تكلفة السكن، وتكاليف المعيشة، والطقس السيئ، والعقبات التي تحول دون الحصول على عمل، وصعوبة تكوين صداقات. وأشرت أيضًا إلى أن الخطوة المقترحة سيكون لها تأثير تقسيم الأسرة إلى قسمين.

حماية على الرغم من أن هذه كانت مخاوف حقيقية، إلا أنني كنت مصممًا أيضًا على حياتي الجديدة، بغض النظر عن مدى تقشف هذه الحياة.

كتبت إلى داليا خطابًا منفصلًا، أخبرتها فيه ألا تشعر بالإحباط الشديد بسبب فشلها في الحصول على الإعفاء من الخدمة الوطنية. وكتبت أن قرار الجيش كان بمثابة نعمة مقنعة. لقد اعترفت برغبتها الشديدة في القدوم إلى إنجلترا، لكنني اقترحت أن ذلك كان بسبب جهلها بالظروف الحقيقية هنا. سيكون السفر ممتعًا، لكن هل ترغب حقًا في قضاء بقية حياتها في بلد أجنبي، مع حاجز اللغة، والأشخاص الغرباء، ومناخ مختلف تمامًا؟ كتبت: "نحن نعيش مرة واحدة فقط، ومن المهم أن نعيش حياة سعيدة، ولم تتمكن من العثور على سعادتها إلا في إسرائيل". من خلال الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي، ستؤدي واجبها تجاه الوطن الأم، مثل معظم الفتيات الإسرائيليات الأخريات في سنها. في جيش الدفاع الإسرائيلي، كانت تلتقي بأشخاص جدد وتكتسب خبرة وربما تكتسب مهنة جديدة. أعتقد أن جيش الدفاع الإسرائيلي هو أفضل مدرسة في العالم لتعلم الحياة. عندما أعدت قراءة هذه الرسالة بعد ستين عامًا، اندهشت عندما رأيت إلى أي مدى وجدت نفسي داعية متحمسًا.

وكما حدث، لم يكن لدى أمنا ولا داليا أي فرصة واقعية للمجيء للعيش في لندن حتى لو لم يتدخل جيش الدفاع الإسرائيلي. لذلك كان بإمكاني أن أوفّر على نفسي عناء كتابة هذه الرسائل التي تخدم مصالحي بشفافية. لقد كشفوا عني كما كنت: صبي يبلغ من العمر ستة عشر عامًا يفتقد المنزل بلا شك، لكنه في الوقت نفسه يخشى احتمال وصول نصف عائلته إلى لندن بحقيبة مليئة بالمشاكل النفسية وإفساد حلمه في البدء ببداية جديدة. في أرض الموعد الجديدة. ومرة أخرى، عندما أنظر إلى الوراء، أذهلتني قوة رد فعلي وشدته.

وعلى الرغم من أنني لم أرغب في قدوم أي فرد من عائلتي إلى إنجلترا، إلا أنني كنت مدركًا تمامًا لديني الأخلاقي تجاهها

هم. أحد الأسباب التي دفعتني إلى العمل بجد، بل وإرهاق شديد، هو إثبات أن التضحية التي قدموها بإرسالي إلى إنجلترا لم تذهب سدى. كان علي أن أنجح بأي ثمن، ليس فقط من أجل مصلحتي ولكن أيضًا لتبرير الثقة التي وضعوها فيّ، وخاصة والدتي. لقد أدى طردهم إلى تفاقم الشعور بالذنب الذي شعرت به تجاه عائلتي.
ومع اقتراب موعد الامتحانات الوطنية في الفصل الصيفي، ضاعفت جهودي، وأحرقت زيت منتصف الليل. بعد العشاء، صعدت إلى غرفتي، وجلست على مكتبي، وعملت دون انقطاع حتى لم يعد بإمكاني إبقاء عيني مفتوحتين. وعلى الرغم من كل جهودي الدؤوبة والمتواصلة، إلا أنني لم أحقق نتائج جيدة في هذه الامتحانات؛ كان هناك حد لما يمكنني تحقيقه في تسعة أشهر فقط. أخذت خمسة مواد في المستوى O، اللغة الإنجليزية والفرنسية والتاريخ والرياضيات والتعليم الديني واللغة العبرية الكلاسيكية في المستوى A. لقد نجحت في التاريخ والتربية الدينية واللغة العبرية الكلاسيكية، وفشلت في اللغة الإنجليزية والفرنسية والرياضيات.

–

–

كان الرسوب في اللغة الفرنسية بمثابة صدمة كبيرة لأن الامتحان الشفهي بدا وكأنه يسير على ما يرام. قرأت مقطعًا باللغة الفرنسية للممتحنة، ومن لهجتي خمنت أنني إسرائيلي. كان سؤالها الأول هو ما إذا كنت قد زرت أحد الكيبوتسات من قبل. أجبت بأنني ذهبت إلى العديد من الكيبوتسات في حفلات العمل من المدرسة لمساعدتهم خلال موسم قطف الفاكهة وأنها كانت تجربة رائعة. ثم سألتني عن أفراد معينين، فقلت إنني أعرف معظمهم من خلال السمعة. وهذا أعطاني الفرصة لأسألها كيف عرفتهم، فأجابت أنهم طلاب معها في أكسفورد. لقد أعجبني هذا كثيرًا. لم أكن أجرؤ على الحلم بالدراسة هناك. حتى لو كنت قد قمت بعمل جيد في الامتحان الشفهي، وهو الأمر الذي لم يكن لدي أي وسيلة لمعرفة ذلك، فمن الواضح أنني فشلت في الورقة المكتوبة. هذا يعني أنني اضطررت إلى إعادة الثلاثة

المواضيع التي فشلت فيها في نوفمبر التالي. ومن دواعي ارتياحي الكبير أنني اجتزت الاختبارات الثلاثة في المحاولة الثانية.

خلال الفترة المجهدة والمرهقة التي سبقت الامتحانات، استرخيت من خلال وضع خطط للعودة إلى المنزل لقضاء العطلة الصيفية. وعلى الرغم من أنني عبّرت عن ذلك بوجه شجاع في رسائلي، إلا أنني كنت أشعر بالحنين الشديد إلى الوطن. لقد اشتقت لعائلتي، وافتقدت أصدقائي، وافتقدت أشعة الشمس وأسلوب الحياة الخالي من الهموم الذي رافقها خلال العطلة الصيفية الطويلة في إسرائيل. لا أستطيع أن أتخيل تكرار هذا في جولدرز جرين أو نيوكاسل. لقد مررت بعام صعب وكنت يائساً للابتعاد عن حلقة مفرغة. لكنني اصطدمت بمعارضة قوية بشكل غير متوقع من والدتي. لم يكن الأمر أنها وبقية أفراد العائلة لم يفتقدوني. لقد فعلوا ذلك، وظلوا يقولون ذلك في رسائلهم. لكن والدتي كانت مقتنعة بأنني إذا عدت إلى إسرائيل فإن جيش الدفاع الإسرائيلي لن يسمح لي بالعودة إلى إنجلترا لاستئناف دراستي حتى أنهي خدمتي العسكرية. في الواقع، وصلت الرسالة الأولى من جيش الدفاع الإسرائيلي لبدء العملية في اليوم التالي لإبحاري من حيفا. وقد عززت التحقيقات غير الرسمية اللاحقة قناعة والدتي بأن الجيش سوف يرفض السماح لي بالمغادرة. ولذلك بدأت تمطرني بالرسائل لإجباري على تغيير خططي الصيفية.

عندما أعود إليها، أذهلني التشابه بين رسائلها إليّ ورسائلي إليها وإلى داليا؛ لقد تعلمت التلاعب من خبير حقيقي. أصبحت نبرة والدتي أكثر فأكثر هستيرية مع تزايد الضغوط عليها ولم تكن تترفع عن استخدام الابتزاز الأخلاقي. ومن بين الحجج المختلفة التي استخدمتها ما يلي: لقد كانت معجزة أن تنجح عائلتنا، في ظل حالتها المالية السيئة، في إرسالي للدراسة في إنجلترا؛ لقد كنت محظوظاً جداً لأنني حصلت على هذه الفرصة؛ لقد كانت فرصة لأن تصبح رجلاً ذا مكانة ما مثل محامٍ أو طبيب أو طبيب

مهندس؛ والآن اقترحت تفجير كل شيء من أجل العطلة. اعترفت بأنه كان من الطبيعي بالنسبة لي أن أشعر بالحنين إلى الوطن، لكنها كانت تخشى أنني بدأت أتخيل إسرائيل كجنة وليست "الخنزير" كما كانت في الواقع. إن وصف إسرائيل بأنها حظيرة خنازير كان أمرًا متطرفًا إلى حد ما، حتى بالنسبة لليهودي العلماني، وقد اعتقدت ذلك في ذلك الوقت، لكنني أرجعت ذلك إلى إصرارها المطلق على ثنيي عن المجيء. أدركت لاحقًا كم جعلتها الحياة البائسة في إسرائيل.

وبشكل غير متوقع، جاء الدكتور كونواي للإنقاذ. كتب لأمي لتقول أنه تحقق مع الإسرائيلي سفارة الولايات المتحدة في لندن وقد أكدوا له ذلك هناك لن تكون هناك صعوبة في عودتي إلى لندن في نهاية الصيف. عندها فقط هدأ الضغط و لقد حصلت على الإذن لبدء التخطيط بالتفصيل عطلة الصيف. لقد شرعت في ذلك بحماسة ومفاجأة الكفاءة لشخص غير دنيوي يبلغ من العمر ستة عشر عامًا. كانت خطتي هي الذهاب بالقطار إلى باريس لقضاء بضعة أيام هناك، ثم من باريس لاستقلال القطار إلى جنيف لقضاء فترة أسبوع في سويسرا، ثم التنزه سيرًا على الأقدام في إيطاليا ميلانو إلى البندقية والحصول على قارب إلى حيفا. كنت ذاهبا ل السفر بمفردي والبقاء في بيوت الشباب. في أ في وقت قصير بشكل مدهش، تمكنت من الحصول على تأشيرة دخول إلى فرنسا، سويسرا وإيطاليا، وحجز تذاكر القطار والقارب. عمي الذي رغم البخل العام كان قادرا على ذلك نوبات الكرم العرضية، أعطتني المال من أجل ربما عطلة، لم تستمتع زوجته باحتمال ذلك هبطت معي خلال العطلات. أنا معبأة صغيرة حقيبة بها بعض الأساسيات وانطلق فيما وعدت به أن تكون رحلة المغامرة.

سار كل شيء وفقًا للخطة حتى المرحلة السويسرية من الرحلة. في باريس كانت لدي غرفة في سكن الطلاب رتبها لي صديقي إسحاق عازوري. كنت في

معنويات عالية، متحررة من كل الضغوط المدرسية والنفسية التي كانت تثقلني.
لقد استمتعت بحرية التجول في المدينة، وزيارة الأماكن القديمة واستكشاف أماكن جديدة، مثل المتحف وحديقة المنحوتات لأوغست رودان ومتحف مدينة باريس للفن الحديث. وكانت سويسرا أيضاً مبهجة ولكن لأسباب مختلفة. في باريس، جاءت الإثارة من زياراتي للمواقع التاريخية والمتاحف الفنية؛ في سويسرا، انبهرت بالمناظر الطبيعية والبحيرات والجبال والقرى الخلابة. كانت قاعدتي في سويسرا هي نزل الشباب في جنيف. بدأت بالمشي لمسافات طويلة على طول الطريق حول البحيرة الجميلة، التي لم أر مثلها من قبل. ومن بين الأماكن التي استكشفتها كانت لوزان وفيفي ومونترو. أخذتني رحلة أخرى إلى فريبورغ وبرن ومن هناك عدت إلى جنيف. كتبت في بطاقة بريدية أرسلتها إلى المنزل أن هذا كان أسعد أسبوع في حياتي.

ولكن في الطريق من جنيف إلى إيطاليا، وقعت الكارثة. على عكس اليوم، كان الحصول على المصاعد أمرًا سهلاً بشكل عام ولم أفكر أبدًا في أن توصيل التوصيلات سيراً على الأقدام أمر محفوف بالمخاطر بأي شكل من الأشكال. كان معظم السائقين الذين نقلوني من الرجال، وعادةً ما كنت أجلس في مقعد الراكب بجانب السائق. توقف أحد السائقين للسماح لي بالخروج بعد رحلة طويلة بالسيارة ومحادثة ودية. شكرته، وخرجت وأغلقت الباب خلفي، ولكن قبل أن أتمكن من فتح الباب الخلفي لأخذ حقيبتي، كان قد غادر. لقد كنت غبيًا ولم يكن لدي أي فكرة عما يجب فعله. كيف بحق السماء كنت سأكمل الرحلة الطويلة إلى إسرائيل؟ ولحسن الحظ، كنت أحتفظ بمحفظتي وجواز سفري في جيوب بنطالي الجينز. ما يقرب من نصف أموالي كان في حقيبتي والباقي كان في محفظتي.
قررت أن أذهب إلى أقرب مطعم لتناول وجبة غداء كبيرة والحصول على وقت للتفكير بهدوء في محنتي. قد لا يكون من الممكن إهدار المال على وجبة باهظة الثمن

في الماضي، كان الأمر منطقيًا للغاية، لكن يبدو أنه خفف من ذعري؛ لم يفشل الغداء الجيد أبدًا في تحقيق التأثير المطلوب.

بعد أن تمالكت نفسي، وقفت على الطريق مرة أخرى واستقلت المصعد إلى ميلانو. وفي ميلانو توجهت إلى القنصلية الإسرائيلية. لقد شاهدني أحد المسؤولين، وشرح لي محنتي وطلب قرضًا. وقال المسؤول إنهم ساعدوا بعض الطلاب الإسرائيليين في ظروف مماثلة لكن الطلاب لم يسددوا القرض عندما عادوا إلى منازلهم. وكانت النتيجة أنهم إما كانوا غير قادرين أو غير راغبين في مساعدتي. يذهب الإسرائيليون عادة إلى الجامعة بعد الخدمة العسكرية. لم أكن طالبًا، كنت صبيًا في السادسة عشرة من عمري، معدمًا بالفعل، بلا مال ولا وسيلة للعودة إلى المنزل. لكن القنصلية فشلت في الاعتراف بأي واجب رعاية تجاهي.

غادرت القنصلية محبطًا، وتجولت وأنا في حالة ذهول، ودخلت حديقة وجلست على أحد المقاعد. جاء رجل وجلس بجواري وبدأ محادثة باللغة الإنجليزية. كان يبدو في أوائل الأربعينيات من عمره، وكان يرتدي ملابس أنيقة ويتمتع بسلوك لطيف، وكان يقدم نفسه على أنه طبيب بلجيكي في العطلة. وبينما كنا نتحدث، وزع خريطة المدينة علينا ووضع يده على ركبتي. لقد كنت ساذجًا جدًا لدرجة أنني لم أتمكن من التقاط الإشارة التي تشير إلى أنه قد يكون مفترسًا جنسيًا. وفي تناقض حاد مع المسؤول الإسرائيلي، كان الطبيب البلجيكي متعاطفا ومستعدا للمساعدة. أخذني لتناول العشاء في أحد المطاعم. وفي نهاية العشاء، قال إن لديه غرفة كبيرة في فندق بها سرير احتياطي، وأنه سيكون موضع ترحيب للبقاء هناك طوال الليل. ما زلت لا أشك في أي شيء، قبلت عرضه وسرت معه إلى غرفته في الفندق حيث كان يوجد بالفعل سريرين مفردين. لكن شيئا ما في سلوكه أثار شكوكي. قلت إنني متعب وأريد النوم. ثم جاء وجلس على السرير ووضع ذراعه حوله

أنا. لقد تراجعت في الرعب. وضع إصبع السبابة على شفتيه، ثم أوضح أن ما كان
يسعى إليه لم يكن ممارسة الجنس بل مجرد التقبيل. وكان هذا بالكاد مطمئنا.
نهضت، وشكرته على العشاء، وخرجت بهدوء، دون أن يحاول أن يمنعني، وجمعت ما
تبقى من أموالي لشراء سرير في نزل للشباب.

في صباح اليوم التالي، قطعت الطريق مرة أخرى متجهًا إلى البندقية.
هذه المرة كنت محظوظًا للغاية ووجدت مرة أخرى ملفًا
المنقذ - هذه المرة بدون دافع خفي. رجل على أ
توقفت دراجة نارية ضخمة من نوع هارلي ديفيدسون وسألتني
حيث كنت أتجه. قلت له القصة كاملة، وتركت
فقط الجزء المتعلق بالطبيب البلجيكي. سائق الدراجة النارية
كان اسمه إد، وكان أمريكيًا، وكان يقيم معسكرًا
المعدات ولا يوجد خط سير محدد أو جداول زمنية. لقد أخذني
تحت جناحه. بناء على اقتراحه، ذهبنا إلى أقرب
مكتب البريد لإرسال برقية إلى عمي في نيوكاسل ل
أبلغه بالحالة الطارئة واطلب منه أن يتصل بي
المال (أعتقد أنه كان 15 جنيهًا إسترلينيًا) إلى Post Restante في البندقية. نحن
أمضينا يومًا أو يومين في التخييم بجوار البحيرة وعندما وصلنا إليها
البندقية كان المال هناك بالنسبة لي. لقد أرسلت آخر
برقية لأشكر عمي على إنقاذي. كان هناك
هناك عقبة أخرى يجب التغلب عليها: تذكرة القارب من البندقية
إلى حيفا كان أيضًا في حقيبتي ولم أستطع
تذكر اسم الشركة. هذا ينطوي على الذهاب
من مكتب شحن إلى آخر حتى واحد منهم في النهاية
وجدت اسمي في قائمة الركاب وأصدرت لي حسب الأصول
تذكرة أخرى. شكرت إد كثيرًا على كل ما فعله
وصعدت على متن القارب الذي أوصلني إلى حيفا.
كان الترحيب الحار ينتظرني عند وصولي. كان هناك قدر كبير من اللحاق
بالركب ولكن كان هناك أيضًا متسع من الوقت للقيام بذلك. كانت الأسابيع
القليلة التالية تقضي بزيارة الأقارب القريبين والبعيدين، والاجتماع
بالأصدقاء القدامى، والذهاب إلى الشاطئ في تل أبيب أو إلى حمام السباحة الفاخر.

في فندق أكاديا في هرتسليا، أو مجرد القراءة والاسترخاء في المنزل. لقد كانت رمات غان دائمًا مكانًا باهتًا وباهتًا، لكنها بدت أكثر ريفية مقارنة بلندن وباريس، على الرغم من أن هذه بالتأكيد كانت مقارنة غير عادلة. على الجبهة الداخلية، لم يتغير شيء يذكر: كان والدي لا يزال عاطلاً عن العمل، وواصلت والدتي العمل كموظفة هاتف في مجلس المدينة، وكانت داليا تؤدي خدمتها الوطنية، وكانت فيلما لا تزال في المدرسة ولم يكن هناك شعور كبير بالهدف أو التقدم. بالنسبة لي، بدا الأمر وكأنهم جميعًا ينجرفون، لكن ربما كان ذلك لأنني أنا نفسي كنت الآن مصممًا جدًا على عدم الانجراف. إن كان هناك أي شيء، فقد بدت الأسرة أكثر اختلالًا مما كانت عليه قبل مغادرتي.

كان من الصعب معرفة ما إذا كانت الأسرة هي التي تغيرت إلى الأسوأ أم أن وجهة نظري هي التي تغيرت. على الأرجح كان كلاهما. من ناحية أخرى، حررني قضاء الوقت مع أصدقائي من جيمناسيا دفير من قلقي. لقد تابعنا ببساطة من حيث توقفنا. أراد أصدقائي أن يعرفوا كل شيء عن رحلاتي وحياتي في الخارج. شيء واحد شعرت به هو أنني ارتفعت في تقديرهم لأنني كنت أدرس في إنجلترا، وهو أمر نادر في إسرائيل في أيام التقشف تلك. ونتيجة لمكانتي المعززة، أصبحت أقل كبتاً، وأقل وعياً بألم كوني عراقياً، وأقل صمتاً وانطواءً.

بقي تشارلز كونواي معنا لجزء من الوقت الذي كنت فيه هناك. لقد كانت فرصة بالنسبة لي لأخذه في جميع أنحاء البلاد ولوالدتي لترد بالمثل على الضيافة التي كنت أتلقاها من عائلته. كانت إجازتنا تحت الشمس مثيرة ومليئة بالإثارة، في تناقض ملحوظ مع الصعوبات الدراسية الشديدة التي حكمت حياتنا في إنجلترا. لم أستطع إلا أن ألاحظ الجهود التي بذلتها والدتي للترحيب بتشارلز وكيف استقبلتها

يتناقض الدفء والحيوية مع شكليات كونوايز. لا أستطيع أن أقول ما إذا كان تشارلز قد لاحظ ذلك أيضًا. ولكن قبل أن أعرف مكاني، حان الوقت لركوب القارب إلى مرسيليا ثم السفر بالقطار والعبّارة إلى لندن.



آفي في الصف السادس من مدرسة اليهود الحرة في كامدن تاون

اثنا عشر

الصحوة

عند عودتي إلى لندن دخلت ما كان السادس الأول
النموذج في تاريخ المدرسة اليهودية الحرة؛ سابقًا
ترك معظم التلاميذ المدرسة في السادسة عشرة من عمرهم للحصول على عمل. في بلدي
في العام التالي بقي حوالي عشرة تلاميذ لأداء المستويات A، جميعهم
الأولاد. تم تخصيص غرفة لنا للدراسة الخاصة في
الجزء الخلفي من المسرح في القاعة، على بعد مسافة من الآخر
الفصول الدراسية. حيث لم يكن هناك معلم للإشراف علينا
"خلف الكواليس"، تم قضاء قدر كبير من الوقت في الثرثرة الخاملة
والعبث. وكان بعض التلاميذ أكثر تفانياً من
الآخرين، ولكن الجو العام كان متراخيا جدا و
مرحة. إحدى الحلقات التي لا تنسى تتعلق بمدير المدرسة
توبيخ صبي وفتاة تغيبا عن الدرس
أجل أن تكون وحيدا. كان بإمكاننا سماعهم ولكنهم يستطيعون ذلك
لا يروننا ولا يسمعوننا. سألهم مدير المدرسة
لماذا لم يكونوا في الصف. لا يوجد رد. ثم سأل
سواء كانوا هناك من أجل قبلة وعناق. كان هذا
في المرة الأولى التي صادفت فيها هذا التعبير وأضفته
إلى مجموعتي من العبارات الإنجليزية لما كنت أتمناه
سيكون الاستخدام في المستقبل.

بالنسبة للمستوى A اخترت التاريخ والدستور الفرنسي والبريطاني. لقد
أعربت عن اهتمامي بالحصول على المستوى A في الأدب الإنجليزي، لكن السيد
ريتشاردز، مدرس اللغة الإنجليزية، رأى، بلا شك، بشكل صحيح في ذلك الوقت،
أن لغتي الإنجليزية لم تكن على مستوى ذلك. محادثة فرنسية متضمنة,

أعمال ترجمة ودراسة معمقة لستة نصوص فرنسية: رواية، ومسرحية، وعمل فلسفي، ومجموعة قصص قصيرة، وديوان شعر. كان كل كتاب من هذه الكتب بمثابة اكتشاف رائع بطريقته الخاصة ومصدر متعة هائلة. كان هناك صبي واحد فقط يتقن اللغة الفرنسية، وكان من المفترض أن يكون من السهل تدريس فصل مكون من اثنين. لسوء الحظ، تبين أن مدرس اللغة الفرنسية لدينا كان مخيبا للآمال حقا. لقد علمتنا السيدة داود اللغة الفرنسية في الصف الخامس، لذلك عرفنا أنها لم تكن أكثر المعلمين ديناميكية. لقد افترضنا أنها ستنشط عندما يصبح العمل أكثر إثارة للاهتمام، لكنها ظلت غير مستعدة كما كانت دائمًا. لقد تحدثت الفرنسية بطلاقة شديدة وبلكنة مثالية وفعلت الكثير لتحسين مهارات المحادثة لدينا، لكنها مالت إلى إهمال الجوانب الأكثر تطلبًا للدورة، مثل القواعد والنصوص المحددة. بحلول منتصف العام، شعرت بالإحباط الشديد بسبب بطء وتيرة التقدم. لم أذكر ذلك للدكتور كونواي، ولكن في أحد الأيام استجمعت شجاعتي وذهبت لرؤية نائب الرئيس السيد فيلسنشتاين. سألت إذا كان بإمكاني الحصول على فترات مجانية للدراسة بمفردي بدلاً من الفصول الدراسية مع السيدة داود. وكما هو متوقع، سأل عن سبب هذا الطلب. أجبت بأننا لم نحرز تقدمًا كبيرًا مع السيدة داود وأنني أخشى ألا نتمكن بهذه الوتيرة من إنهاء المنهج الدراسي في الوقت المناسب. لقد استمع لي بانتباه، وسألني بعض الأسئلة، ثم أمرني بالاستمرار في حضور دروس السيدة داود حتى إشعار آخر. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، شوهدت السيدة داود وهي تخرج من مكتب السيد فيلسنشتاين والدموع في عينيها.

شكواي بشأن السيدة داود أظهرت تزايد الثقة بالنفس. في السنة الأولى كنت ملتزمًا، حريصًا على عدم زعزعة القارب، حريصًا على الإرضاء بأي ثمن. وفي السنة الثانية، تغلب الطموح الأكاديمي على الامتثال. وكان ذلك على وجه التحديد لأنني بدت كذلك

الضميري أن شكواي أخذت على محمل الجد. ال
كان مدرس اللغة الفرنسية الجديد شابًا يهوديًا يُدعى رون أدلمان
الذي تخرج مؤخرًا من جامعة ليدز، وأنا
أعتقد أن هذه كانت وظيفته الأولى. ألقى السيد أدلمان بنفسه
في التدريس بطاقة هائلة ومهارة. هو
كان حادًا وحيويًا وممتعًا، وكان حماسه كذلك
المعدية. لقد جعل دراسة اللغة الفرنسية أمرًا ممتعًا
وفرحة لقراءة الأدب الفرنسي. التناقض بين
لم يكن من الممكن أن يكون هو والسيدة داود أعظم من ذلك. مع
يا سيدة داود، لقد قرأنا رواية "نوتر دو هافر" للكاتب
جورج دوهاميل وتروا كونتيس لجوستاف فلوبير.
مع السيد أدلمان درسنا بعمق أكبر بكثير
.مسرحية كوميدية من تأليف موليير، Tartuffe ou l'Imposteur
"كانديد أو التفاؤل" هي رواية شارد لفولتير.
ومجموعة مختارة من القصائد من سبع قصائد من القرن التاسع عشر
الشعراء الفرنسيين.
كانت المادة الثانية في المستوى A هي الدستور البريطاني.
على الرغم من اسمها الجاف والتقني إلى حد ما، هذه الدورة
شمل تقريبًا جميع الجوانب الرئيسية للسياسة البريطانية،
مع التركيز على المؤسسات. من بين المواضيع نحن
تم تغطية النظام الملكي، وحكومة مجلس الوزراء،
البرلمان، القضاء، سيادة القانون، الأحزاب السياسية،
النظام الانتخابي والحكم المحلي. عندما كان لي
وصلت إلى إنجلترا، ولم أكن أعرف عنها شيئًا تقريبًا
السياسة البريطانية. بعد وقت قصير من وصولي إلى منزل كونواي،
لقد نورني تشارلز بمسح واسع النطاق.
بعد أن قطعت أسناني في إسرائيل الذي يتناسب
شجع نظام التمثيل على انتشار
الحفلات الصغيرة، لقد أزعجته بالإشارة بشكل متكرر إلى
الحكومة باسم "الائتلاف".
من خلال دراسة الدستور البريطاني لمدة عامين، اكتسبت معرفة أساسية
بالنظام السياسي البريطاني بالإضافة إلى بعض المعلومات غير المفيدة مثل

حيث يتم الاحتفاظ بالصولجان في مجلس العموم. كان مدرسنا لهذا الموضوع، وكذلك مدرس النموذج ورئيس دار زانجويل، هو فيكتور إيليس، وهو أحد أعضاء هيئة التدريس غير اليهود. لقد كان مدرسًا إيجابيًا وودودًا للغاية. وبينما كان لطيفًا ومفيدًا لجميع التلاميذ، فقد خصني بالاهتمام الخاص والتشجيع والثناء. كتب في تقاريره أن موقفي من العمل كان ممتازا؛ وأن شخصيتي وشخصيتي كانتا من الدرجة الأولى؛ وأن تحصيلي كان جيدًا جدًا؛ وأن توسع مفرداتي الإنجليزية كان رائعًا؛ ومن الواضح أنني كنت طالبًا جامعيًا، ولدي عقل تحليلي حاد؛ وكان من دواعي سروري التدريس. وأنه ليس لديه أدنى شك في أنني سأقوم بعمل جيد. لم أستطع الحصول على ما يكفي من السيد إيليس! أنا أدرك مدى تهنئة نفسي عندما أقتبس منه اليوم، ولكن في ذلك الوقت كانت هذه التقارير حاسمة في رفع ثقتي بنفسي.

كانت المادة المفضلة لدي في المدرسة هي التاريخ. عندما وصلت إلى إنجلترا، كانت معرفتي بالتاريخ العام ضعيفة وغير مكتملة، ولم يكن لدي أي اهتمام خاص بالموضوع. إن الكثير من التاريخ الذي تعلمته في المدرسة من قبل كان تاريخ اليهود ونشوء دولة إسرائيل. كان التركيز في التاريخ اليهودي على الاضطهاد والاستشهاد بينما كان التركيز في التاريخ الإسرائيلي على البطولة والفداء. التاريخ الذي تعلمناه في المدرسة كان بالكاد يمكن تمييزه عن الدعاية الصهيونية. في عامي الأول في JFS، تعرفت على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي البريطاني في القرن التاسع عشر. لم يكن الموضوع مملًا فحسب، بل كانت الطريقة التي تم بها تدريسه، والتعلم عن ظهر قلب، مملة للغاية. فقط في الصف السادس شعرت لأول مرة بمتعة وإثارة دراسة التاريخ. تم تقسيم منهج المستوى A إلى ورقتين: التاريخ البريطاني في القرن التاسع عشر والتاريخ الأوروبي في القرن التاسع عشر. هناك

كان هناك خمسة أولاد في الفصل وكان المعلم دينيس فيلسنشتاين.

كان السيد فيلسنشتاين معلمًا نموذجيًا في كل شيء: لقد كان واسع المعرفة؛ لقد كان دائمًا يأتي مستعدًا جيدًا؛ قام بتغطية المنهج بأكمله في الوقت المناسب؛ لقد أعاد الموضوع إلى الحياة؛ وقدم لنا تعليقات مفصلة وبناءة على عملنا المكتوب. باختصار، لقد فعل كل ما في وسعه لإخراج أفضل ما فينا. ونحن، من جانبنا، نكن له احتراما كبيرا، وقد سعينا بدرجات متفاوتة إلى الارتقاء إلى مستوى توقعاته. لم يكن هناك سوء سلوك ولا عبث في فصوله. ولم يكن هناك الكثير من الضحك أو المزاح الخفيف. حدث استثناء واحد عندما طرح علينا السيد فيلسنشتاين سؤالاً. فأجاب أحد الصبية: أليس كذلك؟ رد السيد فيلسنشتاين بغضب ساخرًا: "لماذا يجيب اليهود دائمًا على السؤال بسؤال؟!" أجاب الصبي، مستخدمًا لهجة يديشية مبالغ فيها: "ليس كذلك؟"

خلال عطلتي عيد الميلاد وعيد الفصح كنت أذهب عادة للإقامة مع عمي إسحاق في نيوكاسل. عاش هو وزوجته دوريس في منزل إدواردي واسع ومنفصل مليء بالأثاث العتيق باهظ الثمن والأنيق. لم يكن لديهم أطفال لأن دوريس كانت في منتصف العمر بالفعل عندما تزوجا. كان إسحاق الآن في أوائل الخمسينيات من عمره، وبالنسبة لي بدت دوريس أكبر سنًا منه بكثير. في الواقع، كانت أكبر منه بأربع سنوات: ولدت في عام 1906 وهو في عام 1910. كان والد دوريس مهاجرًا يهوديًا من روسيا القيصرية استقر في نيوكاسل وأنشأ متجرًا كخياط. لقد جمعت بين الجهل والغطرسة في أجزاء متساوية تقريبًا، معتبرة أن هارولد ويلسون، زعيم حزب العمال، سيئ مثل أدولف هتلر. ولتغطية كل ذلك، كانت دوريس أيضًا بخيلة للغاية. في عيني المراهقة، لم يكن لديها أي نعمة منقذة.

كانت دوريس وإسحاق زوجين غريبين. لقد كانا غير متوافقين مزاجياً، وقضوا معظم وقتهم في المشاحنات. كانوا يمتلكون ثلاثة مباني كبيرة مقسمة إلى شقق وكان إيجار الشقق يوفر لهم دخلاً كبيرًا. وكان الشيء الوحيد المشترك بينهم هو البخل. استاءت دوريس بمرارة من المبلغ الذي أنفقه عمي على تعليمي، والذي كان يصل إلى حوالي 50 جنيهًا إسترلينيًا في الشهر: 30 جنيهًا إسترلينيًا شهريًا إلى عائلة كونوايز لصيانتي، و8 جنيهات إسترلينية لمصروف جيبي والباقي لتغطية النفقات الإضافية مثل الملابس. والسفر والعطلات. كنت أعرف أن نانا عرضت دفع تكاليف دراستي في لندن من عائدات بيع منزلها في بغداد. ولكن بما أن إسحاق ربما أنفق أموالها، فقد كان عليه الآن أن يتحمل التكلفة من جيبه الخاص. وكان هذا مصدرا للتوتر الدائم بين الزوج والزوجة.

ومع ذلك، أثناء إقامتي في نيوكاسل، كنت دائمًا أحظى برعاية جيدة جدًا وحتى مدللة - موضع ترحيب كبير بعد قسوة أسرة كونواي. لم تكن دوريس قادرة على الطهي على الإطلاق، لذا كان على عمي أن يقوم بالطهي كله. لقد كان طباخًا ممتازًا. كان طعامه يشبه المطبخ الذي اعتدت عليه في بغداد: حار وحار مع الكثير من الكاري والهيل. كان النظام الغذائي الأساسي هو الدجاج والأرز، لكن ذخيرته امتدت إلى لحم الضأن والباذنجان وكرات اللحم والبامية في صلصة الطماطم والمسكوف والسمك المشوي على الطريقة اليهودية العراقية. بعد وجبات العشاء المدرسية والوجبات الصحية ولكن المملة التي تقدمها السيدة كونواي، كان طبخ عمي بمثابة متعة ترحيب وتذكير بالمنزل.

كان كل من عمي وعمتي لطيفين معي ولكنهما كانا ينتقدان بعضهما البعض بشكل مفرط. أراد كل واحد منهم أن يخبرني عن جانبه من القصة، لذا، خلافًا لرغبتي، انجذبت إلى مشاجراتهم الزوجية. عندما كنا بمفردنا، اعترف لي عمي بأنه كان محاصرًا في زواج غير سعيد للغاية. سألته إذا كان قد فكر في ذلك من قبل

الطلاق. فأجاب أنه فعل ذلك مرات عديدة، وأنه استشارة محامٍ في إحدى المرات. كما أطلعني أيضًا على رسالة كتبها بناءً على اقتراح المحامي، موضحًا فيها الأسباب المتعددة للطلاق. لكنه أسقط القضية قبل أن تصل إلى المحاكم. سألته لماذا. وكان رده أن القانون الإنجليزي عقابي للغاية تجاه الزوج الذي يرفع دعوى الطلاق. وفي حالته، نص القانون على أنه سيتعين عليه التخلي عن منزل الزوجية، وتقسيم الأصول التجارية ودفع النفقة لزوجته المنفصلة عنه. وقد صدمتني الحجج القانونية حينها كغطاء لجبنه، لكنني امتنعت عن قول ذلك. أتذكر حادثة واحدة بشكل حاد. كانت دوريس مشاكسة وغير مقبولة (لم أكن مستشارة زواج محايدة تمامًا) لدرجة أن الجو في المنزل أصبح لا يطاق. اقترح عمي أن نخرج أنا وهو في رحلة بالسيارة، ففعلنا ذلك. كان يومًا شتويًا باردًا مع السحب الداكنة والمطر. لقد تجولنا بلا هدف لمدة نصف ساعة تقريبًا وانتهى بنا الأمر في مركز الحديقة. كانت إحدى الميزات عبارة عن نافورة مياه صغيرة في الأرض التي عاملها بعض العملاء على أنها بئر للتمنيات. ألقى عمي عملة معدنية في البئر وتمنى أمنية صامتة. ثم أعطاني عملة معدنية واقترح أن أفعل الشيء نفسه. فعلتُ. أمنيتي السرية، التي أخجل من الاعتراف بها، هي أن تموت عمتي. سألني عمي بطريقة محرجة ومترددة إلى حد ما، ماذا كنت أتمنى. لقد رفضت الإجابة. وقال إنه يعتقد أننا قمنا بنفس الرغبة وربما كان تخمينه صحيحًا.

في ربيع عام 1963، اصطحب إسحاق دوريس لقضاء عطلة لمدة أسبوعين لزيارة عائلتنا في إسرائيل. بعد أن تقاعد من الجيش البريطاني واستقر في المملكة المتحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية، لم يكن لديه سوى القليل من الاتصال بأقاربه خلال الثمانية عشر عامًا الماضية. ولدى وصوله إلى إسرائيل، صُدم بشدة من التدهور الذي طرأ على الوضع

ثروات الأسرة بأكملها. والدته، التي كانت تمتلك فيلا فاخرة على ضفاف نهر دجلة في بغداد، تعيش الآن في منزل صغير من غرفة واحدة في رمات غان. لقد تذكر أعمامه يعقوب وشاؤول ويوسف باعتبارهم تجاراً أثرياء ورجالًا ذوي مكانة اجتماعية كبيرة في بغداد. الآن رأى بنفسه مدى تدهورهم في العالم. كان لدى يعقوب محل بقالة، وكان شاؤول لديه محل فواكه وخضروات، بينما كان يوسف سائق سيارة أجرة. ذلك في رسالتها لي، إسحاق، الذي كان

عندما تركت والدتي رجال الأعمال الأذكياء والمغامرين والناجحين خلفهم، شعرت بالأسى لرؤيتهم كظلال لأنفسهم السابقة. كان مشهد والدي هو المنظر الأكثر حزنًا لأنه كان الأكثر رخاءً بينهم جميعًا، والآن أصبح عاطلاً عن العمل. كما أصيب إسحاق بخيبة أمل من شقيقه الأصغر ألفريد الذي كان ينجرف بلا هدف. قرب نهاية العطلة، دخل إسحاق في خلاف حاد مع والدته موزلي. كان الأمر يتعلق بالمال، أو بشكل أكثر دقة، بدفع تكاليف تعليمي. لم أكن أعرف التفاصيل. ما كنت أعرفه هو أن الخلاف انتهى بإخبار موزلي لإسحاق في وجهه أنها لا تثق به.

بعد وفاة والدتي، بحثت في جميع أوراقها ووجدت رسالة كتبها لها إسحاق من نيوكاسل في 30 مارس 1963، بعد عودته من الرحلة إلى إسرائيل. لقد كتبت والدتي، التي كانت دائمًا صانعة للسلام، أن موزلي آسف على الرسالة (باللغة اليهودية العربية) التي أرسلتها إليه ولا ينبغي عليه أن يقلق بشأنها. رفض التهدئة، ورفض النصيحة، وذكر أن الرسالة ليست مزحة، وأضاف:

لقد كتبت لها [الموزلي] رسالة سيئة للغاية وقطعت كل علاقاتي معها ولن أرى وجهها القذر والقبيح للغاية مرة أخرى. لقد سئمت منها طوال حياتي. وتوصلت إلى أنها مجنونة فعلا، ويجب الحذر منها لأنها تغار على أولادها وتريد إثارة الفتن بيننا... بصراحة عايدة لو كنت في إسرائيل لرميت تلك القذرة قطة من الشرفة إلى الشارع. لقد تصرفت

معي بشكل سيء للغاية أموالها في لندن وتُنفق على تعليم أبي. أنا
لا علاقة لها به. لن ترى فلسًا واحدًا منه قبل أن ينتهي أبي
تعليمه ويحصل على شهادته. على الرغم من أن هذا هو مالها، يمكنك الراحة
وأكدت لعايدة أنني بحاجة إلى إضافة ضعف نفقاته. أنا أكون
عازمة على منح آبي الفرصة... ألومك أنت وألفريد على السماح لها بذلك
اكتب لي بهذه الطريقة لأنني أرى أن ألفريد كتب لها الظرف.
على أية حال، عايدة أريد أن أوضح الأمر لك ولألفريد من أجل الحفاظ على حبي
والمودة تجاهك والأطفال وألفريد. أنا لست كذلك، أكرر لا،
ولن نكرر، لا، نرسل أي شيء من إنجلترا إلى أي شخص منكم. أريد
لكي يكون هذا واضحًا حتى لا يكون هناك المزيد من سوء الفهم.

شعرت والدتي بشكل أكثر حدة من العم إسحاق بانهيار ثروات عائلتنا: لقد كان مجرد زائر؛ كان عليها أن تتعايش مع العواقب. رسائلها إليّ تضمنت إشارات متكررة إلى رتابة وبؤس حياتها في إسرائيل وإلى رغبتها اليائسة في الخروج. وكثيراً ما كانت تشير إلى إسرائيل باعتبارها سجناً: فقد شعرت بالاختناق والقمع. كانت شكواها الرئيسية هي أن العبء الكامل لإعالة الأسرة يقع على عاتقها. وكانت تنتقد داليا لعدم مساعدتها لها ولرغبتها في الدراسة بدلاً من الخروج للعمل بعد تسريحها من الجيش. كان هذا في تناقض صارخ مع التزامها العاطفي والتضحيات التي كانت على استعداد لتقديمها لإعطائي تعليمًا جيدًا.

فيما يتعلق بوالدي، لم تقل والدتي سوى القليل جدًا، ولكن في بعض الأحيان كانت خيبة أملها تظهر على السطح. وفي 22 يونيو/حزيران 1963، كتبت: "على مدى السنوات العشر الماضية، كان والدك مثل السائح في هذا البلد. لقد كنت أكافح من أجل الاعتناء بمدرستك وطعامك وملابسك وكان هذا بالفعل خارج نطاق طاقتي. كان التفكير في الأثاث والقليل من الرفاهية أمرًا غير وارد. الأم ليست مستعدة للمساعدة. إنها تنفق الكثير عليك، وتعتقد أنها تفعل أكثر مما يكفي وهذا صحيح، ولا أستطيع أن أطلب المزيد. على أية حال، لقد سئمت بشدة من المنزل ومن أولئك الذين يعيشون فيه.

إنهم وكل شيء يثيرون أعصابي». سمعت ألم والدتي ولكني لم أتمكن من مساعدتها.

احتوت هذه الرسالة على أول إشارة إلى أن والدتي كانت تفكر في الطلاق. وكتبت في رسالة أخرى أنه عندما كنت أنا وأخواتي صغيرين، كانت تبقي فمها مغلقًا وتعاني دون شكوى. الآن كانت تأمل أن أكون كبيرًا بما يكفي لأفهم أن المرأة لا تستطيع تحمل كل عبء رعاية الأسرة بمفردها، وأنها لا تستطيع أن تكون مثل العبد، وأنها تحتاج إلى شريك يساعدها في تحمل المسؤولية. وكان المعنى الضمني واضحا: لم يعد والدي ذلك الشريك. حصل والداي على الطلاق من المحكمة الحاخامية في تل أبيب في 18 مارس/آذار 1964. ولم أكن هناك لأشهد سلسلة الأحداث التي أدت إلى الانفصال النهائي. كل ما أعرفه هو ما سمعته من والدتي، أولاً لفترة وجيزة في الرسائل ثم بمزيد من التفصيل لاحقًا، عندما عدت إلى إسرائيل. ووفقا لها، فإن زواجهما في إسرائيل لم يعد كما كان من قبل. وبينما كان والدي يجلس مكتوف الأيدي في المنزل، كان على والدتي أن تخرج للعمل كموظفة هاتف في دار البلدية؛ وكانت المعيل الوحيد، وأصيبت بالاكتئاب. كانت شابة في أوج قوتها، وكان هو رجلاً في منتصف العمر، مريضاً وفي حالة تدهور. حدثت لحظة مؤثرة بشكل خاص عندما أخبرها أحد زملائها في مجلس المدينة أن والدها جاء للبحث عنها. الرجل المعني لم يكن والدها بل زوجها.

لم يكن طلاق والديّ قاسياً. وتؤكد والدتي أن أول عرض للطلاق جاء من زوجها وليس منها. وفي روايتها للأحداث، قال لها ذات يوم: «انظري هنا.» أنا مثل الرجل الغارق. لا أريد أن أجرك أنت والأطفال معي. لذا دعني أمضي في طريقي، وأنت تعتني بالأطفال». كان لدى فيلما، أختي الصغرى، التي كانت في الرابعة عشرة من عمرها في ذلك الوقت، رواية مختلفة للأحداث. وبعد سنوات هي

أخبرتني أنها تعتقد أن والدتنا هي التي أخذت زمام المبادرة، وأن فكرة الانفصال جاءت منها وأن والدنا لم يكن سعيدًا جدًا بذلك. تتذكر فيلما بشكل غامض أنها سمعت محادثة باللغة العربية بين والدنا وداليا. وظن فيلما أنه قال لداليا إن والدتنا تريد الطلاق وأنها طلبت منه مغادرة منزل الأسرة وأنه لا يعرف ماذا يفعل. هل تستطيع داليا مساعدته؟ بدت داليا مضطربة ومحرجة لأنه لم يكن بوسعها فعل أي شيء. تعتقد فيلما أنها تمتمت، "ماذا يمكنني أن أفعل؟" على أية حال، فإن لغة جسد داليا أوصلت تلك الرسالة. لم تستطع داليا أن تتذكر هذه المحادثة.

من الصعب التوفيق بين رواية فيلما ونسخة أمنا، ولكن قد يكون هناك عنصر من الحقيقة في كلا النسختين. على الأرجح أن اقتراح الطلاق جاء من والدتنا، لكن الأب كان رجلاً فخورًا وكريمًا وكريمًا بالإضافة إلى متجنب الصراعات، وربما كان يخجل أيضًا من أنه أصبح عبئًا وبالتالي لم يبد أي مقاومة. وبمجرد أن أدرك أن زوجته اتخذت قرارها، اختار أن يذهب بهدوء. إن اهتمامه برفاهية أطفاله، كما ذكرت والدتنا، يبدو صحيحًا بالتأكيد. لا بد أن الطلاق كان مؤلمًا للغاية بالنسبة له، لكنه تم دون اضطرابات أو احتجاجات.

وبمجرد التوصل إلى الاتفاق الأساسي، تم إنجاز الإجراءات الشكلية بسرعة. كان الجانب المالي من الاتفاق هو أن والدتي ستعطي والدي ثلث قيمة الشقة وسيغادرها. زودت نانا والدتي بالمال. ولم يكن هذا كافياً ليشتري والدي مكاناً خاصاً به؛ إلى جانب ذلك، كان يحتاج إلى رأس المال للعيش لأنه لم يكن لديه مصدر دخل آخر. كلما كانت والدتي تواجه صعوبة، كانت تذهب إلى العمدة كرينيتزي طلبًا للمساعدة. ولم يخيب رئيس البلدية: لقد خصص

سكن والدي اجتماعياً بإيجار رمزي، مما وضعه على رأس طابور الأسر المحتاجة. كان المنزل من طابق واحد يقع على أطراف مدينة رمات غان، على بعد حوالي عشرين دقيقة سيرًا على الأقدام من منزلنا. تتكون من غرفة واحدة وحمام ومطبخ صغير. ساعدت والدتي والدي في تأثيثها. كان كل شيء بسيطًا وبسيطًا جدًا: سرير وأريكة صغيرة وكرسيين بذراعين وخزانة وطاولة قهوة. وتناثرت في أرجاء الغرفة بعض الكتب الواقعية باللغة العربية. كانت المناطق المحيطة بسيطة ولكنها نظيفة ومرتبة. كانت هناك بضعة صفوف من الأكواخ ذات الأرصفة المؤدية إليها، والنباتات والأشجار على كل جانب. تمت صيانة العقار السكني بالكامل من قبل المجلس. في المنزل المجاور لوالدي كان يعيش زوجان مسنان من الأشكناز، وكانا طيبين ومتعاونين. وفي يوم السبت، من وقت لآخر، كانت والدتي تطبخ الطعام اليهودي العراقي، وكانت فيلما أو هي تأخذه إلى والدي. عاش في هذا البنغل بمفرده حتى وفاته بنوبة قلبية في 3 ديسمبر 1970، عن عمر يناهز التاسعة والستين.

أثناء خدمتي العسكرية، كنت أذهب أحيانًا لزيارة والدي يوم السبت، عندما كنت خارج الخدمة. أعدت والدتي وجبة كبيرة لجميع أفراد الأسرة وخصصت جزءًا لأبي. كانت تعطيني وعاءين، أحدهما للأرز والآخر للطبق الرئيسي، وغالبًا ما يكون يخنة الدجاج مع البطاطس والبازلاء. كان الطعام دائمًا حارًا ولذيذًا وجاء بأجزاء سخية. كان والدي يسخن الطعام على موقد الغاز، وكنا نأكله على طاولة القهوة، في مواجهة بعضنا البعض. لم يكن هناك طاولة طعام. كنا نتحادث باللغة العربية، وكان والدي هو الذي يتولى معظم الحديث ويطرح الكثير من الأسئلة لمواصلة المحادثة. كانت لغتي العربية محدودة جدًا في البداية، لكنها أصبحت صدئة بشكل خاص بعد ثلاث سنوات في لندن. لم أقل الكثير، وأدليت بالتعليق الغريب بطريقة مترددة وأجبت بأفضل ما أستطيع

مفردات محدودة جميع الأسئلة التي طرحها والدي علي. كان من الغريب أن أجري محادثة مع والدي بلغة لم تعد لغتي.

كان والدي يعيش بمفرده، وكان سعيداً بصحبتي، وكان وجهه يضيء كلما رآني. شعرت بتعاطف عميق معه. ومع ذلك، بحلول ذلك الوقت، وبسبب غيابي الطويل في الخارج، لم يكن لدينا سوى القليل من القواسم المشتركة، باستثناء صعوبة التواصل. لم نتجادل قط، ناهيك عن التجديف. أكثر ما أدهشني في والدي هو غياب أي علامة واضحة للمرارة من الضربة القاسية التي وجهها له القدر. إذا شعر بأي استياء تجاه والدتي، فإنه يحتفظ به لنفسه. ولم يكن هناك أي شفقة على الذات على غرار "كيف سقط الأقوياء". لقد كان رزيناً وغير متذمر. وكما كان الحال في أوائل مراهقتي، لم يتحدث أبداً عن نفسه، أو عائلته، أو حياته المهنية، أو حياتنا في بغداد، أو الظروف التي أجبرتنا على المغادرة. وأنا، ولأسفي الأبدي، لم أطلب ذلك قط.

تعرفت على صديق أثناء كتابة هذه المذكرات، أ
زميلة باحثة في كامبريدج تدعى ميراف روزنفيلد-
حداد، ساعدني على التفكير في صمت والدي في الأخير
عشرين عاما من حياته. ولدت في إسرائيل لأبوين
الذي هاجر من العراق، شعر بالمنفى في إسرائيل و
جلبتها هي وإخوتها لتفتخر بهم
التراث اليهودي العراقي. جاءت ميراف إلى أكسفورد لإجراء المقابلة
لي لكتاب كانت تكتبه عن ذكريات وألحان و
العلاقات بين المسلمين واليهود وسرعان ما تبين أنها
وكان والدي موريس حداد يعرف والدي في بغداد
أعجب به كثيراً. عندما كان شابا، كان موريس
رافق والده، مقاول البناء، إلى اجتماع
مع والدي في منزلنا في بغداد. عند سماع ذلك
كانت ميراف قادمة لرؤيتي، وكان موريس قد كتب لها رسالة
رسالة تصف الاجتماع بشيء من التفصيل. بدأ ب
وصف البيت الذي قال أنه كالقصر.

جاء والدي، الذي كان يرتدي بدلة من ثلاث قطع، إلى الباب الأمامي لاستقبال ضيوفه.
لقد أثار والدي إعجاب موريس باعتباره حكيمًا للغاية،
رجل مهذب وكريم الذي كان في نفس الوقت
متواضع ومتواضع. من مصادر أخرى موريس و
علم والده فيما بعد عن كرم والدي تجاهه
موظفيه والكنيس والفقراء في
المجتمع اليهودي. الطريقة العربية لممارسة الأعمال التجارية هي
ابدأ بمحادثة طويلة وواسعة النطاق حول
المسائل الشخصية والعائلية التي لا علاقة لها بالعمل في
يُسلِّم. الغرض من المحادثة هو التعرف على
شخص آخر وإقامة علاقة شخصية.
يعتمد العمل على الاحترام المتبادل والثقة المتبادلة.
بمجرد إنشاء الثقة، فإن الجزء التجاري من
عادة ما يكون من السهل اختتام الاجتماع. طريقة والدي
أجرى نفسه في هذه المناسبة وقيل إنه أ
دورة متقدمة في طريقة الشرق الأوسط لممارسة الأعمال التجارية.
لكن ذلك لم يكن على الطريقة الإسرائيلية.
وكان تفسيري الخاص لصمت والدي في إسرائيل
هو أنه كان رجلاً مكسوراً. اقترح ميراف بدلا من ذلك
وأن صمته كان خيارًا واعيًا، وهذا ما يجب أن أفكر فيه
عنه كشخص نبيل وأرستقراطي عربي يهودي حقيقي
"أنبل النبلاء"، هكذا قالت. الثروة تأتي
ولاحظت أن نبل الشخصية فطري
وبالتالي دائمة، بغض النظر عن الخارجية
ظروف. كان انتقال والدي إلى إسرائيل يتضمن أ
سقوط مذهل. لقد أتيت من مدينة حضرية متطورة
الثقافة، وصل إلى بلد اليهود الأوروبيين الذين كان لديهم
ولا فكرة عن ثراء حضارته ولا عن مكانته
والمكانة فيه. إذا كان هناك أي شيء، فإنهم يميلون إلى النظر إليه
وأمثاله متخلفون وغير متحضرين. ماذا كان
مشيرا إلى الحديث مع هؤلاء الناس؟ حتى لو أراد ذلك
الحديث، ولم يكن لديه لغة للتواصل

معهم. ما هو الهدف من الشكوى؟ ما الفائدة من ذلك؟ وبدلاً من الشكوى أو "الضجيج" بشأن الماضي، اختار والدي موقف الصمت الكريم. لقد كان صمتًا مدويًا نابعًا من القوة وليس الضعف. فرضية ميراف حول صمت والدي دفعتني إلى البحث عن أسباب صمتي. ومن الواضح أنه كانت هناك بعض أوجه التشابه. لقد تم اقتلاع كلانا من بيئتنا الطبيعية ونقلنا إلى بيئة غير مألوفة ومشؤومة. كلانا شعر بأنه في غير مكانه. كان الفرق هو أن صمته كان مستمدًا من القوة الداخلية، بينما كان صمتي نتاج الضعف والارتباك والشك في الذات.

كما حولت تعليقات ميراف أفكاري إلى مسألة الفخر. كان والدي رجلاً فخورًا جدًا. كان مشهوراً بكرمه في بغداد وجاهزيته الدائمة لتقديم المعروف للآخرين. ولكن حتى عندما كان حظه سيئا في إسرائيل، فإنه لم ينحدر إلى استجداء الخدمات. كان تفسير ميراف لسلوك والدي في إسرائيل ملهماً، حيث سلط الضوء على الفضائل التي تحملها في مواجهة الشدائد: الكرم، ونبل الشخصية، والإخلاص لعائلته، وهو الأمر الذي وصل به إلى حد التضحية بالنفس. لقد ضحى بنفسه من أجل العائلة ليس مرة واحدة بل مرتين: المرة الأولى بموافقته، خلافاً لتقديره، على مغادرة العراق إلى إسرائيل، والمرة الثانية بإعفاء والدتنا من التزاماتها الزوجية تجاهه.

لقد كنت واعيًا طوال الوقت بالتزاماتي تجاه عائلتي. حاولت التخلص منه من خلال العمل الجاد وإحراز تقدم في دراستي. أصبح هذا أسهل لأن العمل نفسه أصبح مصدرًا للمتعة. ومن ناحية أخرى، كانت حياتي الاجتماعية مملة وغير مجزية. في ليلة السبت كنت أخرج مع أصدقائي من المدرسة إما إلى حفلة أو إلى النادي. كان لدينا نادي مفضل، في

شارع وردور في سوهو، حيث تبلغ تكلفة التذكرة شلنين وستة بنسات. في النادي، كنا نفقد شجاعتنا ونقترب من فتاة ونطلب منها الرقص. إذا رفضتنا، كان لدينا رد جاهز: "ماذا تتوقع من شخصين وستة - مارلون براندو؟!" لم أكن راقصة جيدة، بعبارة ملطفة، وبقيت خجولة إلى حد ما. ضمنت هذه الإعاقات عدم نجاحي في "سحب الطيور"، باستخدام المصطلح السائد في ذلك الوقت.

أخذت حياتي الاجتماعية منعطفاً هائلاً نحو الأفضل عندما التقيت بشاي هاريس في سنتي الثانية في لندن. شاي كانت صديقتي الأولى. كنا في السابعة عشرة من عمرنا، التقينا في حفلة، واتفقنا. كان لديها شعر أحمر وعيون زرقاء وتعبير دائم عن الأذى على وجهها. تتمتع بذكاء عالٍ ومثقفة وواثقة من نفسها، ويمكنها أن تتولى منصبها في أي شركة. وكان لخلفيتها علاقة بثقتها بنفسها، التي كانت تصل في بعض الأحيان إلى الغطرسة. كان والدها، لويس هاريس، يهوديًا إنجليزيًا له علاقات صهيونية، وقد ارتقى إلى رتبة نقيب في الجيش البريطاني في الحرب العالمية الثانية. بعد الحرب، عمل في قسم اللغة الإنجليزية في الصندوق القومي اليهودي ثم اتجه بعد ذلك إلى العمل المصرفي. عندما التقيت شاي، كان مديراً لبنك التجارة السويسري الإسرائيلي، الذي يقع مقره الرئيسي في مدينة لندن. كانت والدة شاي، أفيفا، إسرائيلية: عالمية في الذوق ودولية في النظرة، ولكن لها جذور عميقة في إسرائيل وتتوق إلى العودة مع عائلتها للعيش هناك. كان شقيق أفيفا الأصغر، أمنون، طيارًا في سلاح الجو الإسرائيلي وأسقطت طائرته في حرب الاستقلال عام 1948. وقد عزز موت شقيقها قناعة أفيفا بعدالة القضية الصهيونية وألهم رغبة مدى الحياة في تحقيق العدالة في القضية الصهيونية. خدمته. كانت نشطة في الترويج للفن والثقافة الإسرائيلية في المملكة المتحدة وشكلت علاقة وثيقة مع الأصدقاء البريطانيين لأوركسترا إسرائيل الفيلهارمونية. مثل

كشخص، كان أفيفا ودودًا ومفعمًا بالحيوية ولكنه أيضًا متقلب، وعرضة للتخلص من المقبض في أي لحظة. كان لشاي شقيقتان صغيرتان ذكيتان وقويتان الإرادة: أمينة، ثلاثة عشر عامًا، وإيلا، تسعة أعوام. كانوا يعيشون في هامبستيد في منزل مريح، وتحيط به المروج العشبية وأحواض الزهور. لقد شكلوا معًا عائلة مفعمة بالحيوية والديناميكية ولا يمكن التنبؤ بها ومتجولة.

صداقتي مع شاي غيرت حياتي الاجتماعية والشخصية
الحياة العاطفية. كان لديها العديد من الأصدقاء، معظمهم من العصريين، العلويين
أصدقاء يهود من الطبقة المتوسطة، بيئة جديدة تمامًا لـ
أنا. تمت دعوتنا إلى الحفلات من قبل أصدقائها، لكننا أيضًا
خرجنا بمفردنا إلى السينما والمسرح والحفلات الموسيقية.
ازدهرت علاقتنا لكنها لم تكن خالية من التقلبات
وهبوطا. مزاجيا كنا مختلفين تماما. هي
كان حازمًا ومفعمًا بالحيوية وشيئًا من التباهي. كنت
حذر وخجول ومنطوي. وكانت هناك أيضًا فجوة في
الوضع الاجتماعي. وكان أساس كل ذلك هو حقيقة أنها كانت
أنا وأشكنازي كنا سفارديين. في بعض الأحيان لم أستطع
ساعدني في الشعور بأن شاي نظر إلي بازدراء لأنني أتيت
من المشرق. ومع ذلك، في معظم الأحيان، قمنا بصنع الضوء
من هذه الانتماءات القبلية المختلفة وحتى مازحا عنها
هم. باستخدام مصطلحات غير صحيحة سياسيا، كان شاي يتصل بي
"فرنك وأنا أسميها" vous-vous "." (لأن
اليديشية لديها الكثير من أصوات vous and vas، الأشكناز
كانت تسمى أحيانًا "vous-vous". كان فرانك على قدم المساواة
مصطلح مهين كان لدى الأشكناز للشرقيين
اليهود.)

الشيء الوحيد المشترك بيني وبين شاي هو المستوى A الفرنسي. ذهبت إلى المدرسة الفرنسية في لندن حيث كان مستوى التدريس أعلى بما لا يقاس مما هو عليه في مدرستي. كان أحد الكتب هو نفسه بالنسبة لكلينا: الطرطشة أو المحتال، وهي مسرحية موليير من القرن السابع عشر. دائما على استعداد لوضعها تحت تصرفي

نظرًا لمعرفتها الفائقة باللغة والأدب الفرنسيين، تفضلت شاي بإعطائي ملاحظاتها ومقالاتها حول هذه المسرحية. ومع ذلك، لم يكن هناك أي شك في أنها كانت الشخصية المهيمنة فيما تطور تدريجياً إلى صداقة جميلة.

إن ارتباطي بعائلة هاريس أثرى حياتي بشكل كبير. كلهم احتضنوني كفرد من العائلة وأحببت كل واحد منهم. غالبًا ما كانوا يدعونني لتناول العشاء يوم السبت أو غداء الأحد في منزلهم وقد استمتعت بهذه الوجبات كثيرًا. وكانت محادثتهم مليئة بالحكايات المسلية. سُئل أحد الجنرالات الإسرائيليين الذي أقام معهم عن مدى إعجابه بالبيض على الإفطار. "صعب"، كان جوابه - في العبرية لا يوجد تمييز بين صعب وصعب، ومن هنا جاءت الإجابة الغريبة. من بين أصدقائهم، أحصى آل هاريس بعض الموسيقيين المشهورين عالميًا، مثل عازف التشيلو الروسي مستيسلاف روستروبوفيتش الذي التقيت به مرة في منزلهم في هامبستيد، وبعد عامين، عندما أخذونا لمشاهدة نوافذ مارك شاجال الاثنتي عشرة ذات الزجاج الملون في المنزل. كنيس مركز هداسا الطبي في القدس. أدى ارتباط أفيفا بأوركسترا إسرائيل الفيلهارمونية إلى جلب عدد من الموسيقيين الإسرائيليين البارزين إلى دائرة أصدقائهم. أخذني آل هاريس إلى حفلات موسيقية في لندن وقدموني لأصدقائهم. وبما أن معرفتي بالموسيقى الكلاسيكية كانت معدومة، لم أتمكن من تقديم أي شيء ذي قيمة لهذه المحادثات.

في المدرسة واصلت إحراز تقدم مطرد. لقد عززت ردود فعل المعلمين الإيجابية من ثقتي بنفسي وشجعتني على رفع رؤيتي إلى أعلى وأعلى. كان هدفي هو الدراسة للحصول على شهادة جامعية في إحدى الجامعات البريطانية، وهو أمر لم يفعله أي طالب آخر في JFS من قبل. ومع ذلك، مع اكتسابي الثقة بالنفس، بدأت أحلم بأكسفورد أو كامبريدج. لقد شجعني السيد فيلسنشتاين على متابعة هذا الأمر

طموحي، بل واقترحت أن تقدمني المدرسة لامتحانات القبول في أكسفورد في يناير 1964، أي قبل ستة أشهر من الموعد المقرر لأداء امتحانات المستوى الأول. كان تفكيره يرتكز على أن عملي المكتوب يتحسن طوال الوقت، وأن فرصتي ضئيلة، ولكن حتى لو فشلت، فلن يكون لدي ما أخسره: امتحانات القبول في أكسفورد ستكون بمثابة إعداد جيد لامتحانات المستوى الأول في الصيف التالي.

وعلى هذا الأساس، اتفقنا أنا وهو على أن ترتب لي المدرسة إجراء امتحانات القبول بجامعة أكسفورد في التاريخ واللغة الفرنسية. كانت هناك أيضًا ورقة ثالثة لاختبار المعرفة العامة التي يجب على جميع المتقدمين اجتيازها. لقد عملت بجد وإصرار لإعداد نفسي لهذه الامتحانات التي، في حال لم أتمكن من اجتيازها. وعندما كان موعد الامتحانات على وشك البدء، أخبرني الدكتور كونواي، مما أثار رعبي، أنه بسبب خطأ إداري، لم يتم إدخالي للامتحانات. لقد حاول مواساتي بفكرة أنه لم تتح لي فرصة واقعية لاجتياز هذه الاختبارات على أية حال. لقد كان على حق تقريبًا، ولكن بعد أن استثمرت الكثير في التحضير لهذه الامتحانات فكريًا وعاطفيًا ونفسيًا، شعرت بأن المدرسة خذلتني.

في الصف السادس الأعلى، قدمت عددًا من الطلبات للجامعات الإقليمية أو "الطوب الأحمر"، ولا بد أن تقارير مدرستي كانت متوهجة جدًا لدرجة أن جميعها كانت ناجحة. في اثنين عُرض عليّ مكان بعد المقابلة. إحداها كانت جامعة ساسكس حيث تقدمت بطلب لقراءة التاريخ. أما الآخر فكان أن يقرأ للحصول على شهادة في العلاقات الدولية من كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية. كنت أتلقى طوال الوقت نصيحة من والدتي بشأن المواد التي يجب أن أدرسها. عندما أخبرتها أنني أخطط للحصول على شهادة في التاريخ، لاحظت ذلك

"هناك حقًا الكثير لتتعلمه عن الأسماء والتواريخ، وما إلى ذلك." ولذلك
نصحتني بالبحث عن شيء أفضل!
عندما أخبرت والدتي عن المكان في كلية لندن للاقتصاد، قالت
حثني على إعادة النظر فيما سأدرسه. في 5 مايو 1964،
كتب: 'من خلال دراسة العلوم السياسية سوف تصبح معتمداً
كل حياتك على حكومتنا وسوف يرسلون بالتأكيد
لك، لأفضل سنوات حياتك، إلى أفريقيا أو أي مكان آخر
الحفرة البربرية. لا تنس أنك سفاردي و
ليس أشكنازيًا، وهو أمر مهم جدًا، لذلك لن يفعلوا ذلك
تتيح لك الذهاب بعيدًا جدًا بغض النظر عن مدى ذكائك وتعليمك
نكون.' وتابعت أن السياسيين والدبلوماسيين متأثرون للغاية
مقيدون فيما يمكنهم قوله أو أين يمكنهم الذهاب. على
ومن ناحية أخرى، "هناك بعض الأشخاص المحظوظين."
كسب المال الجيد بهدوء وأحرار ويمكن القيام به
كل ما يحلو لهم. كانت النصيحة واضحة: أن تدرس أ
مادة في الجامعة من شأنها أن تساعدني على الدخول في مجال الأعمال التجارية
وكسب المال. لم أكلف نفسي عناء الرد وتجاهلت
النصيحة. شكها في أنني قد أواجه التمييز في
ولم تكن الخدمة الدبلوماسية الإسرائيلية بلا أساس على الإطلاق. ال
السفارديم، بما في ذلك المتعلمين منهم،
وبقيت على هامش المجتمع الإسرائيلي. كانت
تمثيلها ناقص للغاية في الصحافة والأوساط الأكاديمية والفنون
والرتب العليا في الخدمة المدنية. ومع ذلك، أنا
أتذكر كم صدمت في ذلك الوقت من والدتي
عنصرية صارخة. ومن المفارقات أن والدتي هي التي فعلت ذلك
أثار اهتمامي بالعمل الدبلوماسي عندما كنت في سن مبكرة
طفل. كان هذا بلا شك يعتمد على الشهر الذي قضته
عندما كان في السادسة عشرة من عمره في السفارة الأمريكية في بغداد
أثناء الفرهود ومداعبتها مع شاب و
دبلوماسي أمريكي وسيم هناك. تغير رأيها
ربما كان نتيجة التغيير في عائلتنا
ثروات. لقد كنت الآن أملها الوحيد في إعادة بناء ثرواتنا

وفي رأيها أن الطريق إلى ذلك لا يمكن أن يكون إلا من خلال العمل، وليس مهنة دبلوماسية.

انتهى النقاش حول أين نذهب وماذا ندرس
تمت تسويته من خلال العرض غير المتوقع لمكان لقراءة التاريخ فيه
كلية يسوع، كامبريدج. لم أفعل شيئًا لتأمين هذا
العرض كان من عمل دينيس فيلسنشتاين، تاريخي
مدرس. كان السيد فيلسنشتاين يعرف فيفيان فيشر، مديرة
دراسات في التاريخ في كلية يسوع، بعد أن أشار إليه
بعض ألمع أبنائه من مدرسة القديس بولس. ال
عرضت عليّ الكلية مكانًا في منزل السيد فيلسنشتاين
توصية، دون أي امتحانات القبول ودون
مقابلة. المكان كان مشروط بالحصول على اثنين E-
الصف A-المستويات. كانت الدرجة E هي أدنى علامة نجاح، وهي
ما يعادل 40 في المائة. الشريط بالنسبة لي لا يمكن أن يكون
تم تعيين أي أقل. وكان هناك مطلب آخر: أ
اللغة الكلاسيكية في المستوى O. لم أكن أعرف كلمة واحدة
اللاتينية أو اليونانية، لكنني كنت قد تعلمت بالفعل واجتازتها
المستوى A في اللغة العبرية الكلاسيكية وكان هذا مقبولاً لدى
كلية. لقد شعرت بالحرج من الحصول على مكان من خلال
المحسوبية، دون الحاجة إلى تلبية مجموعة المعايير الأعلى
ذكرني أن بلدي – للمرشحين الآخرين
لم يتم تأمين القبول في Gimnasia Dvir إلا من خلالي
اتصالات الأم. وكانت هذه حالة أخرى من الواسطة
النفوذ أو المحسوبية. لكن الإثارة بالذهاب إلى
ساعدت كامبريدج في التقليل من الشعور بالذنب.

وافقت الكلية على إبقاء المكان لي لمدة عامين دراسيين حتى أتمكن من أداء واجبي في أداء الخدمة الوطنية في إسرائيل. وبشرط استيفاء الشروط المتميزة، تم ضمان مكان لي لبدء العام الدراسي 1966. وكانت الخدمة الوطنية في تلك الأيام سنتين وشهرين. بمجرد أن أنهيت امتحانات المستوى A، شكرت عمي، وشكرت عائلة كونواي، وحزمت كتبي ومتعلقاتي، ورجعت.

المنزل حيث تم تجنيدي على الفور في الجيش. في سبتمبر/أيلول 1966، بعد أيام قليلة من إكمال خدمتي الوطنية، التحقت بكلية جيسوس في كامبريدج كطالبة في السنة الأولى للتاريخ. كان فصل جديد في حياتي على وشك أن يبدأ.



آفي يرتدي زي الجيش الإسرائيلي مع جدته موسلي عوبديا

خاتمة

كان اسمي الحركي في الجيش الإسرائيلي هو "مادموزيل فيفي" غير الرجولية إلى حد كبير، في إشارة إلى قصة دي موباسان. وبالتالي معلقة حكاية. من عام 1964 إلى عام 1966، أديت الخدمة الوطنية في جيش الدفاع الإسرائيلي، والتي كانت إلزامية لجميع الإسرائيليين، أولاد وبنات، عند بلوغهم سن الثامنة عشرة. في مرحلة مبكرة من مسيرتي العسكرية غير المميزة، تم تكليف فصيلتي بحراسة جزء من الحدود مع الأردن. كانت هناك نوبتان ليليتان، واحدة من الساعة 6 مساءً حتى منتصف الليل والآخر من منتصف الليل حتى الساعة 6 صباحًا. كانت فصيلتنا في مهمة الحراسة من الساعة 6 مساءً. كل مساء لمدة اسبوعين لقد حصلنا على بنادق تشيكية قديمة جدًا وثقيلة جدًا من طراز ماوزر من مخلفات حرب عام 1948 وستة رصاصات لكل منها. لم يتوقع رؤساؤنا أن نشارك في أي معارك بالأسلحة النارية وكانوا على حق. كان كل شيء هادئًا على الجبهة الشرقية ومملًا بشكل لا يوصف. وللتخفيف من الملل، قررت، بعد اليوم الأول، أن أحمل معي دائمًا كتابًا. كان لدي مجموعة من الروايات الفرنسية من سلسلة Livre de Poche وبدا أن Mademoiselle Fifi تقدم ترفيهًا خفيفًا مناسبًا.

كنت أقرأ في الهواء الطلق حتى يحل الظلام ثم أغفو أحيانًا. لقد كانت هذه جريمة خطيرة بموجب قانون الجيش، كما أنها تتعارض مع الأمر في المزمور 121 بأن "حارس إسرائيل لا ينعس".

ولا النوم. لقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لإخبار رفاقي بذلك
أيقظني إذا كان لدينا زوار من عبر الحدود. واحد
في منتصف الليل، ركلني رفاقي قائلين إن وقت الرحيل قد حان
العودة إلى القاعدة. وعلى الرغم من حالتي النعاس، تذكرت ذلك
التقط بندقيتي ولكن ليس الرواية. الفصيلة التي
تابعنا اكتشف الكتاب الرث في الميدان. هناك
كان هناك جندي واحد فقط في القيادة الشرقية يقرأ الفرنسية
روايات في مهمة الحراسة، فعرفوا أين يجدوني؛ هم
أعادوا مجلدي ذو الأذنين الكلبية، وتشاوروا معي
العنوان مدموزيل فيفي وسط فرحة عامة. بعد ذلك
شرحت لأي شخص يستمع أن العنوان هو
غير مناسب، لكنه طاردني حتى نهاية مسيرتي
الخدمة العسكرية. ومع ذلك، من خلال الأضواء الخاصة بي، كنت
المدافع البطولي عن الجبهة الشرقية والدليل كان
أنه لم يتجاوز جندي أردني واحد خطي
يشاهد.

خلال الثلاثة أشهر الأولى من خدمتي في الجيش
وخضع لتدريب أساسي في قاعدة عسكرية ضخمة في الصرفند
العمار، وتقع على السهل الساحلي بحوالي خمسة كيلومترات
شمال غرب الرملة. لقد كان هذا للجيش البريطاني
أكبر قاعدة في الشرق الأوسط خلال فترة الانتداب.
وكان الهدف من تدريب جيش الدفاع الإسرائيلي هو تحويل الأولاد إلى رجال،
لتقويتنا ونقل المهارات الأساسية التي يحتاجها كل فرد
كان على المجند أن يكتسب قبل تكليفه بالقتال
وحدة أو فرع أكثر تخصصا من الجيش. ال
سيبقى الحفل التعريفي محفورا في ذاكرتي
للأبد. لقد حدث ذلك في الشفق في المقاصة
تلال يهودا على الجبهة الشرقية. ورفرفت الأعلام الإسرائيلية
الريح، وفرقة عسكرية عزفت النشيد الوطني،
"هاتكفا" والتي تعني الأمل. لقد تعهدنا بالولاء ل
الوطن الأم وصرخوا في انسجام تام: "يهودا بالدم والنار".
يسقط؛ بالدم والنار سوف تقوم يهودا مرة أخرى!». كان هذا
تلاه إطلاق نار عالي من الأسلحة النارية

السماء. بالنسبة لصبي في الثامنة عشرة من عمره، كان هذا أمرًا مسكرًا. وفي السنوات التي تلت ذلك، كان علي أن أقرأ العديد من الأبحاث الأكاديمية حول القومية، وأبرزها كتاب بنديكت أندرسون "المجتمعات المتخيلة". لكن في هذه المناسبة، شعرت بالقومية في عظامي.

كان التدريب يتطلب جهدًا بدنيًا، خاصة المسيرات الطويلة في الحرارة الحارقة ببندقية وخوذة وحقيبة ظهر ثقيلة ومقصف واحد فقط من الماء. كان الانضباط صارمًا وكان الطعام بالكاد صالحًا للأكل، ولكن كانت هناك روح العمل الجماعي، والشعور بالهدف، وإيمان عالمي بعدالة قضيتنا. لقد رأينا أنفسنا كدولة ديمقراطية صغيرة محاطة بملايين العرب المتعصبين العازمين على تدميرنا، وكنا نعتقد بصدق أنه ليس لدينا خيار سوى الوقوف والقتال. لقد تم طرح فكرة "لا يوجد بديل" بشكل متكرر في تلك الأيام، وكانت بمثابة أساس للإجماع الوطني الأوسع حول موقفنا في الصراع مع جيراننا العرب. لقد قيل الكثير عن تقليد جيش الدفاع الإسرائيلي المتمثل في توهار هانيشيك (نقاء السلاح) الذي ينص على أنه لا يمكن استخدام الأسلحة إلا للدفاع عن النفس وليس ضد المدنيين أبدًا. - وتضافرت مع ذلك فكرة أن جميع حروب إسرائيل كانت حروباً دفاعية، وليست حروب اختيار.

وشعرنا أيضًا أننا نخدم في جيش كان في الأساس جيشًا لائقًا وأخلاقيًا ويقوم على المساواة، باختصار، جيش الشعب. وقد أكدت لي إحدى الأحداث على وجه الخصوص قناعتي بأن الجيش لديه معيار واحد للجميع، بغض النظر عن الرتبة أو الأصل العرقي أو الطبقة الاجتماعية. حدث ذلك أثناء تمرين ميداني طُلب منا فيه أن نزحف على الأرض الصخرية، ممسكين ببندقية في كلتا أيدينا ونتقدم للأمام لتجنب نيران العدو. اشتكى فتى سمين ومدلل يرتدي نظارات سميكة من وجود أشواك على الأرض فنهض. أمره قائد الفصيلة، وهو عريف شاب، بالاستلقاء على السرير

الأرض، ثم وقف على ظهره وأمره أن يواصل الحبو. كان هذا إساءة استخدام للسلطة وقد قدم الجندي شكوى رسمية إلى قائد المعسكر. كان قائد المعسكر برتبة مقدم، وهو رجل قصير القامة وذو يد صناعية ويرتدي قفازًا جلديًا أسود. كانت هناك روايات مختلفة عن كيفية فقدانه ليده اليمنى، لكن جميعها عززت احترامنا له. وقد تمت محاكمة العريف عسكريا وتجريده من رتبته والحكم عليه بالسجن لمدة شهر. في اليوم التالي للمحكمة العسكرية، أُجبر الجاني على الوقوف في مواجهة كتيبة المبتدئين بأكملها على أرض العرض بينما أعلن قائد المعسكر حكمه. كان هذا بمثابة المعادل الذي اتبعه الجيش في فضح التلاميذ من خلال جعلهم يقفون في زاوية الفصل الدراسي. وكانت الرسالة واضحة: قواعد الجيش تنطبق على الجميع بغض النظر عن رتبتهم؛ إن إساءة استخدام السلطة لن تفعل ذلك

يمكن التسامح معه؛ وسيتم معاقبة جميع المخالفين.

لقد تعلمت في الجيش شيئًا سيكون له أهمية أكبر لاحقًا في حياتي، فيما يتعلق بجارنا من الشرق، الأردن. كان الجزء الأصعب من التدريب هو التمرين لمدة ليلتين وثلاثة أيام على تلال يهودا، تحت أشعة الشمس الحارقة، مع حصص القتال وعدم وجود وجبات ساخنة، ولا مرافق للاغتسال وقليل من النوم. تم تقسيم الشركة إلى فرق مكونة من شخصين وحصل كل جندي على نصف خيمة صغيرة. عند حلول الظلام، يقوم كل فريق بحفر خندق ضحل ونصب خيمته. لم نتمكن من تغيير ملابسنا المتعرقة أو خلع أحذيتنا، ولم يُسمح لنا بالنوم أكثر من ساعتين متواصلتين. كان انفجار نيران الرشاشات الصغيرة بمثابة الإشارة إلى أن لدينا خمس دقائق لحزم خيمتنا وجمع معداتنا والاستعداد للانتقال إلى الموقع التالي لتكرار نفس الروتين. كان من المتوقع منا أن نحمي بنادقنا بحياتنا، لكن في الليل كان القول أسهل من الفعل. وفي الليلة الثانية، عندما كنا جميعا منهكين، الآمر

ضابط، ملازم شاب، تمكن من سرقة ستة
بنادق، بما في ذلك الألغام، من إجمالي حوالي ثلاثين. ال
استيقظت الشركة بأكملها على تفريغ الفرعية
نيران الرشاشات وأولئك الذين سرقت بنادقهم منا
أُمروا بالوقوف على التوالي وعولجوا بـ أ
تيار من الإساءات اللاذعة، معظمها غير قابل للطباعة. كنا
أخبرونا أننا لا نصلح لأي شيء، وأننا نشكل مسؤولية أمام الجيش
وعار على الوطن الأم. وكان عقابنا ل
نسير عبر ما قيل لنا أنه الحدود
جوردان يرتدي معدات قتالية كاملة ولكن بدون بندقية ولا سراويل.
وقيل لنا أيضًا أنه إذا أطلق الجنود الأردنيون النار علينا، فهذا هو الحال
سيكون عقوبة متناسبة ونهاية مناسبة. نحن
سار على النحو الواجب حوالي نصف كيلومتر إلى الشرق وبعد ذلك
عاد، إذلال ولكن دون أن يصاب بأذى.

وفي عام 1988 نشرت كتاباً بعنوان «التواطؤ عبر نهر الأردن: الملك عبد الله والحركة الصهيونية وتقسيم فلسطين». وقد طرحت في الكتاب فرضية مفادها أن الحاكم الهاشمي، الجد الأكبر لعبد الله الثاني، الملك الحالي، قد توصل في عام 1947 إلى اتفاق ضمني مع الوكالة اليهودية لتقسيم فلسطين فيما بينهما، وأن هذا الاتفاق مهد الطريق إلى التفاهم المتبادل. ضبط النفس في الحرب العربية الإسرائيلية عام 1948 ومواصلة التعاون في قمع القومية الفلسطينية بعد الحرب. إذا نظرنا إلى الماضي، فربما كانت تجربتي كجندي في صيف عام 1964 قد أعطتني أول فكرة مفادها أن الصراع العربي الإسرائيلي لم يكن مسألة ثنائية القطبية مباشرة. لكن كل ما استنتجته عن وعي في ذلك الوقت هو أن الأردنيين كانوا عرباً صالحين لأنهم لم يزعجونا. أما السوريون، من ناحية أخرى، فقد كانوا عرباً سيئين لأنهم أطلقوا النار مراراً وتكراراً على مدنيينا وأثاروا اشتباكات مع قواتنا على جبهتنا الشمالية.

كنت جاهلا بما فيه الكفاية في ذلك الوقت للاعتقاد بأن الحكمة التقليدية التي ترى أن القوة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب. وعليه، رأيت أن نضرب السوريين بشدة لتلقينهم درساً لن ينسوه أبداً. وكان رئيس الوزراء في ذلك الوقت هو ليفي أشكول، وهو عضو معتدل في حزب العمل حاول كبح جماح الجيش. بالنسبة لي، كان يبدو وكأنه مُرضي يجبرنا على القتال وإحدى يديه مقيدة خلف ظهورنا. وبمجرد فشل الساسة، بدا لي من البديهي أن يُترك للجيش للتعامل مع المشكلة بطريقته الخاصة.

لم يكن هناك الكثير من الوقت للقراءة الترفيهية خلال الأشهر الثلاثة من التدريب الأساسي ولم يكن هناك الكثير من اختيار الكتب للقراءة. ولكن كانت هناك نسخة ورقية رخيصة الثمن، وهي طبعة عبرية من رواية عاشق السيدة تشاترلي للكاتب دي إتش لورانس. تم وضع علامة على الأجزاء المثيرة بحيث يمكن نقل الرواية بسرعة من يد إلى يد؛ لم يُسمح لأحد بتخصيص الوقت لقراءة الكتاب بأكمله. لقد كنت مضلعاً في كثير من الأحيان بسبب الاتصال البريطاني. وظل يُذكر بريطانيا باعتبارها قوة استعمارية معادية، وقفت إلى جانب العرب ضد اليهود طوال سنوات الحكم البريطاني في فلسطين. وفي التفسير الصهيوني المعياري للصراع، في عام 1948، في لحظة الحقيقة، قامت بريطانيا بتسليح وتحريض عملائها العرب على غزو فلسطين وسحق الدولة اليهودية الوليدة. لقد كانت هذه رواية مشوهة للغاية للأحداث، لكنني لم أكن أعرف ذلك في ذلك الوقت، ولم أحاول الدفاع عن بريطانيا.

لقد شعرت بالاستياء أيضًا بسبب اللثغة الطفيفة. لقد تمت تقليد كلامي في كثير من الأحيان من خلال التأكيد على الطريقة التي أنطق بها حرف S. بالإضافة إلى ذلك، تعرضت للسخرية لأنني كنت أتحدث ببطء. على سبيل المثال لا الحصر، تعلمنا إجراءات الطوارئ في حالة التعرض لقصف مدفعي. إذا رأى أحد قذيفة، كان عليه أن يصرخ "باجاز!"

"القذيفة!"، إشارة للجميع للنزول إلى الأرض. لم أقل ذلك أبدًا، ولكن تم – تقليدي مرارًا وتكرارًا وأنا أقول ببطء شديد: "أيها الرفاق، انتبهوا". هناك قذيفة قادمة نحونا». لقد كان الأمر كله مزاحًا يتمتع بروح الدعابة وأخذته في خطوتي. كانت إحدى العادات السيئة التي اكتسبتها في الجيش هي رواية نفس النكات والحكايات القديمة مرارًا وتكرارًا - الأمر الذي أثار إحباط أصدقائي وعائلتي لأنني لم أتمكن أبدًا من تخليص نفسي من هذه العادة.

كانت بقية خدمتي العسكرية هادئة. تم تعييني في فيلق الإشارة. بعد اجتياز الاختبار، تعرضت لضغوط خفيفة للذهاب إلى مدرسة الضباط، لكنني رفضت لأن ذلك كان يعني خسارة ثلاث سنوات دراسية بدلاً من سنتين، ولم أكن أصبر على استئناف دراستي في المملكة المتحدة. وفي نهاية دورة مدتها ثلاثة أشهر، حصلت على رتبة عريف وأصبحت مدربًا للاتصالات في فيلق الإشارة. وهذا ما فعلته لبقية وقتي في الجيش. أصدرت تعليماتي للجنود باستخدام أجهزة الإرسال اللاسلكية، وفن التشفير وفك التشفير، وشفرة مورس، واستخدام أجهزة المُبرقة الكاتبة لنقل الرسائل. تم تعييني مسؤولاً عن فصيلة مكونة من حوالي خمسة عشر جنديًا من كل دفعة متتالية، لتشكل الحلقة الأولى في سلسلة القيادة التي تنتهي برئيس الأركان.

لقد قمت بواجباتي كمدرس بأفضل ما أستطيع، ونادرًا ما كان لدي سبب للشكوى. كان هناك تسلسل هرمي واضح وانضباط وإجراءات تشغيل موحدة. كان كل شيء منظمًا، بدءًا من كل صباح بأمر اليوم الذي تم نشره على لوحة إعلانات الفوج. وفي تناقض صارخ مع الحياة الجامعية التي كنت على وشك تجربتها، لم يكن هناك مجال للنقاش أو النقاش؛ ولم يتم تشجيع الإبداع، وكان التحفيز الفكري غير متوفر. كان هناك دليل لكل شيء، ولكل مشكلة دليل واحد فقط

الحل الذي أقره الجيش الإسرائيلي هو أن كل شيء يجب أن يتم بموجب الكتاب. نظرًا لأنه لم يكن هناك حاجة إلى الكثير من الجهد وكان لدي قدر كبير من وقت الفراغ، فقد استخدمته لقراءة كتب عن التاريخ والسياسة وعلم النفس، بالإضافة إلى الروايات الفرنسية بالطبع. وبشكل أكثر واقعية، بدأت أيضًا في تدخين الغليون وتجربة أنواع مختلفة من تبغ الغليون. كان السبب الرئيسي وراء تدخين الغليون هو إثارة إعجاب المجندات في قاعدتنا. ومن غير المستغرب أن هذه الاستراتيجية لم تثمر سوى القليل.

التدريبات الميدانية والتي كانت تتويجا لل
دورة استمرت ثلاثة أيام، رفعت الملل. ال
تتكون الشركة من ثلاث فصائل من المتدربين اللاسلكيين
مشغلي. توجه كل فصيلة وقائد فصيلة إلى أ
موقع مختلف في مركبة الاتصالات، في حين أن
وبقي قائد السرية كابتن في المقر.
نصبنا الخيام، ونجونا من حصص القتال وتجمعنا
هوائيات متقنة بواسطة السيارة. كان علينا أن نحافظ على العرض
على الطريق لمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم، وهذا يعني
العمل في نوبات. كانت مهمتنا هي تشفير الرسائل
إرسالها إلى المجموعتين الأخريين عن طريق شفرة مورس أو
المُبرقة الكاتبة ولفك تشفير الرسائل التي تلقيناها
منهم. وبما أن هذا كان مجرد تمرين تدريبي، فقد كنا كذلك
حرية اختيار المحتوى. يمكن أن يكون مقطعًا من أ
صحيفة أو كتاب أو أي نص آخر. صحيح بالنسبة لي
الميول الفرنسية، استخدمت Les Maximes de La
Rochefoucauld، وهو عمل يتم اقتباسه الآن في كل مكان
الميمات الملهمة على الانترنت. لقد استمتعت كثيرا بالترجمة
بعض أقواله إلى اللغة العبرية، وترميزها،
إرسالها إلى الفصيلتين الأخريين والانتظار
انظر ماذا فعل المتلقون منهم.

خلال السنتين اللتين قضيتهما في الجيش، شاركت في عملية عسكرية حقيقية واحدة فقط. كان ذلك وقت السلم، وكنت في القيادة المركزية، التي كانت مسؤولة عن حراسة حدودنا الطويلة مع الأردن. وكانت تلك هي الفترة التي سبقت ذلك

حرب حزيران/يونيو 1967، التي استولت خلالها إسرائيل على الضفة الغربية وبسطت سيطرتها العسكرية على المنطقة بأكملها حتى نهر الأردن. إن زمن السلم مبالغة طفيفة. وعلى الرغم من عدم وجود حرب واسعة النطاق، إلا أنه كانت هناك حرب حدودية نتيجة للتوغلات في أراضينا من البلدان المجاورة من قبل جيش التحرير الفلسطيني، الجناح العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية، والأعمال الانتقامية العسكرية التي قام بها جيش الدفاع الإسرائيلي. وقد نُفذت هذه العمليات في بعض الأحيان ضد القرى التي يُشتبه في أنها تؤوي مقاتلين فلسطينيين. لقد كانوا يُطلق عليهم دائمًا اسم المخربين أو الإرهابيين، ولكن، عند النظر إلى الماضي، أعتقد أنهم يستحقون اسم المقاتلين من أجل الحرية.

في أحد الأيام، تم انتدابي فجأة من قاعدتي التدريبية الهادئة لمساعدة قوة مقاتلة كانت على وشك الشروع في غارة انتقامية ضد قرية أردنية في الضفة الغربية متهمة بمساعدة "الإرهابيين" الفلسطينيين. وكانت مهمتي هي الحفاظ على اتصال لاسلكي مع وحدتين من جيش الدفاع الإسرائيلي أرسلتا في غارة عبر الحدود لهدم بعض المنازل ومحطة بنزين في قرية أردنية. بقيت على جانبنا من الحدود، وقيل لي إنه إذا احتاجت قواتنا إلى تعزيزات، فسوف يرسلون رسالة من خلالي. كانت هناك كتيبتان مسلحتان بالكامل في الاحتياط على جانبنا من الحدود، وعلى استعداد للانطلاق في العمل. حافظت الوحدتان على صمت الراديو طوال العملية، لذلك لم يتم استدعائي لفعل أي شيء. كان هذا هو مجموع مشاركتي في العمليات القتالية ضد العدو. يجب أن أعترف أنني كنت أتوق للمشاركة في جزء من الحدث. كان الانتظار كمتفرج على الخطوط الجانبية أمرًا محبطًا إلى حد ما.

كانت خدمتي الوطنية في جيش الدفاع الإسرائيلي بمثابة ذروة ارتباطي بدولة إسرائيل. إنها غريزة إنسانية طبيعية أن ترغب في الانتماء إلى مجموعة ما. خلال بلدي

في سنوات الدراسة، من سن الخامسة إلى الخامسة عشرة، كنت أشعر بالغربة لأنني شعرت أن المجتمع الإسرائيلي ينظر بازدراء إلى الشرقيين من أمثالي. وسواء كان ذلك صواباً أم خطأً، فقد كنت أدرك دائمًا أنني أُعتبر أقل شأنًا بسبب أصولي الشرقية. وعلى النقيض من ذلك، في الجيش، لم يكن لدي نفس الشعور بأنني في غير مكاني. كان الانقسام بين الأشكناز والسفارديم موجودًا إلى حد ما، لكنه لم يكن حادًا كما كان في المدرسة. لقد كان مغمورا جزئيا بحس مشترك بالانتماء إلى أمة واحدة ومحاط بالأعداء من كل جانب. وكان هذا "قلعة إسرائيل". لقد كنا نحن وهم، نحن والعدو. لقد آمنت بالقضية، وشعرت بالانتماء، ونتيجة لذلك، تمكنت من التخلص من الشعور المنهك بالدونية الذي طاردني طوال طفولتي.

ولعل السنوات الثلاث التي أمضيتها في إنجلترا أعطتني بعداً أوروبياً، وجعلتني أشعر بأنني متساوي مع أي عضو أشكنازي في القوات المسلحة. كانت الدراسة في الخارج نادرة في تلك الأيام، وكانت تجلب بعض المكانة إلى الوطن. على أية حال، كنت أقل وعيًا بالتحيز العرقي في الجيش مما كنت عليه في المدرسة. لقد اقترب الجيش من النجاح فيما فشل فيه المجتمع الإسرائيلي. في تجربتي، على أية حال، كان الجيش هو بوتقة الانصهار التي كانت الأيديولوجية الصهيونية تطمح إليها دائمًا ولكنها نادرًا ما تحققها.

وبحلول نهاية خدمتي العسكرية، كنت تقريبًا إسرائيليًا "طبيعيًا" ووطنيًا، وربما حتى قوميًا. القومية، كما أشار جون لو كاريه، تختلف تمامًا عن الوطنية: فالقومية تحتاج إلى أعداء. كان وجود أعداء لإسرائيل أمرًا واضحًا تمامًا. والسؤال هو من المسؤول عن تطور العداء في المقام الأول. في ذلك الوقت، كنت أميل إلى رؤية الأمور بالأبيض والأسود، حيث كنت أنظر إلى إسرائيل باعتبارها الضحية البريئة للعدوان العربي. ولذلك فإنني أميل إلى اتخاذ موقف متشدد

وفي الصراع مع العرب، وضعوا ثقتهم في القوة العسكرية أكثر من الدبلوماسية. وعلى الرغم من أنني لم أدعم أي حزب سياسي بعينه، إلا أنني انحرفت إلى يمين الطيف السياسي وشاركت القومية المتشددة التي كانت السمة المميزة له. ولم أبدأ إلا بعد سنوات عديدة في التشكيك في الرواية الصهيونية الرئيسية عن الصراع التي تعلمتها في المدرسة والتي عززتها الخدمة في الجيش. ومع ذلك، فإن حقيقة أنني شاركتها ذات مرة ساعدتني على فهم قبضتها القوية على النفس الإسرائيلية.

بعد أربعة أيام من إكمال الخدمة الوطنية، ذهبت إلى كلية جيسوس لأأخذ مكاني كطالبة تاريخ في السنة الأولى. لقد كان التحول مفاجئًا وحادًا، لكنه كان إيذانًا بدخول أسعد ثلاث سنوات في حياتي. ولكن في مايو 1967، في الفصل الصيفي من عامي الأول، اندلعت أزمة في الشرق الأوسط بدا لي أنها تهدد بقاء دولة إسرائيل. وعلى الجانب العربي كان هناك خطاب متخثر حول "معركة القدر" وإلقاء اليهود في البحر. على الجانب الإسرائيلي، وتحت قيادة ليفي أشكول المترددة، ساد مزاج غير معهود من القلق، وتوقعات قاتمة بحدوث محرقة ثانية. على خلفية هذا السيناريو المرعب، برزت الروح الوطنية بداخلي إلى الواجهة. لقد ألغيت برنامجًا تعليميًا واستقلت القطار إلى لندن للذهاب إلى السفارة الإسرائيلية في بالاس جرين بكنسينغتون. كانت هذه هي المرة الوحيدة التي فاتني فيها برنامج تعليمي خلال السنوات الثلاث التي قضيتها في كامبريدج. كان معلمي متعاطفًا جدًا. قلت في السفارة إنني أريد العودة للخدمة في الحرب التي كنا جميعًا على يقين من أنها على وشك اندلاعها. لقد قاموا بأخذ تفاصيل الاتصال الخاصة بي وقالوا إنهم سيتصلون بي إذا لزم الأمر. لقد اندلعت الحرب بالفعل: أطلقت إسرائيل الطلقة الأولى، واستمر القتال ستة أيام، وانتهى بانتصار عسكري إسرائيلي مدوي على جيرانها العرب ومضاعفة عدد سكانها ثلاثة أضعاف.

الأراضي الخاضعة لسيطرتها. المكالمة من السفارة لم تصل قط. كما هو الحال مع جميع جوانب الرواية الصهيونية التقليدية، كان لدي منذ ذلك الحين سبب لمراجعة تقييمي الأصلي لأحداث عام 1967.

كانت حرب الأيام الستة بمثابة ذروة وطنيتي الإسرائيلية وتراجع حماسي لدولة إسرائيل. خيبة الأمل لم تأت على الفور. تطورت ببطء وبشكل مؤلم. اعتدت أن أبرر تغيير رأيي بالقول إنني لست أنا من تغير بل بلدي. وقلت إن إسرائيل أصبحت بعد حرب عام 1967 قوة استعمارية تضطهد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. وأود أن أضيف أنه خلال خدمتي العسكرية، كان جيش الدفاع الإسرائيلي مخلصًا لاسمه، فهو قوة الدفاع الإسرائيلية، بينما تحول بعد الحرب إلى قوة شرطة وحشية تابعة لقوة استعمارية وحشية. لكن التحليل الأعمق قادني إلى استنتاج مفاده أن إسرائيل قد تم إنشاؤها بواسطة حركة استعمارية استيطانية. لقد كانت الأعوام 1948 و1967 مجرد معالم بارزة في عملية الاستيلاء المنهجي المتواصل على فلسطين بأكملها. إن المستعمرات اليهودية التي أقيمت على الأراضي الفلسطينية المحتلة بعد حرب الأيام الستة هي امتداد للمشروع الاستعماري الصهيوني إلى ما وراء "الخط الأخضر"، وهو الحدود الدولية قبل عام 1967.

ومن خلال التعمق في تاريخ عائلتي في العراق، اكتسبت فهمًا أفضل لطبيعة الصهيونية وتأثيرها العالمي. في السابق، كنت قد قمت بدراسة الحركة الصهيونية بشيء من التعمق، ولكن بشكل رئيسي فيما يتعلق بتأثيرها على الفلسطينيين. كانت الصورة الكبيرة هي حركة استعمارية استيطانية تتقدم بلا رحمة نحو هدفها المتمثل في بناء دولة يهودية في فلسطين حتى لو كان ذلك ينطوي، كما كان من المفترض، على تجريد السكان الأصليين من ممتلكاتهم. إذا نظرنا إلى الوراء، يبدو لي أنه لا جدال على الإطلاق في أن إنشاء دولة إسرائيل ينطوي على ظلم فادح للفلسطينيين. خلال حرب 1948،

وقامت إسرائيل بالتطهير العرقي لفلسطين. وأصبح ثلاثة أرباع مليون فلسطيني، أي أكثر من نصف العدد الإجمالي، لاجئين. وكما أثبت "المؤرخون الجدد"، ولا سيما بيني موريس، فإن الفلسطينيين لم يغادروا بمحض إرادتهم - بل تم طردهم. وفي يونيو/حزيران 1967، احتلت إسرائيل ما تبقى من فلسطين التاريخية بالقوة العسكرية. وأصبح ربع مليون فلسطيني آخر من الضفة الغربية لاجئين، بعضهم للمرة الثانية. ومرة أخرى، كما حدث في أعقاب حرب عام 1948، رفضت إسرائيل السماح للمدنيين الفلسطينيين بالعودة إلى منازلهم.

والاحتلال، الذي قيل إنه مؤقت، في انتظار التوصل إلى حل سياسي للصراع، أصبح دائما. وتم تجنب الضم الرسمي للأراضي الفلسطينية، لكن الضم الزاحف بحكم الأمر الواقع لم يتوقف أبدًا. لقد أدى إطالة أمد الاحتلال، ببطء ولكن بثبات، إلى تحويل إسرائيل إلى دولة فصل عنصري. ويؤكد بعض المدافعين عن إسرائيل أن الحركة الصهيونية انحرفت عن مسارها الصحيح بسبب الانتصار العسكري عام 1967، وأن صهيونية القيم حلت محلها صهيونية الأرض. ولكن بما أن الصهيونية كانت حركة استعمارية استيطانية صريحة منذ البداية، فإن بناء المستوطنات المدنية على الأراضي المحتلة لم يكن سوى مرحلة جديدة في المسيرة الطويلة. وفي كلتا الحالتين، لا يمكن أن يكون هناك شك في أن الفلسطينيين كانوا وما زالوا ضحايا المشروع الصهيوني المستمر.

لكن ما جلبته لي قصة عائلتي هو أن هناك فئة أخرى من ضحايا المشروع الصهيوني: يهود الأراضي العربية. علاوة على ذلك، كان هناك ارتباط بين طريقة تعامل الحركة الصهيونية مع العرب الفلسطينيين ومعاملتها لليهود العرب. وكانت كلتا المجموعتين وسيلة لتحقيق غاية: بناء دولة قومية يهودية حصرية في قلب الشرق الأوسط. التطهير العرقي لفلسطين

خلقت مساحات فارغة، وكان لا بد من ملء هذه المساحات باليهود من أي مكان يمكن العثور عليهم فيه، بما في ذلك اليهود من الشرق الأوسط، حتى أولئك الذين ليس لديهم رغبة على الإطلاق في الانتقال إلى إسرائيل. وكانت نفس المؤسسات الاستعمارية التي شردت الفلسطينيين مكلفة باستيعاب المهاجرين اليهود من الأراضي العربية. ونفس العقلية الأوروبية الاستشراقية المتغطرسة استقبلت القادمين الجدد اليهود من الشرق.

ولم تكن حرب عام 1967 نقطة التحول الأكثر أهمية، بل كانت تأسيس دولة إسرائيل في عام 1948. وحتى ذلك الحين كان يهود العراق، ومن بينهم عائلتي، مجرد واحدة من الأقليات العديدة التي تشكل البلاد. لم نكن كائنات فضائية؛ كنا مواطنين. وكان يُنظر إلينا على أننا مواطنون أصليون. وخلافاً لأوروبا، لم يكن لدى العراق "مشكلة يهودية". ولم يتم تخصيصنا لمعاملة خاصة. كنا أقلية ولسنا أقلية. باعتبارنا يهوداً عراقيين، لم يكن وضعنا مختلفاً جوهرياً عن وضع الأقليات العراقية الأخرى. حتى ظهور القومية في فترة ما بين الحربين العالميتين، كان المعيار الرئيسي للتمييز بين اليهود والعرب في العراق هو الدين، وكصفة مميزة فقط، وليس كصفة مثيرة للانقسام.

لكن الصهيونية غيرت كل ذلك. فمن خلال منح اليهودية بُعدًا إقليميًا لم تكن تتمتع به من قبل، فقد أبرزت الفرق بين اليهود والمسلمين في الفضاءات العربية. وسواء أحبوا ذلك أم لا، فقد أصبح اليهود منذ الآن فصاعدا مرتبطين بالدولة اليهودية. أدى تهجير إسرائيل لثلاثة أرباع مليون فلسطيني إلى تكثيف العداء الإسلامي ليس فقط تجاه الحركة الصهيونية، بل أيضًا تجاه اليهود في بلادهم. وعلى نحو متزايد، لم يتم التعامل مع اليهود باعتبارهم أبناء العراق، بل كجزء من كيان أجنبي ومغتصب. لم تحول الصهيونية الفلسطينيين إلى لاجئين فحسب؛ لقد حول يهود المشرق إلى غرباء في أرضهم. في عام 1947-

49 لم تكن أرض فلسطين فقط هي التي تم تقسيمها، بل الماضي أيضًا. الماضي المشترك لليهود والمسلمين في العراق حل محله الواقع الجديد للصراع العربي الإسرائيلي.

تناولت في الفصل السابع بتفصيل كبير الهجرة الجماعية اليهودية من العراق في 1950-1951، متجاوزًا قصة عائلتي إلى القصة الأكبر بكثير المتمثلة في اقتلاع ونقل هذا المجتمع القديم إلى دولة إسرائيل الجديدة. ولاحظت الدور الكبير الذي لعبته سياسة القمع والاضطهاد الرسمية في دفع اليهود إلى الهجرة. ولكنني عرضت أيضًا الأدلة التي اكتشفتها حول تورط إسرائيل في تفجيرات بغداد التي عجلت برحيل اليهود. لقد أعطيت هذا كمثال على "الصهيونية القاسية"، والتكتيكات الإرهابية التي تستخدمها إسرائيل للترويج للهجرة وللضرر الذي ألحقته باليهود في العراق.

في تعبيري، لم تكن عملية عزرا ونحميا مهمة إنقاذ نبيلة من قبل الدولة اليهودية الوليدة، بل كانت أداة خدمة ذاتية لنقل اليهود من وطنهم. ومع ذلك، حتى لو لم تلعب إسرائيل أي دور في التهجير، فإن ما يهم في التحليل النهائي هو أن الغالبية العظمى من اليهود العراقيين يعتقدون أنها فعلت ذلك. وكان للاشتباه في أن إسرائيل كانت وراء التفجيرات، وأنها كانت متواطئة في مصادرة ممتلكاتهم، تأثير عميق على موقف المهاجرين العراقيين تجاه إسرائيل، مما أدى إلى ظهور شعور مرير ومستمر بالخيانة. كان مثل الجرح المفتوح.

إحدى ضحايا الهجرة الجماعية لليهود من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى إسرائيل كانت هويتهم كيهود عرب على مدى قرون؛ ومن المثير للاهتمام أن أحد الأحداث التاريخية الحديثة لعائلة يهودية مصرية يحمل عنوان "عندما كنا عربًا". [1] كل إنسان لديه هويات متعددة. ومن الجدير بالذكر أنه في هذه الحالة تكون الهوية العربية

هبط إلى الماضي. في إسرائيل، كان من الصعب على اليهود الشرقيين الحفاظ على هويات متعددة. كما لاحظت إيلا شوحط،

لقد كان لإعادة صياغة مفهوم اليهودية كهوية وطنية تأثير عميق
الآثار المترتبة على اليهود العرب. لقد كان الانشقاق الاستشراقي للساميين الآن
وتفاقمت بسبب الانقسام القومي. معنى عبارة "عربي يهودي"
تحولت من كونها علامة دينية (يهودية) أمرا مفروغا منه
والانتماء الثقافي (العربي) إلى علامة استفهام محيرة داخل التنافس
القوميات... بطريقة مختلفة، توصلت القوميتان إلى رؤية واحدة
جانب الواصلة بشكل مثير للريبة. وفي العالم العربي أصبح "اليهودي" خارجاً
الحدود، بينما في الدولة اليهودية "العرب"، ومن هنا "العربي اليهودي" أو
"اليهودي العربي" أصبح حتماً يبدو مستحيلاً وجودياً

وفي عصر القومية العرقية، من المهم أن نتذكر
أن فئتي "اليهودي" و"العربي" لم تكونا كذلك
دائما متنافية. ومقارنتهم كأضداد هو
سبب وأحد أعراض الصراع العربي الإسرائيلي.
وحقيقة الأمر هي أن إسرائيل لم تعتبر نفسها كذلك قط
جزء من الشرق الأوسط ولم ترغب في الاندماج في
البيئة الإقليمية. اليهود الشرقيون بعلمهم
اللغة العربية وتجربة مباشرة للعيش في اللغة العربية
كان من الممكن أن تكون بمثابة جسر بين إسرائيل
وجيرانها. لكن المؤسسة الأشكنازية
لم يكن لديه مصلحة في بناء مثل هذا الجسر. تحت
وبقيادة دافيد بن غوريون، قامت ببناء إسرائيل كحصن
دولة ذات عقلية الحصار التي تنسب الإبادة الجماعية
نواياها لجيرانها. لقد رأت إسرائيل كجزء من
الغرب، واستخدم "العلاقة الخاصة" مع الولايات المتحدة
الدول لا تحل صراعها مع الفلسطينيين بل
وإطالة أمد سيطرتها على المحتل
المناطق.

اليوم الوضع قاتم تماماً. وقد تدهورت بشكل كبير أثناء كتابة هذا الكتاب. لقد أدى الاحتلال إلى تآكل أسس الديمقراطية الإسرائيلية. فحتى داخل حدودها الأصلية، تعتبر إسرائيل ديمقراطية معيبة في أحسن الأحوال بسبب التمييز فيها

مستويات متعددة ضد مواطنيها الفلسطينيين. ولكن في كامل المنطقة الخاضعة لحكمها، بما في ذلك الأراضي الفلسطينية المحتلة، تعتبر إسرائيل دولة عرقية، نظام تسيطر فيه مجموعة عرقية على الأخرى. هناك اسم آخر أكثر شهرة لهذا النوع من نظام الفصل العنصري. الفصل العنصري جريمة ضد الإنسانية بموجب القانون الدولي. وبموجب نظام روما الأساسي لعام 1998، يتم تعريفه على أنه "نظام مؤسسي للقمع المنهجي والسيطرة من قبل مجموعة عنصرية واحدة على أي مجموعة عرقية أخرى" بقصد "الحفاظ على هذا النظام".

إن المكانة العليا لليهود منصوص عليها في القانون الأساسي الصادر في يوليو 2018: إسرائيل كدولة قومية للشعب اليهودي. وهذا القانون الأساسي هو التأكيد الرسمي على أن إسرائيل دولة فصل عنصري. وينص القانون على أن الحق في ممارسة تقرير المصير الوطني في إسرائيل هو "حق خاص للشعب اليهودي". فهو ينص على أن اللغة العبرية هي اللغة الرسمية لإسرائيل، ويخفض مستوى اللغة العربية التي يتحدث بها المواطنون الفلسطينيون في إسرائيل، وهم خمس السكان، إلى "وضع خاص". وإسرائيل في الواقع واحدة من الدول القليلة جدًا في الأمم المتحدة التي كرّس عنصريتها في القانون.

يعد الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية أحد أطول الاحتلالات العسكرية وحشية في العصر الحديث. وبعد ستة وخمسين عاماً، لم يعد من الممكن التظاهر بأن الاحتلال مؤقت. توصلت منظمة بتسيلم، منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية التي تحظى باحترام كبير، إلى هذا الاستنتاج على مضض. وفي ورقة موقف مدروسة بعناية نُشرت في عام 2021، أعلنت:

وبسعى النظام الإسرائيلي، الذي يسيطر على جميع الأراضي الواقعة بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط، إلى تعزيز وترسيخ التفوق اليهودي في جميع أنحاء المنطقة. ولتحقيق هذه الغاية، قامت بتقسيم المنطقة إلى عدة وحدات، لكل منها مجموعة مختلفة من الحقوق للفلسطينيين - وهي دائمًا أقل شأناً من الحقوق التي يتمتع بها الفلسطينيون

حقوق اليهود. وكجزء من هذه السياسة، يُحرم الفلسطينيون من العديد من الحقوق، بما في ذلك الحق في تقرير المصير. 3

بالنسبة للفلسطينيين، لا فرق يذكر بين كون الحكومة الإسرائيلية يسارية أو يمينية أو وسطية. ومهما كان لون الحكومة الحالية، فإن النظام الإسرائيلي مبني بشكل أساسي على قمع الفلسطينيين. إنه نظام فصل عنصري راسخ. إن غالبية الإسرائيليين، بما في ذلك عائلتي، غاضبون من تصنيف بلادهم كدولة فصل عنصري. ولكن مهما كانت الطريقة التي تقسم بها الأمر، فإن إسرائيل هي نظام فصل عنصري. إنني أرفض هذا النظام رفضاً قاطعاً وكاملاً وبلا هوادة. لقد كنت أؤيد في السابق حل الدولتين للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. ومن الناحية العملية، يعني ذلك قيام فلسطين مستقلة على قطاع غزة والضفة الغربية وعاصمتها القدس الشرقية. لقد حظي حل الدولتين وما زال يحظى بدعم دولي واسع النطاق. ومن خلال التوقيع على اتفاق أوسلو في عام 1993، قبلت منظمة التحرير الفلسطينية هذا الحل صراحةً. وكان قادتها يأملون أنه مقابل التخلي عن مطالبتهم بـ 78 في المائة من فلسطين الانتدابية، سيحصلون على دولة مستقلة صغيرة إلى جانب إسرائيل. ولكن لم يكن الأمر كذلك. لقد استخدمت إسرائيل اتفاق أوسلو ليس لإنهاء الاحتلال، بل لإعادة تغليفه. ولم تتوقف إسرائيل في أي وقت منذ أوسلو عن توسيع مستوطناتها في الضفة الغربية. وفي عام 2005 انسحبت من جانب واحد من غزة ولكن فقط من أجل تعزيز قبضتها على الضفة الغربية. هذا هو المشروع الاستعماري الصهيوني عبر الخط الأخضر. وهدفها النهائي هو إسرائيل الكبرى. وإسرائيل الكبرى لا تتوافق مع أي حل عادل للصراع مع الفلسطينيين.

عندما كنت أؤيد حل الدولتين للصراع، كنت أدرك جيدًا أن إقامة دويلة صغيرة على خمس مساحة فلسطين الانتدابية لا يحقق العدالة المطلقة للفلسطينيين. لكنني جادلت أيضًا بذلك في

في عالم سياسة القوة القاسي، لا يوجد شيء اسمه العدالة المطلقة. كان تقسيم
فلسطين إلى دولتين مستقلتين وسيلة لتوفير العدالة النسبية لكلا
الطرفين. لكن إسرائيل لن ترضى بأربعة أخماس فلسطين. وواصلت توسيع
المستوطنات، أي سرقة المزيد والمزيد من الأراضي من الفلسطينيين. ومن خلال
توسعها الاستيطاني، قتلت إسرائيل فعلياً حل الدولتين. وما تبقى من الضفة
الغربية عبارة عن مجموعة من الجيوب الفلسطينية، المحاطة بالمستوطنات والقواعد
العسكرية الإسرائيلية، والتي لا يمكنها تشكيل دولة قابلة للحياة. باختصار، إن
حل الدولتين قد مات، أو، لكي نكون أكثر دقة، لم يولد قط.

والنتيجة التي أؤيدها هي نتيجة ديمقراطية
الدولة الواقعة بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط
مع حقوق متساوية لجميع مواطنيها بغض النظر عن العرق
أو الدين. هذا هو حل الدولة الواحدة الديمقراطي.
في البداية، لم تحظ فكرة الدولة الواحدة إلا بقبول مجموعة صغيرة فقط
من المثقفين؛ ومع ذلك، فقد اكتسبت نمواً تدريجياً
عدد المنتمين إلى الجانب الفلسطيني. كما آمال
تلاشى الاستقلال، وتحول التركيز إلى البحث عن
حقوق متساوية في ظل الحكم الإسرائيلي الفلسطيني. على الإسرائيلي
ومن ناحية أخرى، فإن تأييد فكرة الدولة الواحدة لا يزال يقتصر على نسبة ضئيلة
هامش اليسار. إذا اضطرت إلى الاختيار بين الاحتفاظ بإسرائيل
كدولة يهودية أو دولة ديمقراطية، فإن غالبية
وسوف يختار الإسرائيليون الخيار الأول. مثل هذه النتيجة سوف
تكون مأساة لجميع المعنيين. تفضيلي هو الاستبدال
سياسة الانفصال والسيادة مع سياسة
التضامن والمساواة للجميع.

ولا ينبغي لنا أن نستخف بالعقبات التي تعترض طريق حل الدولة الواحدة، ولا
ينبغي لنا أن نستخف بمزاياها. وبالنسبة لخمسة ملايين فلسطيني يعيشون في
الضفة الغربية وقطاع غزة، فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى تحسن كبير في وضعهم
الحالي. لـ 1.8 مليون فلسطيني في إسرائيل

أيها المواطنون، تقسيم الأرض ليس حلا كبيرا لأنه سيبعدهم عن أصدقائهم وعائلاتهم
في الدولة الفلسطينية. وبالنسبة لليهود الإسرائيليين أيضاً، فإن دولة واحدة سيكون لها
الفضل الكبير في الحفاظ على ديمقراطيتهم ومنعهم من المضي قدماً على طريق
الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. وكما أشار الأسقف توتو، تم تحرير الجميع،
بما في ذلك البيض، عندما انتهى الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. ومثلهم
كمثل البيض في جنوب أفريقيا، يستطيع الإسرائيليون أيضاً أن يحرروا أنفسهم
من عبء الفصل العنصري من خلال إنهاء حكمهم القسري لخمسة ملايين فلسطيني
ومنح مساواة حقيقية لـ 1.8 مليون فلسطيني يعيشون في وسطهم. إن الدولة
الديمقراطية الواحدة هي رؤية نبيلة للعدالة والمساواة والحرية للجميع.

بالنسبة لي، حل الدولة الديمقراطية الواحدة يحمل في طياته
جاذبية إضافية لتجديد أهمية المنطقة العربية
اليهودي. أدى المأزق الحالي في إسرائيل وفلسطين إلى
على الأقل جزئيا، من الافتراض المركزي للصهيونية
الخطاب، أي أن اليهود والعرب حصريون و
فئات عرقية معادية. الصهيونية لها تأثير
قوضت الشخصية الهجينة للعرب اليهودي. الصهيوني
وكانت الحركة في الأصل وفي جوهرها أوروبية
حركة يقودها اليهود الأوروبيون الذين أرادوا إنشاء
دولة يهودية لليهود الأوروبيين. وكانت تطمح إلى أن تكون في
الشرق الأوسط ولكن ليس الشرق الأوسط. لم يسع إلى
خلط الثقافات ولكن استبدال الثقافة المحلية
بواسطة واحدة أوروبية. بطبيعتها الصهيونية
وعمقت الحركة الانقسامات بين الإسرائيليين و
الفلسطينيون، بين إسرائيل والشرق الأوسط، بين
اليهودية والإسلام بين العبرية والعربية. ال
الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل نشطت
عملت على محو ماضينا المشترك والمتشابك
تاريخنا وتراثنا التعددي الذي يمتد لقرون عديدة،

التسامح الديني والعالمية والتعايش. وفوق كل شيء، فقد ثبطتنا الصهيونية عن رؤية بعضنا البعض كبشر.

حاولت في هذه المذكرات أن أدمج وأدمج بين
ربط الخاص والعام. في الختام، أود
للتأكيد مرة أخرى على ضرورة تذكر
ماضي. تجربتي كصبي صغير وتجربتي ككل
الجالية اليهودية في العراق، تشير إلى أنه لا يوجد شيء
لا مفر منه أو محتوم بشأن العداء العربي اليهودي.
عالم العراق القديم، ذلك العالم الذي كانت تعيشه جدّتي
تستخدم للمقارنة بالجنة، ولا يمكن إعادة بنائها.
ومع ذلك، فإن تذكر الماضي يمكن أن يساعدنا في تصور المستقبل
مستقبل أفضل. القومية دمرت هوية الجميع
العربي اليهودي ولكن ربما لم يترك سوى ما يكفي من
الباقي يستدعي القليل من التفاؤل بشأن المستقبل. واحد
الشيء المؤكد: دون إحياء أو إعادة تصور هذا النوع من
التسامح الديني والحوار الحضاري بين اليهود و
العرب الذين سادوا العراق قبل ظهور
دولة إسرائيل، لن نكون قادرين على تجاوز ما هو موجود اليوم
المأزق.

إن التعايش العربي اليهودي ليس شيئًا تخيلته أنا وعائلتي في أذهاننا؛ اختبرناه ولمسناه. وبسبب هذه التجربة لإمكانيات تشابك الهويات المتعددة والحفاظ عليها، أستطيع أن أصف موقفي اليوم بأنه أقرب إلى موقف الشخصية الرئيسية في رواية إميل حبيبي الحياة السرية لسعيد: أنا متفائل. إنني متشائم بحذر بشأن احتمالات التقدم على المدى القصير، ولكنني أكثر تفاؤلا بشأن فرص التوصل إلى حل سلمي للصراع الإسرائيلي الفلسطيني على المدى الطويل. إن الفصل العنصري في القرن الحادي والعشرين ليس مستداماً بكل بساطة. مثل أبا إيبان، أعتقد أن الأمم، مثل الأفراد، كذلك

قادرون على التصرف بعقلانية - بعد أن استنفدوا كل البدائل الأخرى.



منزل عائلة شلايم في حي البتاويين، بغداد.

وزارة الخارجية، 2

نوفمبر 1917.

عزيزي اللورد روتشيلد،

يسعدني كثيرًا أن أنقل إليكم، بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة، الإعلان التالي عن التعاطف مع التطلعات اليهودية الصهيونية والذي تم تقديمه إلى مجلس الوزراء ووافق عليه

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية. الطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين، أو الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر"

سأكون ممتنًا لو قدمتم هذا الإعلان إلى علم الاتحاد الصهيوني.

Yours
Arthur James Balfour

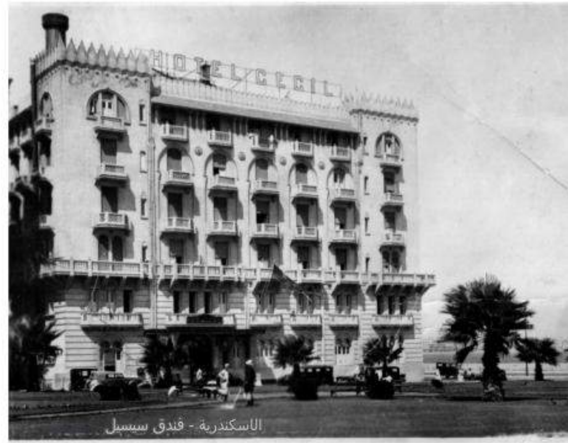
وعد بلفور 1917.



موسيقيون يهود في اذاعة بغداد، 1938.



سعيدة شلايم، جروسفينور هاوس، لندن، 1947.



فندق سيسيل، الإسكندرية، مصر.



تتويج فيصل الأول، بغداد، ٢٣ أغسطس ١٩٢١.



Haj Amin al-Husseini (*left*) and Rashid Ali al-Gaylani, Berlin, 1943.



السير كيناهان كورنواليس (يسار)، السفير البريطاني في العراق.



الأمير عبد الإله (يسار) ونوري السعيد.

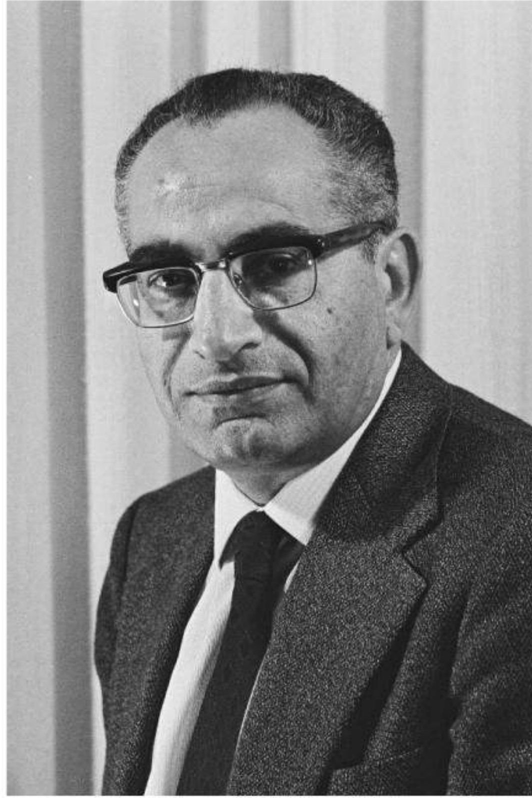


حفل زفاف يوسف وسعيدة شليم، بغداد، 1942.



يوسف في الخارج
يوسف البصري

Yusef Basri, Zionist activist in Baghdad.



© يعقوب سار/ المكتب الصحفي الحكومي في اسرائيل

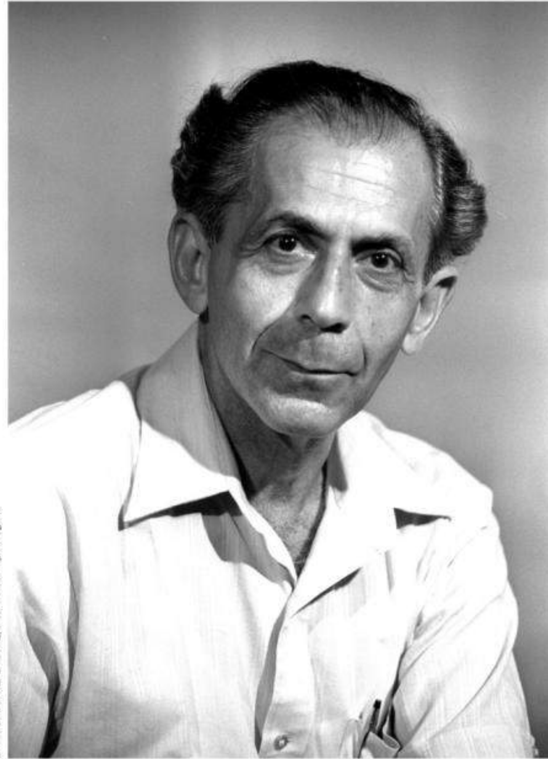
مردخاي بن بورات، مبعوث الموساد إلى العراق.

محاضر التحقيقات السرية لشرطة الشعبة الخاصة كشفت عن أساليب التضليل التي التي لجأ اليها (كادر) الحركة الصهيونية السرية في العراق لخداع الطائفة اليهودية واقناعهم بترك العراق كما ان هؤلاء القادمين من اسرائيل استعانوا وتشبثوا بالطرق اللا أخلاقية لـ(تسهيل) مهماتهم كدفع الرشاوى الضخمة او تزوير الوثائق الرسمية ويذكر كرجي صبيح لاوي: ان عملاء اسرائيل استخدموا الدكتور (عبد النبي) وهو يهودي عراقي في تزوير توقيع وزير الداخلية صالح جبر وان احد المقربين من هذا الوزير يطلب (200) دينار عن كل موافقة (لتهجير) يهودي عراقي وان دائرة السفر رفضت جميع المعاملات التي تحمل توقيع صالح جبر لاكتشافها بانها مزورة!! كما استخدموا الموظفين اليهود في المطار (لتمرير) حقائب كثيرة وان الشرطة القت القبض على مواطن لبناني الجنسية اسمه (عادل) وهو يحاول تهريب (26) حقيبة لافراد المنظمة الصهيونية السرية.. في 21 حزيران عام 1951 صدرت الاوامر بالقاء القبض على 149 عضواً في الحركة الصهيونية السرية وبعد أسبوع ضبطت الشرطة في كنيس مسعودة شنطوب جهازي ارسال عسكريين يحملان الرمز د _ 5 استخدما من قبل بعض اعضاء لجنة التسفير لارسال البرقيات الى تل ابيب، قبل ذلك بايام قلائل وبالتحديد في يوم السادس عشر من حزيران اعترف شالوم صالح شالوم بالتفصيل عن دوره ودوري يوسف بصري ويوسف مراد في قضية القاء القنابل والمتفجرات على المحلات اليهودية وبذلك تمكنت الشرطة من فك اللغز الكبير الذي لف بغداد من جراء اختفاء الفاعلين الحقيقيين لهذه الجرائم التي استهدفت اليهود العراقيين ، قال شالوم للمحقق: في هذا اليوم وجدت نفسي مختارا اذا اجيبكم باقوال غير حقيقية نظرا لما جابهتموني به من الحقائق ومادمت قد اعترفت ببعض الامور كالاشارة الى مخابئ الاسلحة فقد قررت ان ادلي بجميع ما لدي من الحقائق، واعترف يوسف بصري ايضاً بدوره واضاف: بعد صدور قانون اسقاط الجنسية صدرت الاوامر من اسرائيل بتهجير جميع ملاك الحركة الصهيونية السرية وفعلا تمكنا من تسفير الكثير منهم وبقي يوسف مراد وحبيب ، المحقق : هل تعرف شيئاً عن حبيب؟ يوسف بصري : اعتقد انه قدم من اسرائيل وقد حول نشاطنا الى نشاط ارهابي كالقاء القنابل وكان يعتمد على مصادر معروفة في التجسس على العراق مثل عزرا هندي وشمعون بلاص وسليم صديق والياهو بينمور وداد باشا ولطيف فرايم وزلخا والطبيبين سليم الشكرجي وانور مروان، ان يوسف مراد يعرف باسم جوني، وكان متحمسا لتهجير اليهود ويدور في محلاتهم واسواقهم يحثهم على تسقيط جنسياتهم وهو مدفوع من حبيب، لم يكن حبيب وقتذاك في بغداد فقد هرب الى اسرائيل وظهر باسم موردخاي بن فرات وبهربه كان عدد اليهود العراقيين الذين اسقطوا جنسياتهم بتاثير الحركة الصهيونية السرية قد بلغ 154 و 108 وبلغ عدد اليهود الذين تم تهجيرهم 546 و 99 وبقى 608 و 8 بالانتظار حتى يوم العشرين من حزيران عام 1951!..

مقتطف من تقرير شرطة بغداد حول استجواب الناشطين الصهاينة، 1951.



مخيم انتقالي للمهاجرين العراقيين في برديس حنا، إسرائيل.



© يعقوب سار/ المكتب الصحفي الحكومي إسرائيل

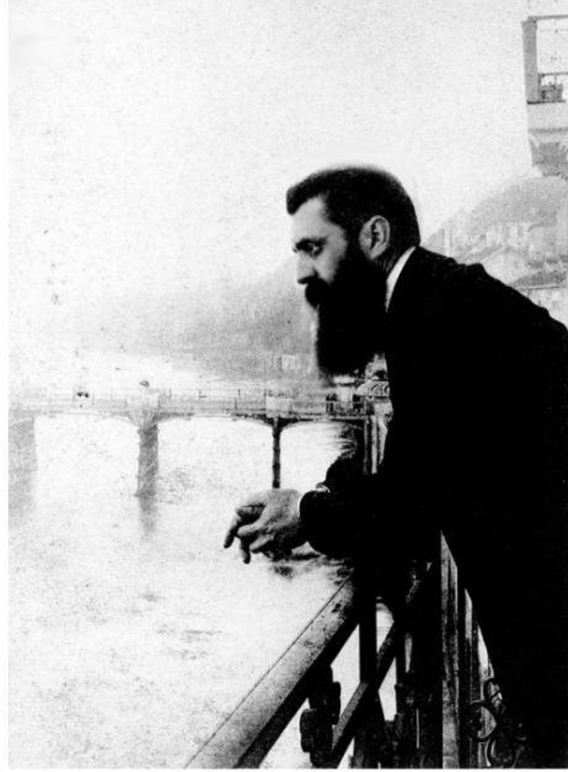
شلومو هليل، المبعوث الإسرائيلي إلى العراق.



العم إسحاق عوبديا وزوجته دوريس في عطلة في إسرائيل عام 1963.



مناحيم بيغن، زعيم حزب حيروت اليميني، 1948.



تيودور هرتزل، صاحب الرؤية الفيبنية للدولة اليهودية.



تعرض ديفيد بن غوريون، أول رئيس وزراء لإسرائيل، للسخرية على نطاق واسع لأنه وقف على رأسه بناءً على نصيحة طبيبه.

ملحوظات

الفصل الأول. اليهود العرب

1 يصور بيني موريس، على سبيل المثال، الهجوم العربي على إسرائيل عام 1948 على أنه جهاد، حرب مقدسة. في ختام كتابه عن الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، كتب موريس أن الحرب لم تكن مجرد صراع بين حركتين وطنيتين على قطعة أرض، بل كانت "جزءًا من صراع عالمي أكثر عمومية بين الشرق الإسلامي والغرب". . بيني موريس، 1948: الحرب العربية الإسرائيلية الأولى (نيو هيفن: مطبعة جامعة ييل، 2008)، ص. 394. مثال آخر هو مارتن جيلبرت، المؤرخ اليهودي البريطاني والصهيوني المتحمس، الذي خصص آخر كتبه العديدة لتاريخ اليهود في الأراضي الإسلامية. الكتاب طموح في نطاقه، ويغطي 1400 عام من التاريخ اليهودي العربي، منذ ظهور الإسلام في القرن السابع وحتى يومنا هذا. لكنه ليس أكثر من مجرد قائمة لكراهية المسلمين وعدائهم وعنفهم تجاه اليهود. ويقال إن معاداة السامية هي القوة الأساسية الكامنة التي شكلت العلاقات بين المسلمين واليهود. ومع ذلك، من خلال تكديس قصة رعب فوق الأخرى، انتهى جيلبرت برسم صورة مضللة. لقد كان متشدداً نفسياً لرؤية معاداة السامية في كل مكان. وكانت النتيجة تشويه تاريخ العلاقات بين المسلمين واليهود لخدمة أجندة سياسية صهيونية. مارتن جيلبرت، في بيت إسماعيل: تاريخ اليهود في الأراضي الإسلامية (نيو هيفن: مطبعة جامعة ييل، 2010).

2 موشيه بيهار وتسفي بن دور بينيت، "أليس لليهود العرب تاريخ؟"، هاوكيتس، 10 كانون الثاني (يناير) 2022 (بالعبرية).

الفصل الثاني. اختراع العراق

1 إليزابيث ف. طومسون، كيف سرق الغرب الديمقراطية من العرب: المؤتمر العربي لعام 1920 وتدمير تحالف ليبرالي إسلامي فريد (لندن: أتلانتيك بوكس، 2020).

2 جيرترود بيل، رسائل جيرترود بيل (المجلد 2) 1921-1926 (ميدلسكس: مكتبة الصدى، 1927)، ص. 143.

3 المرجع نفسه، ص. 136.

4 مقتبس في بيير سالينجر مع إريك لوران، الملف السري: الأجندة الخفية وراء حرب الخليج (لندن: Penguin Books، 1991)، ص14.

5 اميل كوهين، 'التعليم اليهودي في العراق'، بحث غير منشور، 2019.

6. إستر مئير، الصهيونية ويهود العراق، 1941-1950 (تل أبيب: آم أوفيد، 1993) (بالعبرية)، الصفحات 1-2.

7. أبراهام بن يعقوب، تاريخ اليهود في العراق من نهاية الفترة الجاونية (1038 م) إلى الوقت الحاضر (القدس: معهد بن تسفي، 1965) (العبرية)، ص. 234.

8 نسيم قزاز، اليهود في العراق في القرن العشرين (القدس: معهد بن تسفي، 1991) (العبرية).

9 المرجع نفسه، ص 2-5.

10 مردخاي بيبي. الحركة السرية الصهيونية الرائدة في العراق: أ دراسة وثائقية، المجلد الأول: 1941-1944 (القدس: معهد بن تسفي، 1988) (بالعبرية)، الصفحات 16-17.

11 عباس شبلاق، اليهود العراقيون: تاريخ الهجرة الجماعية (لندن: الساقي، 2005)، ص. 61.

12 نقلا عن المرجع نفسه، ص 61-62.

الفصل 4. قصة صيدا

1 جوزيف ساسون، التجار العالميون: مغامرة سلالة ساسون وإسرافها (لندن: ألين لين، 2022).

2 مسعود حيون، عندما كنا عربا: التاريخ المنسي لعائلة يهودية (نيويورك: ذا نيو برس، 2019)، الصفحات 163-66.

الفصل الخامس. الاتصال البريطاني

1 توني روكا، "القصة الداخلية: خلف الفرهود"، في فيوليت شمش، ذكريات عدن: رحلة عبر بغداد اليهودية، تحرير ميرا وتوني روكا (ساري: المنتدى، 2008)، ص. 247. يقدم توني روكا وصفًا رائعًا للفرهود من وجهة النظر البريطانية الذي يظهر فيه السير كيناهان كورنواليس باعتباره الحاكم البارد الذي تخلى عن عمد عن يهود بغداد تحت رحمة الغوغاء لصرف الانتباه عن دور بريطانيا في انتهاك سيادة العراق. وفقًا لرواية روكا، بينما كان الفرهود غاضبًا وكان اليهود يُذبحون، عاد كورنواليس إلى مقر إقامته لتناول عشاء على ضوء الشموع ولعبة الجسر.

2 المرجع نفسه، ص. 271.

3 إيلي قدوري، 'كيس البصرة والفرهود في بغداد'، الفصل 19 في مذكرات سياسية عربية ودراسات أخرى (لندن: فرانك كاس، 1974)، ص 307-8.

4 آري ألكسندر، "يهود بغداد والصهيونية: 1920-1948"، غير منشور رسالة الماجستير، جامعة أكسفورد، 2002، الصفحات 87-96.

5. قزاز، اليهود في العراق في القرن العشرين، ص238-58.

6. مارك ر. كوهين، الذاكرة التاريخية والتاريخ في مذكرات اليهود العراقيين، ميكان، مجلة الأدب العبري والإسرائيلي، المجلد. 6 يونيو 2012.
7 أوريت باشكين، البابليون الجدد: تاريخ اليهود في العراق الحديث (ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد، 2012)، الصفحات 112-25.

الفصل السادس. بغداد

1 ميراف روزنفيلد حداد، اليهودية والإسلام، إله واحد، موسيقى واحدة: The تاريخ الأغنية الباراليتورجية اليهودية في سياق الثقافة العربية الإسلامية كما كشفت عنها مصادرها البابلية اليهودية (ليدن: بريل، 2020).
2 موشيه جات، الخروج اليهودي من العراق، 1948-1951 (لندن: فرانك كاس، 1997)، ص. 38.

الفصل 7. قنبلة بغداد

1 يتسحاق بار موشيه، الخروج من العراق: ذكريات من الأعوام 1945-1950 (القدس: لجنة الطائفة السفاردية، 1977، ترجمة من العربية إلى العبرية بواسطة نير شوهيت)، ص. 364.

2 ناثان وينستوك، الوجود الطويل: تعليق العالم العربي على فقدانه جويف، 1947-1967 (باريس: بلون، 2008) (بالفرنسية).
3 ديفيد هيرست، البندقية وغصن الزيتون: جذور العنف في الشرق الأوسط (لندن: فابر وفابر، 1977)، وشبلاق، اليهود العراقيون.
4 ماريون وولفسون، الأنبياء في بابل: اليهود في العالم العربي (لندن: فابر وفابر، 1980)، ص. 129.
5. نعيم جلعادي، فضائح بن غوريون: كيف قضت الهاغاناه والموساد على اليهود (تيمب، أريزونا: كتب الهندباء، 1992).
6 توفيق السويدي. مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية (بولدر: لين رينر، 2013)، ص. 15.
7 مردخاي بن بورات، إلى بغداد والعودة: قصة عملية عزرا ونحميا (أو يهودا: نقابة معاريف للكتاب، 1996) (بالعبرية)، ص. 65.
8 السويدي، مذكراتي، ص23. 12.
9 مقابلة مع يعقوب كركوكلي، رمات غان، 30 تموز (يوليو) 2017.
10 هيرست، البندقية وغصن الزيتون؛ جلعادي، فضائح بن غوريون؛ وشبلاق، يهود عراقيون.

11. إيلا شوحط، "سنت التسقيط": سبعون عاماً على رحيل يهود العراق"، أورينت 21، تشرين الأول 2020.

12 حنان حيفر ويهودا شنهاف، "العنف في بغداد (1950-1951)، عنف الأرشيف"، تيوريا في بيكوريت، 49، شتاء 2017 (بالعبرية).
13. بار موشيه، الخروج من العراق، ص 333-34.
14. سيلفيا جي حاييم، "جوانب الحياة اليهودية في بغداد في ظل النظام الملكي"، دراسات الشرق الأوسط، 12:2، 1976.

15. شلومو هيليل، عملية بابل: النشاط اليهودي السري في الشرق الأوسط، 1946-1951 (لندن: كولينز، 1988)، الصفحات 283-84.

16. نعيم جلعادي، 'يهود العراق'، الرابط، المجلد 31، العدد 2، أبريل-مايو 1998.

17 بن بورات، إلى بغداد والعودة، ص27. 147.

18 المرجع نفسه، ص 245-46.

19 المرجع نفسه، ص 219-20.

20 جاكي خوجي، سلم يعقوب، معاريف، 31 مارس/آذار 2017. في محادثة خاصة، أخبرني يعقوب كركوكلي أن رشوة كبيرة دفعتها زوجته إلى قاض عسكري أمّنت إطلاق سراحه من السجن.

21 رسالة باللغة العبرية من يعقوب كركوكلي إلى المؤلف، أيار/مايو 2018، ورسالة ثانية بدون تاريخ ولكن على الأرجح صيف 2020.

22. تأسس الموساد في 13 كانون الأول (ديسمبر) 1949. والموساد تعني "معهد" باللغة العبرية. والاسم الكامل للوكالة بالعبرية هو "معهد الاستخبارات والعمليات الخاصة". وهي مسؤولة عن جمع المعلومات الاستخبارية والعمليات السرية ومكافحة الإرهاب.

23 هليل، عملية بابل، ص. 276.

24. شامل عبد القادر، تاريخ الحركة الصهيونية في العراق ودورها في هجرة اليهود 1950-1951 (بغداد: مكتبات الآزال، 2013) (العربية)، ص. 214.

25. أبراهام شاما، العثور على الوطن: رحلة مهاجر: مذكرات (بريطانيا العظمى: أمازون، 2016)، ص. 79.

26 بن بورات، إلى بغداد والعودة، ص26. 77.

27 جات، خروج اليهود من العراق، ص 153-54.

28 مقابلة هاتفية مع شلومو هليل، إسرائيل، 30 يوليو/تموز 2018.

29 رسائل بريد إلكتروني من شامل عبد القادر إلى المؤلف، 26 و27 أبريل و21 مايو 2022.

30 يهودا شنهاف، "يهود العراق، الأيديولوجية الصهيونية، وممتلكات اللاجئين الفلسطينيين عام 1948: شذوذ في المحاسبة الوطنية"، المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط، المجلد. 31، العدد 4، نوفمبر 1999.

31. جويل بينين، تشتت اليهود المصريين: الثقافة والسياسة وتكوين الشتات الحديث (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1998)، ص. 31.

32 حنان حيفر ويهودا شنهاف، "العنف في بغداد (1950-1951)، عنف الأرشيف".

الفصل 8. وداعا بغداد

1 بار موشيه، الخروج من العراق، ص 306-7.

الفصل 9. الأرض الموعودة

إستير مئير، الصهيونية ويهود العراق، 1941-1950 (تل أبيب: آم أوفيد، 1993)
(بالعبرية)، ص. 215. 1
2 أوريت باشكين، الخروج المستحيل: اليهود العراقيين في إسرائيل (ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد، 2017)، ص. 4.

الفصل 10. على غير هدى

1 تسفي تساميريت، زلمان آران وإنتاجية أطفال "المجتمعات الشرقية""، يونيم بيتكومات إسرائيل، العدد 15، 2005 (بالعبرية)، ص 295-326.

2 نيويورك تايمز، 25 أكتوبر 1960، مقتبس في إيلي قدوري، تشاتام
نسخة البيت ودراسات أخرى في الشرق الأوسط (لندن: فايدنفيلد و
نيكولسون، 1970)، ص. 448.
3. سامي ميخائيل، التجربة الإسرائيلية (أو يهودا: نقابة كتاب معاريف، 2001) (بالعبرية)، الصفحات 216-21.

الفصل 11. لندن

1 جيري بلاك. J. F. S.: تاريخ المدرسة الحرة لليهود، لندن منذ عام 1732 (لندن: Tymsder Publishing، 1998)، الصفحات من 205 إلى 206.

الفصل 13. الخاتمة

1 مسعود حيون، عندما كنا عربًا: التاريخ المنسي لعائلة يهودية (نيويورك: ذا نيو برس، 2019).

2 إيلا شوحط، حول اليهودي العربي وفلسطين ونزوحات أخرى: كتابات مختارة (لندن: مطبعة بلوتو، 2017)، ص. 6.

3 بتسيلم (مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة)، 12 يناير/كانون الثاني 2021، https://www.btselem.org/publications/fulltext/202101_this_is_apartheid

4 إميل حبيبي، الحياة السرية لسعيد المتشائم (بيروت: دار ابن خلدون، 1974) (العربية).

فهرس

ألكسندر، آري. "يهود بغداد والصهيونية: 1920-1948". رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أكسفورد، 2002.

أمير، إيلي. طيارة الحمامة. لندن: حلبان، 2010. (ترجمة من العبرية إلى الإنجليزية هيليل هالكين).

———. فتى الدراجة. تل أبيب: عام أوفيد، 2018. (بالعبرية).

بالاس، شمعون. الأدب العربي في ظل الحرب. تل أبيب: عام أوفيد، 1978. (بالعبرية).

بار موشيه، اسحق. الخروج من العراق: ذكريات من الأعوام 1945-1950. القدس: مجمع الطائفة السفاردية، 1977. (ترجمة عن من العربية إلى العبرية بقلم نير شوهيت).

———. بيت في بغداد. القدس: مجلس الطائفة السفاردية، 1982. (ترجمة هانيتا براند من العربية إلى العبرية).

باشكين، أوريت. البابليون الجدد: تاريخ اليهود في العراق الحديث. ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد، 2012.

———. الخروج المستحيل: اليهود العراقيين في إسرائيل. ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد، 2017.

بطاطو، حنا. الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية في العراق. برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1978.

بيهار، موشيه، تسفي بن دور بينيت. "أليس لليهود العرب تاريخ؟"، هاوكيتس، 10 كانون الثاني (يناير) 2022. (بالعبرية).

بينين، جويل. تشتت اليهود المصريين: الثقافة والسياسة وتشكيل الشتات الحديث. بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1998.

بيل، جيرترود. رسائل جيرترود بيل (المجلد 2) 1921-1926. ميدلسكس: مكتبة الصدى، 1927.

بن بورات، مردخاي. إلى بغداد والعودة: قصة عملية عزرا ونحميا. أو يهودا: نقابة معاريف للكتاب، 1996. (بالعبرية).

بن يعقوب، ابراهيم. تاريخ اليهود في العراق من نهاية العصر الجاوني (1038 م) إلى الوقت الحاضر. القدس: معهد بن تسفي، 1965. (بالعبرية).

---. يهود العراق في العصر الحديث. القدس: كريات سفر، 1979. (العبرية). -

بنيامين، مارينا. الأيام الأخيرة في بابل: تاريخ العائلة، قصة أمة. نيويورك: سايمون وشوستر، 2006.

بيرج، نانسي إي. المنفى من الكتاب الإسرائيليين في المنفى من العراق. ألباني: مطبعة جامعة ولاية نيويورك، 1996.

———. المزيد والمزيد من المساواة: الأعمال الأدبية لسامي مايكل. لانهام، ماريلاند: كتب ليكسينغتون، 2004.

بيبي، مردخاي. الحركة السرية الصهيونية الرائدة في العراق: أ
دراسة وثائقية، المجلد الأول: 1941-1944. القدس: معهد بن تسفي، 1988. (بالعبرية).

أسود، جيري. ج.ف.س.: تاريخ المدرسة الحرة لليهود، لندن منذ عام 1732. لندن: منشورات تيمسدر، 1998.

كوهين، حاييم ي. النشاط الصهيوني في العراق. القدس: المكتبة الصهيونية، 1969. (العبرية).

كوهين، مارك ر. "الذاكرة التاريخية والتاريخ في مذكرات اليهود العراقيين".
ميكان، مجلة الأدب العبري والإسرائيلي، المجلد. 6 يونيو 2012.

كوهين، ران. قال. بني براك: سفريات بوعليم، 2016. (بالعبرية).

دي جوري، جيرالد. الملوك الثلاثة في بغداد 1921-1958. لندن: هاتشينسون، 1961.

جات، موشيه. العلاقة بين تفجيرات بغداد وهجرة اليهود من العراق: 1950-51. دراسات الشرق الأوسط، المجلد. 24:
العدد 3 يوليو 1988.

———. نزوح اليهود من العراق 1948-1951. لندن: فرانك كاس، 1997.

جلعادي، نعيم. فضائح بن غوريون: كيف قضت الهاغاناه والموساد على اليهود. تيمبي، أريزونا: كتب الهندباء، 1992.

———. "يهود العراق"، الرابط، المجلد. 31، العدد 2، أبريل-مايو 1998.

جيلبرت، مارتن. في بيت إسماعيل: تاريخ اليهود في الأراضي الإسلامية. نيو هافن: مطبعة جامعة ييل، 2010.

Goitein، S. D. 1955 اليهود والعرب: اتصالاتهم عبر العصور. نيويورك: كتب شوكين.

جوتريش، إميلي. المغرب اليهودي: تاريخ من عصور ما قبل الإسلام إلى عصور ما بعد الاستعمار. لندن: آي.بي. توريس، 2020.

حبيبي، اميل. الحياة السرية لسعيد المتشائم المشؤوم. بيروت: دار ابن خلدون، 1974. (العربية).

حاييم، سيلفيا ج. "جوانب الحياة اليهودية في بغداد في ظل النظام الملكي"، دراسات الشرق الأوسط، المجلد. 12: العدد 2، 1976.

هيون، مسعود. عندما كنا عربا: التاريخ المنسي لعائلة يهودية. نيويورك: نيو برس، 2019.

هيفر، حنان ويهودا شنهاف، "العنف في بغداد (1950-1951)،"
"عنف الأرشيف"، تيوريا في بيكوريت، 49، شتاء 2017. (بالعبرية).

هليل، شلومو. عملية بابل: النشاط السري اليهودي في الشرق الأوسط، 1946-1951. لندن: كولينز، 1988.

هيرست، ديفيد. البندقية وغصن الزيتون: جذور العنف في العصر الحديث
الشرق الأوسط. لندن: فابر وفابر، 1977. هوريش، جوشوا.
يهودي عراقي في الموساد: مذكرات مخابرات إسرائيلية
ضابط. جيفرسون، كارولاينا الشمالية: ماكفارلاند، 1997. إسحاق،
كارول. ذئب بغداد: مذكرات وطن مفقود. أكسفورد:
إصدارات لا تعد ولا تحصى، 2020.

يوليوس، لين. اقتلاع: كيف اختفت 3000 سنة من الحضارة اليهودية في العالم العربي بين عشية وضحاها. لندن: فالنتين ميتشل، 2018.

قطان، نعيم. وداع بابل: بلوغ سن الرشد في بغداد اليهودية. لندن: مطبعة تذكارية، 2009.

قزاز، نسيم. اليهود في العراق في القرن العشرين. القدس: معهد بن تسفي، 1991. (العبرية).

قدوري، إيلي. نسخة تشاتام هاوس ودراسات أخرى في الشرق الأوسط.
لندن: ويدنفيلد ونيكلسون، 1970.
مذكرات سياسية عربية ودراسات أخرى. لندن: فرانك كاس، 1974. .———
--. "القطيعة بين المسلمين واليهود في العراق". في اليهود بين العرب: الاتصالات والحدود، حرره _
مارك ر. كوهين وأبراهام ل. أودوفيتش. برينستون، نيوجيرسي: مطبعة داروين، 1989.

كلاين، مناحيم. حياة مشتركة: العرب واليهود في القدس ويافا والخليل. لندن: هيرست، 2014.

ليفي، ليتال. "تأريخ مفهوم اليهود العرب في المشرق". المراجعة الفصلية اليهودية، المجلد. 98: رقم 4، 2008.
لويس، برنارد. يهود الإسلام. برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1984.
-. الساميون ومعاداة السامية: تحقيق في الصراع والتحيز. نيويورك: دبليو دبليو نورتون، 1986. ——

مار، فيبي. تاريخ العراق الحديث. بولدر: ويستفيو، 1985.
مسعد، يوسف. استمرار القضية الفلسطينية: مقالات عن الصهيونية والفلسطينيين. أبينغدون: روتليدج، 2006.
مئير، استير. الصهيونية ويهود العراق 1941-1950. تل أبيب: عام أوفيد، 1993. (بالعبرية).

مايكل، سامي. فيكتوريا. تل أبيب: عام عوفيد: 1993. (بالعبرية).
-. التجربة الإسرائيلية. أو يهودا: نقابة معاريف للكتاب، 2001. (بالعبرية). موريه، شموئيل. بغداد——
حبي: مذكرات وأحزان. تل أبيب: رابطة الأكاديميين اليهود من العراق، 2020. (ترجمة من العربية إلى العبرية بواسطة
يونا شيفر).
موريس، بيني. 1948: الحرب العربية الإسرائيلية الأولى. نيو هافن: مطبعة جامعة ييل، 2008.

ناثان، أهارون. من بابل إلى القدس: ذكريات وتأملات يهودي متجول. لندن: كيو، 2020.

نسلين، آرثر. العقول المحتلة لندن: مطبعة بلوتو، 2006.
عبد القادر، شامل. تاريخ الحركة الصهيونية في العراق ودورها في هجرة اليهود 1950-1951. بغداد: مكتبات الازال، 2013.
(عربي).
رجوان، نسيم. يهود العراق: 3000 سنة من التاريخ والثقافة. لندن: ويدنفيلد ونيكلسون، 1985.

آخر اليهود في بغداد: تذكر الوطن المفقود. أوستن: مطبعة جامعة تكساس، 2004. .———

---. دخيل في أرض الميعاد: يهودي عراقي في إسرائيل. أوستن: الجامعة
مطبعة تكساس، 2006. روز، جون.
أساطير صهيون. لندن: مطبعة بلوتو، 2004.
روزنفيلد حداد، ميراف. اليهودية والإسلام، إله واحد موسيقى واحدة: تاريخ الأغنية اليهودية شبه الدينية في سياق الثقافة العربية الإسلامية
كشفت في مصادرها البابلية اليهودية. ليدن: بريل، 2020.

سعيد، إدوارد دبليو. قضية فلسطين. نيويورك: كتب خمر، 1979.
سالينجر، بيير مع إريك لوران. الملف السري: الأجندة المخفية وراء حرب الخليج. لندن: كتب البطريق، 1991.
ساسون، جوزيف. التجار العالميون: المؤسسة والبذخ في سلالة ساسون. لندن: ألين لين، 2022.

ساتلوف، روبرت. بين الصالحين: القصص المفقودة من وصول المحرقة إلى الأراضي العربية. نيويورك: الشؤون العامة، 2006.
سودايي، موريس م. اتصال بغداد. بطاقة كتالوج مكتبة الكونجرس رقم 78-3136.

شاكيد، غيرشون. الرواية السردية العبرية، 1880-1980. المجلد. 4. تل أبيب: هكيبوتس هميوتشاد وكيتر، 1993. (بالعبرية).
شيما، ابراهيم. العثور على المنزل: رحلة المهاجر: مذكرات. طبع في بريطانيا العظمى بواسطة أمازون، 2016.

شمش، فيوليت. ذكريات عدن: رحلة عبر بغداد اليهودية، تحرير ميرا وتوني روكا. ساري: المنتدى، 2008.
شنهاف، يهودا. "يهود العراق، الفكر الصهيوني، وممتلكات العراق." "اللاجئون الفلسطينيون عام 1948: شذوذ في المحاسبة الوطنية"، المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط، المجلد. 31: العدد 4، نوفمبر 1999.
-. اليهود العرب: قراءة ما بعد الاستعمارية للقومية والدين والعرق. ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد، 2006.
شبلاق، عباس. اليهود العراقيون: تاريخ الهجرة الجماعية. لندن: الساقي، 2005. شلايم، آفي. التواطؤ عبر نهر الأردن: الملك عبد الله، والحركة الصهيونية، وتقسيم فلسطين. أكسفورد: مطبعة كلارندون، 1988.
الجدار الحديدي: إسرائيل والعالم العربي. لندن: كتب البطريق، 2014. شوحط، إيلا. ذكريات محظورة، أصوات الشتات. دورهام: مطبعة جامعة ديوك، 2006.

--. حول اليهودي العربي وفلسطين والنزوح الآخر: كتابات مختارة. لندن: مطبعة بلوتو، 2017.

""سانت التسقيط": سبعون عاماً على رحيل يهود العراق"، المشرق الحادي والعشرون، تشرين الأول (أكتوبر) 2020.
سيمون، ريفا س. "فرض القومية على دولة غير قومية: حالة العراق خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، 1921-1941". في إعادة النظر في القومية في الشرق الأوسط العربي، جيمس يانكوفسكي وإسرائيل غيرشوني، محررون. نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 1997. سموحة، سامي. إسرائيل: التعددية والصراع. لندن: روتليدج وكيجان بول، 1978.

سنير، رؤوفين. "الأدب العربي لليهود العراقيين في القرن العشرين: حالة إسحاق بار موشيه، 1927-2003". دراسات الشرق الأوسط، المجلد. 41: رقم 1، 2005.

--. العروبة، اليهودية، الصهيونية: صراع الهويات في أدب اليهود العراقيين. القدس: معهد بن تسفي والجامعة العبرية القدس، 2005. (العبرية).
--. من يحتاج إلى الهوية العربية اليهودية؟: الاستجواب والاستبعاد والتضامن غير الضروري (سلسلة بريل في الدراسات اليهودية). ليدن، 2015.

سوميخ، ساسون. بغداد أمس: صناعة اليهود في العراق الحديث. ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد، 2012.
ستيلمان، نورمان أ. يهود الأراضي العربية في العصر الحديث. فيلادلفيا: جمعية المنشورات اليهودية، 1991.
السويدي، توفيق. مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية. بولدر: لين رينر، 2013.
طومسون، إليزابيث ف. كيف سرق الغرب الديمقراطية من العرب: المؤتمر العربي عام 1920 وتدمير التحالف الليبرالي الإسلامي الفريد. لندن: أتلانتيك بوكس، 2020.
تريب، تشارلز. تاريخ العراق. الطبعة الثالثة. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2007.
تساميريت، تسفي. "زلمان آران وإنتاجية أطفال "المجتمعات الشرقية"". إيونيم بيتكومات إسرائيل، العدد 15، 2005. (العبرية).
وينستوك، ناثان. Une si longue présence: Comment le monde Arabe a perdu ses juifs، 1947-1967. باريس: بلون، 2008.
وولفسون، ماريون. الأنبياء في بابل: اليهود في العالم العربي. لندن: فابر وفابر، 1980.
نعم، بات. الذمي: اليهود والنصارى في ظل الإسلام. رذرفورد، نيوجيرسي: مطبعة جامعة فيرلي ديكنسون، 1985.
زبيدة، سامي. "الشظايا تصور الأمة: حالة العراق". المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط، المجلد 34، 2002.

شكر وتقدير

في مراحل مختلفة من الرحلة الطويلة التي أدت إلى نشر هذه المذكرات، تلقيت الدعم من العديد من الزملاء والأقارب والأصدقاء، ويسعدني أن أقدر ذلك. صديقان يستحقان إشارة خاصة.

إيلا شوحط، الناقدة الثقافية المتميزة، رافقت هذه المذكرات منذ بدايتها. كان عملها الخاص مصدرًا رئيسيًا للإلهام. يغطي عملها مجموعة واسعة من القضايا مثل الطبيعة الاستعمارية للصهيونية، والتحيز الأوروبي في التأريخ الصهيوني، ومكانة اليهود الشرقيين في المجتمع الإسرائيلي، والشخصية المحورية لليهود العرب، وتهجير الفلسطينيين من فلسطين. ويهود العراق من وطنهم. لقد ساعدني عملها على فهم القوى السياسية التي شكلت حياتي بشكل أفضل، ومنحني دافعًا قويًا للتعامل مع القضايا الوجودية المعقدة التي تتجاوز رحلتي الفردية. بالإضافة إلى ذلك، وضعت إيلا مخطوطتي تحت عدسة نقدية حادة وقدمت عددًا كبيرًا من التعليقات والاقتراحات البناءة.

وكانت أوريت باشكين، وهي مؤرخة بارزة في الشرق الأوسط، مصدرًا رئيسيًا آخر للتعليم والتنوير والمشورة. باعتباري مؤرخًا دبلوماسيًا، كنت معتادًا على الكتابة عن المشاهير، كما قمت بنشر سيرة ذاتية للملك حسين، عاهل الأردن. لكن كانت لدي شكوك وموانع كبيرة عندما يتعلق الأمر بكتابة كتاب عن عائلتي وعن نفسي. كان كتاب أوريت، البابليون الجدد: تاريخ اليهود في العراق الحديث، مثيراً للاهتمام. فهو يقدم حسابًا مضيئة فكريًا واجتماعيًا وثقافيًا

حياة يهود العراق في النصف الأول من القرن العشرين. لم يعلمني كتاب أوريت عن تاريخ مجتمعي فحسب؛ لقد مكنتني من التغلب على التشيط الذي شعرت به عند كتابة قصة حياتي ووضع نفسي في مركز الصدارة. والأهم من ذلك، أنها وفرت سياقًا وإطارًا يمكنني أن أحاول أن أتناسب فيه مع قصتي الفردية. مثل إيلا شوحط، قرأت أوريت المخطوطة بأكملها وقدمت العديد من التعليقات الثاقبة، ومرة أخرى، مثل إيلا، شجعتني على التوسع في وجهات نظر والدتي وشقيقتي من أجل تحقيق توازن أكبر بين الجنسين.

قرأ صديقان آخران المخطوطة بأكملها، وقاما بتصحيح الأخطاء الواقعية وقدموا تعليقات مفيدة لتحسينها. إنهما لافينيا دافنبورت وإيما سكاي وأنا ممتن لهما على مساهمتهما.

قام عدد من الأصدقاء الآخرين بقراءة أجزاء من المخطوطة أو مقترح كتاب مفصل وقدموا اقتراحات قيمة. ومن بينهم إيريكا بينر، وفواز جرجس، ويوجين روغان، وميراف روزنفيلد حداد، وبرنارد فاسرشتاين. قرأ آفي راز وتوم سيغيف واقترحوا مراجعات شاملة للفصل السابع. ولهم جميعًا أدين بالامتنان العميق.

أود أيضًا أن أسجل شكري لسيلستين فونفجيلد، طالبة الدراسات العليا السابقة ومساعدة الأبحاث المتفانية، لمساعدتي في جمع المواد ولعملها كمحلل أخطاء تكنولوجيا المعلومات ومصلحها، وباحثة صور، ومصححة لغويًا.

لقد تعاملت الدكتورة ماريا لويزا لانجيلا، أمينة مكتبة مركز الشرق الأوسط في كلية سانت أنتوني بجامعة أكسفورد، ومساعديها هيفا جاجاوي وكارولين ديفيس، مع جميع طلباتي المتعددة بسرعة وكفاءة وبهجة جيدة.

نيل كيتشلي، أستاذ السياسة في مركز الشرق الأوسط، هو الذي رسم الخرائط.

أعرب عن تقديري العميق لجميع العاملين في Oneworld وخاصةً سام كارتر لمشورته الحكيمة وتحريره الرائع ودعمه الثابت لهذا المشروع. وقد ساهم مساعده رضا فاكوا في عملية التحرير بذكاء وخيال وإبداع. قام توم فيلثام بتحرير المخطوطة بعين حادة ومهارة كبيرة واهتمام شديد بالتفاصيل.

أنا ممتن للغاية لابنتي تمار، الناشرة حسب المهنة، على اقتراحاتها المدروسة ومساعدتها العملية والمحادثات الطويلة التي رافقت تأليف هذا الكتاب. كانت فكرتها هي إنتاج بودكاست ساعدنا على فهم هوياتنا العربية اليهودية الإسرائيلية بشكل أفضل. كان والدي صامتا. والد تمار لا يتوقف عن الكلام...

أخيرًا، أود أن أشكر زوجتي، جوين دانييل، المعالجة النفسية والناشطة العاطفية المؤيدة للفلسطينيين، لاستمرارها في الاهتمام بعملي بعد خمسين عامًا من الزواج، ولانتقاداتها القاطعة للنص، ولاقتراحاتها التحريرية التي لا تعد ولا تحصى، وعلى تشجيعها ودعمها طوال مواسم عديدة.

آفي شلايم

أكسفورد

أكتوبر 2022

كتاب عالم واحد

تم نشره لأول مرة من قبل منشورات Oneworld في عام 2023

تم نشر طبعة الكتاب الإلكتروني هذه عام 2023

حقوق النشر © آفي شلايم 2023

تم التأكيد على الحق الأخلاقي لآفي شلايم في تحديد هويته كمؤلف لهذا العمل وفقًا لقانون حقوق الطبع والنشر والتصميمات وبراءات الاختراع لعام 1988

جميع الحقوق محفوظة
حقوق الطبع والنشر بموجب اتفاقية برن
يتوفر سجل CIP لهذا العنوان في المكتبة البريطانية رقم
ISBN 978-0-86154-463-9
ردمك 978-0-86154-464-6

تمت الطباعة بواسطة Geethik Technologies اعتمادات واجهة الكتاب: الفصل الأول صباح عرار/جيتي، الفصل الثاني وقائع/عالمي، الفصول 3-13 من مجموعة آفي شلايم الشخصية.

اعتمادات قسم اللوحات: منزل عائلة شلايم، فندق سيسيل، حفل زفاف، يوسف بصري، محضر شرطة بغداد، العم إسحاق عوبديا ودوريس من مجموعة آفي شلايم الشخصية. وعد بلفور وتيودور هرتزل من ويكيميديا كومنز. ديفيد بن غوريون بإذن من بول جولدمان، وتم إصداره في الملكية العامة. محمد أمين الحسيني وراشد علي الجيلاني في برلين Sueddeutsche Zeitung Photo Alamy; تتويج فيصل الأول © UtCon Collection العلمي، الخيام في برديس حنا ماتيو أوميد العلمي، الوصي على عرش العراق مع نوري السعيد أرشيف التاريخ العالمي العلمي. كيناهان كورنواليس © Hulton Archive Keystone مناحيم بيغن وكالة فرانس برس غيتي. شلومو هليل يعقوب ساعر المكتب الصحفي .Getty الحكومي إسرائيل. مردخاي بن بورات يعقوب ساعر / المكتب الصحفي الحكومي في إسرائيل لقد تم بذل © كل الجهود لتتبع أصحاب حقوق الطبع والنشر لاستخدام المواد في هذا الكتاب. يعتذر الناشر عن أي أخطاء أو سهو هنا وسيكون ممتنًا إذا تم إخطاره بأي تصحيحات يجب دمجها في الطبعات أو الإصدارات المستقبلية من هذا.

كتاب.

خريطة بغداد عام 1944 مقدمة من مجموعة ويلكوم خريطة الشرق الأوسط قبل عام 1967 نيل كيتشلي
Oneworld Publications

10 شارع بلومزبري

لندن WC1B 3SR

انجلترا

البقاء حتى موعد مع أحدث الكتب. عروض
خاصة ومحتوى حصري من Oneworld مع نشرتنا
الإخبارية

قم بالتسجيل على موقعنا
oneworld-publications.com